شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

٦

شرح نهج البلاغة

الجزء السادس

تأليف

ابن أبي الحديد عبد الحميد بن هبة الله المعتزلي

جميع الحقوق محفوظة لفريق مساحة حرة

http://www.masaha.org

الجزء السادس

تتمة الخطب و الأوامر

بِسْمِ اَللَّهِ اَلرَّحْمَنِ اَلرَّحِيمِ `اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ اَلْعَالَمِينَ و الصلاة و السلام على خير خلقه 14محمد و آله الطاهرين

1066 66 و من كلام له ع في معنى الأنصار

قَالُوا: لَمَّا اِنْتَهَتْ إِلَى 1أَمِيرِ اَلْمُؤْمِنِينَ ع أَنْبَاءُ بَعْدَ قَالَ ع مَا قَالَتِ اَلْأَنْصَارُ قَالُوا قَالَتْ مِنَّا أَمِيرٌ وَ مِنْكُمْ أَمِيرٌ قَالَ ع فَهَلاَّ اِحْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ 14رَسُولَ اَللَّهِ ص وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ وَ يُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ قَالُوا وَ مَا فِي هَذَا مِنَ اَلْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ فَقَالَ ع لَوْ كَانَ اَلْإِمَامَةُ [اَلْإِمَارَةُ] فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ اَلْوَصِيَّةُ بِهِمْ ثُمَّ قَالَ ع فَمَا ذَا [1] قَالَتْ قُرَيْشٌ قَالُوا اِحْتَجَّتْ بِأَنَّهَا شَجَرَةُ 14اَلرَّسُولِ ص فَقَالَ ع

(1) مخطوطة النهج: «و ما ذا» .

4

اِحْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وَ أَضَاعُوا اَلثَّمَرَةَ (1) -. قد ذكرنا فيما تقدم طرفا من أخبار فأما هذا الخبر الوارد في الوصية بالأنصار فهو خبر صحيح **14- أخرجه الشيخان محمد بن إسماعيل البخاري و مسلم بن الحجاج القشيري في مسنديهما عن أنس بن مالك قال مر أبو بكر و العباس رضي الله تعالى عنهما بمجلس من الأنصار في مرض 14رسول الله ص و هم يبكون فقالا ما يبكيكم قالوا ذكرنا محاسن 14رسول الله ص فدخلا على 14النبي ص و أخبراه بذلك فخرج ص و قد عصب على رأسه حاشية برده [1] فصعد المنبر و لم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله و أثنى عليه ثم قال أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشي و عيبتي و قد قضوا الذي عليهم و بقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم و تجاوزوا عن مسيئهم [2] .** فأما كيفية الاحتجاج على الأنصار فقد ذكرها 1علي ع و هي أنه لو كان ص ممن يجعل الإمامة فيهم لأوصى إليهم و لم يوص بهم .

و إلى هذا نظر عمرو بن سعيد بن العاص و هو المسمى بالأشدق فإن أباه لما مات خلفه غلاما فدخل إلى معاوية فقال إلى من أوصى بك أبوك فقال إن أبي أوصى إلي و لم يوص بي فاستحسن معاوية منه ذلك فقال إن هذا الغلام لأشدق فسمي الأشدق (2) - [3] . فأما قول 1أمير المؤمنين **احتجوا بالشجرة و أضاعوا الثمرة** فكلام قد تكرر منه

---

(1) البخارى: «برد» .
(2) صحيح البخاريّ 2: 312، صحيح مسلم 1949.
(3) الأشدق: البليغ.

5

ع أمثاله **1- نحو قوله إذا احتج عليهم المهاجرون بالقرب من 14رسول الله ص كانت الحجة لنا على المهاجرين بذلك قائمة فإن فلجت حجتهم كانت لنا دونهم و إلا فالأنصار على دعوتهم .** و نحو هذا المعنى قول العباس لأبي بكر و أما قولك نحن شجرة 14رسول الله ص فإنكم جيرانها و نحن أغصانها

و نحن نذكر خبر [1] **14,1,15- روى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة قال أخبرني أحمد بن إسحاق قال حدثنا أحمد بن سيار قال حدثنا سعيد بن كثير بن عفير الأنصاري أن 14النبي ص لما قبض اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة فقالوا إن 14رسول الله ص قد قبض فقال سعد بن عبادة لابنه قيس أو لبعض بنيه إني لا أستطيع أن أسمع الناس كلامي لمرضي و لكن تلق مني قولي فأسمعهم فكان سعد يتكلم و يستمع ابنه و يرفع به صوته ليسمع قومه فكان من قوله بعد حمد الله و الثناء عليه أن قال إن لكم سابقة إلى الدين و فضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب أن 14رسول الله ص لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم إلى عبادة الرحمن و خلع الأوثان فما آمن به من قومه إلا قليل و الله ما كانوا يقدرون أن يمنعوا 14رسول الله**

---

(1) انظر أخبار السقيفة أيضا في الجزء الأول 21-61.

و لا يعزوا دينه و لا يدفعوا عنه عداه حتى أراد الله بكم خير الفضيلة و ساق إليكم الكرامة و خصكم بدينه و رزقكم الإيمان به و 14برسوله و الإعزاز لدينه و الجهاد لأعدائه فكنتم أشد الناس على من تخلف عنه منكم و أثقله على عدوه من غيركم حتى استقاموا لأمر الله طوعا و كرها و أعطى البعيد المقادة صاغرا داخرا [1] حتى أنجز الله 14لنبيكم الوعد و دانت لأسيافكم العرب ثم توفاه الله تعالى و هو عنكم راض و بكم قرير عين فشدوا يديكم بهذا الأمر فإنكم أحق الناس و أولاهم به .

فأجابوا جميعا أن وفقت في الرأي و أصبت في القول و لن نعدو ما أمرت نوليك هذا الأمر فأنت لنا مقنع و لصالح المؤمنين رضا .

ثم إنهم ترادوا الكلام بينهم فقالوا إن أبت مهاجرة قريش فقالوا نحن المهاجرون و أصحاب 14رسول الله ص الأولون و نحن عشيرته و أولياؤه فعلام تنازعوننا هذا الأمر من بعده فقالت طائفة منهم إذا نقول منا أمير و منكم أمير لن نرضى بدون هذا منهم أبدا لنا في الإيواء و النصرة ما لهم في الهجرة و لنا في كتاب الله ما لهم فليسوا يعدون شيئا إلا و نعد مثله و ليس من رأينا الاستئثار عليهم فمنا أمير و منهم أمير .

فقال سعد بن عبادة هذا أول الوهن .

و أتى الخبر عمر فأتى منزل 14رسول الله ص فوجد أبا بكر في الدار و 1عليا في جهاز 14رسول الله ص و كان الذي أتاه بالخبر معن بن عدي فأخذ بيد عمر و قال قم فقال عمر إني عنك مشغول فقال إنه لا بد من قيام فقام معه فقال له إن هذا الحي من الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة معهم سعد بن عبادة يدورون حوله و يقولون أنت المرجى و نجلك المرجى و ثم أناس من

(1) كذا في ج، و الداخر: «الذليل» ، و في ب: «داحضا» .

أشرافهم و قد خشيت الفتنة فانظر يا عمر ما ذا ترى و اذكر لإخوتك من المهاجرين و اختاروا لأنفسكم فإني انظر إلى باب فتنة قد فتح الساعة إلا أن يغلقه الله ففزع عمر أشد الفزع حتى أتى أبا بكر فأخذ بيده فقال قم فقال أبو بكر إني عنك مشغول فقال عمر لا بد من قيام و سنرجع إن شاء الله .

فقام أبو بكر مع عمر فحدثه الحديث ففزع أبو بكر أشد الفزع و خرجا مسرعين إلى سقيفة بني ساعدة و فيها رجال من أشراف الأنصار و معهم سعد بن عبادة و هو مريض بين أظهرهم فأراد عمر أن يتكلم و يمهد لأبي بكر و قال خشيت أن يقصر أبو بكر عن بعض الكلام فلما نبس [1] عمر كفه أبو بكر و قال على رسلك فتلق الكلام ثم تكلم بعد كلامي بما بدا لك فتشهد أبو بكر ثم قال .

إن الله جل ثناؤه بعث 14محمدا **بِالْهُدىَ وَ دِينِ اَلْحَقِّ** فدعا إلى الإسلام فأخذ الله بقلوبنا و نواصينا إلى ما دعانا إليه و كنا معاشر المسلمين المهاجرين أول الناس إسلاما و الناس لنا في ذلك تبع و نحن عشيرة 14رسول الله ص و أوسط العرب أنسابا ليس من قبائل العرب إلا و لقريش فيها ولادة و أنتم أنصار الله و أنتم نصرتم 14رسول الله ص ثم أنتم وزراء 14رسول الله ص و إخواننا في كتاب الله و شركاؤنا في الدين و فيما كنا فيه من خير فأنتم أحب الناس إلينا و أكرمهم علينا و أحق الناس بالرضا بقضاء الله و التسليم لما ساق الله إلى إخوانكم من المهاجرين و أحق الناس ألا تحسدوهم فأنتم المؤثرون على أنفسهم حين الخصاصة و أحق الناس ألا يكون انتفاض هذا الدين و اختلاطه على أيديكم و أنا أدعوكم إلى أبي عبيدة و عمر فكلاهما قد رضيت لهذا الأمر و كلاهما أراه له أهلا .

---

(1) نبس: أى تكلم.

فقال عمر و أبو عبيدة ما ينبغي لأحد من الناس أن يكون فوقك أنت صاحب الغار **ثَانِيَ اِثْنَيْنِ** و أمرك 14رسول الله بالصلاة فأنت أحق الناس بهذا الأمر .

فقال الأنصار و الله ما نحسدكم على خير ساقه الله إليكم و لا أحد أحب إلينا و لا أرضى عندنا منكم و لكنا نشفق فيما بعد هذا اليوم و نحذر أن يغلب على هذا الأمر من ليس منا و لا منكم فلو جعلتم اليوم رجلا منكم بايعنا و رضينا على أنه إذا هلك اخترنا واحدا من الأنصار فإذا هلك كان آخر من المهاجرين أبدا ما بقيت هذه الأمة كان ذلك أجدر أن نعدل [1] في أمة 14محمد ص فيشفق الأنصاري أن يزيغ فيقبض عليه القرشي و يشفق القرشي أن يزيغ فيقبض عليه الأنصاري .

فقام أبو بكر فقال إن 14رسول الله ص لما بعث عظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخالفوه و شاقوه و خص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه و الإيمان به و المواساة له و الصبر معه على شدة أذى قومه و لم يستوحشوا لكثرة عدوهم فهم أول من عبد الله في الأرض و هم أول من آمن 14برسول الله و هم أولياؤه و عترته و أحق الناس بالأمر بعده لا ينازعهم فيه إلا ظالم و ليس أحد بعد المهاجرين فضلا و قدما في الإسلام مثلكم فنحن الأمراء و أنتم الوزراء لا نمتاز دونكم بمشورة و لا نقضي دونكم الأمور .

فقام الحباب بن المنذر بن الجموح فقال يا معشر الأنصار املكوا عليكم أيديكم إنما الناس في فيئكم و ظلكم و لن يجترئ مجترئ على خلافكم و لا يصدر الناس إلا عن أمركم أنتم أهل الإيواء و النصرة و إليكم كانت الهجرة و أنتم أصحاب الدار و الإيمان و الله ما عبد الله علانية إلا عندكم و في بلادكم

(1) كذا في ج، و في ب: «العدل» .

و لا جمعت الصلاة إلا في مساجدكم و لا عرف الإيمان إلا من أسيافكم فاملكوا عليكم أمركم فإن أبى هؤلاء فمنا أمير و منهم أمير .

فقال عمر هيهات لا يجتمع سيفان في غمد إن العرب لا ترضى أن تؤمركم و 14نبيها من غيركم و ليس تمتنع العرب أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم و أولو الأمر منهم لنا بذلك الحجة الظاهرة على من خالفنا و السلطان المبين على من نازعنا من ذا يخاصمنا في سلطان 14محمد و ميراثه و نحن أولياؤه و عشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورط في هلكة .

فقام الحباب و قال يا معشر الأنصار لا تسمعوا مقالة هذا و أصحابه فيذهبوا بنصيبكم من الأمر فإن أبوا عليكم ما أعطيتموهم فاجلوهم عن بلادكم و تولوا هذا الأمر عليهم فأنتم أولى الناس بهذا الأمر إنه دان لهذا الأمر بأسيافكم من لم يكن يدين له أنا جذيلها المحكك و عذيقها المرجب [1] إن شئتم لنعيدنها جذعة [2] و الله لا يرد أحد علي ما أقول إلا حطمت أنفه بالسيف .

قال فلما رأى بشير بن سعد الخزرجي ما اجتمعت عليه الأنصار من تأمير سعد بن عبادة و كان حاسدا له و كان من سادة الخزرج قام فقال أيها الأنصار إنا و إن كنا ذوي سابقة فإنا لم نرد بجهادنا و إسلامنا إلا رضا ربنا و طاعة نبينا و لا ينبغي لنا أن نستطيل بذلك على الناس و لا نبتغي به عوضا

(1) قال الزمخشريّ في الفائق 1: 181: «الجذل: عود ينصب للابل الجربى تحتك به فتستشفى.
و المحكك: الذي كثر به الاحتكاك حتّى صار مملسا. و العذق؛ بالفتح: النخلة. و المرجب: المدعوم بالرجبة؛ و هي خشبة ذات شعبتين؛ و ذلك إمّا طال و كثر حمله. و المعنى: إنى ذو رأى يشفى بالاستضاءة به كثيرا في مثل هذه الحادثة، و أنا في كثرة التجارب و العلم بموارد الأحوال فيها، و في أمثالها و مصادرها، كالنخلة الكثيرة الحمل. ثم رمى بالرأى الصائب عنده، فقال: منا أمير و منكم أمير» .

(2) قال في اللسان: «إن شئتم أعدناها جذعة، أي أول ما يبتدأ فيها» .

10

من الدنيا إن 14محمدا ص رجل من قريش و قومه أحق بميراث أمره و ايم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر فاتقوا الله و لا تنازعوهم و لا تخالفوهم .

فقام أبو بكر و قال هذا عمر و أبو عبيدة بايعوا أيهما شئتم فقالا و الله لا نتولى هذا الأمر عليك و أنت أفضل المهاجرين و **ثَانِيَ اِثْنَيْنِ** و خليفة 14رسول الله ص على الصلاة و الصلاة أفضل الدين ابسط يدك نبايعك .

فلما بسط يده و ذهبا يبايعانه سبقهما بشير بن سعد فبايعه فناداه الحباب بن المنذر يا بشير عقك عقاق [1] و الله ما اضطرك إلى هذا الأمر إلا الحسد لابن عمك .

و لما رأت الأوس أن رئيسا من رؤساء الخزرج قد بايع قام أسيد بن حضير و هو رئيس الأوس فبايع حسدا لسعد أيضا و منافسة له أن يلي الأمر فبايعت الأوس كلها لما بايع أسيد و حمل سعد بن عبادة و هو مريض فأدخل إلى منزله فامتنع من البيعة في ذلك اليوم و فيما بعده و أراد عمر أن يكرهه عليها فأشير عليه ألا يفعل و أنه لا يبايع حتى يقتل و أنه لا يقتل حتى يقتل أهله و لا يقتل أهله حتى يقتل الخزرج و إن حوربت الخزرج كانت الأوس معها .

و فسد الأمر فتركوه فكان لا يصلي بصلاتهم و لا يجمع بجماعتهم و لا يقضي بقضائهم و لو وجد أعوانا لضاربهم فلم يزل كذلك حتى مات أبو بكر ثم لقي عمر في خلافته و هو على فرس و عمر على بعير فقال له عمر هيهات يا سعد فقال سعد هيهات يا عمر فقال أنت صاحب من أنت صاحبه قال نعم أنا ذاك ثم قال لعمر و الله ما جاورني أحد هو أبغض إلي جوارا منك قال عمر فإنه من كره جوار رجل انتقل عنه فقال سعد إني لأرجو أن أخليها لك عاجلا إلى جوار من هو أحب إلي

(1) ج: «يا عقان» .

جوارا منك و من أصحابك فلم يلبث سعد بعد ذلك إلا قليلا حتى خرج إلى الشام فمات بحوران و لم يبايع لأحد لا لأبي بكر و لا لعمر و لا لغيرهما .

قال و كثر الناس على أبي بكر فبايعه معظم المسلمين في ذلك اليوم و اجتمعت بنو هاشم إلى بيت 1علي بن أبي طالب و معهم الزبير و كان يعد نفسه رجلا من بني هاشم كان 1علي يقول ما زال الزبير منا أهل البيت حتى نشأ بنوه فصرفوه عنا .

و اجتمعت بنو أمية إلى عثمان بن عفان و اجتمعت بنو زهرة إلى سعد و عبد الرحمن فأقبل عمر إليهم و أبو عبيدة فقال ما لي أراكم ملتاثين قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايع له الناس و بايعه الأنصار فقام عثمان و من معه و قام سعد و عبد الرحمن و من معهما فبايعوا أبا بكر . و ذهب عمر و معه عصابة إلى بيت 15فاطمة منهم أسيد بن حضير و سلمة بن أسلم فقال لهم انطلقوا فبايعوا فأبوا عليه و خرج إليهم الزبير بسيفه فقال عمر عليكم الكلب فوثب عليه سلمة بن أسلم فأخذ السيف من يده فضرب به الجدار ثم انطلقوا به و 1بعلي و معها بنو هاشم و 1علي يقول أنا عبد الله و أخو 14رسول الله ص حتى انتهوا به إلى أبي بكر فقيل له بايع فقال أنا أحق بهذا الأمر منكم لا أبايعكم و أنتم أولى بالبيعة لي أخذتم هذا الأمر من الأنصار و احتججتم عليهم بالقرابة من 14رسول الله فأعطوكم المقادة و سلموا إليكم الإمارة و أنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار فأنصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم و اعرفوا لنا من الأمر مثل ما عرفت الأنصار لكم و إلا فبوءوا بالظلم و أنتم تعلمون .

فقال عمر إنك لست متروكا حتى تبايع فقال له 1علي احلب يا عمر حلبا لك شطره اشدد [1] له اليوم أمره ليرد عليك غدا ألا و الله لا أقبل قولك و لا أبايعه فقال له أبو بكر

(1) ب: «شدّ» .

فإن لم تبايعني لم أكرهك فقال له أبو عبيدة يا 1أبا الحسن إنك حديث السن و هؤلاء مشيخة قريش قومك ليس لك مثل تجربتهم و معرفتهم بالأمور و لا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك و أشد احتمالا له و اضطلاعا به فسلم له هذا الأمر و ارض به فإنك إن تعش و يطل عمرك فأنت لهذا الأمر خليق و به حقيق في فضلك و قرابتك و سابقتك و جهادك .

فقال 1علي يا معشر المهاجرين الله الله لا تخرجوا سلطان 14محمد عن داره و بيته إلى بيوتكم و دوركم و لا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس و حقه فو الله يا معشر المهاجرين لنحن أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم أ ما كان منا القارئ لكتاب الله الفقيه في دين الله العالم بالسنة المضطلع بأمر الرعية و الله إنه لفينا **فَلاَ تَتَّبِعُوا اَلْهَوىَ** فتزدادوا من الحق بعدا .

فقال بشير بن سعد لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا 1علي قبل بيعتهم لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان و لكنهم قد بايعوا و انصرف 1علي إلى منزله و لم يبايع و لزم بيته حتى ماتت 15فاطمة فبايع . قلت هذا الحديث يدل على بطلان ما يدعى من النص على 1أمير المؤمنين و غيره لأنه لو كان هناك نص صريح لاحتج به و لم يجر للنص ذكر و إنما كان الاحتجاج منه و من أبي بكر و من الأنصار بالسوابق و الفضائل و القرب فلو كان هناك نص على 1أمير المؤمنين أو على أبي بكر لاحتج به أبو بكر أيضا على الأنصار و لاحتج به 1أمير المؤمنين على أبي بكر فإن هذا الخبر و غيره من الأخبار المستفيضة يدل على أنه قد كان كاشفهم و هتك القناع بينه و بينهم أ لا تراه كيف نسبهم إلى التعدي عليه و ظلمه و تمنع من طاعتهم

و أسمعهم من الكلام أشده و أغلظه فلو كان هناك نص لذكره أو ذكره بعض من كان من شيعته و حزبه لأنه لا عطر بعد عروس .

و هذا أيضا يدل على أن الخبر المروي في أبي بكر في صحيحي البخاري و مسلم غير صحيح **14- و هو ما روي من قوله ع لعائشة في مرضه ادعي لي أباك حتى أكتب لأبي بكر كتابا فإني أخاف أن يقول قائل أو يتمنى متمن و يأبى الله و المؤمنون إلا أبا بكر .** و هذا هو نص مذهب المعتزلة .

1,15- و قال أحمد بن عبد العزيز الجوهري أيضا حدثنا أحمد و قال حدثنا ابن عفير قال حدثنا أبو عوف عبد الله بن عبد الرحمن عن 5أبي جعفر محمد بن علي رضي الله عنهما أن 1عليا حمل 15فاطمة على حمار و سار بها ليلا إلى بيوت الأنصار يسألهم النصرة و تسألهم 15فاطمة الانتصار له فكانوا يقولون يا 15بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل لو كان 1ابن عمك سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به فقال 1علي أ كنت أترك 14رسول الله ميتا في بيته لا أجهزه و أخرج إلى الناس أنازعهم في سلطانه و قالت 15فاطمة ما صنع 1أبو حسن إلا ما كان ينبغي له و صنعوا هم ما الله حسبهم عليه . 14- و قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز و حدثنا أحمد قال حدثني سعيد بن كثير قال حدثني ابن لهيعة أن 14رسول الله ص لما مات و أبو ذر غائب و قدم و قد ولي أبو بكر فقال أصبتم قناعه و تركتم قرابه لو جعلتم هذا الأمر في أهل بيت نبيكم لما اختلف عليكم اثنان .

14

14,1- قال أبو بكر و أخبرنا أبو زيد عمر بن شبة قال حدثنا أبو قبيصة محمد بن حرب قال لما توفي 14النبي ص و جرى فيما جرى تمثل 1علي

و أصبح أقوام يقولون ما اشتهوا # و يطغون لما غال زيدا غوائله

.

قصيدة أبي القاسم المغربي و تعصبه للأنصار على قريش

17- و حدثني أبو جعفر يحيى بن محمد بن زيد العلوي نقيب البصرة قال لما قدم أبو القاسم علي بن الحسين المغربي من مصر إلى بغداد استكتبه شرف الدولة أبو علي بن بويه و هو يومئذ سلطان الحضرة و أمير الأمراء بها و القادر خليفة ففسدت الحال بينه و بين القادر و اتفق لأبي القاسم المغربي أعداء سوء أوحشوا القادر منه و أوهموه أنه مع شرف الدولة في القبض عليه و خلعه من الخلافة فأطلق لسانه في ذكره بالقبيح و أوصل القول فيه و الشكوى منه و نسبه إلى الرفض و سب السلف و إلى كفران النعمة و أنه هرب من يد الحاكم صاحب مصر بعد إحسانه إليه .

قال النقيب أبو جعفر رحمه الله تعالى فأما الرفض فنعم و أما إحسان الحاكم إليه فلا كان الحاكم قتل أباه و عمه و أخا من إخوته و أفلت منه أبو القاسم بخديعة الدين و لو ظفر به لألحقه بهم .

قال أبو جعفر و كان أبو القاسم المغربي ينسب في الأزد و يتعصب لقحطان على عدنان و للأنصار على قريش و كان غاليا في ذلك مع تشيعه و كان أديبا فاضلا شاعرا مترسلا و كثير الفنون عالما و انحدر مع شرف الدولة إلى واسط فاتفق أن حصل بيد القادر كتاب بخطه شبه مجموع قد جمعه من خطه و شعره و كلامه مسود أتحفه به بعض من كان يشنأ أبا القاسم و يريد كيده فوجد القادر في ذلك المجموع قصيدة من شعره فيها تعصب شديد للأنصار على المهاجرين حتى خرج إلى نوع من الإلحاد و الزندقة لإفراط غلوه

و فيها تصريح بالرفض مع ذلك فوجدها القادر تمرة [1] الغراب و أبرزها إلى ديوان الخلافة فقرئ المجموع و القصيدة بمحضر من أعيان الناس من الأشراف و القضاة و المعدلين و الفقهاء و يشهد أكثرهم أنه خطه و أنهم يعرفونه كما يعرفون وجهه و أمر بمكاتبة شرف الدولة بذلك فإلى أن وصل الكتاب إلى شرف الدولة بما جرى اتصل الخبر بأبي القاسم قبل وصول الكتاب إلى شرف الدولة فهرب ليلا و معه بعض غلمانه و جارية كان يهواها و يتحظاها و مضى إلى البطيحة ثم منها إلى الموصل ثم إلى الشام و مات في طريقه فأوصى أن تحمل جثته إلى مشهد 1علي فحملت في تابوت و معها خفراء العرب حتى دفن [2] بالمشهد بالقرب منه ع [2] . و كنت برهة أسأل النقيب أبا جعفر عن القصيدة و هو يدافعني بها حتى أملاها علي بعد حين و قد أوردت هاهنا بعضها لأني لم أستجز و لم أستحل إيرادها على وجهها فمن جملتها و هو يذكر في أولها 14رسول الله ص و يقول إنه لو لا الأنصار لم تستقم لدعوته دعامة و لا أرست له قاعدة في أبيات فاحشة كرهنا ذكرها

نحن الذين بنا استجار فلم يضع # فينا و أصبح في أعز جوار

بسيوفنا أمست سخينة بركا # فيكنحائر الجزار [3] و لنحن فيسمحنا دونه # بنفوسنا للموت خوف العار

فنجا بمهجته فلو لا ذبنا # عنه تنشب في مخالب ضار

و حمية السعدين بل بحماية السدين # يوم الجحفل الجرار

فيالمشهور إذ ألقى بها # بيد و رام دفاعها بثمار

قالا معاذ الله إن هضيمه # لم نعطها في سالف الأعصار

---

(1) يقال إذا أصاب الرجل عند صاحبه أفضل ما يريد من الخير و الخصب: وجد تمرة الغراب، و ذلك أن الغراب إنّما يبتغى من التمر أجوده. ثمار القلوب 366.

(2-2) ج «بالغرىّ» .

(3) سخينة: لقب قريش، و في ا، ج: «تركا» .

16

ما عندنا إلا السيوف و أقبلا # نحو الحتوف بها بدار بدار

و لناآثار متى # تذكر فهن كرائم الآثار

لما تصدع جمعه فغدا بنا # مستصرخا بعقيرة و جؤار

عطفت عليه كماتنا فتحصنت # منا جموع هوازن بفرار

و فدته من أبناء قيلة عصبة # شروى النقير و جنة البقار

أ فنحن أولى بالخلافة بعده # أم عبد تيم حاملو الأوزار

ما الأمر إلا أمرنا و بسعدنا # زفت عروس الملك غير نوار

لكنما حسد النفوس و شحها # و تذكر الأذحال و الأوتار

أفضى إلى هرج و مرج فانبرت # عشواء خابطة بغير نهار

و تداولتها أربع لو لا 1أبو حسن # لقلت لؤمت من إستار [1] من عاجز ضرع و من ذي غلظة # جاف و من ذي لوثة خوار [2] ثم ارتدى المحروم فضل ردائها # فغلت مراجل إحنة و نفار

فتأكلت تلك الجذى و تلمظت # تلك الظبا و رقا أجيج النار

تالله لو ألقوا إليه زمامها # لمشى بهم سجحا بغير عثار [3] و لو أنها حلت بساحة مجده # بادي بدا سكنت بدار قرار

هو 14كالنبي فضيلة لكن ذا # من حظه كاس و هذا عار

و الفضل ليس بنافع أربابه # إلا بمسعدة من الأقدار

ثم امتطاها عبد شمس فاغتدت # هزؤا و بدل ربحها بخسار

و تنقلت في عصبة أموية # ليسوا بأطهار و لا أبرار

---

(1) الإستار، بالكسر: أربعة في العدد.
(2) الضرع: الضعيف.
(3) ج: «تبار» .

ما بين مأفون إلى متزندق # و مداهن و مضاعف و حمار.

فهذه الأبيات هي نظيف القصيدة التقطناها و حذفنا الفاحش و في الملتقط المذكور أيضا ما لا يجوز و هو قوله

نحن الذين بنا استجار..

و قوله

ألقى بها بيد..

و قوله

فنجا بمهجته البيت..

و قوله عن أبي بكر عبد تيم و قوله لو لا 1علي لقلت في الأربعة أنهم إستار لؤم و ذكره الثلاثة رضي الله عنهم بما ذكرهم و نسبهم إليه و قوله إن 1عليا 14كالنبي في الفضيلة-و قوله إن النبوة حظ أعطيه و حرمه 1علي ع . فأما قوله في بني أمية ما بين مأفون البيت فمأخوذ من قول عبد الملك بن مروان و قد خطب فذكر الخلفاء من بني أمية قبله فقال إني و الله لست بالخليفة المستضعف و لا بالخليفة المداهن و لا بالخليفة المأفون عنى بالمستضعف عثمان و بالمداهن معاوية و بالمأفون يزيد بن معاوية فزاد هذا الشاعر فيهم اثنين و هما المتزندق و هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك و الحمار و هو مروان بن محمد بن مروان

أمر المهاجرين و الأنصار بعد بيعة أبي بكر

1,14- و روى الزبير بن بكار في الموفقيات قال لما بايع بشير بن سعد أبا بكر و ازدحم الناس على أبي بكر فبايعوه مر أبو سفيان بن حرب بالبيت الذي فيه 1علي بن أبي طالب ع فوقف و أنشد

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم # و لا سيما تيم بن مرة أو عدي

فما الأمر إلا فيكم و إليكم # و ليس لها إلا 1أبو حسن علي

1أبا حسن فاشدد بها كف حازم # فإنك بالأمر الذي يرتجى ملي

و أي امرئ يرمي قصيا و رأيها # منبع الحمى و الناس من غالب قصي

فقال 1علي لأبي سفيان إنك تريد أمرا لسنا من أصحابه و قد عهد إلي 14رسول الله ص عهدا فأنا عليه فتركه أبو سفيان و عدل إلى العباس بن عبد المطلب في منزله فقال يا أبا الفضل [(1)] أنت أحق بميراث 14ابن أخيك امدد يدك لأبايعك فلا يختلف عليك الناس بعد بيعتي إياك فضحك العباس و قال يا أبا سفيان يدفعها 1علي و يطلبها العباس فرجع أبو سفيان خائبا .

قال الزبير و ذكر محمد بن إسحاق أن الأوس تزعم أن أول من بايع أبا بكر بشير بن سعد و تزعم الخزرج أن أول من بايع أسيد بن حضير . قلت بشير بن سعد خزرجي و أسيد بن حضير أوسي و إنما تدافع الفريقان الروايتين تفاديا عن سعدبن عبادة و كراهية كل حي منهما أن يكون نقض أمره جاء من جهة صاحبه فالخزرج هم أهله و قرابته لا يقرون أن بشير بن سعد هو أول من بايع أبا بكر و أبطل أمر سعد بن عبادة و يحيلون بذلك على أسيد بن حضير لأنه من الأوس أعداء الخزرج و أما الأوس فتكره أيضا أن ينسب أسيد إلى أنه أول من نقض أمر سعد بن عبادة كي لا يرموه بالحسد للخزرج لأن سعدبن عبادة خزرجي فيحيلون بانتقاض أمره على قبيلته و هم الخزرج و يقولون إن أول من بايع أبا بكر و نقض دعوة سعدبن عبادة بشير بن سعد و كان بشير أعور .

و الذي ثبت عندي أن أول من بايعه عمر ثم بشير بن سعد ثم أسيد بن حضير ثم أبو عبيدة بن الجراح ثم سالم مولى أبي حذيفة .

---

(1) كذا في ب، ج، و في ا: «أنت لها» .

17- قال الزبير و قد كان مالأ أبا بكر و عمر على نقض أمر سعد و إفساد حاله رجلان من الأنصار ممن شهدو هما عويم بن ساعدة و معن بن عدي . قلت كان هذان الرجلان ذوي حب لأبي بكر في حياة 14رسول الله ص و اتفق مع ذلك بغض و شحناء كانت [(1)] بينهما و بين سعد بن عبادة و لها سبب مذكور في كتاب القبائل لأبي عبيدة معمر بن المثنى فليطلب من هناك .

14- و عويم بن ساعدة هو القائل لما نصب الأنصار سعدا يا معشر الخزرج إن كان هذا الأمر فيكم دون قريش فعرفونا ذلك و برهنوا حتى نبايعكم عليه و إن كان لهم دونكم فسلموا إليهم فو الله ما هلك 14رسول الله ص حتى عرفنا أن أبا بكر خليفة حين أمره أن يصلي بالناس فشتمه الأنصار و أخرجوه فانطلق مسرعا حتى التحق بأبي بكر فشحذ عزمه على طلب الخلافة .

ذكر هذا بعينه الزبير بن بكار في الموفقيات . 17- و ذكر المدائني و الواقدي أن معن بن عدي اتفق هو و عويم بن ساعدة على تحريض أبي بكر و عمر على طلب الأمر و صرفه عن الأنصار قالا و كان معن بن عدي يشخصهما إشخاصا و يسوقهما سوقا عنيفا إلى السقيفة مبادرة إلى الأمر قبل فواته . 14,1- قال الزبير بن بكار فلما بويع أبو بكر أقبلت الجماعة التي بايعته تزفه زفا إلى مسجد 14رسول الله ص فلما كان آخر النهار افترقوا إلى منازلهم فاجتمع قوم من الأنصار و قوم من المهاجرين فتعاتبوا فيما بينهم فقال عبد الرحمن بن عوف يا معشر الأنصار إنكم و إن كنتم أولي فضل و نصر و سابقة و لكن ليس فيكم مثل أبي بكر و لا عمر و لا 1علي و لا أبي عبيدة فقال زيد بن أرقم إنا لا ننكر فضل من ذكرت

(1) ج: «كانا» .

يا عبد الرحمن و إن منا لسيد الأنصار سعد بن عبادة و من أمر الله 14رسوله أن يقرئه السلام و أن يأخذ عنه القرآن أبي بن كعب و من يجيء يوم القيامة أمام العلماء معاذ بن جبل و من أمضى 14رسول الله ص شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت و إنا لنعلم أن ممن سميت من قريش من لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد 1علي بن أبي طالب . قال الزبير فلما كان من الغد قام أبو بكر فخطب الناس و قال أيها الناس إني وليت أمركم و لست بخيركم فإذا أحسنت فأعينوني و إن أسأت فقوموني إن لي شيطانا يعتريني فإياكم و إياي إذا غضبت لا أوثر في أشعاركم و أبشاركم الصدق أمانة و الكذب خيانة و الضعيف منكم قوي حتى أرد إليه حقه و القوي ضعيف حتى آخذ الحق منه إنه لا يدع قوم الجهاد إلا ضربهم الله بالذل و لا تشيع في قوم الفاحشة إلا عمهم البلاء أطيعوني ما أطعت الله فإذا عصيت فلا طاعة لي عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

قال ابن أبي عبرة القرشي

شكرا لمن هو بالثناء حقيق # ذهب اللجاج و بويع الصديق

من بعد ما زلت بسعد نعله # و رجا رجاء دونه العيوق

حفت به الأنصار عاصب رأسه # فأتاهم الصديق و الفاروق

و أبو عبيدة و الذين إليهم # نفس المؤمل للقاء تتوق [1]

كنا نقول لها 1علي و الرضا # عمر و أولاهم بذاك عتيق

فدعت قريش باسمه فأجابها # إن المنوه باسمه الموثوق

قل للألى طلبوا الخلافة زلة # لم يخط مثل خطاهم مخلوق

إن الخلافة في قريش ما لكم # فيها و رب 14محمد معروق

.

(1) ب: «تسوق» .

21

1- و روى الزبير بن بكار قال روى محمد بن إسحاق أن أبا بكر لما بويع افتخرت تيم بن مرة قال و كان عامة المهاجرين و جل الأنصار لا يشكون أن 1عليا هو صاحب الأمر بعد 14رسول الله ص فقال الفضل بن العباس يا معشر قريش و خصوصا يا بني تيم إنكم إنما أخذتم الخلافة بالنبوة و نحن أهلها دونكم و لو طلبنا هذا الأمر الذي نحن أهله لكانت كراهة الناس لنا أعظم من كراهتهم لغيرنا حسدا منهم لنا و حقدا علينا و إنا لنعلم أن عند صاحبنا عهدا هو ينتهي إليه .

و قال بعض ولد أبي لهب بن عبد المطلب بن هاشم شعرا

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف # عن هاشم ثم منها عن 1أبي حسن

أ ليس أول من صلى لقبلتكم # و أعلم الناس بالقرآن و السنن

و أقرب الناس عهدا 14بالنبي و من # جبريل عون له في الغسل و الكفن

ما فيه ما فيهم لا يمترون به # و ليس في القوم ما فيه من الحسن

ما ذا الذي ردهم عنه فنعلمه # ها إن ذا غبننا من أعظم الغبن.

قال الزبير فبعث إليه 1علي فنهاه و أمره ألا يعود و قال سلامة الدين أحب إلينا من غيره .

-

قال الزبير و كان خالد بن الوليد شيعة لأبي بكر و من المنحرفين عن 1علي فقام خطيبا فقال أيها الناس إنا رمينا في بدء هذا الدين بأمر ثقل علينا و الله محمله و صعب علينا مرتقاه و كنا كأنا فيه على أوتار ثم و الله ما لبثنا أن خف علينا ثقله و ذل لنا صعبه و عجبنا ممن شك فيه بعد عجبنا ممن آمن به حتى أمرنا بما كنا ننهى عنه و نهينا عما كنا نأمر به و لا و الله ما سبقنا إليه بالعقول و لكنه التوفيق ألا و إن الوحي لم ينقطع حتى أحكم و لم يذهب 14النبي ص فنستبدل بعده نبيا و لا بعد الوحي وحيا و نحن اليوم أكثر منا أمس و نحن أمس خير منا اليوم من دخل في هذا الدين كان ثوابه على حسب عمله و من تركه رددناه إليه و إنه و الله ما صاحب الأمر يعني أبا بكر بالمسئول عنه و لا المختلف فيه و لا الخفي الشخص و لا المغموز القناة .

فعجب الناس من كلامه و مدحه حزن بن أبي وهب المخزومي و هو الذي سماه 14رسول الله ص سهلا و هو جد سعيد بن المسيب الفقيه و قال

و قامت رجال من قريش كثيره # فلم يك منهم في الرجال كخالد

ترقي فلم يزاق به صدر نعله # و كف فلم يعرض لتلك الأوابد

فجاء بها غراء كالبدر ضوءها # فسميتها في الحسن أم القلائد

أ خالد لا تعدم لؤي بن غالب # قيامك فيها عند قذف الجلامد

كساك الوليد بن المغيرة مجده # و علمك الأشياخ ضرب القماحد [1]

تقارع في الإسلام عن صلب دينه # و في الشرك عن أحساب جد و والد

---

(1) القماحد: جمع قمحدوة؛ و هي الهنة الناشزة فوق القفا.

و كنت لمخزوم بن يقظة جنة # يعدك فيها ماجدا و ابن ماجد

إذا ما سما في حربها ألف فارس # عدلت بألف عند تلك الشدائد

و من يك في الحرب المثيرة واحدا # فما أنت في الحرب العوان بواحد

إذا ناب أمر في قريش مخلج # تشيب له رءوس العذارى النواهد [1] توليت منه ما يخاف و إن تغب # يقولوا جميعا حظنا غير شاهد

. 1,14- قال الزبير و حدثنا محمد بن موسى الأنصاري المعروف بابن مخرمة قال حدثني إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري قال لما بويع أبو بكر و استقر أمره ندم قوم كثير من الأنصار على بيعته و لام بعضهم بعضا و ذكروا 1علي بن أبي طالب و هتفوا باسمه و إنه في داره لم يخرج إليهم و جزع لذلك المهاجرون و كثر في ذلك الكلام .

و كان أشد قريش على الأنصار نفر فيهم و هم سهيل بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي و الحارث بن هشام و عكرمة بن أبي جهل المخزوميان و هؤلاء أشراف قريش الذين حاربوا 14النبي ص ثم دخلوا في الإسلام و كلهم موتور قد وتره الأنصار أما سهيل بن عمرو فأسره مالك بن الدخشم و أما الحارث بن هشام فضربه عروة بن عمرو فجرحهو هو فار عن أخيه و أما عكرمة بن أبي جهل فقتل أباه ابنا عفراء و سلبه درعه زياد بن لبيد و في أنفسهم ذلك .

فلما اعتزلت الأنصار تجمع هؤلاء فقام سهيل بن عمرو فقال يا معشر قريش إن هؤلاء القوم قد سماهم الله الأنصار و أثنى عليهم في القرآن فلهم بذلك حظ عظيم و شأن غالب و قد دعوا إلى أنفسهم و إلى 1علي بن أبي طالب و 1علي

---

(1) رءوس: جمع رأس، مثل رءوس.

في بيته لو شاء لردهم فادعوهم إلى صاحبكم و إلى تجديد بيعته فإن أجابوكم و إلا قاتلوهم فو الله إني لأرجو الله أن ينصركم عليهم كما نصرتم بهم .

ثم قام الحارث بن هشام فقال إن تكن الأنصار تبوأت اَلدَّارَ وَ اَلْإِيمَانَ من قبل و نقلوا 14رسول الله ص إلى دورهم من دورنا ف آوَوْا وَ نَصَرُوا ثم ما رضوا حتى قاسمونا الأموال [1] و كفونا العمل فإنهم قد لهجوا بأمر إن ثبتوا عليه فإنهم قد خرجوا مما وسموا به و ليس بيننا و بينهم معاتبة إلا السيف و إن نزعوا عنه فقد فعلوا الأولى بهم و المظنون معهم .

ثم قام عكرمة بن أبي جهل فقال و الله لو لا قول 14رسول الله ص الأئمة من قريش ما أنكرنا إمرة الأنصار و لكانوا لها أهلا و لكنه قول لا شك فيه و لا خيار و قد عجلت الأنصار علينا و الله ما قبضنا عليهم الأمر و لا أخرجناهم من الشورى و إن الذي هم فيه من فلتات الأمور و نزغات الشيطان و ما لا يبلغه المنى و لا يحمله الأمل أعذروا إلى القوم فإن أبوا فقاتلوهم فو الله لو لم يبق من قريش كلها إلا رجل واحد لصير الله هذا الأمر فيه .

قال و حضر أبو سفيان بن حرب فقال يا معشر قريش إنه ليس للأنصار أن يتفضلوا على الناس حتى يقروا بفضلنا عليهم فإن تفضلوا فحسبنا حيث انتهى بها و إلا فحسبهم حيث انتهى بهم و ايم الله لئن بطروا المعيشة و كفروا النعمة لنضربنهم على الإسلام كما ضربوا عليه فأما 1علي بن أبي طالب فأهل و الله أن يسود على قريش و تطيعه الأنصار .

فلما بلغ الأنصار قول هؤلاء الرهط قام خطيبهم ثابت بن قيس بن شماس فقال يا معشر الأنصار إنما يكبر عليكم هذا القول لو قاله أهل الدين من قريش فأما إذا كان من أهل الدنيا لا سيما من أقوام كلهم موتور فلا يكبرن عليكم إنما الرأي

(1) كذا في ج، و في ا، ب: «الأمور» .

و القول مع الأخيار المهاجرين فإن تكلمت رجال قريش و الذين هم أهل الآخرة مثل كلام هؤلاء فعند ذلك قولوا ما أحببتم و إلا فأمسكوا .

و قال حسان بن ثابت يذكر ذلك

تنادي سهيل و ابن حرب و حارث # و عكرمة الشاني لنا ابن أبي جهل

قتلنا أباه و انتزعنا سلاحه # فأصبح بالبطحا أذل من النعل

فأما سهيل فاحتواه ابن دخشم # أسيرا ذليلا لا يمر و لا يحلي

و صخر بن حرب قد قتلنا رجاله # غداة لوافمرجله يغلي

و راكضنا تحت العجاجة حارث # على ظهر جرداء كباسقه النخل

يقبلها طورا و طورا يحثها # و يعدلها بالنفس و المال و الأهل

أولئك رهط من قريش تبايعوا # على خطة ليست من الخطط الفضل

و أعجب منهم قابلو ذاك منهم # كانا اشتملنا من قريش على ذحل

و كلهم ثان عن الحق عطفه # يقول اقتلوا الأنصار يا بئس من فعل

نصرنا و آوينا 14النبي و لم نخف # صروف الليالي و البلاء على رجل

بذلنا لهم أنصاف مال أكفنا # كقسمة أيسار الجزور من الفضل

و من بعد ذاك المال أنصاف دورنا # و كنا أناسا لا نعير بالبخل

و نحمي ذمار الحي فهر بن مالك # و نوقد نار الحرب بالحطب الجزل

فكان جزاء الفضل منا عليهم # جهالتهم حمقا و ما ذاك بالعدل

فبلغ شعر حسان قريشا فغضبوا و أمروا ابن أبي عزة شاعرهم أن يجيبه فقال

معشر الأنصار خافوا ربكم # و استجيروا الله من شر الفتن

إنني أرهب حربا لاقحا # يشرق المرضع فيها باللبن

جرها سعد و سعد فتنة # ليت سعد بن عباد لم يكن

خلف برهوت خفيا شخصه [1] # بين بصرى ذي رعين و جدن

(1) برهوت: واد باليمن.

26

ليس ما قدر سعد كائنا # ما جرى البحر و ما دام حضن [1] ليس بالقاطع منا شعرة # كيف يرجى خير أمر لم يحن

ليس بالمدرك منها أبدا # غير أضغاث أماني الوسن.

قال الزبير لما اجتمع جمهور الناس لأبي بكر أكرمت قريش معن بن عدي و عويم بن ساعدة و كان لهما فضل قديم في الإسلام فاجتمعت الأنصار لهما في مجلس و دعوهما فلما أحضرا أقبلت الأنصار عليهما فعيروهما بانطلاقهما إلى المهاجرين و أكبروا فعلهما في ذلك فتكلم معن فقال يا معشر الأنصار إن الذي أراد الله بكم خير مما أردتم بأنفسكم و قد كان منكم أمر عظيم البلاء و صغرته العاقبة فلو كان لكم على قريش ما لقريش عليكم ثم أردتموهم لما أرادوكم به لم آمن عليهم منكم مثل من آمن عليكم منهم فإن تعرفوا الخطأ فقد خرجتم منه و إلا فأنتم فيه . قلت قوله و قد كان منكم أمر عظيم البلاء و صغرته العاقبة يعني عاقبة الكف و الإمساك يقول قد كان منكم أمر عظيم و هو دعوى الخلافة لأنفسكم و إنما جعل البلاء معظما له لأنه لو لم يتعقبه الإمساك لأحدث فتنة عظيمة و إنما صغره سكونهم و رجوعهم إلى بيعة المهاجرين .

و قوله و كان لكم على قريش إلى آخر الكلام معناه لو كان لكم الفضل على قريش كفضل قريش عليكم و ادعت قريش الخلافة لها ثم أردتم منهم الرجوع عن دعواهم و جرت بينكم و بينهم من المنازعة مثل هذه المنازعة التي جرت الآن بينكم لم آمن عليهم منكم أن تقتلوهم و تقدموا على سفك دمائهم و لم يحصل لي من سكون النفس إلى

---

(1) حضن: جبل بأعلى نجد.

حلمكم عنهم و صبركم عليهم مثل ما أنا آمن عليكم منهم فإنهم صبروا و حلموا و لم يقدموا على استباحة حربكم و الدخول في دمائكم .

1- قال الزبير ثم تكلم عويم بن ساعدة فقال يا معشر الأنصار إن من نعم الله عليكم أنه تعالى لم يرد بكم ما أردتم بأنفسكم فاحمدوا الله على حسن البلاء و طول العافية و صرف هذه البلية عنكم و قد نظرت في أول فتنتكم و آخرها فوجدتها جاءت من الأماني و الحسد و احذروا النقم فوددت أن الله صير إليكم هذا الأمر بحقه فكنا نعيش فيه .

فوثبت عليهما الأنصار فاغلظوا لهما و فحشوا عليهما و انبرى لهما فروة بن عمرو فقال أ نسيتما قولكما لقريش إنا قد خلفنا وراءنا قوما قد حلت دماؤهم بفتنتهم هذا و الله ما لا يغفر و لا ينسى قد تصرف الحية عن وجهها و سمها في نابها فقال معن في ذلك [1]

و قالت لي الأنصار إنك لم تصب # فقلت أ ما لي في الكلام نصيب

فقالوا بلى قل ما بدا لك راشدا # فقلت و مثلي بالجواب طبيب

تركتكم و الله لما رأيتكم # تيوسا لها بالحرتين نبيب [2] تنادون بالأمر الذي النجم دونه # ألا كل شيء ما سواه قريب

فقلت لكم قول الشفيق عليكم # و للقلب من خوف البلاء وجيب

دعوا الركض و اثنوا من أعنة بغيكم # و دبوا فسير القاصدين دبيب

و خلوا قريشا و الأمور و بايعوا # لمن بايعوه ترشدوا و تصيبوا

---

(1) ج: «فيها» .

(2) النبيب: صياح التيس عند الهياج؛ و منه قول عمر لوفد أهل الكوفة حين شكوا سعدا إليه: «ليكلمنى بعضكم و لا تنبوا عندي نبيب التيوس» .

أراكم أخذتم حقكم بأكفكم # و ما الناس إلا مخطئ و مصيب

فلما أبيتم زلت عنكم إليهم # و كنت كأني يوم ذاك غريب

فإن كان هذا الأمر ذنبي إليكم # فلي فيكم بعد الذنوب ذنوب

فلا تبعثوا مني الكلام فإنني # إذا شئت يوما شاعر و خطيب

و إني لحلو تعتريني مرارة # و ملح أجاج تارة و شروب [1] لكل امرئ عندي الذي هو أهله # أفانين شتى و الرجال ضروب.

و قال عويم بن ساعدة في ذلك

و قالت لي الأنصار أضعاف قولهم # لمعن و ذاك القول جهل من الجهل

فقلت دعوني لا أبا لأبيكم # فإني أخوكم صاحب الخطر الفصل [2] أنا صاحب القول الذي تعرفونه # أقطع أنفاس الرجال على مهل

فإن تسكتوا أسكت و في الصمت راحة # و إن تنطقوا أصمت مقالتكم تبلي

و ما لمت نفسي في الخلاف عليكم # و إن كنتم مستجمعين على عذلي

أريد بذاك الله لا شيء غيره # و ما عند رب الناس من درج الفضل

و ما لي رحم في قريش قريبة # و لا دارها داري و لا أصلها أصلي

و لكنهم قوم علينا أئمة # أدين لهم ما أنفذت قدمي نعلي

و كان أحق الناس أن تقنعوا به # و يحتملوا من جاء في قوله مثلي

لأني أخف الناس فيما يسركم # و فيما يسوء لا أمر و لا أحلي.

قال فروة بن عمر و كان ممن تخلف عن بيعة أبي بكر و كان ممن جاهد مع

---

(1) الأجاج: الماء الملح شديد الملوحة. و الشروب: الماء دون العذب يصلح للشرب مع بعض كراهة.
(2) ب: «الخطة الفصل» .

14رسول الله و قاد فرسين في سبيل الله و كان يتصدق من نخله بألف وسق في كل عام و كان سيدا و هو من أصحاب 1علي و ممن شهد معهقال فذكر معنا و عويما و عاتبهما على قولهما خلفنا وراءنا قوما قد حلت دماؤهم بفتنتهم

ألا قل لمعن إذا جئته # و ذاك الذي شيخه ساعده

بأن المقال الذي قلتما # خفيف علينا سوى واحده

مقالكم إن من خلفنا # مراض قلوبهم فاسده

حلال الدماء على فتنة # فيا بئسما ربت الوالده

فلم تأخذا قدر أثمانها # و لم تستفيدا بها فائده

لقد كذب الله ما قلتما # و قد يكذب الرائد الواعده [1] .

قال الزبير ثم إن الأنصار أصلحوا بين هذين الرجلين و بين أصحابهما ثم اجتمعت جماعة من قريش يوما و فيهم ناس من الأنصار و أخلاط [2] من المهاجرين و ذلك بعد انصراف الأنصار عن رأيها و سكون الفتنة فاتفق ذلك عند قدوم عمرو بن العاص من سفر كان فيه فجاء إليهم فأفاضوا في ذكرو سعد و دعواه الأمر فقال عمرو بن العاص و الله لقد دفع الله عنا من الأنصار عظيمة و لما دفع الله عنهم أعظم كادوا و الله أن يحلوا حبل الإسلام كما قاتلوا عليه و يخرجوا منه من أدخلوا فيه و الله لئن كانوا سمعوا قول 14رسول الله ص الأئمة من قريش ثم ادعوها لقد هلكوا و أهلكوا و إن كانوا لم يسمعوها فما هم كالمهاجرين و لا كأبي بكر و لا المدينة

(1) يقال: سحاب واعد؛ أى الذي يعد بالمطر؛ و مؤنثه «واعدة» .
(2) الأخلاط: القوم المختلطون .

30

كمكة و لقد قاتلونا أمس فغلبونا على البدء و لو قاتلناهم اليوم لغلبناهم على العاقبة فلم يجبه أحد و انصرف إلى منزله و قد ظفر فقال

ألا قل لأوس إذا جئتها # و قل كلما جئت للخزرج

تمنيتم الملك في يثرب # فأنزلت القدر لم تنضج

و أخدجتم الأمر قبل التمام # و أعجب بذا المعجل المخدج [1] تريدون نتج الحيال العشار # و لم تلقحوه فلم ينتج

عجبت لسعد و أصحابه # و لو لم يهيجوه لم يهتج

رجا الخزرجي رجاء السراب # و قد يخلف المرء ما يرتجي

فكان كمنح على كفه # بكف يقطعها أهوج.

فلما بلغ الأنصار مقالته و شعره بعثوا إليه لسانهم و شاعرهم النعمان بن العجلان و كان رجلا أحمر قصيرا تزدريه العيون و كان سيدا فخما فأتى عمرا و هو في جماعة من قريش فقال و الله يا عمرو ما كرهتم من حربنا إلا ما كرهنا من حربكم و ما كان الله ليخرجكم من الإسلام بمن أدخلكم فيه إن كان 14النبي ص قال الأئمة من قريش فقد قال لو سلك الناس شعبا و سلك الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار و الله ما أخرجناكم من الأمر إذ قلنا منا أمير و منكم أمير و أما من ذكرت فأبو بكر لعمري خير من سعد لكن سعدا في الأنصار أطوع من أبي بكر في قريش فأما المهاجرون و الأنصار فلا فرق بينهم أبدا و لكنك يا ابن العاص وترت بني عبد مناف بمسيرك إلى الحبشة لقتل جعفر و أصحابه و وترت بني مخزوم بإهلاك عمارة بن الوليد ثم انصرف فقال

(1) يقال: أخدج الأمر؛ إذا لم يحكمه، و المخدج: الناقص.

فقل لقريش نحن أصحاب مكة # وو الفوارس في

و أصحابوو # و نحن رجعنا منبالذكر

و يوم بأرض الشام أدخل جعفر # و زيد و عبد الله في علق يجري [1] و في كل يوم ينكر الكلب أهله # نطاعن فيه بالمثقفة السمر

و نضرب في نقع العجاجة أرؤسا # ببيض كأمثال البروق إذا تسري

نصرنا و آوينا 14النبي و لم نخف # صروف الليالي و العظيم من الأمر

و قلنا لقوم هاجروا قبل مرحبا # و أهلا و سهلا قد أمنتم من الفقر

نقاسمكم أموالنا و بيوتنا # كقسمة أيسار الجزور على الشطر

و نكفيكم الأمر الذي تكرهونه # و كنا أناسا نذهب العسر باليسر

و قلتم حرام نصب سعد و نصبكم # عتيق بن عثمان حلال أبا بكر

و أهل أبو بكر لها خير قائم # و إن 1عليا كان أخلق بالأمر

و كان هوانا في 1علي و إنه # لأهل لها يا عمرو من حيث لا تدري

فذاك بعون الله يدعو إلى الهدى # و ينهى عن الفحشاء و البغي و النكر

وصي 14النبي المصطفى و ابن عمه # و قاتل فرسان الضلالة و الكفر

و هذا بحمد الله يهدي من العمى # و يفتح آذانا ثقلن من الوقر

نجي 14رسول الله في الغار وحده # و صاحبه الصديق في سالف الدهر

فلو لا اتقاء الله لم تذهبوا بها # و لكن هذا الخير أجمع للصبر

و لم نرض إلا بالرضا و لربما # ضربنا بأيدينا إلى أسفل القدر.

فلما انتهى شعر النعمان و كلامه إلى قريش غضب كثير منها و ألفى ذلك قدوم خالد بن سعيد بن العاص من اليمن و كان 14رسول الله استعمله عليها و كان له و لأخيه أثر قديم

(1) العلق: الدم، و في ا، ب: «فى طلق» و ما أثبته من ج و الاستيعاب.

عظيم في الإسلام و هما من أول من أسلم من قريش و لهما عبادة و فضل فغضب للأنصار و شتم عمرو بن العاص و قال يا معشر قريش إن عمرا دخل في الإسلام حين لم يجد بدا من الدخول فيه فلما لم يستطع أن يكيده بيده كاده بلسانه و إن من كيده الإسلام تفريقه و قطعه بين المهاجرين و الأنصار و الله ما حاربناهم للدين و لا للدنيا لقد بذلوا دماءهم لله تعالى فينا و ما بذلنا دماءنا لله فيهم و قاسمونا ديارهم و أموالهم و ما فعلنا مثل ذلك بهم و آثرونا على الفقر و حرمناهم على الغنى و لقد وصى 14رسول الله بهم و عزاهم عن جفوة السلطان فأعوذ بالله أن أكون و إياكم الخلف المضيع و السلطان الجاني . قلت هذا خالد بن سعيد بن العاص هو الذي امتنع من بيعة أبي بكر و قال لا أبايع إلا 1عليا و قد ذكرنا خبره فيما تقدم .

و أما قوله في الأنصار و عزاهم عن جفوة السلطان فإشارة إلى **14- قول 14النبي ص ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تقدموا علي الحوض .** و هذا الخبر هو الذي يكفر كثير من أصحابنا معاوية بالاستهزاء به و ذلك **14- أن النعمان بن بشير الأنصاري جاء في جماعة من الأنصار إلى معاوية فشكوا إليه فقرهم و قالوا لقد صدق 14رسول الله ص في قوله لنا ستلقون بعدي أثرة فقد لقيناها قال معاوية فما ذا قال لكم قالوا قال لنا فاصبروا حتى تردوا علي الحوض قال فافعلوا ما أمركم به عساكم تلاقونه غدا عند الحوض كما أخبركم و حرمهم و لم يعطهم شيئا . 1- قال الزبير و قال خالد بن سعيد بن العاص في ذلك**

تفوه عمرو بالذي لا نريده # و صرح للأنصار عن شنأة البغض

فإن تكن الأنصار زلت فإننا # نقيل و لا نجزيهم بالقرض

33

فلا تقطعن يا عمرو ما كان بيننا # و لا تحملن يا عمرو بعضا على بعض

أ تنسى لهم يا عمرو ما كان منهم # ليالي جئناهم من النفل و الفرض

و قسمتنا الأموال كاللحم بالمدى # و قسمتنا الأوطان كل به يقضي

ليالي كل الناس بالكفر جهرة # ثقال علينا مجمعون على البغض

فساووا و آووا و انتهينا إلى المنى # و قر قرارانا من الأمن و الخفض [1] .

قال الزبير ثم إن رجالا من سفهاء قريش و مثيري الفتن منهم اجتمعوا إلى عمرو بن العاص فقالوا له إنك لسان قريش و رجلها في الجاهلية و الإسلام فلا تدع الأنصار و ما قالت و أكثروا عليه من ذلك فراح إلى المسجد و فيه ناس من قريش و غيرهم فتكلم و قال إن الأنصار ترى لنفسها ما ليس لها و ايم الله لوددت أن الله خلى عنا و عنهم و قضى فيهم و فينا بما أحب و لنحن الذين أفسدنا على أنفسنا أحرزناهم عن كل مكروه و قدمناهم إلى كل محبوب حتى أمنوا المخوف فلما جاز لهم ذلك صغروا حقنا و لم يراعوا ما أعظمنا من حقوقهم .

ثم التفت فرأى الفضل بن العباس بن عبد المطلب و ندم على قوله للخئولة التي بين ولد عبد المطلب و بين الأنصار و لأن الأنصار كانت تعظم 1عليا و تهتف باسمه حينئذ فقال الفضل يا عمرو إنه ليس لنا أن نكتم ما سمعنا منك و ليس لنا أن نجيبك و 1أبو الحسن شاهد بالمدينة إلا أن يأمرنا فنفعل .

ثم رجع الفضل إلى 1علي فحدثه فغضب و شتم عمرا و قال آذى الله و 14رسوله ثم قام فأتى المسجد فاجتمع إليه كثير من قريش و تكلم مغضبا فقال يا معشر قريش إن حب الأنصار إيمان و بغضهم نفاق و قد قضوا ما عليهم

---

(1) كذا في ج، و في ا، ب: «و وقر أمرانا» .

و بقي ما عليكم و اذكروا أن الله رغب 14لنبيكم عن مكة فنقله إلى المدينة و كره له قريشا فنقله إلى الأنصار ثم قدمنا عليهم دارهم فقاسمونا الأموال و كفونا العمل فصرنا منهم بين بذل الغني و إيثار الفقير ثم حاربنا الناس فوقونا بأنفسهم و قد أنزل الله تعالى فيهم آية من القرآن جمع لهم فيها بين خمس نعم فقال **وَ اَلَّذِينَ تَبَوَّؤُا اَلدَّارَ وَ اَلْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَ لاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَ يُؤْثِرُونَ عَلىَ أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ اَلْمُفْلِحُونَ** (1) .

ألا و إن عمرو بن العاص قد قام مقاما آذى فيه الميت و الحي ساء به الواتر و سر به الموتور فاستحق من المستمع الجواب و من الغائب المقت و إنه من أحب الله و 14رسوله أحب الأنصار فليكفف عمرو عنا نفسه . قال الزبير فمشت قريش عند ذلك إلى عمرو بن العاص فقالوا أيها الرجل أما إذا غضب 1علي فاكفف .

و قال خزيمة بن ثابت الأنصاري يخاطب قريشا

أيا ل قريش أصلحوا ذات بيننا # و بينكم قد طال حبل التماحك (2) فلا خير فيكم بعدنا فارفقوا بنا # و لا خير فينا بعد فهر بن مالك

كلانا على الأعداء كف طويلة # إذا كان يوم فيه جب الحوارك (3) فلا تذكروا ما كان منا و منكم # ففي ذكر ما قد كان مشي التساوك (4) قال الزبير و قال 1علي للفضل يا فضل انصر الأنصار بلسانك و يدك فإنهم منك و إنك منهم فقال الفضل

قلت يا عمرو مقالا فاحشا # إن تعد يا عمرو و الله فلك

---

(1) سورة الحشر 9.
(2) التماحك: اللجاج.
(3) كناية عن الشدة؛ و الحارك: عظم على الظهر.
(4) التساوك: المشى الضعيف.

35

إنما الأنصار سيف قاطع # من تصبه ظبة السيف هلك [1] و سيوف قاطع مضربها # و سهام الله في يوم الحلك

نصروا الدين و آووا أهله # منزل رحب و رزق مشترك

و إذا الحرب تلظت نارها # بركوا فيها إذا الموت برك

و دخل الفضل على 1علي فأسمعه شعره ففرح به و قال وريت بك زنادي يا فضل أنت شاعر قريش و فتاها فأظهر شعرك و ابعث به إلى الأنصار فلما بلغ ذلك الأنصار قالت لا أحد يجيب إلا حسان الحسام فبعثوا إلى حسان بن ثابت فعرضوا عليه شعر الفضل فقال كيف أصنع بجوابه إن لم أتحر قوافيه فضحني فرويدا حتى أقفو أثره في القوافي فقال له خزيمة بن ثابت اذكر 1عليا و آله يكفك عن كل شيء فقال

جزى الله عنا و الجزاء بكفه # 1أبا حسن عنا و من 1كأبي حسن

سبقت قريشا بالذي أنت أهله # فصدرك مشروح و قلبك ممتحن

تمنت رجال من قريش أعزة # مكانك هيهات الهزال من السمن

و أنت من الإسلام في كل موطن # بمنزلة الدلو البطين من الرسن

غضبت لنا إذ قام عمرو بخطبة # أمات بها التقوى و أحيا بها الإحن

فكنت المرجى من لؤي بن غالب # لما كان منهم و الذي كان لم يكن

حفظت 14رسول الله فينا و عهده # إليك و من أولى به منك من و من

أ لست أخاه في الهدى و وصيه # و أعلم منهم بالكتاب و بالسنن

فحقك ما دامت بنجد وشيجة # عظيم علينا ثم بعد على اليمن

قال الزبير و بعثت الأنصار بهذا الشعر إلى 1علي بن أبي طالب فخرج إلى المسجد

---

(1) ظبة السيف: ؟؟؟.

و قال لمن به من قريش و غيرهم يا معشر قريش إن الله جعل الأنصار أنصارا فأثنى عليهم في الكتاب فلا خير فيكم بعدهم إنه لا يزال سفيه من سفهاء قريش وتره الإسلام و دفعه عن الحق و أطفأ شرفه و فضل غيره عليه يقوم مقاما فاحشا فيذكر الأنصار فاتقوا الله و ارعوا حقهم فو الله لو زالوا لزلت معهم لأن 14رسول الله قال لهم أزول معكم حيثما زلتم فقال المسلمون جميعا رحمك الله يا 1أبا الحسن قلت قولا صادقا .

قال الزبير و ترك عمرو بن العاص المدينة و خرج عنها حتى رضي عنه 1علي و المهاجرون قال الزبير ثم إن الوليد بن عقبة بن أبي معيط و كان يبغض الأنصار لأنهم أسروا أباهو ضربوا عنقه بين يدي 14رسول الله قام يشتم الأنصار و ذكرهم بالهجر فقال إن الأنصار لترى لها من الحق علينا ما لا نراه و الله لئن كانوا آووا لقد عزوا بنا و لئن كانوا آسوا لقد منوا علينا و الله ما نستطيع مودتهم لأنه لا يزال قائل منهم يذكر ذلنا بمكة و عزنا بالمدينة و لا ينفكون يعيرون موتانا و يغيظون أحياءنا فإن أجبناهم قالوا غضبت قريش على غاربها و لكن قد هون علي ذلك منهم حرصهم على الدين أمس و اعتذارهم من الذنب اليوم ثم قال

تباذخت الأنصار في الناس باسمها [1] # و نسبتها في الأزد عمرو بن عامر

و قالوا لنا حق عظيم و منة # على كل باد من معد و حاضر

فإن يك للأنصار فضل فلم تنل # بحرمته الأنصار فضل المهاجر

و إن تكن الأنصار آوت و قاسمت # معايشها من جاء قسمة جازر

فقد أفسدت ما كان منها بمنها # و ما ذاك فعل الأكرمين الأكابر

إذا قال حسان و كعب قصيدة # بشتم قريش غنيت في المعاشر

و سار بها الركبان في كل وجهة # و أعمل فيها كل خف و حافر

(1) ج: «تفاخرت الأنصار» .

فهذا لنا من كل صاحب خطبة # يقوم بها منكم و من كل شاعر

و أهل بأن يهجو بكل قصيدة # و أهل بأن يرموا بنبل فواقر.

قال ففشا شعره في الناس فغضبت الأنصار و غضب لها من قريش قوم منهم ضرار بن الخطاب الفهري و زيد بن الخطاب و يزيد بن أبي سفيان فبعثوا إلى الوليد فجاء .

فتكلم زيد بن الخطاب فقال يا ابن عقبة بن أبي معيط أما و الله لو كنت من الفقراء **اَلْمُهَاجِرِينَ اَلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ أَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اَللَّهِ وَ رِضْوَاناً** لأحببت الأنصار و لكنك من الجفاة في الإسلام البطاء عنه الذين دخلوا فيه بعد أن **ظَهَرَ أَمْرُ اَللَّهِ وَ هُمْ كَارِهُونَ** إنا نعلم أنا أتيناهم و نحن فقراء فأغنونا ثم أصبنا الغنى فكفوا عنا و لم يرزءونا شيئا فأما ذكرهم ذلة قريش بمكة و عزها بالمدينة فكذلك كنا و كذلك قال الله تعالى **وَ اُذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي اَلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ اَلنَّاسُ** [1] فنصرنا الله تعالى بهم و آوانا إلى مدينتهم .

و أما غضبك لقريش فإنا لا ننصر كافرا و لا نواد ملحدا و لا فاسقا و لقد قلت و قالوا فقطعك الخطيب و ألجمك الشاعر .

و أما ذكرك الذي كان بالأمس فدع المهاجرين و الأنصار فإنك لست من ألسنتهم في الرضا و لا نحن من أيديهم في الغضب .

و تكلم يزيد بن أبي سفيان فقال يا ابن عقبة الأنصار أحق بالغضب لقتلفاكفف لسانك فإن من قتله الحق لا يغضب له .

و تكلم ضرار بن الخطاب فقال أما و الله لو لا أن 14رسول الله ص قال

(1) سورة الأنفال 26.

الأئمة من قريش لقلنا الأئمة من الأنصار و لكن جاء أمر غلب الرأي فاقمع شرتك أيها الرجل و لا تكن امرأ سوء فإن الله لم يفرق بين الأنصار و المهاجرين في الدنيا و كذلك الله لا يفرق بينهم في الآخرة .

و أقبل حسان بن ثابت مغضبا من كلام الوليد بن عقبة و شعره فدخل المسجد و فيه قوم من قريش فقال يا معشر قريش إن أعظم ذنبنا إليكم قتلنا كفاركم و حمايتنا 14رسول الله ص و إن كنتم تنقمون منا منة كانت بالأمس فقد كفى الله شرها فما لنا و ما لكم و الله ما يمنعنا من قتالكم الجبن و لا من جوابكم العي إنا لحي فعال و مقال و لكنا قلنا إنها حرب أولها عار و آخرها ذل فأغضينا عليها عيوننا و سحبنا ذيولنا حتى نرى و تروا فإن قلتم قلنا و إن سكتم سكتنا .

فلم يجبه أحد من قريش ثم سكت كل من الفريقين عن صاحبه و رضي القوم أجمعون و قطعوا الخلاف و العصبية .

انتهى ما ذكره الزبير بن بكار في الموفقيات . و نعود الآن إلى ذكر ما **14- أورده أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة .**

قال أبو بكر حدثني أبو يوسف يعقوب بن شيبة عن بحر بن آدم عن رجاله عن سالم بن عبيد قال لما توفي 14رسول الله و قالت الأنصار منا أمير و منكم أمير أخذ عمر بيد أبي بكر و قال سيفان في غمد واحد إذا لا يصلحان ثم قال من له هذه الثلاث ثَانِيَ اِثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي اَلْغَارِ من هما إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ من صاحبه إِنَّ اَللَّهَ مَعَنَا [1] مع من ثم بسط يده إلى أبي بكر فبايعه فبايعه الناس أحسن بيعة و أجملها .

(1) سورة التوبة 40.

17- قال أبو بكر حدثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي عن أبي بكر بن عياش عن زيد بن عبد الله قال إن الله تعالى نظر في قلوب العباد فوجد قلب 14محمد ع خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه و ابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب الأمم بعد قلبه فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء 14نبيه يقاتلون عن دينه فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن و ما رأى المسلمون سيئا فهو عند الله سيئ .

قال أبو بكر بن عياش و قد رأى المسلمون أن يولوا أبا بكر بعد 14النبي ص فكانت ولايته حسنة . 14- قال أبو بكر و حدثنا يعقوب بن شيبة قال لما قبض 14رسول الله ص و قال الأنصار منا أمير و منكم أمير قال عمر أيها الناس أيكم يطيب نفسا أن يتقدم قدمين قدمهما 14رسول الله ص في الصلاة رضيك الله لديننا أ فلا نرضاك لدنيانا- . 17- قال أبو بكر و أخبرنا أبو زيد عمر بن شبة قال حدثني زيد بن يحيى الأنماطي قال حدثنا صخر بن جويرية عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال أخذ أبو بكر بيد عمر و يد رجل من المهاجرين يرونه أبا عبيدة حتى انطلقوا إلى الأنصار و قد اجتمعوا عند سعد في سقيفة بني ساعدة فقال عمر قلت لأبي بكر دعني أتكلم و خشيت جد أبي بكر و كان ذا جد فقال أبو بكر لا بل أنا أتكلم فما هو و الله إلا أن انتهينا إليهم فما كان في نفسي شيء أريد أن أقوله إلا أتى أبو بكر عليه فقال لهم يا معشر الأنصار ما ينكر حقكم مسلم إنا و الله ما أصبنا خيرا قط إلا شركتمونا

فيه لقد آويتم و نصرتم و آزرتم و واسيتم و لكن قد علمتم أن العرب لا تقر و لا تطيع إلا لامرئ من قريش هم رهط 14النبي ص أوسط العرب وشيجة رحم و أوسط الناس دارا و أعرب الناس ألسنا و أصبح الناس أوجها و قد عرفتم بلاء ابن الخطاب في الإسلام و قدمه هلم فلنبايعه .

قال عمر بل إياك نبايع قال عمر فكنت أول الناس مد يده إلى أبي بكر فبايعه إلا رجلا من الأنصار أدخل يده بين يدي و يد أبي بكر فبايعه قبلي و وطئ الناس فراش سعد فقيل قتلتم سعدا فقال عمر قتل الله سعدا فوثب رجل من الأنصار فقال أنا جذيلها المحكك و عذيقها المرجب فأخذ و وطئ في بطنه و دسوا في فيه [1] التراب . 1- قال أبو بكر و حدثني يعقوب عن محمد بن جعفر عن محمد بن إسماعيل عن مختار اليمان عن عيسى بن زيد قال لما بويع أبو بكر جاء أبو سفيان إلى 1علي فقال أ غلبكم على هذا الأمر أذل بيت من قريش و أقلها أما و الله لئن شئت لأملأنها على أبي فصيل خيلا و رجلا و لأسدنها عليه من أقطارها فقال 1علي يا أبا سفيان طالما كدت الإسلام و أهله فما ضرهم شيئا أمسك عليك فإنا رأينا أبا بكر لها أهلا . 1- قال أبو بكر و حدثنا يعقوب عن رجاله قال لما بويع أبو بكر تخلف 1علي فلم يبايع فقيل لأبي بكر إنه كره إمارتك [2] فبعث إليه أ كرهت إمارتي قال لا و لكن القرآن خشيت أن يزاد فيه فحلفت ألا أرتدي رداء حتى أجمعه اللهم إلا إلى صلاة الجمعة .

(1) ج: «فمه» .
(2) ج إمرتك: «» .

فقال أبو بكر لقد أحسنت قال فكتبه ع كما أنزل بناسخه و منسوخه .
14- قال أبو بكر حدثنا يعقوب عن أبي النضر عن محمد بن راشد عن مكحول أن 14رسول الله ص استعمل خالد بن سعيد بن العاص على عمل فقدم بعد ما قبض 14رسول الله ص و قد بايع الناس أبا بكر فدعاه إلى البيعة فأبى فقال عمر دعني و إياه فمنعه أبو بكر حتى مضت عليه سنة ثم مر به أبو بكر و هو جالس على بابه فناداه خالد يا أبا بكر هل لك في البيعة قال نعم قال فادن فدنا منه فبايعه خالد و هو قاعد على بابه . 14,5- قال أبو بكر و حدثنا أبو يوسف يعقوب بن شيبة عن خالد بن مخلد عن يحيى بن عمر قال حدثني 5أبو جعفر الباقر قال جاء أعرابي إلى أبي بكر على عهد 14رسول الله ص و قال له أوصني فقال لا تأمر على اثنين ثم إن الأعرابي شخص إلى الربذة فبلغه بعد ذلكفسأل عن أمر الناس من وليه فقيل أبو بكر فقدم الأعرابي إلى المدينة فقال لأبي بكر أ لست أمرتني ألا أتأمر على اثنين قال بلى قال فما بالك فقال أبو بكر لم أجد لها أحدا غيري أحق مني قال ثم رفع 5أبو جعفر الباقر يديه و خفضهما فقال صدق صدق . 14- قال أبو بكر و قد روي هذا الخبر برواية أتم من هذه الرواية حدثنا يعقوب بن شيبة قال حدثنا يحيى بن حماد قال حدثنا أبو عوانة عن سليمان الأعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب عن رافع بن أبي رافع الطائي قال بعث 14رسول الله ص جيشا فأمر عليهم عمرو بن العاص و فيهم أبو بكر و عمر و أمرهم

أن يستنفروا من مروا به فمروا علينا فاستنفرونا فنفرنا معهم فيو هي التي تفخر بها أهل الشام فيقولون استعمل 14رسول الله ص عمرو بن العاص على جيش فيه أبو بكر و عمر قال فقلت و الله لأختارن في هذه الغزاة لنفسي رجلا من أصحاب 14رسول الله ص أستهديه فإني لست أستطيع إتيان المدينة فاخترت أبا بكر و لم آل و كان له كساء فدكي يخله [1] عليه إذا ركب و يلبسه إذا نزل و هو الذي عيرته به هوازن بعد 14النبي ص و قالوا لا نبايع ذا الخلال قال فلما قضينا غزاتنا قلت له يا أبا بكر إني قد صحبتك و إن لي عليك حقا فعلمني شيئا أنتفع به فقال قد كنت أريد ذلك لو لم تقل لي تعبد الله لا تشرك به شيئا و تقيم الصلاة المكتوبة و تؤدي الزكاة المفروضة و تحج البيت و تصوم شهر رمضان و لا تتأمر على رجلين فقلت أما العبادات فقد عرفتها أ رأيت نهيك لي عن الإمارة و هل يصيب الناس الخير و الشر إلا بالإمارة فقال إنك استجهدتني فجهدت لك إن الناس دخلوا في الإسلام طوعا و كرها فأجارهم الله من الظلم فهم جيران الله و عواد الله و في ذمة الله فمن يظلم منكم إنما يحقر ربه و الله إن أحدكم ليأخذ شويهة جاره أو بعيره فيظل عمله بأسا بجاره و الله من وراء جاره قال فلم يلبث إلا قليلا حتى أتتنافسألت من استخلف بعده قيل أبو بكر قلت أ صاحبي الذي كان ينهاني عن الإمارة فشددت على راحلتي فأتيت المدينة فجعلت أطلب خلوته حتى قدرت عليها فقلت أ تعرفني أنا فلان بن فلان أ تعرف وصية أوصيتني بها قال نعم إن 14رسول الله قبض و الناس حديثو عهد بالجاهلية فخشيت أن يفتتنوا و أن أصحابي حملونيها فما زال يعتذر إلي حتى عذرته و صار من أمري بعد أن صرت عريفا . 2,1- قال أبو بكر و أخبرنا أبو زيد عمر بن شبة عن رجاله عن الشعبي قال قام 2الحسن بن علي ع إلى أبي بكر و هو يخطب على المنبر فقال له انزل عن منبر أبي فقال

---

(1) يخله عليه، أي يجمع بين طرفى الكساء بخلال من عود أو حديد.

أبو بكر صدقت و الله إنه لمنبر أبيك لا منبر أبي فبعث 1علي إلى أبي بكر إنه غلام حدث و إنا لم نأمره فقال أبو بكر صدقت إنا لم نتهمك . 1- قال أبو بكر و روى أبو زيد عن حباب بن يزيد عن جرير عن المغيرة أن سلمان و الزبير و بعض الأنصار كان هواهم أن يبايعوا 1عليا بعد 14النبي ص فلما بويع أبو بكر قال سلمان للصحابة أصبتم الخير و لكن أخطأتم المعدن قال و في رواية أخرى أصبتم ذا السن منكم و لكنكم أخطأتم أهل بيت نبيكم أما لو جعلتموها فيهم ما اختلف منكم اثنان و لأكلتموها رغدا . قلت هذا الخبر هو الذي رواه المتكلمون في باب الإمامة **17- عن سلمان أنه قال كرديد و نكرديد.** تفسره الشيعة فتقول أراد أسلمتم و ما أسلمتم و يفسره أصحابنا فيقولون معناه أخطأتم و أصبتم .

1- قال أبو بكر و أخبرنا أبو زيد قال حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا غسان بن عبد الحميد قال لما أكثر في تخلف 1علي عن البيعة و اشتد أبو بكر و عمر في ذلك خرجت أم مسطح بن أثاثة فوقفت عند قبر 14النبي ص و نادته يا 14رسول الله

قد كان بعدك أنباء و هينمة # لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب [(1)]

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها # فاختل قومك فاشهدهم و لا تغب

. 14,1- قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز و سمعت أبا زيد عمر بن شبة يحدث رجلا بحديث لم أحفظ إسناده قال مر المغيرة بن شعبة بأبي بكر و عمر و هما جالسان على باب 14النبي حين قبض فقال ما يقعدكما قالا ننتظر هذا الرجل يخرج فنبايعه يعنيان 1عليا فقال أ تريدون أن تنظروا حبل الحبلة [(2)] من أهل هذا البيت وسعوها في قريش تتسع .

---

(1) الهينمة: الصوت الخفى. و في اللسان-و نسب البيتين إلى فاطمة. «و هنبثة» و الهنبثة: الاختلاط في القول.

(2) الحبلة في الأصل: الكرم؛ قيل: معناه حمل الكرمة قبل أن تبلغ؛ و لعله كناية عن صغر سن عليّ.

قال فقاما إلى سقيفة بني ساعدة أو كلاما هذا معناه . **14- قال أبو بكر و أخبرنا أبو جعفر محمد بن عبد الملك الواسطي عن يزيد بن هارون عن سفيان بن حسين عن الزهري عن أنس بن مالك قال لما مرض 14رسول الله مرضه الذي مات فيه أتاه بلال يؤذنه بالصلاة فقال بعد مرتين يا بلال قد أبلغت فمن شاء فليصل بالناس و من شاء فليدع .**

قال و رفعت الستور عن 14رسول الله فنظرنا إليه كأنه ورقة بيضاء و عليه خميصة [1] له فرجع إليه بلال فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس قال فما رأيناه بعد ذلك ع . 1,14- و قال أبو بكر و حدثني أبو الحسن علي بن سليمان النوفلي قال سمعت أبيا يقول ذكر سعد بن عبادة يوما 1عليا بعد فذكر أمرا من أمره نسيه 1أبو الحسن يوجب ولايته فقال له ابنه قيس بن سعد أنت سمعت 14رسول الله ص يقول هذا الكلام في 1علي بن أبي طالب ثم تطلب الخلافة و يقول أصحابك منا أمير و منكم أمير لا كلمتك و الله من رأسي بعد هذا كلمة أبدا . 1,14- قال أبو بكر و حدثني أبو الحسن علي بن سليمان النوفلي قال حدثني أبي قال حدثني شريك بن عبد الله عن إسماعيل بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين عن 4أبيه عن 3جده قال قال 1علي كنت مع الأنصار 14لرسول الله ص على السمع و الطاعة له في المحبوب و المكروه فلما عز الإسلام و كثر أهله قال يا 1علي زد فيها على أن تمنعوا 14رسول الله و أهل بيته مما تمنعون منه أنفسكم و ذراريكم قال فحملها على ظهور القوم فوفى بها من وفى و هلك من هلك . قلت هذا يطابق **6,14- ما رواه أبو الفرج الأصفهاني في كتاب مقاتل الطالبيين أن**

---

(1) الخميصة: كساء أسود مربع؛ له علمان.

6جعفر بن محمد ع وقف مستترا في خفية يشاهد المحامل التي حمل عليها عبد الله بن الحسن و أهله في القيود و الحديد من المدينة إلى العراق فلما مروا به بكى و قال ما وفت الأنصار و لا أبناء الأنصار 14لرسول الله ص بايعهم على أن يمنعوا 14محمدا و أبناءه و أهله و ذريته مما يمنعون منه أنفسهم و أبناءهم و أهلهم و ذراريهم فلم يفوا اللهم اشدد وطأتك على الأنصار . 1- قال أبو بكر و حدثنا أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد قال حدثنا أحمد بن الحكم قال حدثنا عبد الله بن وهب عن ليث بن سعد قال تخلف 1علي عن بيعة أبي بكر فأخرج ملببا [1] يمضى به ركضا و هو يقول معاشر المسلمين علام تضرب عنق رجل من المسلمين لم يتخلف لخلاف و إنما تخلف لحاجة فما مر بمجلس من المجالس إلا يقال له انطلق فبايع . 1,14- قال أبو بكر و حدثنا علي بن جرير الطائي قال حدثنا ابن فضل عن الأجلح عن حبيب بن ثعلبة بن يزيد قال سمعت 1عليا يقول أما و رب السماء و الأرض ثلاثا إنه لعهد 14النبي الأمي إلي لتغدرن بك الأمة من بعدي . 1- قال أبو بكر و حدثنا أبو زيد عمر بن شبة بإسناد رفعه إلى ابن عباس قال إني لأماشي عمر في سكة من سكك المدينة يده في يدي فقال يا ابن عباس ما أظن صاحبك إلا مظلوما فقلت في نفسي و الله لا يسبقني بها فقلت يا أمير المؤمنين فاردد إليه ظلامته فانتزع يده من يدي ثم مر يهمهم ساعة ثم وقف فلحقته فقال لي يا ابن عباس ما أظن القوم منعهم من صاحبك إلا أنهم استصغروه فقلت في نفسي هذه شر من الأولى فقلت و الله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر .

(1) يقال: لببت فلان فلانا: أخذ بتلبيبه، أي جمع ثيابه عند صدره و نحره ثمّ جره .

ذكر أمر 15فاطمة مع أبي بكر

15,14,1- فأما ما رواه البخاري و مسلم في الصحيحين [1] من كيفية المبايعة لأبي بكر بهذا اللفظ الذي أورده عليك و الإسناد إلى عائشة أن 15فاطمة و العباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من 14النبي ص و هما حينئذ يطلبان أرضه من فدك و سهمه من خيبر فقال لهما أبو بكر إني سمعت 14رسول الله ص يقول إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة إنما يأكل آل محمد من هذا المال و إني و الله لا أدع أمرا رأيت 14رسول الله ص يصنعه إلا صنعته فهجرته 15فاطمة و لم تكلمه في ذلك حتى ماتت فدفنها 1علي ليلا و لم يؤذن بها أبا بكر و كان 1العلي وجه [2] من الناس في حياة 15فاطمة فلما توفيت 15فاطمة انصرفت وجوه الناس عن 1علي [3] فمكثت 15فاطمة ستة أشهر ثم توفيت فقال رجل للزهري و هو الراوي لهذا الخبر عن عائشة فلم يبايعه 1علي ستة أشهر قال و لا أحد من بني هاشم حتى بايعه 1علي فلما رأى ذلك ضرع إلى مبايعة أبي بكر فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا و لا يأت [4] معك أحد و كره أن يأتيه عمر لما عرف من شدته فقال عمر لا تأتهم وحدك فقال أبو بكر و الله لآتينهم وحدي و ما عسى أن يصنعوا بي فانطلق أبو بكر حتى دخل على 1علي و قد جمع بني هاشم عنده فقام 1علي فحمد الله و أثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد فإنه لم يمنعنا أن نبايعك يا أبا بكر إنكار لفضلك و لا منافسة لخير ساقه الله إليك و لكنا كنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقا فاستبددتم به علينا و ذكر قرابته من 14رسول الله ص و حقه فلم يزل 1علي يذكر ذلك حتى بكى أبو بكر فلما صمت 1علي تشهد أبو بكر فحمد الله و أثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد

---

(1) صحيح البخاريّ 2: 186، و مسلم 3: 1380 مع اختلاف في لفظ الحديث.
(2) مسلم: «وجهة» .
(3) مسلم: «استنكر على وجوه الناس» .
(4) مسلم: «و لا يأتنا» .

فو الله لقرابة 14رسول الله ص أحب إلي أن أصلها من قرابتي و إني و الله ما آلوكم من هذه الأموال التي كانت بيني و بينكم إلا الخير و لكني سمعت 14رسول الله ص يقول لا نورث ما تركناه صدقة و إنما يأكل آل محمد في هذا المال و إني و الله لا أترك أمرا صنعه 14رسول الله ص إلا صنعته إن شاء الله قال 1علي موعدك العشية للبيعة فلما صلى أبو بكر الظهر أقبل على الناس ثم عذر 1عليا [1] ببعض ما اعتذر به ثم قام 1علي فعظم من حق أبي بكر و ذكر فضله و سابقته ثم مضى إلى أبي بكر فبايعه فأقبل الناس إلى 1علي فقالوا أصبت و أحسنت و كان 1علي قريبا إلى الناس حين قارب الأمر بالمعروف . **15,14,1- و روى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز قال حدثني أبو زيد عمر بن شبة قال حدثني إبراهيم بن المنذر قال حدثنا ابن وهب عن ابن لهيعة عن أبي الأسود قال غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر بغير مشورة و غضب 1علي و الزبير فدخلا بيت 15فاطمة معهما السلاح فجاء عمر في عصابة فيهم أسيد بن حضير و سلمة بن سلامة بن قريش و هما من بني عبد الأشهل فاقتحما الدار فصاحت 15فاطمة و ناشدتهما الله فأخذوا سيفيهما فضربوا بهما الحجر حتى كسروهما فأخرجهما عمر يسوقهما حتى بايعا .**

ثم قام أبو بكر فخطب الناس فاعتذر إليهم و قال إن بيعتي كانت فلتة وقى الله شرها و خشيت الفتنة و ايم الله ما حرصت عليها يوما قط و لا سألتها الله في سر و لا علانية قط و لقد قلدت أمرا عظيما ما لي به طاقة و لا يدان و لقد وددت أن أقوى الناس عليه مكاني .

---

(1) مسلم: «و ذكر شأن على و تخلفه عن البيعة، و عذره الذي اعتذر إليه» .

فقبل المهاجرون و قال 1علي و الزبير ما غضبنا إلا في المشورة و إنا لنرى أبا بكر أحق الناس بها إنه لصاحب الغار و ثَانِيَ اِثْنَيْنِ و إنا لنعرف له سنه و لقد أمره 14رسول الله ص بالصلاة و هو حي .

قال أبو بكر و ذكر ابن شهاب بن ثابت أن قيس بن شماس أخا بني الحارث من الخزرج كان مع الجماعة الذين دخلوا بيت 15فاطمة .

قال و روى سعد بن إبراهيم أن عبد الرحمن بن عوف كان مع عمر ذلك اليوم و أن محمد بن مسلمة كان معهم و أنه هو الذي كسر سيف الزبير . **1,15- قال أبو بكر و حدثني أبو زيد عمر بن شبة عن رجاله قال جاء عمر إلى بيت 15فاطمة في رجال من الأنصار و نفر قليل من المهاجرين فقال و الذي نفسي بيده لتخرجن إلى البيعة أو لأحرقن البيت عليكم فخرج إليه الزبير مصلتا بالسيف فاعتنقه زياد بن لبيد الأنصاري و رجل آخر فندر [1] السيف من يده فضرب به عمر الحجر فكسره ثم أخرجهم بتلابيبهم يساقون سوقا عنيفا حتى بايعوا أبا بكر .**

قال أبو زيد و روى النضر بن شميل قال حمل سيف الزبير لما ندر من يده إلى أبي بكر و هو على المنبر يخطب فقال اضربوا به الحجر قال أبو عمرو بن حماس و لقد رأيت الحجر و فيه تلك الضربة و الناس يقولون هذا أثر ضربة سيف الزبير . **1,15- قال أبو بكر و أخبرني أبو بكر الباهلي عن إسماعيل بن مجالد عن الشعبي قال قال أبو بكر يا عمر أين خالد بن الوليد قال هو هذا فقال انطلقا إليهما يعني 1عليا و الزبير فأتياني بهما فانطلقا فدخل عمر و وقف خالد على الباب من خارج فقال عمر للزبير ما هذا السيف قال أعددته لأبايع 1عليا قال و كان في البيت ناس كثير منهم المقداد بن الأسود و جمهور الهاشميين فاخترط عمر السيف فضرب به صخرة في البيت**

---

(1) ندر: سقط.

فكسره ثم أخذ بيد الزبير فأقامه ثم دفعه فأخرجه و قال يا خالد دونك هذا فأمسكه خالد و كان خارج [1] البيت مع خالد جمع كثير من الناس أرسلهم أبو بكر ردءا لهما ثم دخل عمر فقال 1لعلي قم فبايع فتلكأ و احتبس [2] فأخذ بيده و قال قم فأبى أن يقوم فحمله و دفعه كما دفع الزبير ثم أمسكهما خالد و ساقهما عمر و من معه سوقا عنيفا و اجتمع الناس ينظرون و امتلأت شوارع المدينة بالرجال و رأت 15فاطمة ما صنع عمر فصرخت و ولولت و اجتمع معها نساء كثير من الهاشميات و غيرهن فخرجت إلى باب حجرتها و نادت يا أبا بكر ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله و الله لا أكلم عمر حتى ألقى الله .

قال فلما بايع 1علي و الزبير و هدأت تلك الفورة مشى إليها أبو بكر بعد ذلك فشفع لعمر و طلب إليها فرضيت عنه . **15- قال أبو بكر و حدثني المؤمل بن جعفر قال حدثني محمد بن ميمون قال حدثني داود بن المبارك قال أتينا عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ع و نحن راجعون من الحج في جماعة فسألناه عن مسائل و كنت أحد من سأله فسألته عن أبي بكر و عمر فقال أجيبك بما أجاب به جدي عبد الله بن الحسن فإنه سئل عنهما فقال كانت أمنا 15صديقة ابنة نبي مرسل و ماتت و هي غضبى على قوم فنحن غضاب لغضبها .** قلت قد أخذ هذا المعنى بعض شعراء الطالبيين من أهل الحجاز أنشدنيه النقيب جلال الدين عبد الحميد بن محمد بن عبد الحميد العلوي قال أنشدني هذا الشاعر لنفسه و ذهب عني اسمه قال

يا أبا حفص الهوينى و ما كنت # مليا بذاك لو لا الحمام

---

(1) ب: «فى خارج البيت» .
(2) احتبس: توقف.

أ تموت 15البتول غضبى و نرضى # ما كذا يصنع البنون الكرام.

يخاطب عمر و يقول له مهلا و رويدا [1] يا عمر أي ارفق و اتئد و لا تعنف بنا و ما كنت مليا أي و ما كنت أهلا لأن تخاطب بهذا و تستعطف و لا كنت قادرا على ولوج دار [2] 15فاطمة على ذلك الوجه الذي ولجتها عليه لو لا أن 14أباها الذي كان بيتها يحترم و يصان لأجله مات فطمع فيها من لم يكن يطمع ثم قال أ تموت أمنا و هي غضبى و نرضى نحن إذا لسنا بكرام فإن الولد الكريم يرضى لرضا أبيه و أمه و يغضب لغضبهما .

و الصحيح عندي أنها ماتت و هي واجدة على أبي بكر و عمر و أنها أوصت ألا يصليا عليها و ذلك عند أصحابنا من الأمور المغفورة لهما و كان الأولى بهما إكرامها و احترام منزلها لكنهما خافا الفرقة و أشفقا من الفتنة ففعلا ما هو الأصلح بحسب ظنهما و كانا من الدين و قوة اليقين بمكان مكين لا شك في ذلك و الأمور الماضية يتعذر الوقوف على عللها و أسبابها و لا يعلم حقائقها إلا من قد شاهدها و لابسها بل لعل الحاضرين المشاهدين لها يعلمون باطن الأمر فلا يجوز العدول عن حسن الاعتقاد فيهما بما جرى و الله ولي المغفرة و العفو فإن هذا لو ثبت أنه خطأ لم يكن كبيرة بل كان من باب الصغائر التي لا تقتضي التبرؤ و لا توجب زوال التولي .

1- قال أبو بكر و أخبرنا أبو زيد عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن حاتم عن رجاله عن ابن عباس قال مر عمر 1بعلي و أنا معه بفناء داره فسلم عليه فقال له 1علي أين تريد قال البقيع قال أ فلا [3] تصل صاحبك و يقوم معك [3] قال بلى فقال لي 1علي قم معه فقمت فمشيت إلى جانبه فشبك أصابعه في أصابعي و مشينا قليلا حتى إذا خلفنا البقيع قال لي يا ابن عباس أما و الله إن 1صاحبك هذا لأولى الناس بالأمر بعد 14رسول الله ص إلا أنا خفناه على اثنين قال ابن عباس فجاء بكلام لم أجد بدا من

---

(1) ب: «رويدا» .
(2) ج: «بيت» .
(3-3) ب: «نصل جناحك و نقوم معك» .

مسألته عنه فقلت ما هما يا أمير المؤمنين قال خفناه على حداثة سنه و حبه بني عبد المطلب . **15,1- قال أبو بكر و حدثني أبو زيد قال حدثني محمد بن عباد قال حدثني أخي سعيد بن عباد عن الليث بن سعد عن رجاله عن أبي بكر الصديق أنه قال ليتني لم أكشف بيت 15فاطمة و لو أعلن 1علي الحرب . 14- قال أبو بكر و حدثنا الحسن بن الربيع عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن علي بن عبد الله بن العباس عن أبيه قال لما حضرت 14رسول الله ص الوفاة و في البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال 14رسول الله ص ائتوني بدواة و صحيفة أكتب لكم كتابا لا تضلون بعدي فقال عمر كلمة معناها أن الوجع قد غلب على 14رسول الله ص ثم قال عندنا القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف من في البيت و اختصموا فمن قائل يقول القول ما قال 14رسول الله ص و من قائل يقول القول ما قال عمر فلما أكثروا اللغط و اللغو و الاختلاف غضب 14رسول الله فقال قوموا إنه لا ينبغي لنبي أن يختلف عنده هكذا فقاموا فمات 14رسول الله ص في ذلك اليوم فكان ابن عباس يقول إن الرزية كل الرزية ما حال بيننا و بين كتاب 14رسول الله ص يعني الاختلاف و اللغط .** قلت هذا الحديث قد خرجه الشيخان محمد بن إسماعيل البخاري و مسلم بن الحجاج القشيري في صحيحيهما [1] و اتفق المحدثون كافة [2] على روايته .

14,1- قال أبو بكر و حدثنا أبو زيد عن رجاله عن جابر بن عبد الله قال قال 14رسول الله

---

(1) صحيح مسلم: 1259.

(2) ب: «جميعا» .

ص إن تولوها أبا بكر تجدوه ضعيفا في بدنه قويا في أمر الله و إن تولوها عمر تجدوه قويا في بدنه قويا في أمر الله و إن تولوها 1عليا و ما أراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا يحملكم على المحجة البيضاء و الصراط المستقيم. 14- قال أبو بكر و حدثنا أحمد بن إسحاق بن صالح عن أحمد بن سيار عن سعيد بن كثير الأنصاري عن رجاله عن عبد الله بن عبد الرحمن أن 14رسول الله ص في مرض موته أمر أسامة بن زيد بن حارثة على جيش فيه جلة المهاجرين و الأنصار منهم أبو بكر و عمر و أبو عبيدة بن الجراح و عبد الرحمن بن عوف و طلحة و الزبير و أمره أن يغير على مؤتة حيث قتل أبوه زيد و أن يغزو وادي فلسطين فتثاقل أسامة و تثاقل الجيش بتثاقله و جعل 14رسول الله ص في مرضه يثقل و يخف و يؤكد القول في تنفيذ ذلك البعث حتى قال له أسامة بأبي أنت و أمي أ تأذن لي أن أمكث أياما حتى يشفيك الله تعالى فقال اخرج و سر على بركة الله فقال يا 14رسول الله إن أنا خرجت و أنت على هذه الحال خرجت و في قلبي قرحة منك فقال سر على النصر و العافية فقال يا 14رسول الله إني أكره أن أسأل عنك الركبان فقال انفذ [1] لما أمرتك به ثم أغمي على 14رسول الله ص و قام أسامة فتجهز للخروج فلما أفاق 14رسول الله ص سأل عن أسامة و البعث فأخبر أنهم يتجهزون فجعل يقول انفذوا بعث أسامة لعن الله من تخلف عنه و كرر [2] ذلك فخرج أسامة و اللواء على رأسه و الصحابة بين يديه حتى إذا كان بالجرف نزل و معه أبو بكر و عمر و أكثر المهاجرين و من الأنصار أسيد بن حضير و بشير بن سعد و غيرهم من الوجوه فجاءه رسول أم أيمن يقول له ادخل فإن 14رسول الله يموت فقام من فوره فدخل المدينة و اللواء معه فجاء به حتى ركزه بباب 14رسول الله و 14رسول الله قد مات في تلك الساعة .

قال فما كان أبو بكر و عمر يخاطبان أسامة إلى أن ماتا إلا بالأمير .

(1) انفذ: أى امض ؟؟؟.
(2) ج: «و تكرر » .

1067 67 و من كلام له ع لما قلد محمد بن أبي بكر مصر فملكت عليه و قتل

وَ قَدْ أَرَدْتُ تَوْلِيَةَ مِصْرَ هَاشِمَ بْنَ عُتْبَةَ وَ لَوْ وَلَّيْتُهُ إِيَّاهَا لَمَا خَلَّى لَهُمُ اَلْعَرْصَةَ وَ لاَ أَنْهَزَهُمُ اَلْفُرْصَةَ بِلاَ ذَمٍّ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ فَلَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيباً وَ كَانَ لِي رَبِيباً.

ذكر محمد بن أبي بكر و ذكر ولده (1) -

أم **محمد بن أبي بكر** أسماء بنت عميس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة بن خثعم كانت تحت جعفر بن أبي طالب و هاجرت معه إلى الحبشة فولدت له هناك عبد الله بن جعفر الجواد ثم قتل عنهافخلف عليها أبو بكر الصديق فأولدها محمدا ثم مات عنها فخلف عليها 1علي بن أبي طالب و كان محمد ربيبه و خريجه و جاريا عنده مجرى أولاده رضع الولاء و التشيع مذ زمن الصبا فنشأ عليه فلم يكن يعرف له أبا غير 1علي و لا يعتقد لأحد فضيلة غيره حتى **1- قال 1علي ع محمد ابني من صلب أبي بكر .** و كان يكنى أبا القاسم في قول ابن قتيبة [1] و قال غيره بل كان يكنى أبا عبد الرحمن .

(1) في المعارف ص 175.

و كان محمد من نساك قريش و كان ممن أعان على عثمان فيو اختلف هل باشر قتل عثمان أم لا و من ولد محمد القاسم بن محمد بن أبي بكر فقيه الحجاز و فاضلها و من ولد القاسم عبد الرحمن بن القاسم بن محمد كان من فضلاء قريش و يكنى أبا محمد **5,6- و من ولد القاسم أيضا أم فروة تزوجها 5الباقر أبو جعفر محمد بن علي فأولدها 6الصادق أبا عبد الله جعفر بن محمد ع .** و إلى أم فروة أشار الرضي أبو الحسن بقوله

يفاخرنا قوم بمن لم نلدهم # بتيم إذا عد السوابق أو عدي [1] و ينسون من لو قدموه لقدموا # عذار جواد في الجياد مقلد

فتى هاشم بعد 14النبي و باعها # لمرمي علا أو نيل مجد و سؤدد

و لو لا 1علي ما علوا سرواتها # و لا جعجعوا فيها بمرعى و مورد

أخذنا عليكم 14بالنبي و 15فاطم # طلاع المساعي من مقام و مقعد

و طلنا بسبطي 14أحمد و وصيه # رقاب الورى من متهمين و منجد

و حزنا عتيقا و هو غاية فخركم # بمولد بنت القاسم بن محمد

فجد نبي ثم جد خليفة # فأكرم بجدينا عتيق و 14أحمد

و ما افتخرت بعد 14النبي بغيره # يد صفقت يوم البياع على يد.

قوله

و لو لا 1علي ما علوا سرواتها

البيت ينظر فيه إلى قول المأمون في أبيات يمدح فيها 1عليا أولها

الأم على حبي الوصي 1أبا الحسن # و ذلك عندي من أعاجيب ذا الزمن.

و البيت المنظور إليه منها قوله

(1) ديوانه لوحة 91.

و لولاه ما عدت لهاشم إمرة # و كان مدى الأيام يعصى و يمتهن

هاشم بن عتبة بن أبي وقاص و نسبه (1) -

و أما **هاشم بن عتبة** بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب فعمه سعد بن أبي وقاص أحد العشرة و أبوه عتبة بن أبي وقاص الذي كسر رباعية [1] 14رسول الله ص و كلم شفتيه و شج وجهه فجعل يمسح الدم عن وجهه **14- و يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه 14نبيهم بالدم و هو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله عز و جل لَيْسَ لَكَ مِنَ اَلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ [2] .** و قال حسان بن ثابت في ذلك اليوم

إذا الله حيا معشرا بفعالهم # و نصرهم الرحمن رب المشارق [3] فهدك ربي يا عتيب بن مالك # و لقاك قبل الموت إحدى الصواعق [4] بسطت يمينا للنبي 14محمد [5] # فدميت فاه قطعت بالبوارق [6] فهلا ذكرت الله و المنزل الذي [7] # تصير إليه عند إحدى الصعائق

فمن عاذري من عبد عذرة بعد ما # هوى في دجوجي شديد المضايق [8] _____

(1) الرباعية: السن التي بين الثنية و الناب.
(2) سورة آل عمران 128.
(3) ديوانه 291.
(4) الديوان: «فأخزاك ربى» .
(5) الديوان: «للنبى برمية» .
(6) البوارق: السيوف.
(7) الديوان: «فهلا خشيت اللّه» .
(8) لم يذكر في الديوان.

و أورث عارا في الحياة لأهله # و في النار يوم البعث أم البوائق [1] .

و إنما قال عبد عذرة لأن عتبة بن أبي وقاص و إخوته و أقاربه في نسبهم كلام ذكر قوم من أهل النسب أنهم من عذرة و أنهم أدعياء في قريش و لهم خبر معروف و قصة مذكورة في كتب النسب .

17- و تنازع عبد الله بن مسعود و سعد بن أبي وقاص في أيام عثمان في أمر فاختصما فقال سعد لعبد الله اسكت يا عبد هذيل فقال له عبد الله اسكت يا عبد عذرة . و هاشم بن عتبة هو المرقال سمي المرقال لأنه كان يرقل في الحرب إرقالا و هو من شيعه 1علي و سنفصل [2] مقتله إذا انتهينا إلى فصل من كلامه يتضمن ذكر فأما قوله **لما خلى لهم العرصة** فيعني عرصة مصر و قد كان محمد رحمه الله تعالى لما ضاق عليه الأمر ترك لهم مصر و ظن أنه بالفرار ينجو بنفسه فلم ينج و أخذ و قتل (2) - .

و قوله **و لا أنهزهم الفرصة** أي و لا جعلهم للفرصة منتهزين و الهمزة للتعدية يقال أنهزت الفرصة إذا أنهزتها غيري .

و نحن نذكر في هذا الموضع ابتداء أمر الذين ولاهم 1علي ع مصر إلى أن ننتهي إلى كيفية ملك معاوية لها و قتل محمد بن أبي بكر و ننقل ذلك من كتاب إبراهيم بن سعد بن هلال الثقفي و هو كتاب الغارات

---

(1) رواية الديوان:

لقد كان حربا في الحياة لقومه # و في البعث بعد الموت إحدى العوائق.

(2) ا: «و سنذكر» .

ولاية قيس بن سعد على مصر ثم عزله

1,2,3- قال إبراهيم حدثنا محمد بن عبد الله بن عثمان الثقفي قال حدثني علي بن محمد بن أبي سيف عن الكلبي أن محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس هو الذي حرض المصريين على قتل عثمان و ندبهم إليه و كان حينئذ بمصر فلما ساروا إلى عثمان و حصروه وثب هو بمصر على عامل عثمان عليها و هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح أحد بني عامر بن لؤي فطرده عنها و صلى بالناس فخرج ابن أبي سرح من مصر و نزل على تخوم أرضها مما يلي فلسطين و انتظر ما يكون من أمر عثمان فطلع عليه راكب فقال له يا عبد الله ما وراءك ما خبر الناس بالمدينة قال قتل المسلمون عثمان فقال ابن أبي سرح إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ثم صنعوا ما ذا يا عبد الله قال بايعوا ابن عم 14رسول الله 1علي بن أبي طالب فقال ثانية إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ فقال الرجل أرى أن ولاية 1علي عدلت عندك قتل عثمان قال أجل فنظر إليه متأملا له فعرفه فقال أظنك عبد الله بن سعد بن أبي سرح أمير مصر قال أجل قال إن كانت لك في الحياة حاجة فالنجاء النجاء فإن رأي 1علي فيك و في أصحابك إن ظفر بكم قتلكم أو نفاكم عن بلاد المسلمين و هذا أمير تقدم بعدي عليكم قال و من الأمير قال قيس بن سعد بن عبادة فقال ابن أبي سرح [1] أبعد الله [1] ابن أبي حذيفة فإنه بغى على ابن عمه و سعى عليه و قد كان كفله و رباه و أحسن إليه و أمن جواره فجهز الرجال إليه حتى قتل و وثب على عامله .

و خرج ابن أبي سرح حتى قدم على معاوية بدمشق .

قال إبراهيم و كان قيس بن سعد بن عبادة من شيعة 1علي و مناصحيه [2] فلما ولى الخلافة قال له سر إلى مصر فقد وليتكها و اخرج إلى ظاهر المدينة و اجمع ثقاتك و من

(1-1) ساقط من ب.

(2) ج: «و ناصحيه» .

58

أحببت أن يصحبك حتى تأتي مصر و معك جند فإن ذلك أرعب لعدوك و أعز لوليك فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن و اشتد [1] على المريب و ارفق بالعامة و الخاصة فالرفق يمن . فقال قيس رحمك الله يا 1أمير المؤمنين قد فهمت ما ذكرت فأما الجند فإني أدعه لك فإذا احتجت إليهم كانوا قريبا منك و إن أردت بعثهم إلى وجه من وجوهك كان لك عدة و لكني أسير إلى مصر بنفسي و أهل بيتي و أما ما أوصيتني به من الرفق و الإحسان فالله تعالى هو المستعان على ذلك قال فخرج قيس في سبعة نفر من أهله حتى دخل مصر فصعد المنبر و أمر بكتاب معه يقرأ على الناس فيه من عبد الله 1علي أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي هذا من المسلمين سلام عليكم فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو ـأما بعد فإن الله بحسن صنعه و قدره و تدبيره اختار الإسلام دينا لنفسه و ملائكته و رسله و بعث به أنبياءه إلى عباده فكان مما أكرم الله عز و جل به هذه الأمة و خصهم به من الفضل أن بعث 14محمدا ص إليهم فعلمهم الكتاب و الحكمة و السنة و الفرائض و أدبهم لكيما يهتدوا و جمعهم لكيلا يتفرقوا و زكاهم لكيما يتطهروا فلما قضى من ذلك ما عليه قبضه الله إليه فعليه صلوات الله و سلامه و رحمته و رضوانه ثم إن المسلمين من بعده استخلفوا أميرين منهم صالحين فعملا بالكتاب و السنة و أحييا السيرة و لم يعدوا السنة ثم توفيا رحمهما الله فولي بعدهما وال أحدث أحداثا فوجدت الأمة عليه مقالا فقالوا ثم نقموا فغيروا ثم جاءوني فبايعوني و أنا أستهدي الله الهدى و أستعينه على التقوى ألا و إن لكم علينا العمل بكتاب الله و سنة 14رسوله و القيام بحقه و النصح لكم بالغيب **وَ اَللَّهُ اَلْمُسْتَعَانُ عَلىَ مَا تَصِفُونَ** و **حَسْبُنَا اَللَّهُ وَ نِعْمَ اَلْوَكِيلُ**

---

(1) ب: «و اشدد» .

و قد بعثت لكم قيس بن سعد الأنصاري أميرا فوازروه و أعينوه على الحق و قد أمرته بالإحسان إلى محسنكم و الشدة على مريبكم و الرفق بعوامكم و خواصكم و هو ممن أرضى هديه و أرجو صلاحه و نصحه نسأل الله لنا و لكم عملا زاكيا و ثوابا جزيلا و رحمة واسعة و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته . و كتبه عبد الله بن أبي رافع في صفر سنة ست و ثلاثين .

قال إبراهيم فلما فرغ من قراءة الكتاب قام قيس خطيبا فحمد الله و أثنى عليه و قال الحمد لله الذي جاء بالحق و أمات الباطل و كبت الظالمين أيها الناس إنا بايعنا خير من نعلم من بعد نبينا 14محمد ص فقوموا فبايعوا على كتاب الله و سنة 14رسوله فإن نحن لم نعمل بكتاب الله و سنة 14رسوله فلا بيعة لنا عليكم .

فقام الناس فبايعوا و استقامت مصر و أعمالها لقيس و بعث عليها عماله إلا أن قرية منها قد أعظم أهلها قتل عثمان و بها رجل من بني كنانة يقال له يزيد بن الحارث فبعث إلى قيس إنا لا نأتيك فابعث عمالك فالأرض أرضك و لكن أقرنا على حالنا حتى ننظر إلى ما يصير أمر الناس .

و وثب محمد بن مسلمة بن مخلد بن صامت الأنصاري فنعى عثمان و دعا إلى الطلب بدمه فأرسل إليه قيس ويحك أ علي تثب و الله ما أحب أن لي ملك الشام و مصر و أني قتلتك فاحقن دمك فأرسل إليه مسلمة إني كاف عنك ما دمت أنت والي مصر . و كان قيس بن سعد ذا رأي و حزم فبعث إلى الذين اعتزلوا أني لا أكرهكم على البيعة و لكني أدعكم و أكف عنكم فهادنهم و هادن مسلمة بن مخلد و جبى الخراج و ليس أحد ينازعه .

60

قال إبراهيم و خرج 1علي ع إلىو قيس على مصر و رجع من البصرة إلى الكوفة و هو بمكانه فكان أثقل خلق الله على معاوية لقرب مصر و أعمالها من الشام و مخافة أن يقبل 1علي بأهل العراق و يقبل إليه قيس بأهل مصر فيقع بينهما .

فكتب معاوية إلى قيس و 1علي يومئذ بالكوفة قبل أن يسير إلىمن معاوية بن أبي سفيان إلى قيس بن سعد سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو .

أما بعد فإنكم إن كنتم نقمتم على عثمان في أثرة رأيتموها أو ضربة سوط ضربها أو في شتمه رجلا أو تعييره واحدا أو في استعماله الفتيان من أهله فإنكم قد علمتم إن كنتم تعلمون أن دمه لم يحل لكم بذلك فقد ركبتم عظيما من الأمر و **جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا** فتب يا قيس إلى ربك إن كنت من المجلبين على عثمان إن كانت التوبة قبل الموت تغني شيئا و أما 1صاحبك فقد استيقنا أنه أغرى الناس بقتله و حملهم على قتله حتى قتلوه و أنه لم يسلم من دمه عظم قومك فإن استطعت يا قيس أن تكون ممن يطلب بدم عثمان فافعل و تابعنا على 1علي في أمرنا هذا و لك سلطان العراقين إن أنا ظفرت ما بقيت و لمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز ما دام لي سلطان و سلني عن غير هذا مما تحب فإنك لا تسألني شيئا إلا أتيته و اكتب إلى رأيك فيما كتبت إليك .

فلما جاء إليه كتاب معاوية أحب أن يدافعه و لا يبدي له أمره و لا يعجل له حربه فكتب إليه أما بعد فقد وصل إلي كتابك و فهمت الذي ذكرت من أمر عثمان و ذلك أمر لم أقاربه و ذكرت أن 1صاحبي هو الذي أغرى الناس بعثمان و دسهم إليه حتى قتلوه و هذا أمر لم أطلع عليه و ذكرت لي أن عظم عشيرتي لم تسلم من دم عثمان فلعمري إن أولى

61

الناس كان في أمره عشيرتي و أما ما سألتني من مبايعتك على الطلب بدمه و ما عرضته علي فقد فهمته و هذا أمر لي نظر فيه و فكر و ليس هذا مما يعجل إلى مثله و أنا كاف عنك و ليس يأتيك من قبلي شيء تكرهه حتى ترى و نرى إن شاء الله تعالى و السلام عليك و رحمة الله و بركاته .

قال إبراهيم فلما قرأ معاوية كتابه لم يره إلا مقاربا مباعدا و لم يأمن أن يكون له في ذلك مخادعا مكايدا فكتب إليه أما بعد فقد قرأت كتابك فلم أرك تدنو فأعدك سلما و لم أرك تتباعد فأعدك حربا أراك كحبل الجرور و ليس مثلي يصانع بالخداع و لا يخدع بالمكايد و معه عدد الرجال و أعنة الخيل فإن قبلت الذي عرضت عليك فلك ما أعطيتك و إن أنت لم تفعل ملأت مصر عليك خيلا و رجلا و السلام .

فلما قرأ قيس كتابه و علم أنه لا يقبل منه المدافعة و المطاولة أظهر له ما في نفسه فكتب إليه من قيس بن سعد إلى معاوية بن أبي سفيان أما بعد فالعجب من استسقاطك رأيي و الطمع في أن تسومني لا أبا لغيرك الخروج من طاعة أولى الناس بالأمر و أقولهم بالحق و أهداهم سبيلا و أقربهم من 14رسول الله وسيلة و تأمرني بالدخول في طاعتك و طاعة أبعد الناس من هذا الأمر و أقولهم بالزور و أضلهم سبيلا و أدناهم من 14رسول الله وسيلة و لديك قوم ضالون مضلون طواغيت من طواغيت إبليس و أما قولك إنك تملأ علي مصر خيلا و رجلا فلئن لم أشغلك عن ذلك حتى يكون منك إنك لذو جد و السلام .

فلما أتى معاوية كتاب قيس أيس و ثقل مكانه عليه و كان [1] أن يكون مكانه غيره أحب إليه لما يعلم من قوته و تأبيه [2] و نجدته و اشتداد أمره على معاوية فأظهر للناس أن

---

(1) ج: «و رأى» .
(2) ج: «و بأسه» .

62

قيسا قد بايعكم فادعوا الله له و قرأ عليهم كتابه الذي لان فيه و قاربه و اختلق كتابا نسبه إلى قيس فقرأه على أهل الشام .

للأمير معاوية بن أبي سفيان من قيس بن سعد .

أما بعد إن قتل عثمان كان حدثا في الإسلام عظيما و قد نظرت لنفسي و ديني فلم أر يسعني مظاهرة قوم قتلوا إمامهم مسلما محرما برا تقيا فنستغفر الله سبحانه لذنوبنا و نسأله العصمة لديننا ألا و إني قد ألقيت إليكم بالسلام و أجبتك إلى قتال قتلة إمام الهدى المظلوم فاطلب مني ما أحببت من الأموال و الرجال أعجله إليك إن شاء الله و السلام على الأمير و رحمة الله و بركاته .

قال فشاع في الشام كلها أن قيسا صالح معاوية و أتت عيون 1علي بن أبي طالب إليه بذلك فأعظمه و أكبره و تعجب له و دعا ابنيه 2حسنا و 3حسينا و ابنه محمدا و عبد الله بن جعفر فأعلمهم بذلك و قال ما رأيكم فقال عبد الله بن جعفر يا 1أمير المؤمنين دع ما يريبك إلى ما لا يريبك اعزل قيسا عن مصر قال 1علي و الله إني غير مصدق بهذا على قيس فقال عبد الله اعزله يا 1أمير المؤمنين فإن كان ما قد قيل حقا فلا يعتزل لك أن عزلته قال و إنهم لكذلك إذ جاءهم كتاب من قيس بن سعد فيه أما بعد فإني أخبر يا 1أمير المؤمنين أكرمك الله و أعزك إن قبلي رجالا معتزلين سألوني أن أكف عنهم و أدعهم على حالهم حتى يستقيم أمر الناس فنرى و يرون و قد رأيت أن أكف عنهم و لا أعجل بحربهم و أن أتألفهم فيما بين ذلك لعل الله أن يقبل بقلوبهم و يفرقهم عن ضلالتهم إن شاء الله و السلام .

فقال عبد الله بن جعفر يا 1أمير المؤمنين إنك إن أطعته في تركهم و اعتزالهم استشرى الأمر و تفاقمت الفتنة و قعد عن بيعتك كثير ممن تريده على الدخول فيها و لكن مره بقتالهم فكتب إليه

أما بعد فسر إلى القوم الذين ذكرت فإن دخلوا فيما دخل فيه المسلمون و إلا فناجزهم و السلام ـقال فلما أتى هذا الكتاب قيسا فقرأه لم يتمالك أن كتب إلى 1علي أما بعد يا 1أمير المؤمنين تأمرني بقتال قوم كافين عنك و لم يمدوا يدا للفتنة و لا أرصدوا لها فأطعني يا 1أمير المؤمنين و كف عنهم فإن الرأي تركهم و السلام .

فلما أتاه هذا الكتاب قال عبد الله بن جعفر يا 1أمير المؤمنين ابعث محمد بن أبي بكر إلى مصر يكفك أمرها و اعزل قيسا فو الله لبلغني أن قيسا يقول إن سلطانا لا يتم إلا بقتل مسلمة بن مخلد لسلطان سوء و الله ما أحب أن لي سلطان الشام مع سلطان مصر و أنني قتلت ابن مخلد و كان عبد الله بن جعفر أخا محمد بن أبي بكر لأمه و كان يحب أن يكون له إمرة و سلطان فاستعمل 1علي ع محمد بن أبي بكر على مصر لمحبة له و لهوى عبد الله بن جعفر أخيه فيه و كتب معه كتابا إلى أهل مصر فسار حتى قدمها فقال له قيس ما بال 1أمير المؤمنين ما غيره أ دخل أحد بيني و بينه قال لا و هذا السلطان سلطانك و كان بينهما نسب كان تحت قيس قريبة بنت أبي قحافة أخت أبي بكر الصديق فكان قيس زوج عمته فقال قيس لا و الله لا أقيم معك ساعة واحدة و غضب حين عزله 1علي عنها و خرج منها مقبلا إلى المدينة و لم يمض إلى 1علي بالكوفة .

قال إبراهيم و كان قيس مع شجاعته و نجدته جوادا مفضالا فحدثني علي بن محمد بن أبي سيف عن هاشم عن عروة عن أبيه قال لما خرج قيس بن سعد من مصر فمر بأهل بيت من بلقين فنزل بمائهم فنحر له صاحب المنزل جزورا و أتاه بها فلما كان الغد نحر له أخرى ثم حبستهم السماء اليوم الثالث فنحر لهم ثالثة ثم إن السماء أقلعت

فلما أراد قيس أن يرتحل وضع عشرين ثوبا من ثياب مصر و أربعة آلاف درهم عند امرأة الرجل و قال لها إذا جاء صاحبك فادفعي هذه إليه ثم رحل فما أتت عليه إلا ساعة حتى لحقه الرجل صاحب المنزل على فرس و معه رمح و الثياب و الدراهم بين يديه فقال يا هؤلاء خذوا ثيابكم و دراهمكم فقال قيس انصرف أيها الرجل فإنا لم نكن لنأخذها قال و الله لتأخذنها فقال قيس لله أبوك أ لم تكرمنا و تحسن ضيافتنا فكافأناك فليس بهذا بأس فقال الرجل إنا لا نأخذ لقرى الأضياف ثمنا و الله لا آخذها أبدا فقال قيس أما إذ أبى ألا يأخذها فخذوها [1] فو الله ما فضلني رجل من العرب غيره .

قال إبراهيم و قال أبو المنذر مر قيس في طريقه برجل من بلي يقال له الأسود بن فلان فأكرمه فلما أراد قيس أن يرتحل وضع عند امرأته ثيابا و دراهم فلما جاء الرجل دفعته إليه فلحقه فقال ما أنا بائع ضيافتي و الله لتأخذن هذا أو لأنفذن الرمح بين جنبيك فقال قيس ويحكم خذوه .

قال إبراهيم ثم أقبل قيس حتى قدم المدينة فجاءه حسان بن ثابت شامتا به و كان عثمانيا فقال له نزعك 1علي بن أبي طالب و قد قتلت عثمان فبقي عليك الإثم و لم يحسن لك الشكر فزجره قيس و قال يا أعمى القلب يا أعمى البصر و الله لو لا ألقي بين رهطي و رهطك حربا لضربت عنقك ثم أخرجه من عنده .

قال إبراهيم ثم إن قيسا و سهل بن حنيف خرجا حتى قدما على 1علي الكوفة فخبره قيس الخبر و ما كان بمصر فصدقه و شهد مع 1علي هو و سهل بن حنيف قال إبراهيم و كان قيس طوالا أطول الناس و أمدهم قامة و كان [2] سناطا أصلع شيخا شجاعا مجربا مناصحا 1لعلي و لولده و لم يزل على ذلك إلى أن مات . .

---

(1) ساقطة من ب.
(2) السناط: الذي لا لحية له.

17- قال إبراهيم حدثني أبو غسان قال أخبرني علي بن أبي سيف قال كان قيس بن سعد مع أبي بكر و عمر في سفر في حياة 14رسول الله ص فكان ينفق عليهما و على غيرهما و يفضل فقال له أبو بكر إن هذا لا يقوم به مال أبيك فأمسك يدك فلما قدموا من سفرهم قال سعد بن عبادة لأبي بكر أردت أن تبخل ابني إنا لقوم لا نستطيع البخل .

قال و كان قيس بن سعد يقول في دعائه اللهم ارزقني حمدا و مجدا و شكرا فإنه لا حمد إلا بفعال و لا مجد إلا بمال اللهم وسع علي فإن القليل لا يسعني و لا أسعه.

ولاية محمد بن أبي بكر على مصر و أخبار مقتله

1- قال إبراهيم و كان عهد 1علي إلى محمد بن أبي بكر الذي قرئ بمصر هذا ما عهد عبد الله 1علي أمير المؤمنين إلى محمد بن أبي بكر حين ولاه مصر أمره بتقوى الله في السر و العلانية و خوف الله تعالى في المغيب و المشهد و أمره باللين على المسلم و الغلظ على الفاجر و بالعدل على أهل الذمة و بالإنصاف للمظلوم و بالشدة على الظالم و بالعفو عن الناس و بالإحسان ما استطاع و الله يجزي المحسنين و أمره أن يدعو من قبله إلى الطاعة و الجماعة فإن لهم في ذلك من العاقبة و عظم المثوبة ما لا يقدر قدره و لا يعرف كنهه و أمره أن يجبي خراج الأرض على ما كانت تجبى عليه من قبل و لا ينتقص و لا يبتدع ثم يقسمه بين أهله كما كانوا يقسمونه عليه من قبل و إن تكن لهم حاجة يواس بينهم في مجلسه و وجهه ليكون القريب و البعيد عنده على سواء و أمره أن يحكم بين الناس بالحق و أن يقوم بالقسط و لا يتبع الهوى و لا يخاف في الله لومة لائم فإن الله مع من اتقاه و آثر طاعته على من سواه [1]

(1) من ا، ج.

و كتبه عبد الله بن أبي رافع مولى 14رسول الله لغرة شهر رمضان سنة ست و ثلاثين .

قال إبراهيم ثم قام محمد بن أبي بكر خطيبا فحمد الله و أثنى عليه و قال أما بعد فالحمد لله الذي هدانا و إياكم لما اختلف فيه من الحق و بصرنا و إياكم كثيرا مما عمي عند الجاهلون ألا و إن 1أمير المؤمنين ولاني أموركم و عهد إلي بما سمعتم و أوصاني بكثير منه مشافهة و لن آلوكم خيرا **مَا اِسْتَطَعْتُ وَ مَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ** فإن يكن ما ترون آثاري و أعمالي طاعة لله و تقوى فاحمدوا الله على ما كان من ذلك فإنه هو الهادي إليه فإن رأيتم من ذلك عملا بغير الحق فارفعوه إلي و عاتبوني عليه فإني بذلك أسعد و أنتم بذلك جديرون وفقنا الله و إياكم لصالح العمل . . **1,14- قال إبراهيم و حدثني يحيى بن صالح عن مالك بن خالد الأسدي عن الحسن بن إبراهيم عن عبد الله بن الحسن بن الحسن قال كتب 1علي ع إلى أهل مصر لما بعث محمد بن أبي بكر إليهم كتابا يخاطبهم به [1] و يخاطب محمدا أيضا فيه: أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله في سر أمركم و علانيته و على أي حال كنتم عليها و ليعلم المرء منكم أن الدنيا دار بلاء و فناء و الآخرة دار جزاء و بقاء فمن استطاع أن يؤثر ما يبقى على ما يفنى فليفعل فإن الآخرة تبقى و الدنيا تفنى رزقنا الله و إياكم بصرا لما بصرنا و فهما لما فهمنا حتى لا نقصر عما أمرنا و لا نتعدى إلى ما نهانا و اعلم يا محمد إنك و إن كنت محتاجا إلى نصيبك من الدنيا إلا أنك إلى نصيبك من الآخرة أحوج فإن عرض لك أمران أحدهما للآخرة و الآخر للدنيا فابدأ بأمر الآخرة و لتعظم رغبتك في الخير و لتحسن فيه نيتك فإن الله عز و جل يعطي العبد على قدر نيته و إذا أحب الخير و أهله و لم يعمله كان إن شاء الله كمن عمله فإن 14رسول الله ص قال حين رجع منإن بالمدينة لأقواما ما سرتم من مسير و لا هبطتم من واد إلا**

(1) ب: «فيه» ، و ما أثبته عن ا، ج.

كانوا معكم ـما حبسهم إلا المرض يقول كانت لهم نية ثم اعلم يا محمد إني قد وليتك أعظم أجنادي أهل مصر و وليتك ما وليتك من أمر الناس فأنت محقوق أن تخاف فيه على نفسك و تحذر فيه على دينك و لو كان ساعة من نهار فإن استطعت ألا تسخط ربك لرضا أحد من خلقه فافعل فإن في الله خلفا من غيره و ليس في شيء خلف منه فاشتد على الظالم و لن لأهل الخير و قربهم إليك و اجعلهم بطانتك و إخوانك و السلام .

1,14- قال إبراهيم حدثني يحيى بن صالح عن مالك بن خالد عن الحسن بن إبراهيم عن عبد الله بن الحسن بن الحسن قال كتب 1علي إلى محمد بن أبي بكر و أهل مصر أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله و العمل بما أنتم عنه مسئولون فأنتم به رهن و إليه صائرون فإن الله عز و جل يقول كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (1) و قال وَ يُحَذِّرُكُمُ اَللَّهُ نَفْسَهُ وَ إِلَى اَللَّهِ اَلْمَصِيرُ (2) و قال فَوَ رَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ `عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (3) فاعلموا عباد الله أن الله سائلكم عن الصغير من أعمالكم و الكبير فإن يعذب فنحن الظالمون و إن يغفر و يرحم ف هُوَ أَرْحَمُ اَلرَّاحِمِينَ* و اعلموا أن أقرب ما يكون العبد إلى الرحمة و المغفرة حينما يعمل بطاعة الله و مناصحته في التوبة فعليكم بتقوى الله عز و جل فإنها تجمع من الخير ما لا يجمع غيرها و يدرك بها من الخير ما لا يدرك بغيرها خير الدنيا و خير الآخرة يقول الله سبحانه وَ قِيلَ لِلَّذِينَ اِتَّقَوْا مَا ذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْراً لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ اَلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَ لَدَارُ اَلْآخِرَةِ خَيْرٌ وَ لَنِعْمَ دَارُ اَلْمُتَّقِينَ (4) و اعلموا عباد الله أن المؤمنين المتقين قد ذهبوا بعاجل الخير و آجله شركوا أهل الدنيا في دنياهم

---

(1) سورة المدّثّر 38.
(2) سورة آل عمران 28.
(3) سورة الحجر 92، 93.
(4) سورة النحل 30.

و لم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم يقول الله عز و جل **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اَللَّهِ اَلَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ اَلطَّيِّبَاتِ مِنَ اَلرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي اَلْحَيَاةِ اَلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ** [1] سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت و أكلوها بأفضل ما أكلت شاركوا أهل الدنيا في دنياهم فأكلوا من أفضل ما يأكلون و شربوا من أفضل ما يشربون و يلبسون من أفضل ما يلبسون و يسكنون من أفضل ما يسكنون أصابوا لذة أهل الدنيا مع أهل الدنيا مع أنهم غدا من جيران الله عز و جل يتمنون عليه لا يرد لهم دعوة و لا ينقص لهم لذة أما في هذا ما يشتاق إليه من كان له عقل و اعلموا عباد الله أنكم إذا اتقيتم ربكم و حفظتم 14نبيكم في أهل بيته فقد عبدتموه بأفضل ما عبد و ذكرتموه بأفضل ما ذكر و شكرتموه بأفضل ما شكر و أخذتم بأفضل الصبر و جاهدتم بأفضل الجهاد و إن كان غيركم أطول صلاة منكم و أكثر صياما إذا كنتم أتقى لله و أنصح لأولياء الله من آل محمد ص و أخشع و احذروا عباد الله الموت و نزوله و خذوله فإنه يدخل بأمر عظيم خير لا يكون معه شر أبدا أو شر لا يكون معه خير أبدا و ليس أحد من الناس يفارق روحه جسده حتى يعلم إلى أي المنزلتين يصير إلى الجنة أم إلى النار أ عدو هو لله أم ولي له فإن كان وليا فتحت له أبواب الجنة و شرع له طريقها و نظر إلى ما أعد الله عز و جل لأوليائه فيها فرغ من كل شغل و وضع عنه كل ثقل و إن كان عدوا فتحت له أبواب النار و سهل له طريقها و نظر إلى ما أعد الله فيها لأهلها و استقبل كل مكروه و فارق كل سرور قال الله تعالى **اَلَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ اَلْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا اَلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلىَ إِنَّ اَللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ `فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى اَلْمُتَكَبِّرِينَ** [2] و اعلموا عباد الله أن الموت ليس منه فوت فاحذروه و أعدوا له عدته فإنكم

(1) سورة الأعراف 32.
(2) سورة النحل 28، 29.

طرداء للموت إن قمتم أخذكم و إن هربتم أدرككم و هو ألزم لكم من ظلكم معقود بنواصيكم و الدنيا تطوى من خلفكم فأكثروا ذكر الموت عند ما تنازعكم إليه أنفسكم من الشهوات فإنه كفى بالموت واعظا قال 14رسول الله ص أكثروا ذكر الموت فإنه هادم اللذات [1] و اعلموا عباد الله أن ما بعد الموت أشد من الموت لمن لم يغفر الله له و يرحمه و احذروا القبر و ضمته و ضيقه و ظلمته فإنه الذي يتكلم كل يوم أنا بيت التراب و أنا بيت الغربة و أنا بيت الدود و القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار إن المسلم إذا مات قالت له الأرض مرحبا و أهلا قد كنت ممن أحب أن تمشي على ظهري فإذ وليتك فستعلم كيف صنعي بك فيتسع له مد بصره و إذا دفن الكافر قالت له الأرض لا مرحبا و لا أهلا قد كنت ممن أبغض أن تمشي على ظهري فإذ وليتك فستعلم كيف صنعي بك فتنضم عليه حتى تلتقي أضلاعه و اعلموا أن المعيشة الضنك التي قال سبحانه **فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً** [2] هي عذاب القبر فإنه يسلط على الكافر في قبره حيات عظام تنهش لحمه حتى يبعث لو أن تنينا منها نفخ الأرض ما أنبت الزرع أبدا اعلموا عباد الله أن أنفسكم و أجسادكم الرقيقة الناعمة التي يكفيها اليسير من العقاب ضعيفة عن هذا فإن استطعتم أن ترحموا أنفسكم و أجسادكم مما لا طاقة لكم به و لا صبر لكم عليه فتعملوا بما أحب الله سبحانه و تتركوا ما كره فافعلوا و لا حول و لا قوة إلا بالله و اعلموا عباد الله أن ما بعد القبر أشد من القبر يوم يشيب فيه الصغير و يسكر فيه

---

(1) هاذم: قاطع، و بقية الحديث: «فإنه لا يكون في كثير إلاّ قلله، و لا في قليل إلاّ أجزله» ، نقله في الجامع الصغير 1: 90.
(2) سورة طه 124.

الكبير و **تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ** و احذروا **يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً** ... **كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً** أما إن شر ذلك اليوم و فزعه استطار حتى فزعت منه الملائكة الذين ليست لهم ذنوب و السبع الشداد و الجبال الأوتاد و الأرضون المهاد **وَ اِنْشَقَّتِ اَلسَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ** و تغيرت **فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ** و كانت الجبال سرابا بعد ما كانت صما صلابا يقول الله سبحانه **وَ نُفِخَ فِي اَلصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي اَلسَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي اَلْأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اَللَّهُ** [1] فكيف بمن يعصيه بالسمع و البصر و اللسان و اليد و الفرج و البطن إن لم يغفر الله و يرحم و اعلموا عباد الله أن ما بعد ذلك اليوم أشد و أدهى نار قعرها بعيد و حرها شديد و عذابها جديد و مقامعها حديد و شرابها صديد لا يفتر عذابها و لا يموت ساكنها دار ليست لله سبحانه فيها رحمة و لا يسمع فيها دعوة و مع هذا رحمة الله التي **وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** لا تعجز عن العباد و جنة **عَرْضُهَا كَعَرْضِ اَلسَّمَاءِ وَ اَلْأَرْضِ** خير لا يكون بعده شر أبدا و شهوة لا تنفد أبدا و لذة لا تفنى أبدا و مجمع لا يتفرق أبدا قوم قد جاوروا الرحمن و قام بين أيديهم الغلمان **بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ** فيها الفاكهة و الريحان و إن أهل الجنة يزورون الجبار سبحانه في كل جمعة فيكون أقربهم منه على منابر من نور و الذين يلونهم على منابر من ياقوت و الذين يلونهم على منابر من مسك فبينا هم كذلك ينظرون الله جل جلاله و ينظر الله في وجوههم إذ أقبلت سحابة تغشاهم فتمطر عليهم من النعمة و اللذة و السرور و البهجة ما لا يعلمه إلا الله سبحانه و مع هذا ما هو أفضل منه رضوان الله الأكبر أما إنا لو لم نخوف إلا ببعض ما خوفنا به لكنا محقوقين أن يشتد خوفنا مما لا طاقة

---

(1) سورة الزمر 68.

لنا به و لا صبر لقوتنا عليه و أن يشتد شوقنا إلى ما لا غنى لنا عنه و لا بد لنا منه فإن استطعتم عباد الله أن يشتد خوفكم من ربكم فافعلوا فإن العبد إنما تكون طاعته على قدر خوفه و إن أحسن الناس لله طاعة أشدهم له خوفا و انظر يا محمد صلاتك كيف تصليها فإنما أنت إمام ينبغي لك أن تتمها و أن تخففها و أن تصليها لوقتها فإنه ليس من إمام يصلى بقوم فيكون في صلاته و صلاتهم نقص إلا كان إثم ذلك عليه و لا ينقص من صلاتهم شيئا و اعلم أن كل شيء من عملك يتبع صلاتك فمن ضيع الصلاة فهو لغيرها أشد تضييعا و وضوءك من تمام الصلاة فأت به على وجهه فالوضوء نصف الإيمان أسأل الله الذي يرى و لا يرى و هو بالمنظر الأعلى أن يجعلنا و إياك من المتقين الذين **لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** فإن استطعتم يا أهل مصر أن تصدق أقوالكم أفعالكم و أن يتوافق سركم و علانيتكم و لا تخالف ألسنتكم قلوبكم فافعلوا عصمنا الله و إياكم بالهدى و سلك بنا و بكم المحجة الوسطى و إياكم و دعوة الكذاب ابن هند و تأملوا و اعلموا أنه لا سوى إمام الهدى و إمام الردى و وصي 14النبي و عدو 14النبي جعلنا الله و إياكم ممن يحب و يرضى و لقد سمعت 14رسول الله ص يقول إني لا أخاف على أمتي مؤمنا و لا مشركا أما المؤمن فيمنعه الله بإيمانه و أما المشرك فيخزيه الله بشركه و لكني أخاف عليهم كل منافق اللسان يقول ما تعرفون و يفعل ما تنكرون و اعلم يا محمد أن أفضل الفقه الورع في دين الله و العمل بطاعته فعليك بالتقوى في سر أمرك و علانيته أوصيك بسبع هن جوامع الإسلام اخش الله و لا تخش الناس في الله و خير القول ما صدقه العمل و لا تقض في أمر واحد بقضاءين مختلفين فيتناقض

أمرك و تزيغ عن الحق و أحب لعامة رعيتك ما تحبه لنفسك و اكره لهم ما تكره لنفسك و أصلح أحوال رعيتك و خض الغمرات إلى الحق و لا تخف لومة لائم و انصح لمن استشارك و اجعل نفسك أسوة لقريب المسلمين و بعيدهم جعل الله خلتنا و ودنا خلة المتقين و ود المخلصين و جمع بيننا و بينكم في دار الرضوان **إِخْوَاناً عَلىَ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ** إن شاء الله . **1- قال إبراهيم بن سعد الثقفي فحدثني عبد الله بن محمد بن عثمان عن علي بن محمد بن أبي سيف عن أصحابه أن 1عليا لما كتب إلى محمد بن أبي بكر هذا الكتاب كان ينظر فيه و يتأدب بأدبه فلما ظهر عليه عمرو بن العاص و قتله أخذ كتبه أجمع فبعث بها إلى معاوية فكان معاوية ينظر في هذا الكتاب و يتعجب منه فقال الوليد بن عقبة و هو عند معاوية و قد رأى إعجابه به مر بهذه الأحاديث أن تحرق فقال معاوية مه لا رأي لك فقال الوليد أ فمن الرأي أن يعلم الناس أن أحاديث 1أبي تراب عندك تتعلم [1] منها قال معاوية ويحك أ تأمرني أن أحرق علما مثل هذا و الله ما سمعت بعلم هو أجمع منه و لا أحكم فقال الوليد إن كنت تعجب من علمه و قضائه فعلام تقاتله فقال لو لا أن 1أبا تراب قتل عثمان ثم أفتانا لأخذنا عنه ثم سكت هنيهة ثم نظر إلى جلسائه فقال إنا لا نقول إن هذه من كتب 1علي بن أبي طالب و لكن نقول هذه من كتب أبي بكر الصديق كانت عند ابنه محمد فنحن ننظر فيها و نأخذ منها .**

قال فلم تزل تلك الكتب في خزائن بني أمية حتى ولي [2] عمر بن عبد العزيز فهو الذي أظهر أنها من أحاديث 1علي بن أبي طالب ع . قلت الأليق أن يكون الكتاب الذي كان معاوية ينظر فيه و يعجب منه

---

(1) ج: «تعلم» .
(2) ج: «تولى» .

و يفتي به و يقضي بقضاياه و أحكامه هو عهد 1علي ع إلى الأشتر فإنه نسيج وحده و منه تعلم الناس الآداب و القضايا و الأحكام و السياسة و هذا العهد صار إلى معاوية لما سم الأشتر و مات قبل وصوله إلى مصر فكان ينظر فيه و يعجب منه و حقيق من مثله أن يقتنى في خزائن الملوك .

1- قال إبراهيم فلما بلغ 1عليا ع أن ذلك الكتاب صار إلى معاوية اشتد عليه حزنا . 1- و حدثني بكر بن بكار عن قيس بن الربيع عن ميسرة بن حبيب عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة قال صلى بنا 1علي ع فلما انصرف قال

لقد عثرت عثرة لا أعتذر # سوف أكيس بعدها و أستمر [1]

و أجمع الأمر الشتيت المنتشر

[2] فقلنا ما بالك يا 1أمير المؤمنين فقال إني استعملت محمد بن أبي بكر على مصر فكتب إلي أنه لا علم لي بالسنة فكتبت إليه كتابا فيه أدب و سنة فقتل و أخذ الكتاب . **1- قال إبراهيم فحدثني عبد الله محمد عن ابن أبي سيف المدائني قال فلم يلبث محمد بن أبي بكر شهرا كاملا حتى بعث إلى أولئك المعتزلين الذين كان قيس بن سعد موادعا لهم فقال يا هؤلاء إما أن تدخلوا في طاعتنا و إما أن تخرجوا من بلادنا فبعثوا إليه أنا لا نفعل فدعنا حتى ننظر إلى ما يصير إليه أمر الناس فلا تعجل علينا فأبى عليهم فامتنعوا منه و أخذوا حذرهم ثم كانتو هم لمحمد هائبون فلما أتاهم خبر معاوية و أهل الشام ثم صار الأمر إلىو أن 1عليا و أهل العراق قد قفلوا عن معاوية و الشام إلى عراقهم اجترءوا على محمد بن أبي بكر و أظهروا المنابذة له فلما رأى محمد ذلك بعث إليهم ابن جمهان البلوي و معه يزيد بن الحارث الكناني فقاتلاهم**

---

(1) كاس يكيس و أكيس، من الكيس؛ و هو ضد الحمق. و استمر، أي أقوى و اشتد.
(2) المنتشر: التفرق.

فقتلوهما ثم بعث إليهم رجلا من كلب فقتلوه أيضا و خرج معاوية بن حديج من السكاسك يدعو إلى الطلب بدم عثمان فأجابه القوم و ناس كثير آخرون و فسدت مصر على محمد بن أبي بكر فبلغ 1عليا توثبهم عليه فقال ما أرى لمصر إلا أحد الرجلين صاحبنا الذي عزلنا بالأمس يعني قيس بن سعد بن عبادة أو مالك بن الحارث الأشتر و كان 1علي حين رجع عنرد الأشتر إلى عمله بالجزيرة و قال لقيس بن سعد أقم أنت معي على شرطتي حتى نفرغ من أمر هذه الحكومة ثم اخرج إلى آذربيجان فكان قيس مقيما على شرطته فلما أن انقضى أمر الحكومة كتب 1علي إلى الأشتر و هو يومئذ بنصيبين أما بعد فإنك ممن أستظهر به على إقامة الدين و أقمع به نخوة الأثيم و أسد به الثغر المخوف و قد كنت وليت محمد بن أبي بكر مصر فخرجت عليه خوارج و هو غلام حدث السن ليس بذي تجربة للحروب فاقدم [1] علي لننظر فيما ينبغي و استخلف على عملك أهل الثقة و النصيحة من أصحابك و السلام .

فأقبل الأشتر إلى 1علي و استخلف على عمله شبيب بن عامر الأزدي و هو جد الكرماني الذي كان بخراسان صاحب نصر بن سيار فلما دخل الأشتر على 1علي حدثه حديث مصر و خبره خبر أهلها و قال له ليس لها غيرك فاخرج إليها رحمك الله فإني لا أوصيك اكتفاء برأيك و استعن بالله على ما أهمك و اخلط الشدة باللين و ارفق ما كان الرفق أبلغ و اعتزم على الشدة حين لا يغني عنك إلا الشدة .

فخرج الأشتر من عنده فأتي برحله و أتت معاوية عيونه فأخبروه بولاية الأشتر مصر فعظم ذلك عليه و قد كان طمع في مصر فعلم أن الأشتر إن قدم عليها كان أشد عليه من محمد بن أبي بكر فبعث إلى رجل من أهل الخراج يثق به و قال له إن الأشتر قد ولي مصر فإن كفيتنيه لم آخذ منك خراجا ما بقيت و بقيت فاحتل في هلاكه ما قدرت عليه .

(1) يقال: قدم الرجل البلد يقدمه، من باب تعب.

فخرج الأشتر حتى انتهى إلى القلزم [1] حيث تركب السفن من مصر إلى الحجاز فأقام به فقال له ذلك الرجل و كان ذلك المكان مكانه أيها الأمير هذا منزل فيه طعام و علف و أنا رجل من أهل الخراج فأقم و استرح و أتاه بالطعام حتى إذ طعم سقاه شربة عسل قد جعل فيها سما فلما شربها مات . **1- قال إبراهيم و قد كان 1أمير المؤمنين كتب على يد الأشتر كتابا إلى أهل مصر روى ذلك الشعبي عن صعصعة بن صوحان من عبد الله 1علي أمير المؤمنين إلى من بمصر من المسلمين سلام الله عليكم فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو أما بعد فإني قد بعثت إليكم عبدا من عباد الله لا ينام أيام الخوف و لا ينكل عن الأعداء حذار الدوائر لا ناكل من قدم و لا واه في عزم من أشد عباد الله بأسا و أكرمهم حسبا أضر على الفجار من حريق النار و أبعد الناس من دنس أو عار و هو مالك بن الحارث الأشتر حسام صارم لا نابي الضريبة و لا كليل الحد حليم في السلم رزين في الحرب ذو رأي أصيل و صبر جميل فاسمعوا له و أطيعوا أمره فإن أمركم بالنفر فانفروا و إن أمركم أن تقيموا فأقيموا فإنه لا يقدم و لا يحجم إلا بأمري و قد آثرتكم به على نفسي نصيحة لكم و شدة شكيمة [2] على عدوكم عصمكم الله بالهدى و ثبتكم بالتقوى و وفقنا و إياكم لما يحب و يرضى و السلام عليكم و رحمة الله . 17- قال إبراهيم و روى جابر عن الشعبي قال هلك الأشتر حين أتى عقبة أفيق [3] . 1- قال إبراهيم و حدثنا وطبة بن العلاء بن المنهال الغنوي عن أبيه عن عاصم**

---

(1) القلزم: مدينة بمصر على رأس الخليج المضاف إليها، و أطلالها الآن قرب مدينة السويس.

(2) الشكيمة: الأنفة و الانتصار من الظلم.

(3) أفيق، بالفتح ثمّ الكسر: قرية من حوران.

بن كليب عن أبيه أن 1عليا لما بعث الأشتر إلى مصر واليا عليها و بلغ معاوية خبره بعث رسولا يتبع الأشتر إلى مصر و أمره باغتياله فحمل معه مزودين فيهما شراب و صحب الأشتر فاستسقى الأشتر يوما فسقاه من أحدهما ثم استسقى يوما آخر منه فسقاه من الآخر و فيه سم فشربه فمالت عنقه و طلب الرجل ففاتهم . ـ **17- قال إبراهيم و حدثنا محرز بن هشام عن جرير بن عبد الحميد عن مغيرة الضبي أن معاوية دس للأشتر مولى لآل عمر فلم يزل المولى يذكر للأشتر فضل 1علي و بني هاشم حتى اطمأن إليه و استأنس به فقدم الأشتر يوما ثقله [1] أو تقدم ثقله فاستسقى ماء فقال له مولى آل عمر [2] و هل لك في شربة سويق فسقاه شربة سويق فيها سم فمات .**

و قد كان معاوية قال لأهل الشام لما دس إليه مولى آل عمر ادعوا على الأشتر فدعوا عليه فلما بلغه موته قال أ لا ترون كيف استجيب لكم . **17- قال إبراهيم قد روي من بعض الوجوه أن الأشتر قتل بمصر بعد قتال شديد .** و الصحيح أنه سقي سما فمات قبل أن يبلغ مصر .

1- قال إبراهيم و حدثنا محمد بن عبد الله بن عثمان عن علي بن محمد بن أبي سيف المدائني أن معاوية أقبل يقول لأهل الشام أيها الناس إن 1عليا قد وجه الأشتر إلى مصر فادعوا الله أن يكفيكموه فكانوا يدعون عليه في دبر كل صلاة و أقبل الذي سقاه السم إلى معاوية فأخبره بهلاك الأشتر فقام معاوية في الناس خطيبا فقال أما بعد فإنه كان 1لعلي بن أبي طالب يدان يمينان فقطعت إحداهماو هو عمار بن ياسر و قد قطعت الأخرى اليوم و هو مالك الأشتر .

---

(1) الثقل: زاد المسافر.
(2) ب: «مولى عمر» .

1- قال إبراهيم فلما بلغ 1عليا موت الأشتر قال إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ اَلْعَالَمِينَ اللهم إني أحتسبه عندك فإن موته من مصائب الدهر ثم لقي ربه مع أنا قد وطنا أنفسنا أن نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا 14برسول الله ص فإنها من أعظم المصيبات . 1- قال إبراهيم و حدثنا محمد بن هشام المرادي عن جرير بن عبد الحميد عن مغيرة الضبي قال لم يزل أمر 1علي شديدا حتى مات الأشتر و كان الأشتر بالكوفة أسود من الأحنف بالبصرة . 1- قال إبراهيم و حدثنا محمد بن عبد الله عن ابن أبي سيف المدائني عن جماعة من أشياخ النخع قالوا دخلنا على 1أمير المؤمنين حين بلغه موت الأشتر فوجدناه يتلهف و يتأسف عليه ثم قال لله در مالك و ما مالك لو كان من جبل لكان فندا [1] و لو كان من حجر لكان صلدا أما و الله ليهدن موتك عالما و ليفرحن عالما على مثل مالك فلتبك البواكي و هل مرجو كمالك و هل موجود كمالك .

قال علقمة بن قيس النخعي فما زال 1علي يتلهف و يتأسف حتى ظننا أنه المصاب به دوننا و عرف ذلك في وجهه أياما . **1- قال إبراهيم و حدثنا محمد بن عبد الله عن المدائني قال حدثنا مولى للأشتر قال لما هلك الأشتر أصيب [2] في ثقله رسالة 1علي إلى أهل مصر من عبد الله 1أمير المؤمنين إلى النفر من المسلمين الذين غضبوا لله إذ عصي في الأرض و ضرب الجور برواقه على البر و الفاجر فلا حق يستراح إليه و لا منكر يتناهى عنه سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله اَلَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ**

---

(1) الفند: الجبل العظيم.
(2) أصيب: أى وجد.

78

أما بعد فقد وجهت إليكم عبدا من عباد الله لا ينام في الخوف و لا ينكل من الأعداء حذار الدوائر أشد على الكافرين من حريق النار و هو مالك بن الحارث الأشتر أخو مذحج فاسمعوا له و أطيعوا فإنه سيف من سيوف الله لا نابي الضريبة [1] و لا كليل الحد فإن أمركم أن تقيموا فأقيموا و إن أمركم أن تنفروا فانفروا و إن أمركم أن تحجموا فأحجموا فإنه لا يقدم و لا يحجم إلا بأمري و قد آثرتكم به على نفسي لنصيحته و شدة شكيمته على عدوه عصمكم الله بالحق و ثبتكم بالتقوى و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته . **1- قال إبراهيم و حدثنا محمد بن عبد الله عن المدائني عن رجاله أن محمد بن أبي بكر لما بلغه أن 1عليا قد وجه الأشتر إلى مصر شق عليه فكتب ع إليه عند أما بعد فقد بلغني موجدتك من تسريح الأشتر إلى عملك و لم أفعل ذلك استبطاء لك عن الجهاد و لا استزادة [2] لك مني في الجد و لو نزعت ما حوت يداك من سلطانك لوليتك ما هو أيسر مئونة عليك و أعجب ولاية إليك ألا إن الرجل الذي وليته مصر كان رجلا لنا مناصحا و هو على عدونا شديد فرحمة الله عليه فقد استكمل أيامه و لاقى حمامه و نحن عنه راضون فرضي الله عنه و ضاعف له الثواب و أحسن له المآب فاصحر [3] لعدوك و شمر للحرب و اُدْعُ إِلىَ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ اَلْمَوْعِظَةِ اَلْحَسَنَةِ و أكثر ذكر الله و الاستعانة به و الخوف منه يكفك ما همك و يعنك على ما ولاك أعاننا الله و إياك على ما لا ينال إلا برحمته و السلام . قال فكتب محمد بن أبي بكر إليه جوابه**

---

(1) الضريبة: السيف و حدّه.
(2) ج: «استرادة» ، بالراء، أي رغبة.
(3) أصحر لعدوك؛ أى ابرز له في العراء.

79

إلى عبد الله 1أمير المؤمنين من محمد بن أبي بكر . سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فقد انتهى إلي كتاب 1أمير المؤمنين و فهمته و عرفت ما فيه و ليس أحد من الناس أشد على عدو 1أمير المؤمنين و لا أرأف و أرق لوليه مني و قد خرجت فعسكرت و أمنت الناس إلا من نصب لنا حربا و أظهر لنا خلافا و أنا أتبع أمر 1أمير المؤمنين و حافظ و لاجئ إليه و قائم به و الله المستعان على كل حال و السلام على 1أمير المؤمنين و رحمة الله و بركاته . **1- قال إبراهيم فحدث محمد بن عبد الله بن عثمان عن ابن سيف المدائني عن أبي جهضم الأزدي أن أهل الشام لما انصرفوا عنكانوا ينتظرون ما يأتي به الحكمان فلما انصرفا و تفرقا و بايع أهل الشام معاوية بالخلافة لم يزدد معاوية إلا قوة و اختلف أهل العراق على 1علي بن أبي طالب فلم يكن هم معاوية إلا مصر و قد كان لأهلها هائبا لقربهم منه و شدتهم على من كان على رأي عثمان و قد كان علم أن بها قوما قد ساءهم قتل عثمان و خالفوا 1عليا مع أنه كان يرجو أن يكون له فيها معاونة إذا ظهر عليها على حرب 1علي لوفور خراجها فدعا معاوية من كان معه من قريش و هم عمرو بن العاص السهمي و حبيب بن مسلمة الفهري و بسر بن أبي أرطاة العامري و الضحاك بن قيس الفهري و عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي و دعا من غير قريش نحو شرحبيل بن السمط الحميري و أبي الأعور السلمي و حمزة بن مالك الهمداني فقال أ تدرون لما ذا دعوتكم قالوا لا قال فإني دعوتكم لأمر هو لي مهم و أرجو أن يكون الله عز و جل قد أعان عليه فقال له القوم أو من قال له منهم إن الله لم يطلع على غيبه أحدا و لسنا ندري ما تريد فقال عمرو بن العاص أرى و الله أن أمر هذه البلاد المصرية لكثرة خراجها و عدد أهلها قد أهمك** **(1)**

(1) ج: «همك» .

فدعوتنا تسألنا عن رأينا في ذلك فإن كنت لذلك دعوتنا و له جمعتنا فاعزم و اصرم و نعم الرأي ما رأيت إن في افتتاحها عزك و عز أصحابك و ذل عدوك و كبت أهل الخلاف عليك .

قال معاوية أهمك ما أهمك يا ابن العاص و ذلك أن عمرا كان بايع معاوية على قتال 1علي و أن مصر له طعمة ما بقي فأقبل معاوية على أصحابه و قال إن هذا يعني ابن العاص قد ظن و حقق ظنه قالوا و لكنا لا ندري و لعل أبا عبد الله قد أصاب فقال عمرو و أنا أبو عبد الله إن أفضل الظنون ما شابه اليقين .

ثم إن معاوية حمد الله و أثنى عليه ثم قال ـأما بعد فقد رأيتم كيف صنع الله لكم في حربكم هذه على عدوكم و لقد جاءوكم و هم لا يشكون أنهم يستأصلون بيضتكم و يجوزون بلادكم ما كانوا يرون إلا أنكم في أيديهم فردهم الله **بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَ كَفَى اَللَّهُ اَلْمُؤْمِنِينَ اَلْقِتَالَ** و كفاكم مئونتهم .

و حاكمتموهم إلى الله فحكم لكم عليهم ثم جمع كلمتنا و أصلح ذات بيننا و جعلهم أعداء متفرقين يشهد بعضهم على بعض بالكفر و يسفك بعضهم دم بعض و الله إني لأرجو أن يتم الله لنا هذا الأمر و قد رأيت أن أحاول حرب مصر فما ذا ترون .

فقال عمرو بن العاص قد أخبرتك عما سألت و أشرت عليك بما سمعت .

فقال معاوية ما ترون فقالوا نرى ما رأى عمرو بن العاص فقال معاوية إن عمرا قد عزم و صرم بما قال و لم يفسر كيف ينبغي أن نصنع .

قال عمرو فإني مشير عليك بما تصنع أرى أن تبعث جيشا كثيفا عليهم رجل صارم تأمنه و تثق به فيأتي مصر فيدخلها فإنه سيأتينا من كان على مثل رأينا من أهلها فنظاهره على من كان من عدونا فإن اجتمع بها جندك و من كان بها من شيعتك على من بها من أهل حربك رجوت الله أن يعز نصرك و يظهر فلجك .

فقال معاوية هل عندك شيء غير هذا نعمله فيما بيننا و بينهم قبل هذا قال ما أعلمه .

قال معاوية فإن رأيي غير هذا أري أن نكاتب من كان بها من شيعتنا و من كان بها من عدونا فأما شيعتنا فنأمرهم بالثبات على أمرهم و نمنيهم قدومنا عليهم و أما من كان بها من عدونا فندعوهم إلى صلحنا و نمنيهم شكرنا و نخوفهم حربنا فإن صلح لنا ما قبلهم من غير حرب و لا قتال فذلك ما أحببنا و إلا فحربهم من وراء ذلك .

إنك يا ابن العاص لامرؤ [1] بورك لك في العجلة و بورك لي في التؤدة .

قال عمرو فاعمل بما أراك الله فو الله ما أرى أمرك و أمرهم يصير إلا إلى الحرب .

قال فكتب معاوية عند ذلك إلى مسلمة بن مخلد الأنصاري و إلى معاوية بن حديج الكندي و كانا قد خالفا 1عليا أما بعد فإن الله عز و جل قد ابتعثكما لأمر عظيم أعظم به أجركما و رفع درجتكما و مرتبتكما في المسلمين طلبتما بدم الخليفة المظلوم و غضبتما لله إذ ترك حكم الكتاب و جاهدتما أهل الظلم و العدوان فأبشرا برضوان الله و عاجلا نصرة أولياء الله و المواساة لكما في دار الدنيا و سلطاننا حتى ينتهي ذلك إلى ما يرضيكما و يؤدى به [2] حقكما فالزما أمركما و جاهدا عدوكما و ادعوا المدبرين منكما إلى هداكما فكان الجيش قد أظل عليكما فاندفع كل ما تكرهان و دام كل ما تهويان و السلام عليكما و رحمة الله .

و بعث بالكتاب مع مولى له يقال له سبيع فخرج بكتابه حتى قدم به عليهما بمصر

---

(1) ساقطة من ا، ب.
(2) ا، ج: «و يوفى» .

و محمد بن أبي بكر يومئذ أميرها قد ناصبه هؤلاء النفر الحرب و هم هائبون الإقدام عليه فدفع الكتاب إلى مسلمة بن مخلد فقرأه فقال الق به معاوية بن حديج ثم القني به حتى أجيب عني و عنه فانطلق الرسول بكتاب معاوية فأقرأه إياه ثم قال له إن مسلمة قد أمرني أن أرد الكتاب إليه لكي يجيب عنك و عنه قال قل له فليفعل فأتى مسلمة بالكتاب فكتب الجواب عنه و عن معاوية بن حديج أما بعد فإن هذا الأمر الذي قد ندبنا له أنفسنا و ابتغيا الله به على عدونا أمر نرجو به ثواب ربنا و النصر على من خالفنا و تعجيل النقمة على من سعى على إمامنا و طأطأ الركض في مهادنا و نحن بهذه الأرض قد نفينا من كان بها من أهل البغي و أنهضنا من كان بها من أهل القسط و العدل و قد ذكرت موازرتك في سلطانك و ذات يدك و بالله إنه لا من أجل مال نهضنا و لا إياه أردنا فإن يجمع الله لنا ما نريد و نطلب أو يرينا ما تمنينا فإن الدنيا و الآخرة لله رب العالمين و قد يثوبهما الله جميعا عالما من خلقه كما قال في كتابه **فَآتَاهُمُ اَللَّهُ ثَوَابَ اَلدُّنْيَا وَ حُسْنَ ثَوَابِ اَلْآخِرَةِ وَ اَللَّهُ يُحِبُّ اَلْمُحْسِنِينَ** [1] عجل لنا بخيلك و رجلك فإن عدونا قد كان علينا جريئا [2] و كنا فيهم قليلا و قد أصبحوا لنا هائبين و أصبحنا لهم منابذين فإن يأتنا مدد من قبلك يفتح الله عليك و **لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ** و هو حسبنا **وَ نِعْمَ اَلْوَكِيلُ** .

قال فجاء هذا الكتاب معاوية و هو يومئذ بفلسطين فدعا النفر الذين سميناهم من قريش و غيرهم و أقرأهم الكتاب و قال لهم ما ذا ترون قالوا نرى أن تبعث إليهم جيشا من قبلك فأنت مفتتحها إن شاء الله بإذن الله .

قال معاوية فتجهز إليها يا أبا عبد الله يعني عمرو بن العاص فبعثه في ستة آلاف

---

(1) سورة آل عمران 148.
(2) كذا في ج، و في ا، ب: «؟؟؟» .

فخرج يسير و خرج معه معاوية يودعه فقال له معاوية عند وداعه إياه أوصيك بتقوى الله يا عمرو و بالرفق فإنه يمن و بالتؤدة فإن العجلة من الشيطان و بأن تقبل من أقبل و تعفو عمن أدبر أنظره فإن تاب و أناب قبلت منه و إن أبى فإن السطوة بعد المعرفة أبلغ في الحجة و أحسن في العاقبة و ادع الناس إلى الصلح و الجماعة فإن أنت ظفرت فليكن أنصارك أبر الناس عندك و كل الناس فأول حسنا .

قال فسار عمرو في الجيش حتى دنا من مصر فاجتمعت إليه العثمانية فأقام و كتب إلى محمد بن أبي بكر أما بعد فتنح عني بدمك يا ابن أبي بكر فإني لا أحب أن يصيبك مني ظفر و إن الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك و رفض أمرك و ندموا على اتباعك و هم مسلموك لو قد التقت حلقتا البطان فاخرج منها فإني لك من الناصحين و السلام .

قال و بعث عمرو إلى محمد مع هذا الكتاب كتاب معاوية إليه و هو أما بعد فإن غب [1] الظلم و البغي عظيم الوبال و إن سفك الدم الحرام لا يسلم صاحبه من النقمة في الدنيا و التبعة الموبقة في الآخرة و ما نعلم أحدا كان أعظم على عثمان بغيا و لا أسوأ له عيبا و لا أشد عليه خلافا منك سعيت عليه في الساعين و ساعدت عليه مع المساعدين و سفكت دمه مع السافكين ثم تظن أني نائم عنك فتأتي بلده فتأمن فيها و جل أهلها أنصاري يرون رأيي و يرفضون قولك و يستصرخونني عليك و قد بعثت إليك قوما حناقا عليك يسفكون دمك و يتقربون إلى الله عز و جل بجهادك و قد أعطوا الله عهدا ليقتلنك و لو لم يكن منهم إليك ما قالوا لقتلك الله بأيديهم أو بأيدي غيرهم من أوليائه و أنا أحذرك و أنذرك فإن الله مقيد منك و مقتص لوليه و خليفته بظلمك له و بغيك عليه

(1) غبّ الظلم: عاقبته.

و وقيعتك فيه و عداوتك يوم الدار عليه تطعن بمشاقصك [1] فيما بين أحشائه و أوداجه و مع هذا فإني أكره قتلك و لا أحب أن أتولى ذلك منك و لن يسلمك الله من النقمة أين كنت أبدا فتنح و انج بنفسك و السلام .

قال فطوى محمد بن أبي بكر كتابيهما و بعث بهما إلى 1علي ع و كتب إليه أما بعد يا 1أمير المؤمنين فإن العاصي ابن العاص قد نزل أداني مصر و اجتمع إليه من أهل البلد من كان يرى رأيهم و هو في جيش جرار و قد رأيت ممن قبلي بعض الفشل فإن كان لك في أرض مصر حاجة فامددني بالأموال و الرجال و السلام عليك و رحمة الله و بركاته .

قال فكتب إليه 1علي أما بعد فقد أتاني رسولك بكتابك تذكر أن ابن العاص قد نزل في جيش جرار و أن من كان على مثل رأيه قد خرج إليه و خروج من كان يرى رأيه خير لك من إقامته عندك و ذكرت أنك قد رأيت ممن قبلك فشلا فلا تفشل و إن فشلوا حصن قريتك و اضمم إليك شيعتك و أذك الحرس في عسكرك و اندب إلى القوم كنانة بن بشر المعروف بالنصيحة و التجربة و البأس و أنا نادب إليك الناس على الصعب و الذلول فاصبر لعدوك و امض على بصيرتك و قاتلهم على نيتك و جاهدهم محتسبا لله سبحانه و إن كانت فئتك أقل الفئتين فإن الله تعالى يعين القليل و يخذل الكثير و قد قرأت كتابي الفاجرين المتحابين على المعصية و المتلائمين على الضلالة و المرتشيين على الحكومة و المتكبرين على أهل الدين الذين استمتعوا بخلاقهم كما استمتع الذين من

---

(1) المشاقص: جمع مشقص؛ و هو النصل العريض.

قبلهم بخلاقهم فلا يضرنك إرعادهما و إبراقهما و أجبهما إن كنت لم تجبهما بما هما أهله فإنك تجد مقالا ما شئت و السلام ـقال فكتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية جواب كتابه أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر من أمر عثمان أمرا لا أعتذر إليك منه و تأمرني بالتنحي عنك كأنك لي ناصح و تخوفني بالحرب كأنك علي شفيق و أنا أرجو أن تكون الدائرة عليكم و أن يهلككم الله في الوقعة و أن ينزل بكم الذل و أن تولوا الدبر فإن يكن لكم الأمر في الدنيا فكم و كم لعمري من ظالم قد نصرتم و كم من مؤمن قد قتلتم و مثلتم به **وَ إِلَى اَللَّهِ اَلْمَصِيرُ** و إليه ترد الأمور **وَ هُوَ أَرْحَمُ اَلرَّاحِمِينَ وَ اَللَّهُ اَلْمُسْتَعَانُ عَلىَ مَا تَصِفُونَ** .

قال و كتب محمد بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص جواب كتابه أما بعد فهمت كتابك و علمت ما ذكرت زعمت أنك تكره أن يصيبني منك ظفر فأشهد بالله إنك لمن المبطلين و زعمت أنك ناصح لي و أقسم أنك عندي ظنين و قد زعمت أن أهل البلد قد رفضوني و ندموا على اتباعي فأولئك حزبك و حزب الشيطان الرجيم و **حَسْبُنَا اَللَّهُ** رب العالمين **وَ نِعْمَ اَلْوَكِيلُ** و توكلت على الله العزيز الرحيم رب العرش العظيم . . **17- قال إبراهيم فحدثنا محمد بن عبد الله عن المدائني قال فأقبل عمرو بن العاص يقصد قصد مصر فقام محمد بن أبي بكر في الناس فحمد الله و أثنى عليه ثم قال أما بعد يا معشر المؤمنين فإن القوم الذين كانوا ينتهكون الحرمة و يغشون [1] الضلالة و يستطيلون بالجبرية قد نصبوا لكم العداوة و ساروا إليكم بالجنود فمن أراد الجنة و المغفرة فليخرج إلى هؤلاء القوم فليجاهدهم في الله انتدبوا [2] رحمكم الله مع**

(1) ب: «أرض الضلالة» .
(2) انتدبوا: أى خفوا.

كنانة بن بشر ثم ندب معه نحو ألفي رجل و تخلف محمد في ألفين و استقبل عمرو بن العاص كنانة و هو على مقدمة محمد فلما دنا عمرو من كنانة سرح إليه الكتائب كتيبة بعد كتيبة فلم تأته من كتائب الشام كتيبة إلا شد عليها بمن معه فيضربها حتى يلحقها بعمرو ففعل ذلك مرارا فلما رأى عمرو ذلك بعث إلى معاوية بن حديج الكندي فأتاه في مثل الدهم [1] فلما رأى كنانة ذلك الجيش نزل عن فرسه و نزل معه أصحابه فضاربهم بسيفه و هو يقول **وَ مَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اَللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً** [2] .

فلم يزل يضاربهم بالسيف حتى استشهد رحمه الله . **17- قال إبراهيم حدثنا محمد بن عبد الله عن المدائني عن محمد بن يوسف أن عمرو بن العاص لما قتل كنانة أقبل نحو محمد بن أبي بكر و قد تفرق عنه أصحابه فخرج محمد متمهلا فمضى في طريقه حتى انتهى إلى خربة [3] فآوى إليها و جاء عمرو بن العاص حتى دخل الفسطاط و خرج معاوية بن حديج في طلب محمد حتى انتهى إلى علوج [4] على قارعة الطريق فسألهم هل مر بهم أحد ينكرونه قالوا لا قال أحدهم إني دخلت تلك الخربة فإذا أنا برجل جالس قال ابن حديج هو هو و رب الكعبة فانطلقوا يركضون حتى دخلوا على محمد فاستخرجوه و قد كاد يموت عطشا فأقبلوا به نحو الفسطاط .**

قال و وثب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص و كان في جنده فقال لا و الله لا يقتل أخي صبرا ابعث إلى معاوية بن حديج فانهه فأرسل عمرو بن العاص أن ائتني بمحمد فقال معاوية أ قتلتم كنانة بن بشر ابن عمي و أخلي عن محمد .

---

(1) الدهم: العدد الكثير.
(2) سورة آل عمران 145.
(3) الخربة: موضع الخراب.
(4) علوج: جمع علج؛ و هو الرجل من كفّار العجم.

هيهات **أَ كُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي اَلزُّبُرِ** (1) فقال محمد اسقوني قطرة من الماء فقال له معاوية بن حديج لا سقاني الله إن سقيتك قطرة أبدا إنكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائما محرما فسقاه الله من الرحيق المختوم و الله لأقتلنك يا ابن أبي بكر و أنت ظمآن و يسقيك الله من الحميم و الغسلين فقال له محمد يا ابن اليهودية النساجة ليس ذلك اليوم إليك و لا إلى عثمان إنما ذلك إلى الله يسقي أولياءه و يظمئ أعداءه و هم أنت و قرناؤك و من تولاك و توليته و الله لو كان سيفي في يدي ما بلغتم مني ما بلغتم فقال له معاوية بن حديج أ تدري ما أصنع بك أدخلك جوف هذا الحمار الميت ثم أحرقه عليك بالنار قال إن فعلتم ذاك بي فطالما فعلتم ذاك بأولياء الله و ايم الله إني لأرجو أن يجعل الله هذه النار التي تخوفني بها بردا و سلاما كما جعلها الله على إبراهيم خليله و أن يجعلها عليك و على أوليائك كما جعلها على نمرود و أوليائه و إني لأرجو أن يحرقك الله و إمامك معاوية و هذا و أشار إلى عمرو بن العاص بنار تلظى كلما خبت زادها الله عليكم سعيرا فقال له معاوية بن حديج إني لا أقتلك ظلما إنما أقتلك بعثمان بن عفان قال محمد و ما أنت و عثمان رجل عمل بالجور و بدل حكم الله و القرآن و قد قال الله عز و جل **وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اَللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ اَلْكَافِرُونَ** (2) **فَأُولَئِكَ هُمُ اَلظَّالِمُونَ** (3) **فَأُولَئِكَ هُمُ اَلْفَاسِقُونَ** (4) فنقمنا (5) عليه أشياء عملها فأردنا أن يخلع من الخلافة علنا فلم يفعل فقتله من قتله من الناس .

---

(1) سورة القمر 43.
(2) سورة المائدة 44.
(3) سورة المائدة 45.
(4) سورة المائدة 47.
(5) نقم عليه، بكسر القاف: أنكر أمره.

فغضب معاوية بن حديج فقدمه فضرب عنقه ثم ألقاه في جوف حمار و أحرقه بالنار .

فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعا شديدا و قنتت في دبر كل صلاة تدعو على معاوية بن أبي سفيان و عمرو بن العاص و معاوية بن حديج و قبضت عيال محمد أخيها و ولده إليها فكان القاسم بن محمد من عيالها .

قال و كان ابن حديج ملعونا خبيثا يسب 1علي بن أبي طالب ع . **2- قال إبراهيم و حدثني عمرو بن حماد بن طلحة القناد عن علي بن هاشم عن أبيه عن داود بن أبي عوف قال دخل معاوية بن حديج على 2الحسن بن علي في مسجد المدينة فقال له 2الحسن ويلك يا معاوية أنت الذي تسب 1أمير المؤمنين عليا ع أما و الله لئن رأيته يوم القيامة و ما أظنك تراه لترينه كاشفا عن ساق يضرب وجوه أمثالك عن الحوض ضرب غرائب الإبل . 17- قال إبراهيم و حدثني محمد بن عبد الله بن عثمان عن المدائني عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن شداد قال حلفت عائشة لا تأكل شواء [1] أبدا بعد قتل محمد فلم تأكل شواء حتى لحقت بالله و ما عثرت قط إلا قالت تعس معاوية بن أبي سفيان [2] و عمرو بن العاص و معاوية بن حديج . 17- قال إبراهيم و قد روى هاشم أن أسماء بنت عميس لما جاءها نعي محمد ابنها و ما صنع به قامت إلى مسجدها و كظمت غيظها [2] حتى تشخبت [3] دما . 14- قال إبراهيم و روى ابن عائشة التيمي عن رجاله عن كثير النواء أن أبا بكر خرج**

---

(1) الشواء، بالكسر و الضم: ما شوى من اللحم و غيره.
(2) نعاه له: أخبره بموته.
(3) يقال: تشخب دما: أى انفجر عرقه بالدم.

في حياة 14رسول الله ص في غزاة فرأت أسماء بنت عميس و هي تحته كأن أبا بكر مخضب بالحناء رأسه و لحيته و عليه ثياب بيض فجاءت إلى عائشة فأخبرتها فقالت إن صدقت رؤياك فقد قتل أبو بكر إن خضابه الدم و إن ثيابه أكفانه ثم بكت فدخل 14النبي ص و هي كذلك فقال ما أبكاها فقالوا يا 14رسول الله ما أبكاها أحد و لكن أسماء ذكرت رؤيا رأتها لأبي بكر فأخبر 14النبي ص فقال ليس كما عبرت عائشة و لكن يرجع أبو بكر صالحا فيلقى أسماء فتحمل منه بغلام فتسميه محمدا يجعله الله غيظا على الكافرين و المنافقين .

قال فكان كما أخبر ص . 17- قال إبراهيم حدثنا محمد بن عبد الله عن المدائني قال فكتب عمرو بن العاص إلى معاوية بن أبي سفيان عند قتل محمد بن أبي بكر و كنانة بن بشر أما بعد فإنا لقينا محمد بن أبي بكر و كنانة بن بشر في جموع من أهل مصر فدعوناهم إلى الكتاب و السنة فعصوا الحق فتهولوا [1] في الضلال فجاهدناهم و استنصرنا الله جل و عز عليهم فضرب الله وجوههم و أدبارهم و منحنا [2] أكتافهم فقتل محمد بن أبي بكر و كنانة بن بشر وَ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ اَلْعَالَمِينَ . 1- قال إبراهيم و حدثني محمد بن عبد الله عن المدائني عن الحارث بن كعب بن عبد الله بن قعين عن حبيب بن عبد الله قال و الله إني لعند 1علي جالس إذ جاءه عبد الله بن معين و كعب بن عبد الله من قبل محمد بن أبي بكر يستصرخانه قبل الوقعة فقام 1علي فنادى في الناس الصلاة جامعة [3] فاجتمع الناس فصعد المنبر فحمد الله و أثنى

---

(1) المتهول: المتحير، و في ب: «فهولوا» .
(2) ج: «و أثخنا أكتافهم» .
(3) ساقطة من ج.

عليه و ذكر 14رسول الله ص فصلى عليه ثم قال أما بعد فهذا صريخ [1] محمد بن أبي بكر و إخوانكم من أهل مصر قد سار إليهم ابن النابغة عدو الله و عدو من والاه و ولي من عادى الله فلا يكونن أهل الضلال إلى باطلهم و الركون إلى سبيل الطاغوت أشد اجتماعا على باطلهم و ضلالتهم منكم على حقكم فكأنكم بهم و قد بدءوكم و إخوانكم بالغزو فاعجلوا إليهم بالمواساة و النصر عباد الله إن مصر أعظم من الشام و خير أهلا فلا تغلبوا على مصر فإن بقاء مصر في أيديكم عز لكم و كبت لعدوكم اخرجوا إلى الجرعة قال و الجرعة [2] بين الحيرة و الكوفة لنتوافى هناك كلنا غدا إن شاء الله .

قال فلما كان الغد خرج يمشى فنزلها بكرة فأقام بها حتى انتصف النهار فلم يوافه مائة رجل فرجع فلما كان العشي بعث إلى الأشراف فجمعهم فدخلوا عليه القصر و هو كئيب حزين فقال الحمد لله على ما قضى من أمر و قدر من فعل و ابتلاني بكم أيها الفرقة التي لا تطيع إذا أمرتها و لا تجيب إذا دعوتها لا أبا لغيركم ما ذا تنتظرون بنصركم و الجهاد على حقكم الموت خير من الذل في هذه الدنيا لغير الحق و الله إن جاءني الموت و ليأتيني لتجدنني لصحبتكم جدا قال أ لا دين يجمعكم أ لا حمية تغضبكم أ لا تسمعون بعدوكم ينتقص بلادكم و يشن الغارة عليكم أ و ليس عجبا أن معاوية يدعو الجفاة الطغام الظلمة فيتبعونه على غير عطاء و لا معونة و يجيبونه في السنة المرة و المرتين و الثلاث إلى أي وجه شاء ثم أنا أدعوكم و أنتم أولو النهى و بقية الناس تختلفون و تفترقون عني و تعصونني و تخالفون علي

---

(1) الصريخ هنا: المستغيث.

(2) في الأصول: «الجزعة تصحيف» .

فقام إليه مالك بن كعب الأرحبي فقال يا 1أمير المؤمنين اندب الناس معي فإنه لا عطر بعد عروس [1] و إن الأجر لا يأتي إلا بالكرة ثم التفت إلى الناس و قال اتقوا الله و أجيبوا دعوة إمامكم و انصروا دعوته و قاتلوا عدوكم إنا نسير إليهم يا 1أمير المؤمنين فأمر 1علي سعدا مولاه أن ينادي- ألا سيروا مع مالك بن كعب إلى مصر و كان وجها مكروها فلم يجتمعوا إليه شهرا فلما اجتمع له منهم ما اجتمع خرج بهم مالك بن كعب فعسكر بظاهر الكوفة و خرج معه 1علي فنظر فإذا جميع من خرج نحو من ألفين فقال 1علي سيروا و الله ما أنتم ما إخالكم تدركون القوم حتى ينقضي أمرهم . فخرج مالك بهم و سار خمس ليال و قدم الحجاج بن غزية الأنصاري على 1علي و قدم عليه عبد الرحمن بن المسيب الفزاري من الشام فأما الفزاري فكان عينا 1لعلي ع لا ينام و أما الأنصاري فكان مع محمد بن أبي بكر فحدثه الأنصاري بما عاين و شاهد و أخبره بهلاك محمد و أخبره الفزاري أنه لم يخرج من الشام حتى قدمت البشرى من قبل عمرو بن العاص يتبع بعضها بعضا بفتح مصر و قتل محمد بن أبي بكر و حتى أذن معاوية بقتله على المنبر و قال يا 1أمير المؤمنين ما رأيت يوما قط سرورا مثل سرور رأيته بالشام حين أتاهم قتل محمد بن أبي بكر فقال 1علي أما إن حزننا على قتله على قدر سرورهم به لا بل يزيد أضعافا .

قال فسرح 1علي عبد الرحمن بن شريح إلى مالك بن كعب فرده [2] من الطريق قال و حزن 1علي على محمد بن أبي بكر حتى رئي ذلك فيه و تبين في وجهه و قام في الناس خطيبا فحمد الله و أثنى عليه ثم قال ألا و إن مصر قد افتتحها الفجرة

---

(1) لا عطر بعد عروس، مثل يضرب في ذمّ ادخار الشيء وقت الحاجة، و انظر مورد المثل في الميداني 2: 211، 212.
(2) ب: «فطرده» .

أولياء الجور و الظلم الذين صدوا عن سبيل الله و بغوا الإسلام عوجا ألا و إن محمد بن أبي بكر قد استشهد رحمة الله عليه و عند الله نحتسبه أما و الله لقد كان ما علمت ينتظر القضاء و يعمل للجزاء و يبغض شكل الفاجر و يحب سمت المؤمن إني و الله لا ألوم نفسي على تقصير و لا عجز و إني بمقاساة الحرب لجد بصير إني لأقدم على الحرب و أعرف وجه الحزم و أقوم بالرأي المصيب فأستصرخكم معلنا و أناديكم مستغيثا فلا تسمعون لي قولا و لا تطيعون إلى أمرا حتى تصير الأمور إلى عواقب المساءة و أنتم القوم لا يدرك بكم الثأر و لا تنقض بكم الأوتار دعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع و خمسين ليلة فجرجرتم [1] علي جرجرة الجمل الأسر [2] و تثاقلتم إلى الأرض تثاقل من لا نية له في الجهاد و لا رأي له في الاكتساب للأجر ثم خرج إلي منكم جنيد متذائب ضعيف **كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى اَلْمَوْتِ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ** فأف لكم ثم نزل فدخل رحله . **1- قال إبراهيم فحدثنا محمد بن عبد الله عن المدائني قال كتب 1علي إلى عبد الله بن عباس و هو على البصرة من عبد الله 1علي أمير المؤمنين ع إلى عبد الله بن عباس سلام عليك و رحمة الله و بركاته أما بعد فإن مصر قد افتتحت و قد استشهد محمد بن أبي بكر فعند الله عز و جل تحتسبه [3] و قد كنت كتبت إلى الناس و تقدمت إليهم في بدء الأمر و أمرتهم بإغاثته**

---

(1) ب: «خرجتم» صوابه في ج. و الجرجرة: تردد هدير الفحل.
(2) الجمل الأسر؛ السرر: وجع يأخذ البعير في كركرته.
(3) ج: «احتسابه» .

قبل الوقعة و دعوتهم سرا و جهرا و عودا و بدءا فمنهم الآتي كارها و منهم المتعلل كاذبا و منهم القاعد خاذلا أسأل الله أن يجعل لي منهم فرجا و أن يريحني منهم عاجلا فو الله لو لا طمعي عند لقاء عدوي في الشهادة و توطيني نفسي عند ذلك لأحببت ألا أبقى مع هؤلاء يوما واحدا عزم الله لنا و لك على تقواه و هداه **إِنَّهُ عَلىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** و السلام عليك و رحمة الله و بركاته . قال فكتب إليه عبد الله بن عباس لعبد الله 1علي أمير المؤمنين من عبد الله بن عباس سلام على 1أمير المؤمنين و رحمة الله و بركاته .

أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه افتتاح مصر و هلاك محمد بن أبي بكر و إنك سألت الله ربك أن يجعل لك من رعيتك التي ابتليت بها فرجا و مخرجا و أنا أسأل الله أن يعلى كلمتك و أن يغشيك بالملائكة عاجلا و اعلم أن الله صانع لك و معز دعوتك و كابت عدوك و أخبرك يا 1أمير المؤمنين أن الناس ربما تباطئوا ثم نشطوا فارفق بهم يا 1أمير المؤمنين و دارهم و منهم و استعن بالله عليهم كفاك الله الهم و السلام عليك و رحمة الله و بركاته . **1- قال إبراهيم و روي عن المدائني أن عبد الله بن عباس قدم من البصرة على 1علي فعزاه عن محمد بن أبي بكر . 1- و روى المدائني أن 1عليا قال رحم الله محمدا كان غلاما حدثا لقد كنت أردت أن أولي المرقال [1] هاشم بن عتبة مصر فإنه و الله لو وليها لما خلى لابن العاص و أعوانه العرصة و لا قتل إلا و سيفه في يده بلا ذم لمحمد فلقد أجهد نفسه فقضى ما عليه .**

(1) المرقال: لقب هاشم بن عتبة الزهرى؛ لأن عليّا عليه السلام دفع إليه الراية يوم صفّين؛ فكان يرقل بها إرقالا، و الإرقال: ضرب من العدو.

1- قال المدائني و قيل 1لعلي ع لقد جزعت على محمد بن أبي بكر يا 1أمير المؤمنين فقال و ما يمنعني أنه كان لي ربيبا و كان لبني أخا و كنت له والدا أعده ولدا .

خطبة للإمام 1علي بعد

1- و روى إبراهيم عن رجاله عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه قال خطب 1علي ع بعد فتح مصر و فقال أما بعد فإن الله بعث 14محمدا نذيرا للعالمين و أمينا على التنزيل و شهيدا على هذه الأمة و أنتم معاشر العرب يومئذ على شر دين و في شر دار منيخون على حجارة خشن و حيات صم و شوك مبثوث في البلاد تشربون الماء الخبيث و تأكلون الطعام الخبيث تسفكون دماءكم و تقتلون أولادكم و تقطعون أرحامكم و تأكلون أموالكم بينكم بالباطل سبلكم خائفة و الأصنام فيكم منصوبة و لا يؤمن أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ .

فمن الله عز و جل عليكم 14بمحمد فبعثه إليكم رسولا **مِنْ أَنْفُسِكُمْ** فعلمكم الكتاب و الحكمة و الفرائض و السنن و أمركم بصلة أرحامكم و حقن دمائكم و صلاح ذات البين و **أَنْ تُؤَدُّوا اَلْأَمَانَاتِ إِلىَ أَهْلِهَا** و أن توفوا بالعهد **وَ لاَ تَنْقُضُوا اَلْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا** و أن تعاطفوا و تباروا و تراحموا و نهاكم عن التناهب و التظالم و التحاسد و التباغي و التقاذف و عن شرب الخمر و بخس المكيال و نقص الميزان و تقدم إليكم فيما يتلى عليكم ألا تزنوا و لا تربوا و لا تأكلوا **أَمْوَالَ**

اَلْيَتَامىَ ظُلْماً و **أَنْ تُؤَدُّوا اَلْأَمَانَاتِ إِلىَ أَهْلِهَا وَ لاَ تَعْثَوْا فِي اَلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ وَ لاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اَللَّهَ لاَ يُحِبُّ اَلْمُعْتَدِينَ** و كل خير يدني إلى الجنة و يباعد عن النار أمركم به و كل شر يدني إلى النار و يباعد عن الجنة نهاكم عنه فلما استكمل مدته توفاه الله إليه سعيدا حميدا فيا لها مصيبة خصت الأقربين و عمت المسلمين ما أصيبوا قبلها بمثلها و لن يعاينوا بعدها أختها فلما مضى لسبيله ص تنازع المسلمون الأمر بعده فو الله ما كان يلقى في روعي و لا يخطر على بالي أن العرب تعدل هذا الأمر بعد 14محمد عن أهل بيته و لا أنهم منحوه عني من بعده فما راعني إلا انثيال الناس على أبي بكر و إجفالهم [1] إليه ليبايعوه فأمسكت يدي و رأيت أني أحق بمقام 14محمد ص في الناس ممن تولى الأمر من بعده فلبثت بذاك ما شاء الله حتى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين الله و ملة 14محمد ص فخشيت إن لم أنصر الإسلام و أهله أن أرى فيه ثلما و هدما يكون المصاب بهما علي أعظم من فوات ولاية أموركم التي إنما هي متاع أيام قلائل ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب و كما يتقشع السحاب فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فبايعته و نهضت في تلك الأحداث حتى زاغ الباطل و زهق و كانت **كَلِمَةُ اَللَّهِ هِيَ اَلْعُلْيَا وَ لَوْ كَرِهَ اَلْكَافِرُونَ** فتولى أبو بكر تلك الأمور فيسر و سدد و قارب و اقتصد و صحبته مناصحا و أطعته فيما أطاع الله فيه جاهدا و ما طمعت أن لو حدث به حادث و أنا حي أن يرد إلي الأمر الذي نازعته فيه طمع مستيقن و لا يئست منه يأس من لا يرجوه و لو لا خاصة ما كان بينه و بين عمر لظننت أنه لا يدفعها عني فلما احتضر بعث إلى عمر فولاه فسمعنا و أطعنا و ناصحنا

(1) أجفل الناس و انجفلوا: أى ذهبوا مسرعين .

و تولى عمر الأمر فكان مرضي السيرة ميمون النقيبة حتى إذا احتضر فقلت في نفسي لن يعدلها عني [1] ليس يدافعها عني فجعلني سادس ستة فما كانوا لولاية أحد منهم أشد كراهة لولايتي عليهم كانوا يسمعون عند لجاج أبي بكر و أقول يا معشر قريش إنا أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم ما كان فينا من يقرأ القرآن و يعرف السنة و يدين بدين الحق فخشي القوم إن أنا وليت عليهم ألا يكون لهم من الأمر نصيب ما بقوا فأجمعوا إجماعا واحدا فصرفوا الولاية إلى عثمان و أخرجوني منها رجاء أن ينالوها و يتداولوها إذ يئسوا أن ينالوا بها من قبلي ثم قالوا هلم فبايع و إلا جاهدناك فبايعت مستكرها و صبرت محتسبا فقال قائلهم يا 1ابن أبي طالب إنك على هذا الأمر لحريص فقلت أنتم أحرص مني و أبعد أينا أحرص أنا الذي طلبت ميراثي و حقي الذي جعلني الله و 14رسوله أولى به أم أنتم إذ تضربون وجهي دونه و تحولون بيني و بينه فبهتوا **وَ اَللَّهُ لاَ يَهْدِي اَلْقَوْمَ اَلظَّالِمِينَ** اللهم إني أستعديك على قريش فإنهم قطعوا رحمي و أضاعوا إياي و صغروا عظيم منزلتي و أجمعوا على منازعتي حقا كنت أولى به منهم فسلبونيه ثم قالوا ألا إن في الحق أن تأخذه و في الحق أن تمنعه فاصبر كمدا أو مت أسفا حنقا فنظرت فإذا ليس معي رافد و لا ذاب و لا ناصر و لا ساعد إلا أهل بيتي فضننت بهم عن المنية و أغضيت على القذى و تجرعت ريقي على الشجا و صبرت من كظم الغيظ علي أمر من العلقم و آلم للقلب من حز الشفار حتى إذا نقمتم على عثمان أتيتموه فقتلتموه ثم جئتموني لتبايعوني فأبيت عليكم و أمسكت يدي فنازعتموني و دافعتموني و بسطتم يدي فكففتها و مددتموها فقبضتها و ازدحمتم علي حتى ظننت أن بعضكم قاتل بعضكم أو أنكم قاتلي فقلتم بايعنا لا نجد غيرك و لا نرضى إلا بك بايعنا

---

(1) ب: «ليس بدافعى عنها» .

لا نفترق و لا تختلف كلمتنا فبايعتكم و دعوت الناس إلى بيعتي فمن بايع طوعا قبلته و من أبى لم أكرهه و تركته فبايعني فيمن بايعني طلحة و الزبير و لو أبيا ما أكرهتهما كما لم أكره غيرهما فما لبثا إلا يسيرا حتى بلغني أنهما خرجا من مكة متوجهين إلى البصرة في جيش ما منهم رجل إلا قد أعطاني الطاعة و سمح لي بالبيعة فقدما على عاملي و خزان بيت مالي و على أهل مصري الذين كلهم على بيعتي و في طاعتي فشتتوا كلمتهم و أفسدوا جماعتهم ثم وثبوا على شيعتي من المسلمين فقتلوا طائفة منهم غدرا و طائفة صبرا [1] و منهم طائفة غضبوا لله و لي فشهروا سيوفهم و ضربوا بها حتى لقوا الله عز و جل صادقين فو الله لو لم يصيبوا منهم إلا رجلا واحدا متعمدين لقتله لحل لي به قتل ذلك الجيش بأسره فدع ما أنهم قد قتلوا من المسلمين أكثر من العدة التي دخلوا بها عليهم و قد أدال الله منهم **فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ثم إني نظرت في أمر أهل الشام فإذا أعراب أحزاب و أهل طمع جفاة طغاة يجتمعون من كل أوب من كان ينبغي أن يؤدب و أن يولى عليه و يؤخذ على يده ليسوا من الأنصار و لا المهاجرين و لا التابعين بإحسان فسرت إليهم فدعوتهم إلى الطاعة و الجماعة فأبوا إلا شقاقا و فراقا و نهضوا في وجوه المسلمين ينضحونهم بالنبل و يشجرونهم [2] بالرماح فهناك نهدت [3] إليهم بالمسلمين فقاتلتهم فلما عضهم السلاح و وجدوا ألم الجراح رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها فأنبأتكم أنهم ليسوا بأهل دين و لا قرآن و أنهم رفعوها مكيدة و خديعة و وهنا و ضعفا فامضوا على حقكم و قتالكم فأبيتم علي و قلتم اقبل منهم فإن أجابوا إلى ما في الكتاب جامعونا على ما نحن عليه من

---

(1) صبرا، أي حبسا.
(2) يشجرونهم بالرمح: يطعنونهم.
(3) نهد للقتال: نهض.

الحق و إن أبوا كان أعظم لحجتنا عليهم فقبلت منهم و كففت عنهم إذ ونيتم و أبيتم فكان الصلح بينكم و بينهم على رجلين يحييان ما أحيا القرآن و يميتان ما أمات القرآن فاختلف رأيهما و تفرق حكمهما و نبذا ما في القرآن و خالفا ما في الكتاب فجنبهما الله السداد و دلاهما في الضلالة فانحرفت فرقة منا فتركناهم ما تركونا حتى إذا عثوا [1] في الأرض يقتلون و يفسدون أتيناهم فقلنا ادفعوا إلينا قتلة إخواننا ثم كتاب الله بيننا و بينكم قالوا كلنا قتلهم و كلنا استحل دماءهم و شدت علينا خيلهم و رجالهم فصرعهم الله مصارع الظالمين فلما كان ذلك من شأنهم أمرتكم أن تمضوا من فوركم ذلك إلى عدوكم فقلتم كلت سيوفنا و نفدت نبالنا و نصلت أسنة رماحنا و عاد أكثرها قصدا [2] فارجع بنا إلى مصرنا لنستعد بأحسن عدتنا فإذا رجعت زدت في مقاتلتنا عدة من هلك منا و فارقنا فإن ذلك أقوى لنا على عدونا فأقبلت بكم حتى إذا أطللتم على الكوفة أمرتكم أن تنزلوا بالنخيلة و أن تلزموا معسكركم و أن تضموا قواصيكم و أن توطنوا على الجهاد أنفسكم و لا تكثروا زيارة أبنائكم و نسائكم فإن أهل الحرب لمصابروها و أهل التشمير فيها الذين لا ينقادون من سهر ليلهم و لا ظمإ نهارهم و لا خمص بطونهم و لا نصب أبدانهم فنزلت طائفة منكم معي معذرة و دخلت طائفة منكم المصر عاصية فلا من بقي منكم صبر و ثبت و لا من دخل المصر عاد و رجع فنظرت إلى معسكري و ليس فيه خمسون رجلا فلما رأيت ما أتيتم دخلت إليكم فلم أقدر على أن تخرجوا معي إلى يومنا هذا فما تنتظرون أ ما ترون أطرافكم قد انتقصت و إلى مصر قد فتحت و إلى شيعتي بها قد قتلت و إلى مسالحكم تعرى و إلى بلادكم تغزى و أنتم ذوو عدد كثير

---

(1) عثى: أفسد، مثل عاث.

(2) القصد: جمع قصدة؛ و هي القطعة المتكسرة.

و شوكة و بأس شديد فما بالكم لله أنتم من أين تؤتون و ما لكم تؤفكون و أنى تسحرون و لو أنكم عزمتم و أجمعتم لم تراموا إلا أن القوم تراجعوا و تناشبوا و تناصحوا و أنتم قد ونيتم و تغاششتم و افترقتم ما إن أنتم إن ألممتم عندي على هذا بسعداء [1] فانتهوا بأجمعكم و أجمعوا على حقكم و تجردوا لحرب عدوكم و قد أبدت الرغوة عن الصريح و بين الصبح لذي عينين إنما تقاتلون الطلقاء و أبناء الطلقاء و أولي الجفاء و من أسلم كرها و كان 14لرسول الله ص أنف [2] الإسلام كله حربا أعداء الله و السنة و القرآن و أهل البدع و الأحداث و من كان بوائقه تتقى و كان عن الإسلام منحرفا أكلة الرشا و عبدة الدنيا لقد أنهي إلي أن ابن النابغة لم يبايع معاوية حتى أعطاه و شرط له أن يؤتيه ما هي أعظم مما في يده من سلطانه ألا صفرت يد هذا البائع دينه بالدنيا و خزيت أمانة هذا المشتري نصرة فاسق غادر بأموال المسلمين و إن فيهم من قد شرب فيكم الخمر و جلد الحد يعرف بالفساد في الدين و الفعل السيئ و إن فيهم من لم يسلم حتى رضخ له رضيخه [3] فهؤلاء قادة القوم و من تركت ذكر مساوئه من قادتهم مثل من ذكرت منهم بل هو شر و يود هؤلاء الذين ذكرت لو ولوا عليكم فأظهروا فيكم الكفر و الفساد و الفجور و التسلط بجبرية و اتبعوا الهوى و حكموا بغير الحق و لأنتم على ما كان فيكم من تواكل و تخاذل خير منهم و أهدى سبيلا فيكم العلماء و الفقهاء و النجباء و الحكماء و حملة الكتاب و المتهجدون بالأسحار و عمار المساجد بتلاوة القرآن أ فلا تسخطون و تهتمون أن ينازعكم الولاية عليكم سفهاؤكم و الأشرار الأراذل منكم

(1) كذا في ب، و هي ساقطة من ا، ج.
(2) أنف كل شيء: أوله.
(3) الرضيخة: العطية القليلة .

فاسمعوا قولي و أطيعوا أمري فو الله لئن أطعتموني لا تغوون و إن عصيتموني لا ترشدون خذوا للحرب أهبتها و أعدوا لها عدتها فقد شبت نارها و علا سنانها و تجرد لكم فيها الفاسقون كي يعذبوا عباد الله و يطفئوا نور الله ألا إنه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع و المكر و الجفاء بأولى في الجد في غيهم و ضلالتهم من أهل البر و الزهادة و الإخبات في حقهم و طاعة ربهم إني و الله لو لقيتهم فردا و هم ملأ الأرض ما باليت و لا استوحشت و إني من ضلالتهم التي هم فيها و الهدى الذي نحن عليه لعلى ثقة و بينة و يقين و بصيرة و إني إلى لقاء ربي لمشتاق و لحسن ثوابه لمنتظر و لكن أسفا يعتريني و حزنا يخامرني أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها و فجارها فيتخذوا مال الله دولا و عباده خولا و الفاسقين حزبا و ايم الله لو لا ذلك لما أكثرت تأنيبكم و تحريضكم و لتركتكم إذ ونيتم و أبيتم حتى ألقاهم بنفسي متى حم لي لقاؤهم فو الله إني لعلى الحق و إني للشهادة لمحب ف **اِنْفِرُوا خِفَافاً وَ ثِقَالاً وَ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اَللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** و لا تثاقلوا إلى الأرض فتقروا بالخسف و تبوءوا بالذل و يكن نصيبكم الخسران إن [1] أخا الحرب اليقظان و من ضعف أودى و من ترك الجهاد كان كالمغبون المهيناللهم اجمعنا و إياهم على الهدى و زهدنا و إياهم في الدنيا و اجعل الآخرة خيرا لنا و لهم من الأولى .

خبر مقتل محمد بن أبي حذيفة

17- قال إبراهيم و حدثني محمد بن عبد الله بن عثمان عن المدائني أن محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس أصيب لما فتح عمرو بن العاص مصر فبعث به

---

(1) تكملة يقتضيها السياق.

إلى معاوية بن أبي سفيان و هو يومئذ بفلسطين فحبسه معاوية في سجن له فمكث فيه غير كثير ثم هرب و كان ابن خال معاوية فأرى معاوية الناس أنه كره انفلاته من السجن و كان يحب أن ينجو فقال لأهل الشام من يطلبه فقال رجل من خثعم يقال له عبيد الله بن عمرو بن ظلام و كان شجاعا و كان عثمانيا أنا أطلبه فخرج في خيل فلحقه بحوارين [1] . و قد دخل بغار هناك فجاءت حمر فدخلته فلما رأت الرجل في الغار فزعت و نفرت فقال حمارون كانوا قريبا من الغار إن لهذه الحمر لشأنا ما نفرها من هذا الغار إلا أمر فذهبوا ينظرون فإذا هم به فخرجوا به فوافاهم عبد الله بن عمرو بن ظلام فسألهم و وصفه لهم فقالوا ها هو هذا فجاء حتى استخرجه و كره أن يصير به إلى معاوية فيخلي سبيله فضرب عنقه رحمه الله تعالى.

(1) حوارين، من قرى حلب، أو حصن بناحية حمص (مراصد الاضلاع) .

1068 68 و من كلام له ع في ذم أصحابه

كَمْ أُدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى اَلْبِكَارُ اَلْعَمِدَةُ وَ اَلثِّيَابُ اَلْمُتَدَاعِيَةُ كُلَّمَا حِيصَتْ مِنْ جَانِبٍ تَهَتَّكَتْ مِنْ آخَرَ كُلَّمَا أَطَلَّ عَلَيْكُمْ مِنْسَرٌ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ اَلشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ وَ اِنْجَحَرَ اِنْجِحَارَ اَلضَّبَّةِ فِي جُحْرِهَا وَ اَلضَّبُعِ فِي وِجَارِهَا اَلذَّلِيلُ وَ اَللَّهِ مَنْ نَصَرْتُمُوهُ وَ مَنْ رُمِيَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِيَ بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ إِنَّكُمْ وَ اَللَّهِ لَكَثِيرٌ فِي اَلْبَاحَاتِ قَلِيلٌ تَحْتَ اَلرَّايَاتِ وَ إِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ وَ يُقِيمُ أَوَدَكُمْ وَ لَكِنِّي وَ اَللَّهِ لاَ أَرَى إِصْلاَحَكُمْ بِإِفْسَادِ [فَسَادِي] نَفْسِي أَضْرَعَ اَللَّهُ خُدُودَكُمْ وَ أَتْعَسَ جُدُودَكُمْ لاَ تَعْرِفُونَ اَلْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ اَلْبَاطِلَ وَ لاَ تُبْطِلُونَ اَلْبَاطِلَ كَإِبْطَالِكُمُ اَلْحَقَّ (1) -. **اَلبكار** جمع بكر و هو الفتى من الإبل و **العمدة** التي قد انشدخت أسنمتها من داخل و ظاهرها صحيح و ذلك لكثرة ركوبها (2) - .

و الثياب المتداعية الأسمال التي قد أخلقت و إنما سميت متداعية لأن بعضها يتخرق فيدعو بعضها إلى مثل حاله (3) - .

و **حيصت** خيطت و الحوص الخياطة و **تهتكت** تخرقت (4) -

و **أطل عليكم** أي أشرف و روي أظل بالظاء المعجمة و المعنى واحد .

و **منسر** قطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكثير و الأفصح منسر بكسر الميم و فتح السين و يجوز منسر بفتح الميم و كسر السين (1) - .

و **انجحر** استتر في بيته أجحرت الضب إذا ألجأته إلى جحره فانجحر .

و **الضبة** أنثى الضباب و إنما أوقع التشبيه على الضبة مبالغة في وصفهم بالجبن و الفرار لأن الأنثى أجبن و أذل من الذكر (2) - و **الوجار** بيت الضبع (3) - .

و السهم **الأفوق الناصل** المكسور الفوق المنزوع النصل و الفوق موضع الوتر من السهم يقال نصل السهم إذا خرج منه النصل فهو ناصل و هذا مثل يضرب لمن استنجد بمن لا ينجده (4) - .

و **الباحات** جمع باحة و هي ساحة الدار (5) - و **الأود** العوج أود الشيء بكسر الواو يأود أودا أي أعوج و تأود أي تعوج (6) - و **أضرع الله خدودكم** أذل وجوهكم .

ضرع الرجل ذل و أضرعه غيره و منه المثل الحمى أضرعته لك (7) - [1] .

و أتعس جدودكم أي أحال حظوظكم و سعودكم و أهلكها فجعلها إدبارا و نحسا .

و التعس الهلاك و أصله الكب و هو ضد الانتعاش تعس الرجل بفتح العين يتعس تعسا يقول كم أداريكم كما يداري راكب البعير بعيره المنفضخ السنام و كما يداري لابس الثوب السمل ثوبه المتداعي الذي كلما خيط منه جانب تمزق جانب (8) - .

ثم ذكر خبثهم و ذلهم و قلة انتصار من ينتصر بهم و أنهم كثير في الصورة قليل في المعنى ثم قال إني عالم بما يصلحكم يقول إنما يصلحكم في السياسة السيف و صدق فإن كثيرا لا يصلح إلا عليه كما فعل الحجاج بالجيش الذي تقاعد بالمهلب

---

(1) الميداني 1: 205، يضرب في الذل عند الحاجة تنزل.

فإنه نادى مناديه من وجدناه بعد ثالثة لم يلتحق بالمهلب فقد حل لنا دمه ثم قتل عمير بن ضابئ و غيره فخرج الناس يهرعون إلى المهلب . و 1أمير المؤمنين لم يكن ليستحل من دماء أصحابه ما يستحله من يريد الدنيا و سياسة الملك و انتظام الدولة قال ع **لكني لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي** أي بإفساد ديني عند الله تعالى .

فإن قلت أ ليست نصرة الإمام واجبة عليهم فلم لا يقتلهم إذ أخلوا بهذا الواجب قلت ليس كل إخلال بواجب يكون عقوبته القتل كمن أخل بالحج و أيضا فإنه كان يعلم أن عاقبة القتل فسادهم عليه و اضطرابهم فلو أسرع في قتلهم لشغبوا عليه شغبا يفضي إلى أن يقتلوه و يقتلوا أولاده أو يسلموه و يسلموهم إلى معاوية و متى علم هذا أو غلب على ظنه لم يجز له أن يسوسهم بالقتل الذي يفضي إلى هذه المفسدة فلو ساسهم بالقتل و الحال هذه لكان آثما عند الله تعالى و مواقعا للقبيح و في ذلك إفساد دينه (1) - كما قال **لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل** إلى آخر الفصل فكأنه قال لا تعتقدون الصواب و الحق كما تعتقدون الخطأ و الباطل أي اعتقادكم الحق قليل و اعتقادكم الباطل كثير فعبر عن الاعتقاد العام بالمعرفة الخاصة و هي نوع تحت جنسه مجازا .

ثم قال و لا تسرعون في نقض الباطل سرعتكم في نقض الحق و هدمه

طائفة من الأشعار الواردة في ذم الجبن

و اعلم أن الهجاء بالجبن و الذل الفرق كثير جدا و نظير قوله **إنكم لكثير في الباحات قليل تحت الرايات** قول معدان الطائي

فأما الذي يحصيهم فمكثر # و أما الذي يطريهم فمقلل [1] .

(1) ديوان الحماسة-بشرح المرزوقى 3: 1463.

و نحو قول قراد بن حنش و هو من شعر الحماسة [1]

و أنتم سماء يعجب الناس رزها # بآبدة تنحي شديد وئيدها [2] تقطع أطناب البيوت بحاصب # و أكذب شيء برقها و رعودها [3] فويلمها خيلا بهاء و شارة # إذا لاقت الأعداء لو لا صدودها.

و من شعر الحماسة في هذا المعنى

لقد كان فيكم لو وفيتم بجاركم # لحى و رقاب عردة و مناخر [4] من الصهب أثناء و جذعا كأنها # عذارى عليها شارة و معاجر [5] .

و من الهجاء بالجبن و الفرار قول بعض بني طيئ يهجو حاتما و هو من شعر الحماسة أيضا [6] لعمري و ما عمري على بهين # لبئس الفتى المدعو بالليل حاتم

غداة أتى كالثور أحرج فاتقى # بجبهته أقتاله و هو قائم [7] كأن بصحراء المريط نعامة # تبادرها جنح الظلام نعائم

أعارتك رجليها و هافي لبها # و قد جردت بيض المتون صوارم

_____

(1) ديوان الحماسة-بشرح المرزوقى 3: 1431؛ من أبيات أربعة أولها: لقومى أرعى للعلا من عصابة # من الناس يا حار بن عمرو تسودها.
(2) رزها: صوتها، أي صوت رعدها. و الآبدة: الغريبة. و تنحى: تعتمد.
(3) الحاصب: الريح تجيء بالحصباء.
(4) من أبيات لمنصور بن مسجاح الضبى؛ حماسة أبى تمام-بشرح التبريزى 4: 25. عردة: غلاظ.
(5) يريد من الإبل الصهب، و الصهبة: حمرة يعلوها بياض. و أثناء: جمع ثنى؛ و هو من الإبل ما يلقى ثنيته؛ و ذلك في السنة الثالثة و الجذع: جمع جذع؛ و هو ما قبل الثنى. و المعجر: ثوب أصغر من الرداء تلبسه المرأة. و في التبريزى: «و معاصر» .
(6) ليزيد بن قنافة. ديوان الحماسة-بشرح المرزوقى 3: 1464.
(7) غداة أتى كالثور؛ يعنى حاتما، و أحرج: ضيق عليه و أخرج من عادته، و الأقتال: الأقران و الأعداء، واحده قتل .

غ

و نظير المعنى الأول أيضا قول بعضهم من شعر الحماسة

كاثر بسعد إن سعدا كثيرة # و لا ترج من سعد وفاء و لا نصرا [1] يروعك من سعد بن عمرو جسومها # و تزهد فيها حين تقتلها خبرا.

و منه قول عويف القوافي

و ما أمكم تحت الخوافق و القنا # بثكلى و لا زهراء من نسوة زهر [2] أ لستم أقل الناس عند لوائهم # و أكثرهم عند الذبيحة و القدر.

و ممن حسن الجبن و الفرار بعض الشعراء في قوله

أضحت تشجعني هند و قد علمت # أن الشجاعة مقرون بها العطب [3] لا و الذي حجت الأنصار كعبته # ما يشتهي الموت عندي من له أرب

للحرب قوم أضل الله سعيهم # إذا دعتهم إلى حوماتها وثبوا

و لست منهم و لا أهوى فعالهم # لا القتل يعجبني منها و لا السلب.

و من هذا قول أيمن بن خريم الأسدي

إن للفتنة ميطا بينا # و وريد الميط منها يعتدل [4] فإذا كان عطاء فابتدر # و إذا كان قتال فاعتزل

إنما يسعرها جهالها # حطب النار فدعها تشتعل.

و ممن عرف بالجبن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد عيره عبد الملك بن مروان فقال

---

(1) ديوان الحماسة-بشرح التبريزى 4: 91، من غير نسبة، و بعده: و لا تدع سعدا للقراع و خلّها # إذا أمنت و نعتها البلد القفرا.
(2) ديوان الحماسة-بشرح التبريزى 4: 99.
(3) عيون الأخبار 4: 164، من غير نسبة، العقد 1: 166.
(4) عيون الأخبار 1: 164، العقد 1: 167. و الميط: الصخب و الشدة.

إذا صوت العصفور طار فؤاده # و ليث حديد الناب عند الثرائد [1] .

و قال آخر

يطير فؤاده من نبح كلب # و يكفيه من الزجر الصفير.

و قال آخر

و لو أنها عصفورة لحسبتها # مسومة تدعو عبيدا و أزنما

(2)

أخبار الجبناء و ذكر نوادرهم

و من أخبار الجبناء ما **1- رواه ابن قتيبة في كتاب عيون الأخبار قال رأى عمرو بن العاص معاوية يوما فضحك و قال مم تضحك يا أمير المؤمنين أضحك الله سنك قال أضحك من حضور ذهنك عند إبدائك سوءتك يوم 1ابن أبي طالب و الله لقد وجدته منانا كريما [3] و لو شاء أن يقتلك لقتلك فقال عمرو يا أمير المؤمنين أما و الله إني لعن يمينك حين دعاك إلى البراز فأحولت عيناك و انفتح سحرك و بدا منك ما أكره ذكره لك فمن نفسك فاضحك أو فدع [4] . 17- قال ابن قتيبة و قدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك و عليه درع و عمامة سوداء و قوس عربية و كنانة فبعثت أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان إلى الوليد و هي تحته يومئذ من هذا الأعرابي المستلئم في الصلاح عندك على خلوة و أنت في غلالة**

---

(1) عيون الأخبار 1: 166، العقد 1: 168.
(2) هو العوام بن شوذب الشيباني، عيون الأخبار 1: 166 و البيت من شواهد المغني 2: 196.
(3) من عيون الأخبار.
(4) عيون الأخبار 4: 169.

فأرسل إليها الوليد أنه الحجاج فأعادت عليه الرسول و الله لأن يخلو بك ملك الموت أحب إلي من أن يخلو بك الحجاج فضحك و أخبر الحجاج بقولها و هو يمازحه فقال الحجاج يا أمير المؤمنين دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول فإنما المرأة ريحانة و ليست بقهرمانة فلا تطلعها على سرك و مكايدة عدوك .

فلما انصرف الحجاج و دخل الوليد على امرأته أخبرها بمقالة الحجاج فقالت يا أمير المؤمنين حاجتي إليك اليوم أن تأمره غدا أن يأتيني مستلئما ففعل ذلك و أتاها الحجاج فحجبته ثم أدخلته و لم تأذن له في القعود فلم يزل قائما ثم قالت إيه يا حجاج أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتلك ابن الزبير و ابن الأشعث أما و الله لو لا أن الله علم أنك شر خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة الحرام و لا بقتل ابن ذات النطاقين أول مولود في الإسلام و أما نهيك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء و بلوغ لذاته و أوطاره فإن كن ينفرجن عن مثلك فما أحقه بالقبول منك و إن كن ينفرجن عن مثله فهو غير قابل لقولك أما و الله لو نفض نساء أمير المؤمنين الطيب من غدائرهن فبعنه في أعطية أهل الشام حين كنت في أضيق من القرن قد أظلتك الرماح و أثخنك الكفاح و حين كان أمير المؤمنين أحب إليهم من آبائهم و أبنائهم فأنجاك الله من عدو أمير المؤمنين بحبهم إياه قاتل الله القائل حين ينظر إليك و سنان غزالة [1] بين كتفيك

أسد علي و في الحروب نعامة # ربداء تنفر من صفير الصافر

هلا برزت إلى غزالة في الوغى # أم كان قلبك في جناحي طائر.

ثم قالت لجواريها أخرجنه فاخرج [2] .

(1) غزالة: امرأة شبيب الخارجي.
(2) عيون الأخبار 1: 169، 170.

و من طريف حكايات الجبناء ما **17- ذكره ابن قتيبة أيضا في الكتاب المذكور قال كان بالبصرة شيخ من بني نهشل بن دارم يقال له عروة بن مرثد و يكنى أبا الأعز ينزل في بني أخت له من الأزد في سكة بني مازن فخرج رجالهم إلى ضياعهم في شهر رمضان و خرج النساء يصلين في مسجدهم و لم يبق في الدار إلا إماء فدخل كلب يتعسس فرأى بيتا مفتوحا فدخله و انصفق الباب عليه فسمع بعض الإماء الحركة فظنوا أنه لص دخل الدار فذهبت إحداهن إلى أبي الأعز فأخبرته فقال أبو الأعز إلام يبتغي اللص عندنا و أخذ عصاه و جاء حتى وقف بباب البيت و قال إيه يا فلان أما و الله إني بك لعارف فهل أنت من لصوص بني مازن شربت حامضا خبيثا حتى إذا دارت في رأسك منتك نفسك الأماني و قلت أطرق دور بني عمرو و الرجال خلوف و النساء يصلين في مسجدهن فأسرقهم سوءة لك و الله ما يفعل هذا ولد الأحرار و ايم الله لتخرجن أو لأهتفن هتفة مشئومة يلتقي فيها الحيان عمرو و حنظلة و تجيء سعد عدد الحصى و تسيل عليك الرجال من هنا و هنا و لئن فعلت لتكونن أشأم مولود .**

فلما رأى أنه لا يجيبه أخذه باللين فقال اخرج بأبي أنت مستورا و الله ما أراك تعرفني و لو عرفتني لقنعت بقولي و اطمأننت إلى ابن أختي البار الوصول أنا فديتك أبو الأعز النهشلي و أنا خال القوم و جلدة بين أعينهم لا يعصونني و لا تضار الليلة و أنت في ذمتي و عندي قوصرتان [1] أهداهما إلى ابن أختي البار الوصول فخذ إحداهما فانبذها حلالا من الله و 14رسوله .

و كان الكلب إذا سمع الكلام أطرق و إذا سكت أبو الأعز وثب يريد المخرج فتهانف [2] أبو الأعز ثم تضاحك و قال يا ألأم الناس و أوضعهم أ لا أراني لك منذ الليلة

---

(1) القوصرة، مخفف و مثقل: وعاء يرفع فيه التمر من البوارى.
(2) التهانف: الضحك و الاستهزاء.

في واد و أنت لي في واد آخر أقبلت السوداء و البيضاء فتصيح و تطرق فإذا سكت عنك وثبت تريد الخروج و الله لتخرجن أو لألجن عليك البيت .

فلما طال وقوفه جاءت إحدى الإماء فقالت أعرابي مجنون و الله ما أرى في البيت شيئا فدفعت الباب فخرج الكلب شاردا و حاد عنه أبو الأعز ساقطا على قفاه شائلة رجلاه و قال تالله ما رأيت كالليلة هذه ما أراه إلا كلبا و لو علمت بحاله لولجت عليه [1] . و نظير هذه الحكاية **17- حكاية أبي حية النميري و كان جبانا قيل كان لأبي حية سيف ليس بينه و بين الخشب فرق كان يسميه لعاب المنية فحكى عنه بعض جيرانه أنه قال أشرفت عليه ليلة و قد انتضاه و هو واقف بباب بيت في داره و قد سمع فيه حسا و هو يقول أيها المغتر بنا المجترئ علينا بئس و الله ما اخترت لنفسك خير قليل و سيف صقيل لعاب المنية الذي سمعت به مشهورة صولته و لا تخاف نبوته اخرج بالعفو عنك لا أدخل بالعقوبة عليك إني و الله إن أدع قيسا تملأ الفضاء عليك خيلا و رجلا سبحان الله ما أكثرها و أطيبها و الله ما أنت ببعيد من تابعها و الرسوب في تيار لجتها .**

و قال وهبت ريح ففتحت الباب فخرج كلب يشتد فلبط بأبي حية و أربد و شغر برجليه و تبادرت إليه نساء الحي فقلن يا أبا حية لتفرخ روعتك إنما هو كلب فجلس و هو يقول الحمد لله الذي مسخك كلبا و كفاني حربا [2] . و خرج مغيرة بن سعيد العجلي في ثلاثين رجلا ظهر الكوفة فعطعطوا [3] و خالد بن عبد الله القسري أمير العراق يخطب على المنبر فعرق و اضطرب و تحير و جعل يقول أطعموني ماء فهجاه ابن نوفل فقال

---

(1) عيون الأخبار 1: 168، 169.
(2) عيون الأخبار 1: 168.
(3) العطعطة: تتابع الأصوات و اختلافها.

أ خالد لا جزاك الله خيرا # و أيري في حر أمك من أمير [1] تروم الفخر في أعراب قسر # كأنك من سراة بني جرير

جرير من ذوي يمن أصيل # كريم الأصل ذو خطر كبير

و أمك علجة و أبوك وغد # و ما الأذناب عدل للصدور

و كنت لدى المغيرة عبد سوء # تبول من المخافة للزئير

لأعلاج ثمانية و شيخ # كبير السن ليس بذي ضرير [2] صرخت من المخافة أطعموني # شرابا ثم بلت على السرير.

و قال آخر يعيره بذلك

بل المنابر من خوف و من دهش # و استطعم الماء لما جد في الهرب [3] .

و من كلام ابن المقفع في ذم الجبن الجبن مقتلة و الحرص محرمة فانظر فيما رأيت و سمعت من قتل في الحرب مقبلا أكثر أم من قتل مدبرا و انظر من يطلب إليك بالإجمال و التكرم أحق أن تسخو نفسك له بالعطية أم من يطلب ذلك بالشره و الحرص

_____

(1) من أبيات وردت متفرقة في البيان و التبيين 3: 267/4: 205، و الحيوان 2: 267/4: 322/7: 20.

(2) أورد المرزبانى هذا البيت في الموشح 235، و عده شاهدا على ما في الشعر من التناقض، قال: فلفظة «ضرير» إنّما تستعمل-و هي تصريف من الضر-في الأكثر للذى لا بصر له، و قول هذا الشاعر في هذا الشيخ: إنّه ذو بصر و أنّه ضرير تناقض من جهة القنية و العدم؛ و ذلك أنّه كأنّه يقول: إن له بصرا و لا بصر له؛ فهو بصير أعمى.

(3) البيت أيضا ليحيى بن نوفل، ذكره الجاحظ في البيان 1: 122، و أورد بعده: و ألحن النّاس كلّ النّاس قاطبة # و كان يولع بالتّشديق في الخطب .

.

غ

1069 69 و قال ع في سحرة اليوم الذي ضرب فيه

مَلَكَتْنِي عَيْنِي وَ أَنَا جَالِسٌ فَسَنَحَ لِي 14رَسُولُ اَللَّهِ ص فَقُلْتُ يَا 14رَسُولَ اَللَّهِ مَا ذَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ اَلْأَوَدِ وَ اَللَّدَدِ فَقَالَ اُدْعُ عَلَيْهِمْ فَقُلْتُ أَبْدَلَنِيَ اَللَّهُ بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ وَ أَبْدَلَهُمْ بِي شَرّاً لَهُمْ مِنِّي. قال الرضي رحمه الله يعني بالأود الاعوجاج و باللدد الخصام و هذا من أفصح الكلام (1) - قوله **ملكتني عيني** من فصيح الكلام يريد غلبني النوم (2) - قوله **فسنح لي 14رسول الله ص** يريد مر بي كما تسنح الظباء و الطير يمر بك و يعترض لك (3) - .

و **ذا** هاهنا بمعنى الذي كقوله تعالى **مَا ذَا تَرىَ** [1] أي ما الذي ترى يقول **قلت له ما** الذي **لقيت من أمتك** و ما هاهنا استفهامية كأي و يقال ذلك فيما يستعظم أمره كقوله سبحانه **اَلْقَارِعَةُ `مَا اَلْقَارِعَةُ (4) -** [2] و **شرا** هاهنا لا يدل على أن فيه شرا كقوله **قُلْ أَ ذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ اَلْخُلْدِ** [3] لا يدل على أن في النار خيرا

---

(1) سورة الصافّات 102.
(2) سورة القارعة 1، 2.
(3) سورة الفرقان 15.

خبر مقتل 1الإمام علي كرم الله وجهه

و يجب أن نذكر في هذا الموضع مقتله ع و أصح ما ورد في ذلك ما ذكره أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في كتاب مقاتل الطالبيين [1] .

1- قال أبو الفرج علي بن الحسين بعد أسانيد ذكرها مختلفة متفرقة تجتمع على معنى واحد نحن ذاكروه إن نفرا من الخوارج اجتمعوا بمكة فتذاكروا أمر المسلمين فعابوهم و عابوا أعمالهم عليهم و ذكروا أهل فترحموا عليهم و قال بعضهم لبعض لو أنا شرينا أنفسنا لله عز و جل فأتينا أئمة الضلال و طلبنا غرتهم و أرحنا منهم العباد و البلاد و ثأرنا بإخواننا الشهداء. فتعاقدوا عند انقضاء الحج فقال عبد الرحمن بن ملجم أنا أكفيكم 1عليا و قال واحد أنا أكفيكم معاوية و قال الثالث أنا أكفيكم عمرو بن العاص فتعاقدوا و تواثقوا على الوفاء و ألا ينكل أحد منهم عن صاحبه الذي يتوجه إليه و لا عن قتله و اتعدوا لشهر رمضان في الليلة التي قتل فيها ابن ملجم 1عليا .

قال أبو الفرج قال أبو مخنف قال أبو زهير العبسي الرجلان الآخران البرك بن عبد الله التميمي و هو صاحب معاوية و عمرو بن بكر التميمي و هو صاحب عمرو بن العاص .

قال فأما صاحب معاوية فإنه قصده فلما وقعت عينه عليه ضربه فوقعت ضربته على أليته و أخذ فجاء الطبيب إليه فنظر إلى الضربة فقال إن السيف مسموم فاختر إما أن أحمي لك حديدة فأجعلها في الضربة فتبرأ [2] و إما أن أسقيك دواء فتبرأ و ينقطع نسلك فقال أما النار فلا أطيقها و أما النسل ففي يزيد و عبد الله ما تقر عيني و حسبي بهما .

فسقاه الدواء فعوفي و عالج جرحه حتى التأم و لم يولد له بعد ذلك .

---

(1) مقاتل الطالبيين ص 29 و ما بعدها.
(2) من مقاتل الطالبيين.

و قال له البرك بن عبد الله إن لك عندي بشارة قال و ما هي فأخبره خبر صاحبه و قال له إن 1علیا قتل في هذه الليلة فاحتبسني عندك فإن قتل فأنت ولي ما تراه في أمري و إن لم يقتل أعطيتك العهود و المواثيق أن أمضي إليه فأقتله ثم أعود إليك فأضع يدي في يدك حتى تحكم في بما ترى فحبسه عنده فلما أتي الخبر أن 1علیا قتل في تلك الليلة خلى سبيله .

هذه رواية إسماعيل بن راشد و قال غيره من الرواة بل قتله من وقته .

و أما صاحب عمرو بن العاص فإنه وافاه في تلك الليلة و قد وجد علة فأخذ دواء و استخلف رجلا يصلي بالناس يقال له خارجة بن أبي حبيبة أحد بني عامر بن لؤي فخرج للصلاة فشد عمرو بن بكر فضربه بالسيف فأثبته [1] و أخذ الرجل فأتي به عمرو بن العاص فقتله و دخل من غد إلى خارجة و هو يجود بنفسه فقال أما و الله يا أبا عبد الله ما أراد غيرك قال عمرو و لكن الله أراد خارجة . و أما ابن ملجم فإنه قتل 1علیا تلك الليلة . **1- قال أبو الفرج و حدثني محمد بن الحسن الأشناداني و غيره قال أخبرني علي بن المنذر الطريقي قال حدثنا ابن فضيل قال حدثنا فطر [2] عن أبي الطفيل قال جمع 1علي ع الناس للبيعة فجاء عبد الرحمن بن ملجم فرده 1علي مرتين أو ثلاثا ثم مد يده فبايعه فقال له 1علي ما يحبس أشقاها فو الذي نفسي بيده لتخضبن هذه من هذه ثم أنشد**

اشدد حيازيمك للموت # فإن الموت لاقيكا

و لا تجزع من الموت # إذا حل بواديكا

1- قال أبو الفرج .

---

(1) أثبته: أى جرحه.

(2) في الأصول: «قطن» ، تصحيف، صوابه من مقاتل الطالبيين؛ و هو فطر بن خليفة المخزومى، ذكره صاحب التهذيب فيمن روى عن أبي الطفيل عامر بن واثلة.

و قد روي لنا من طرق غير هذه أن 1عليا أعطى الناس فلما بلغ ابن ملجم أعطاه و قال له

أريد حياته و يريد قتلي # عذيرك من خليلك من مراد

1- . قال أبو الفرج و حدثني أحمد بن عيسى العجلي بإسناد ذكره في الكتاب إلى أبي زهير العبسي قال كان ابن ملجم من مراد و عداده في كندة فأقبل حتى قدم الكوفة فلقي بها أصحابه و كتمهم أمره و طوى عنهم ما تعاقد هو و أصحابه عليه بمكة من قتل أمراء المسلمين مخافة أن ينتشر و زار رجلا من أصحابه ذات يوم من بني تيم الرباب فصادف عنده قطام بنت الأخضر من بني تيم الرباب و كان 1علي قتل أخاها و أباهاو كانت من أجمل نساء أهل زمانها فلما رآها شغف بها و اشتد إعجابه فخطبها فقالت له ما الذي تسمي لي من الصداق فقال احتكمي ما بدا لك فقالت أحتكم عليك ثلاثة آلاف درهم و وصيفا و خادما و أن تقتل 1علي بن أبي طالب . فقال لها لك جميع ما سألت و أما قتل 1علي فأنى لي بذلك قالت تلتمس غرته فإن أنت قتلته شفيت نفسي و هنأك العيش معي و إن قتلت فما عند الله خير لك من الدنيا فقال لها أما و الله ما أقدمني هذا المصر و قد كنت هاربا منه لآمن أهله إلا ما سألتني من قتل 1علي . قالت له فأنا طالبة لك بعض من يساعدك على هذا و يقويك ثم بعثت إلى وردان بن مجالد أحد بني تيم الرباب فخبرته الخبر و سألته معاونة ابن ملجم فتحمل لها ذلك و خرج ابن ملجم فأتى رجلا من أشجع يقال له شبيب بن بجرة و قال له يا شبيب هل لك في شرف الدنيا و الآخرة قال و ما ذاك قال تساعدني على قتل 1علي و كان شبيب على رأي الخوارج فقال له هبلتك الهبول [2] لقد جئت **شَيْئاً إِدًّا** و كيف تقدر ويحك على ذلك قال ابن ملجم نكمن له في المسجد الأعظم

---

(1) البيت لعمرو بن معديكرب، اللآلى 138، و روايته هناك: «أريد حباءه» .
(2) الهبل: الثكل، و الهبول: المرأة الثكول.

فإذا خرج لصلاة الفجر فتكنا به و شفينا أنفسنا منه و أدركنا ثأرنا فلم يزل به حتى أجابه .

فأقبل به حتى دخلا على قطام و هي معتكفة في المسجد الأعظم قد ضربت لها قبة فقالا لها قد أجمع رأينا على قتل هذا الرجل قالت لهما فإذا أردتما ذلك فالقياني في هذا الموضع فانصرفا من عندها فلبثا أياما ثم أتياها و معهما وردان بن مجالد الذي كلفته مساعدة ابن ملجم و ذلك في ليلة الجمعة لتسع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربعين .

قال أبو الفرج هكذا في رواية [1] أبي مخنف و في رواية أبي عبد الرحمن السلمي أنها كانت ليلة سبع عشرة من شهر رمضان فقال لها ابن ملجم هذه الليلة هي التي وعدت فيها صاحبي و وعداني أن يقتل كل واحد منا صاحبه الذي يتوجه إليه . قلت إنما تواعدوا بمكة عبد الرحمن و البرك و عمرو على هذه الليلة لأنهم يعتقدون أن قتل ولاة الجور قربة إلى الله و أحرى القربات ما تقرب به في الأوقات الشريفة المباركة .

و لما كانت ليلة الجمعة التاسعة عشرة من شهر رمضان ليلة شريفة يرجى أن تكون ليلة القدر عينوها لفعل ما يعتقدونه قربة إلى الله فليعجب المتعجب من العقائد كيف تسري في القلوب و تغلب على العقول حتى يرتكب الناس عظائم الأمور و أهوال الخطوب لأجلها [2] **1- قال أبو الفرج فدعت لهم بحرير فعصبت به صدورهم و تقلدوا سيوفهم و مضوا فجلسوا مقابل السدة التي كان يخرج منها 1علي ع إلى الصلاة [2] .**

---

(1) ا، ج و مقاتل الطالبيين: «حديث» .

(2-2) ساقط من ب، و هو في ا، و ج و مقاتل الطالبيين .

قال أبو الفرج و قد كان ابن ملجم أتى الأشعث بن قيس في هذه الليلة فخلا به في بعض نواحي المسجد و مر بهما حجر بن عدي فسمع الأشعث و هو يقول لابن ملجم النجاء النجاء بحاجتك فقد فضحك الصبح قال له حجر قتلته يا أعور و خرج مبادرا إلى 1علي [1] و قد سبقه ابن ملجم فضربه [2] فأقبل حجر و الناس يقولون قتل 1أمير المؤمنين . **1- قال أبو الفرج و للأشعث بن قيس في انحرافه عن 1أمير المؤمنين أخبار يطول شرحها منها حديث حدثنيه محمد بن الحسين الأشناندانى قال حدثني إسماعيل بن موسى قال حدثنا علي بن مسهر عن الأجلح عن موسى بن أبي النعمان قال جاء الأشعث إلى 1علي يستأذن عليه فرده قنبر فأدمى الأشعث أنفه فخرج 1علي و هو يقول ما لي و لك يا أشعث أما و الله لو بعبد ثقيف تمرست لاقشعرت شعيراتك قيل يا 1أمير المؤمنين و من عبد ثقيف قال غلام لهم لا يبقي أهل بيت من العرب إلا أدخلهم ذلا قيل يا 1أمير المؤمنين كم يلي أو كم يمكث قال عشرين إن بلغها . 1- قال أبو الفرج و حدثني محمد بن الحسين أيضا بإسناد ذكره أن الأشعث دخل على 1علي فكلمه فأغلظ 1علي له فعرض له الأشعث أنه سيفتك به فقال له 1علي أ بالموت تخوفني أو تهددني فو الله ما أبالي وقعت على الموت أو وقع الموت علي . 1- قال أبو الفرج قال أبو مخنف فحدثني أبي عن عبد الله بن محمد الأزدي قال إني لأصلي تلك الليلة في المسجد الأعظم مع رجال من أهل المصر كانوا يصلون في ذلك الشهر من أول الليل إلى آخره إذ نظرت إلى رجال يصلون قريبا من السدة قياما و قعودا و ركوعا و سجودا ما يسأمون إذ خرج عليهم 1علي بن أبي طالب الفجر فأقبل ينادي الصلاة الصلاة فرأيت بريق السيف و سمعت قائلا يقول الحكم لله يا 1علي لا لك**

---

(1) بعدها في مقاتل الطالبيين: «و أسرج دابته» .
(2) في مقاتل الطالبيين: «فضرب عليا» .

ثم رأيت بريق سيف آخر و سمعت صوت 1علي ع يقول لا يفوتنكم الرجل .

قال أبو الفرج فأما بريق السيف الأول فإنه كان شبيب بن بجرة ضربه فأخطأه و وقعت ضربته في الطاق و أما بريق السيف الثاني فإنه ابن ملجم ضربه فأثبت الضربة في وسط رأسه و شد الناس عليهما من كل ناحية حتى أخذوهما [1] .

قال أبو مخنف فهمدان تذكر أن رجلا منهم يكنى أبا أدماء أخذ ابن ملجم . و قال غيرهم بل أخذه المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب طرح عليه قطيفة ثم صرعه و أخذ السيف من يده و جاء به .

قال و أما شبيب بن بجرة فإنه خرج هاربا فأخذه رجل فصرعه و جلس على صدره و أخذ السيف من يده ليقتله فرأى الناس يقصدون نحوه فخشي أن يعجلوا عليه فوثب عن صدره [2] و خلاه و طرح السيف عن يده و أما شبيب بن بجرة ففاته فخرج هاربا حتى دخل منزله فدخل عليه ابن عم له [3] فرآه يحل الحرير عن صدره فقال له [3] ما هذا لعلك قتلت 1أمير المؤمنين فأراد أن يقول لا فقال نعم فمضى ابن عمه فاشتمل على سيفه ثم دخل عليه فضربه حتى قتله . **1- قال أبو مخنف فحدثني أبي عن عبد الله بن محمد الأزدي قال أدخل ابن ملجم على 1علي ع و دخلت عليه فيمن دخل فسمعت 1عليا يقول اَلنَّفْسَ بِالنَّفْسِ إن أنا مت فاقتلوه كما قتلني و إن سلمت رأيت فيه رأيي فقال ابن ملجم و لقد اشتريته بألف يعني السيف و سممته بألف فإن خانني فأبعده الله قال فنادته أم كلثوم يا عدو الله قتلت 1أمير المؤمنين قال إنما قتلت أباك قالت يا عدو الله إني لأرجو**

---

(1) مقاتل الطالبيين: «عليه من كل ناحية حتّى أخذوه» .
(2-2) ساقط من ا، ج، و هو في مقاتل الطالبيين.
(3-3) ساقط من ا، ب، و هو في مقاتل الطالبيين.

ألا يكون عليه بأس قال فأراك إنما تبكين 1عليا علي إذا و الله لقد ضربته ضربة لو قسمت بين أهل الأرض لأهلكتهم .

قال أبو الفرج و أخرج ابن ملجم من بين يديه و هو يقول [1] نحن ضربنا يا ابنة الخير إذ طغى # 1أبا حسن مأمومة فتفطرا [2] و نحن حللنا ملكه من نظامه # بضربة سيف إذ علا و تجبرا

و نحن كرام في الصباح أعزة # إذا المرء بالموت ارتدى و تأزرا.

قال و انصرف الناس من صلاة الصبح فأحدقوا بابن ملجم ينهشون لحمه بأسنانهم كأنهم السباع و يقولون يا عدو الله ما ذا صنعت أهلكت أمة 14محمد و قتلت خير الناس و إنه لصامت ما ينطق . **-1,14,2 قال أبو الفرج و روى أبو مخنف عن أبي الطفيل أن صعصعة بن صوحان استأذن على 1علي ع و قد أتاه عائدا لما ضربه ابن ملجم فلم يكن عليه إذن فقال صعصعة للآذن قل له يرحمك الله يا 1أمير المؤمنين حيا و ميتا فلقد كان الله في صدرك عظما و لقد كنت بذات الله عليما فأبلغه الآذن مقالته فقال قل له و أنت يرحمك الله فلقد كنت خفيف المئونة كثير المعونة .**

قال أبو الفرج ثم جمع له أطباء الكوفة فلم يكن منهم أحد أعلم بجرحه من أثير بن عمرو بن هانئ السكوني و كان متطببا صاحب كرسي يعالج الجراحات و كان من الأربعين غلاما الذين كان خالد بن الوليد أصابهم في عين التمر فسباهم فلما نظر أثير إلى جرح 1أمير المؤمنين دعا برئة شاة حارة فاستخرج منها عرقا و أدخله في الجرح ثم نفخه ثم

---

(1) الأبيات في المؤتلف و المختلف للآمدى 285، و نسبها إلى ابن ميناس. قال: و ميناس أمه.
(2) المأمومة: الشجّة تبلغ أم الرأس.

استخرجه و إذا عليه بياض الدماغ فقال يا 1أمير المؤمنين اعهد عهدك فإن عدو الله قد وصلت ضربته إلى أم رأسك فدعا 1علي ع عند ذلك بدواة و صحيفة و كتب وصيته هذا ما أوصى به 1أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أوصى بأنه يشهد أن لا إله إلا الله و أن 14محمدا عبده و رسوله أرسله بِالْهُدىَ وَ دِينِ اَلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى اَلدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ اَلْمُشْرِكُونَ صلوات الله و بركاته عليه إِنَّ صَلاَتِي وَ نُسُكِي وَ مَحْيَايَ وَ مَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ اَلْعَالَمِينَ `لاَ شَرِيكَ لَهُ وَ بِذَلِكَ أُمِرْتُ وَ أَنَا أَوَّلُ اَلْمُسْلِمِينَ أوصيك يا 2حسن و جميع ولدي و أهل بيتي و من بلغه كتابي هذا بتقوى الله ربنا و ربكم وَ لاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَ اِعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اَللَّهِ جَمِيعاً وَ لاَ تَفَرَّقُوا فإني سمعت 14رسول الله يقول صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة و الصيام و إن المبيرة حالقة الدين إفساد ذات البين و لا قوة إلا بالله العلي العظيم انظروا إلى ذوي أرحامكم فصلوها يهون الله عليكم الحساب و الله الله في الأيتام فلا تغيرن أفواههم بجفوتكم و الله الله في جيرانكم فإنها وصية 14رسول الله ص فما زال يوصينا بهم حتى ظننا أنه سيورثهم الله و الله الله في القرآن فلا يسبقنكم بالعمل به غيركم و الله الله في الصلاة فإنها عماد دينكم و الله الله في صيام شهر رمضان فإنه جنة من النار و الله الله في الجهاد بأموالكم و أنفسكم و الله الله في زكاة أموالكم فإنها تطفئ غضب ربكم و الله الله في أهل بيت نبيكم فلا يظلمن بين أظهركم و الله الله في أصحاب 14نبيكم فإن 14رسول الله ص أوصى بهم و الله الله في الفقراء و المساكين فأشركوهم في معايشكم و الله الله فيما ملكت أيمانكم فإنه كانت آخر وصية 14رسول الله ص إذ قال أوصيكم بالضعيفين فيما ملكت أيمانكم ثم الصلاة الصلاة لا تخافوا في الله لومة لائم يكفكم من بغى عليكم و من أرادكم بسوء قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً كما أمركم الله به و لا تتركوا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فيتولى ذلك غيركم و تدعون فلا يستجاب لكم عليكم بالتواضع و التباذل و التبار و إياكم و التقاطع و التفرق

و التدابر **تَعَاوَنُوا عَلَى اَلْبِرِّ وَ اَلتَّقْوىٰ وَ لاَ تَعَاوَنُوا عَلَى اَلْإِثْمِ وَ اَلْعُدْوَانِ وَ اِتَّقُوا اَللَّهَ إِنَّ اَللَّهَ شَدِيدُ اَلْعِقَابِ** حفظكم الله من أهل بيت و حفظ فيكم 14نبيه أستودعكم الله خير مستودع و عليكم سلام الله و رحمته . ـقلت قوله و الله الله في الأيتام فلا تغيرن أفواههم بجفوتكم يحتمل تفسيرين أحدهما لا تجيعوهم فإن الجائع يخلف فمه و تتغير نكهته و الثاني لا تحوجوهم إلى تكرار الطلب و السؤال فإن السائل ينضب ريقه و تنشف لهواته و يتغير ريح فمه .

و قوله حكاية عن 14رسول الله ص أوصيكم بالضعيفين فيما ملكت أيمانكم يعني به الحيوان الناطق و الحيوان الأعجم .

2,1,14- قال أبو الفرج و حدثني أبو جعفر محمد بن جرير الطبري بإسناد ذكره في الكتاب عن أبي عبد الرحمن السلمي قال قال لي 2الحسن بن علي ع خرجت و 1أبي يصلي في المسجد فقال لي يا بني إني بت الليلة أوقظ أهلي لأنها ليلة الجمعة صبيحة لتسع [1] عشرة ليلة خلت من شهر رمضان فملكتني عيناي فسنح لي 14رسول الله ص فقلت يا 14رسول الله ما ذا لقيت من أمتك من الأود [2] و اللدد فقال لي ادع عليهم فقلت اللهم أبدلني بهم خيرا منهم و أبدلهم بي من هو شر مني قال 2الحسن ع و جاء ابن أبي الساج فأذنه بالصلاة فخرج فخرجت خلفه فاعتوره الرجلان فأما أحدهما فوقعت ضربته في الطاق و أما الآخر فأثبتها في رأسه . 1,2- قال أبو الفرج قال حدثني أحمد بن عيسى قال حدثنا الحسين بن نصر قال

---

(1) مقاتل الطالبيين: «لسبع عشرة» .
(2) في مقاتل الطالبيين: قال أبو الفرج: الأود: العوج، و اللدد: الخصومات.

حدثنا زيد بن المعدل عن يحيى بن شعيب عن أبي مخنف عن فضيل بن خديج عن الأسود الكندي و الأجلح قالا توفي 1علي ع و هو ابن أربع و ستين سنة في عام أربعين من الهجرة ليلة لإحدى و عشرين ليلة الأحد مضت من شهر رمضان و ولي غسله ابنه 2الحسن و عبد الله بن العباس و كفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص و صلى عليه ابنه 2الحسن فكبر عليه خمس تكبيرات و دفن بالرحبة مما يلي أبواب كندة عند صلاة الصبح . هذه رواية أبي مخنف .

3,1- قال أبو الفرج و حدثني أحمد بن سعيد قال حدثنا يحيى بن الحسن العلوي قال حدثنا يعقوب بن زيد عن ابن أبي عمير عن الحسن بن علي الخلال عن جده قال قلت 3للحسين بن علي ع أين دفنتم 1أمير المؤمنين ع قال خرجنا به ليلا [1] من منزله حتى مررنا به على منزل الأشعث بن قيس ثم خرجنا به إلى الظهر بجنب الغري . قلت و هذه الرواية هي الحق و عليها العمل و قد قلنا فيما تقدم إن أبناء الناس أعرف بقبور آبائهم من غيرهم من الأجانب و هذا القبر الذي بالغري هو الذي كان بنو 1علي يزورونه قديما و حديثا و يقولون هذا قبر أبينا لا يشك أحد في ذلك من الشيعة و لا من غيرهم أعني بني 1علي من ظهر 2الحسن و 3الحسين و غيرهما من سلالته المتقدمين منهم و المتأخرين ما زاروا و لا وقفوا إلا على هذا القبر بعينه .

5,6- و قد روى أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي في تاريخه المعروف بالمنتظم [2] وفاة

(1) مقاتل الطالبيين: «الحسن» .
(2) المنتظم 9: 189.

123

أبي الغنائم عن محمد بن علي بن ميمون النرسي [1] المعروف بأبي [2] لجودة قراءته قال توفي أبو الغنائم هذا في سنة عشر و خمسمائة و كان محدثا من أهل الكوفة ثقة حافظا و كان من قوام الليل و من أهل السنة و كان يقول ما بالكوفة من هو على مذهب أهل السنة و أصحاب الحديث غيري و كان يقول مات بالكوفة ثلاثمائة صحابي ليس قبر أحد منهم معروفا إلا قبر 1أمير المؤمنين و هو هذا القبر الذي يزوره الناس الآن جاء 6جعفر بن محمد ع و أبوه 5محمد بن علي بن الحسين ع إليه فزاراه و لم يكن إذ ذاك قبرا معروفا ظاهرا و إنما كان به سرح عضاه حتى جاء محمد بن زيد الداعي صاحب الديلم فأظهر القبر [3] . و سألت بعض من أثق به من عقلاء شيوخ أهل الكوفة عما ذكره الخطيب أبو بكر في تاريخه أن قوما يقولون إن هذا القبر الذي تزوره الشيعة إلى جانب الغري هو قبر المغيرة بن شعبة فقال غلطوا في ذلك قبر المغيرة و قبر زياد بالثوية [4] من أرض الكوفة و نحن نعرفهما و ننقل ذلك عن آبائنا و أجدادنا و أنشدني قول الشاعر يرثي زيادا و قد ذكره أبو تمام في الحماسة

صلى الإله على قبر و طهره # عند الثوية يسفي فوقه المور [5] زفت إليه قريش نعش سيدها #
فالحلم و الجود فيه اليوم مقبور [6] أبا المغيرة و الدنيا مفجعة # و إن من غرت الدنيا لمغرور

---

(1) في الأصول: «الرسىّ» ، و ما أثبته عن المنتظم و النجوم الزاهرة 5: 212.
(2) أبىّ بن كعب بن قيس سيد القراء.
(3) في الأصول: «القيمة، و ما أثبته من المنتظم.
(4) الثوية: موضع قريب من الكوفة.
(5) الأبيات في الكامل للمبرد 1: 317، و نسبها إلى حارثة بن بدر؛ و هي أيضا في معجم البلدان 3: 28 بهذه النسبة. و المور: التراب؛ يريد أن الريح تسفيه بالتراب.
(6) قال المبرد: قوله: «نعش سيدها» يريد موضعه من النسب؛ لأنّه نسبه إلى أبى سفيان؛ و كان رئيس قريش قبل مبعث النبيّ صلّى اللّه عليه و سلم» .

قد كان عندك للمعروف معرفة # و كان عندك للمنكور تنكير

و كنت تغشى و تعطى المال من سعة # فاليوم قبرك أضحى و هو مهجور

و الناس بعدك قد خفت حلومهم # كأنما نفخت فيه الأعاصير [1] .

و سألت قطب الدين نقيب الطالبيين أبا عبد الله الحسين بن الأقساسي رحمه الله تعالى عن ذلك فقال صدق من أخبرك نحن و أهلها كافة نعرف مقابر ثقيف إلى الثوية و هي إلى اليوم معروفة و قبر المغيرة فيها إلا أنها لا تعرف و قد ابتلعها السبخ و زبد الأرض و فورانها فطمست و اختلط بعضها ببعض .

ثم قال إن شئت أن تتحقق أن قبر المغيرة في مقابر ثقيف فانظر إلى كتاب الأغاني [2] لأبي الفرج علي بن الحسين و المح ما قاله في ترجمة المغيرة و أنه مدفون في مقابر ثقيف و يكفيك قول أبي الفرج فإنه الناقد البصير و الطبيب الخبير فتصفحت ترجمة المغيرة في الكتاب المذكور فوجدت الأمر كما قاله النقيب . **17- قال أبو الفرج كان مصقلة بن هبيرة الشيباني قد لاحى المغيرة في شيء كان بينهما منازعة فضرع له المغيرة و تواضع في كلامه حتى طمع فيه مصقلة فاستعلى عليه و شتمه و قال إني لأعرف شبهي في عروة ابنك فأشهد المغيرة على قوله هذا شهودا ثم قدمه إلى شريح القاضي فأقام عليه البينة فضربه شريح الحد و آلى مصقلة ألا يقيم ببلدة فيها المغيرة فلم يدخل الكوفة حتى مات المغيرة فدخلها فتلقاه قومه فسلموا عليه فما فرغ من السلام حتى سألهم عن مقابر ثقيف فأرشدوه إليها فجعل قوم من مواليه**

---

(1) قال المبرد: «قوله: كأنّما نفخت فيه الأعاصير؛ هذا مثل؛ و إنّما يريد خفة الحلوم. و الإعصار -فيما ذكر أبو عبيدة-ريح تهب بشدة فيما بين السماء و الأرض» . هذا و لم أجد الأبيات في الحماسة.

(2) انظر الأغانى 16: 79-101.

يلتقطون الحجارة فقال لهم ما هذا فقالوا نظن أنك تريد أن ترجم قبر المغيرة فقال ألقوا ما في أيديكم فانطلق حتى وقف على قبره ثم قال و الله لقد كنت ما علمت نافعا لصديقك ضارا لعدوك و ما مثلك إلا كما قال مهلهل في كليب أخيه

إن تحت الأحجار حزما و عزما # و خصيما ألد ذا معلاق (1)

حية في الوجار أربد لا ينفع # منه السليم نفثة راق.

2- قال أبو الفرج فأما ابن ملجم فإن 2الحسن بن علي بعد دفنه 1أمير المؤمنين دعا به و أمر بضرب عنقه فقال له إن رأيت أن تأخذ علي العهود أن أرجع إليك حتى أضع يدي في يدك بعد أن أمضي إلى الشام فأنظر ما صنع صاحبي بمعاوية فإن كان قتله و إلا قتلته ثم عدت إليك حتى تحكم في حكمك فقال هيهات و الله لا تشرب الماء البارد حتى تلحق روحك بالنار ثم ضرب عنقه و استوهبت أم الهيثم بنت الأسود النخعية جثته منه فوهبها لها فأحرقتها بالنار . و قال ابن أبي مياس الفزاري و هو من الخوارج

فلم أر مهرا ساقه ذو سماحة # كمهر قطام من غني و معدم

ثلاثة آلاف و عبد و قينة # و ضرب 1علي بالحسام المصمم

فلا مهر أغلى من 1علي و إن غلا # و لا فتك إلا دون فتك ابن ملجم .

و قال عبد الله بن العباس بن عبد المطلب (2)

و هز 1علي بالعراقين لحية # مصيبتها جلت على كل مسلم

و قال سيأتيها من الله نازل # و يخضبها أشقى البرية بالدم

فعاجله بالسيف شلت يمينه # لشؤم قطام عند ذاك ابن ملجم

(1) الأغانى 16: 92، و المعلاق: اللسان البليغ.
(2) الأبيات في الاستيعاب 472، و؟؟؟، إلى بكر بن حماد.

فيا ضربة من خاسر ضل سعيه # تبوأ منها مقعدا في جهنم

ففاز 1أمير المؤمنين بحظه # و إن طرقت إحدى الليالي بمعظم

ألا إنما الدنيا بلاء و فتنة # حلاوتها شيبت بصاب و علقم.

17- قال أبو الفرج و أنشدني عمي الحسن بن محمد قال أنشدني محمد بن سعد لبعض بني عبد المطلب يرثي 1عليا و لم يذكر اسمه

يا قبر سيدنا المجن سماحة # صلى الإله عليك يا قبر

ما ضر قبرا أنت ساكنه # ألا يحل بأرضه القطر

فليندين سماح كفك بالثرى # و ليورقن بجنبك الصخر

و الله لو بك لم أجد أحدا [1] # إلا قتلت لفاتني الوتر.

(1) في حاشية ج: «لم أدع أحدا » .

غ

1070 70 و من كلام له ع في ذم أهل العراق

أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ اَلْعِرَاقِ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ اَلْحَامِلِ حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ وَ مَاتَ قَيِّمُهَا وَ طَالَ تَأَيُّمُهَا وَ وَرِثَهَا أَبْعَدُهَا .

أَمَا وَ اَللَّهِ مَا أَتَيْتُكُمُ اِخْتِيَاراً وَ لَكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ [أَتَيْتُكُمْ] سَوْقاً وَ لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ 1عَلِيٌّ [1] يَكْذِبُ قَاتَلَكُمُ اَللَّهُ تَعَالَى فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ أَ عَلَى اَللَّهِ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ أَمْ عَلَى 14نَبِيِّهِ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَ [2] بِهِ كَلاَّ وَ اَللَّهِ لَكِنَّهَا لَهْجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهَا وَ لَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا وَيْلُمِّهِ كَيْلاً بِغَيْرِ ثَمَنٍ لَوْ كَانَ لَهُ وِعَاءٌ **وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (1) -** . **أملصت** الحامل ألقت ولدها سقاطا (2) - و **قيمها** بعلها (3) - و **تأيمها** خلوها عن الأزواج يقول لما شارفتم استئصال أهل الشام و ظهرت أمارات الظفر لكم و دلائل الفتح نكصتم و جنحتم إلى السلم و الإجابة إلى التحكيم عند رفع المصاحف فكنتم **كالمرأة الحامل** لما أتمت أشهر حملها ألقت ولدها إلقاء غير طبيعي نحو أن تلقيه لسقطة أو ضربة أو عارض يقتضي أن تلقيه هالكا (4) - .

ثم لم يكتف لهم بذلك حتى قال **و مات بعلها و طال تأيمها و ورثها أبعدها** أي لم يكن لها ولد و هو أقرب المخلفين إلى الميت و لم يكن لها بعل فورثها الأباعد عنها

---

(1) ساقطة من مخطوطة النهج.
(2) مخطوطة النهج: «صدّقه» .

كالسافلين من بني عم و كالمولاة تموت من غير ولد و لا من يجري مجراه فيرثها مولاها و لا نسب بينها و بينه (1) - .

ثم أقسم أنه لم يأتهم **اختيارا** و لكن المقادير ساقته إليهم سوقا يعني اضطرارا .

و صدق ع لأنه لو لالم يحتج إلى الخروج من المدينة إلى العراق و إنما استنجد بأهل الكوفة على أهل البصرة اضطرارا إليهم لأنه لم يكن جيشه الحجازي وافيا بأهل البصرة الذين أصفقوا على حربه و نكث بيعته و لم يكن خروجه عن المدينة و هي دار الهجرة و مفارقته لقبر 14رسول الله ص و قبر 15فاطمة عن إيثار و محبة و لكن الأحوال تحكم و تسوق الناس إلى ما لا يختارونه ابتداء .

و قد روي هذا الكلام على وجه آخر ما أتيتكم اختيارا و لا جئت إليكم شوقا بالشين المعجمة (2) - .

ثم قال **بلغني أنكم تقولون يكذب** و كان كثيرا ما يخبر عن الملاحم و الكائنات و يومئ إلى أمور أخبره بها 14رسول الله ص فيقول المنافقون من أصحابه يكذب كما كان المنافقون الأولون في حياة 14رسول الله ص يقولون عنه يكذب .

1- و روى صاحب كتاب الغارات عن الأعمش عن رجاله قال خطب 1علي ع فقال و الله لو أمرتكم فجمعتم من خياركم مائة ثم لو شئت لحدثتكم من غدوة إلى أن تغيب الشمس لا أخبرتكم إلا حقا ثم لتخرجن فلتزعمن أني أكذب الناس و أفجرهم . 1- و قد روى صاحب هذا الكتاب و غيره من الرواة أنه قال إن أمرنا صعب مستصعب لا يحمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قبله للإيمان .

و هذا الكلام منه كلام عارف عالم بأن في الناس من لا يصدقه فيما [1] يقول و هذا أمر مركوز في الجبلة البشرية و هو استبعاد الأمور الغريبة و تكذيب الأخبار بها و إذا تأملت أحواله في خلافته كلها وجدتها هي مختصرة من أحوال 14رسول الله ص في حياته كأنها نسخة منتسخة منها في حربه و سلمه و سيرته و أخلاقه و كثرة شكايته من المنافقين من أصحابه و المخالفين لأمره و إذا أردت أن تعلم ذلك علما واضحا فاقرأ سورة براءة ففيها الجم الغفير من المعنى الذي أشرنا إليه

ذكر مطاعن النظام على 1الإمام علي و الرد عليه

و اعلم أن [2] النظام لما تكلم في كتاب النكت و انتصر لكون الإجماع ليس بحجة اضطر إلى ذكر عيوب الصحابة فذكر لكل منهم عيبا و وجه إلى كل واحد منهم طعنا **-1,2,14 و قال في 1علي إنه لما حارب الخوارج كان يرفع رأسه إلى السماء تارة ينظر إليها ثم يطرق إلى الأرض فينظر إليها تارة أخرى يوهم أصحابه أنه يوحى إليه ثم يقول ما كذبت و لا كذبت فلما فرغ من قتالهم و أديل عليهم و وضعت الحرب أوزارها قال 2الحسن ابنه يا 1أمير المؤمنين أ كان 14رسول الله ص تقدم إليك في أمر هؤلاء بشيء فقال لا و لكن 14رسول الله ص أمرني بكل حق و من الحق أن أقاتل الناكثين و القاسطين و المارقين .** قال النظام [1] و قوله ما كذبت و لا كذبت و رفعه رأسه أحيانا إلى السماء و إطراقه إلى الأرض إيهام إما لنزول الوحي عليه أو لأنه قد أوصى من قبل في شأن الخوارج بأمر ثم هو يقول ما أوصى فيهم على خصوصيتهم بأمر و إنما أوصى بكل الحق و قتالهم من الحق .

---

(1) كذا في ج، و في ا، ب: «كما» .

(2) هو إبراهيم بن سيار بن هانئ البصرى أبو إسحاق النظام، أحد أئمة المعتزلة؛ ذكره ابن حجر في لسان الميزان 1: 67، و قال إنّه «مات في خلافة المعتصم سنة بضع و عشرين و مائتين» .

و هذا عجيب طريف .

فنقول إن النظام أخطأ عندنا في تعريضه بهذا الرجل خطأ قبيحا و قال قولا منكرا نستغفر الله له من عقابه و نسأله عفوه عنه و ليست الرواية التي رواها عن 2الحسن و سؤاله 1لأبيه و جوابه له بصحيحة و لا معروفة و المشهور المعروف المنقول نقلا يكاد يبلغ درجة المتواتر من الأخبار ما **14,1- روي عن 14رسول الله ص في معنى الخوارج بأعيانهم و ذكرهم بصفاتهم و قوله ص 1لعلي ع إنك مقاتلهم و قاتلهم و إن المخدج [1] ذا الثدية منهم و إنك ستقاتل بعدي الناكثين و القاسطين و المارقين .** فجعلهم أصنافا ثلاثة حسب ما وقعت الحال عليه و هذا من معجزات 14الرسول ص و إخباره عن الغيوب المفصلة فما أعلم من أي كتاب نقل النظام هذه الرواية و لا عن أي محدث رواها و لقد كان رحمه الله تعالى بعيدا عن معرفة الأخبار والسيرمنصبا فكره مجهدا نفسه في الأمور النظرية الدقيقة كمسألة الجزء و مداخلة الأجسام و غيرهما و لم يكن الحديث و السير من فنونه و لا من علومه و لا ريب أنه سمعها ممن لا يوثق بقوله فنقلها كما سمعها .

فأما كونه ع كان ينظر تارة إلى السماء و تارة إلى الأرض و قوله ما كذبت و لا كذبت فصحيح و موثوق بنقله لاستقامته و شهرته و كثرة رواته و الوجه في ذلك أنه استبطأ وجود المخدج حيث طلبه في جملة القتلى فلما طال الزمان و أشفق من دخول شبهة على أصحابه لما كان قدمه إليهم من الأخبار قلق و اهتم و جعل يكرر قوله ما كذبت و لا كذبت أي ما كذبت على 14رسول الله ص و لا كذبني 14رسول الله ص فيما أخبرني به .

فأما رفعه رأسه إلى السماء تارة و إطراقه إلى الأرض أخرى فإنه حيث كان يرفع

(1) المخدج: الناقص اليد.

رأسه كان يدعو و يتضرع إلى الله في تعجيل الظفر بالمخدج و حيث يطرق كان يغلبه الهم و الفكر فيطرق .

ثم حين يقول ما كذبت و لا كذبت كيف ينتظر نزول الوحي فإن من نزل عليه الوحي لا يحتاج أن يسند الخبر إلى غيره و يقول ما كذبت فيما أخبرتكم به عن 14رسول الله ص .

و مما طعن به النظام عليه [1] **1- أنه ع قال إذا حدثتكم عن 14رسول الله ص فهو كما حدثتكم فو الله لأن أخر من السماء أحب إلي من أن أكذب على 14رسول الله ص و إذا سمعتموني أحدثكم فيما بيني و بينكم فإنما الحرب خدعة .** قال النظام هذا يجري مجرى التدليس في الحديث و لو لم يحدثهم عن 14رسول الله ص بالمعاريض و على طريق الإيهام لما اعتذر من ذلك .

فنقول في الجواب إن النظام قد وهم و انعكس عليه مقصد 1أمير المؤمنين و ذلك أنه ع لشدة ورعه أراد أن يفصل للسامعين بين ما يخبر به عن نفسه و بين ما يرويه عن 14رسول الله ص و ذلك لأن الضرورة ربما تدعوه إلى استعماله المعاريض لا سيما في الحرب المبنية على الخديعة و الرأي فقال لهم كلما أقول لكم قال لي 14رسول الله ص فاعلموا أنه سليم من المعاريض خال من الرمز و الكناية لأني لا أستجيز و لا أستحل أن أعمي أو ألغز في حديث 14رسول الله ص . و ما حدثتكم به عن نفسي فربما أستعمل فيه المعاريض لأن الحرب خدعة .

---

(1) ا، ج: «رضي اللّه عنه» .

و هذا كلام رجل قد استعمل التقوى و الورع في جميع أموره و بلغ من تعظيم أمر 14الرسول عليه أفضل الصلاة و السلام و إجلال قدره و احترام حديثه ألا يرويه إلا بألفاظه لا بمعانيه و لا بأمر يقتضي فيه إلباسا و تعمية و لو كان مضطرا إلى ذلك ترجيحا للجانب الذي على جانب مصلحته في خاص نفسه فأما إذا هو قال كلاما يبتدئ به من نفسه فإنه قد يستعمل فيه المعاريض إذا اقتضت الحكمة و التدبير ذلك **14- فقد كان 14رسول الله ص باتفاق الرواة كافة إذا أراد أن يغزو وجها ورى عنه بغيره و لما خرج ع من المدينة لفتح مكة قال لأصحابه كلاما يقتضي أنه يقصد بني بكر بن عبد مناة من كنانة فلم يعلموا حقيقة حاله حتى شارف مكة و قال حين هاجر و صحبه أبو بكر الصديق لأعرابي لقيهما من أين أنت و ممن أنت فلما انتسب لهما قال له الأعرابي أما أنا فقد اطلعتكما طلع أمري فممن أنت فقال من ماء لم يزده على ذلك فجعل الأعرابي يفكر و يقول من أي ماء من ماء بني فلان من ماء بني فلان فتركه و لم يفسر له .** و إنما أراد ع أنه مخلوق من نطفة .

فأما قول النظام لو لم يحدث عن 14رسول الله ص بالمعاريض لما اعتذر من ذلك فليس في كلامه اعتذار و لكنه نفي أن يدخل المعاريض في روايته و أجازها فيما يبتدئ به عن نفسه و ليس يتضمن هذا اعتذارا و قوله لأن أخر من السماء يدل على أنه ما فعل ذلك و لا يفعله (1) - .

ثم قال **على من أكذب** يقول كيف أكذب على الله و أنا أول المؤمنين به و كيف أكذب على 14رسول الله و أنا أول المصدقين به أخرجه مخرج الاستبعاد لدعواهم و زعمهم .

فإن قلت كيف يمكن أن يكون المكلف الذي هو من أتباع 14الرسول كاذبا على الله إلا بواسطة إخباره عن 14الرسول لأنه لا وصلة و لا واسطة بينه و بين الله تعالى إلا الرسول .

و إذا لم يمكن كذبه على الله إلا بكذبه على 14الرسول لم يبق لتقسيم الكذب و قوله أ فأنا أكذب على الله أو على 14رسوله معنى [1] .

قلت يمكن أن يكذب الكاذب على الله دون أن يكون كاذبا على 14الرسول و إن كان من أتباع 14الرسول نحو أن يقول كنت مع 14الرسول ص ليلة في مقبرة فأحيا الله تعالى فلانا الميت فقام و قال كذا أو يقول كنت معه يوم كذا فسمعت مناديا يناديه من السماء افعل كذا أو نحو ذلك من الأخبار بأمور لا تستند إلى حديث الرسول (1) - 14 . ثم قال ع [2] **كلا و الله** أي لا و الله و قيل إن كلا بمعنى حقا و إنه إثبات (2) - .

قال **و لكنها لهجة غبتم عنها** اللهجة بفتح الجيم و هي آلة النطق يقال له هو فصيح اللهجة و صادق اللهجة و يمكن أن يعنى بها لهجة 14رسول الله ص فيقول شهدت و غبتم و يمكن أن يعنى بها لهجته هو فيقول إنها لهجة غبتم عن منافعها و أعدمتم أنفسكم ثمن مناصحتها (3) - .

ثم قال **ويلمه** الضمير راجع إلى ما دل عليه معنى الكلام من العلم لأنه لما ذكر اللهجة و شهوده إياها و غيبوبتهم عنها دل ذلك على علم له خصه به 14الرسول ع فقال ويلمه و هذه كلمة تقال للتعجب و الاستعظام يقال ويلمه فارسا و تكتب موصولة كما هي بهذه الصورة و أصله ويل أمه مرادهم التعظيم و المدح و إن كان اللفظ موضوعا لضد ذلك **1- كقوله ع فاظفر بذات الدين تربت يداك .** و كقولهم للرجل يصفونه و يقرظونه لا أبا له .

و قال الحسن البصري و هو يذكر 1عليا ع و يصف كونه على الحق

---

(1) ساقطة من ا، ب و هي في ج.
(2) ج: «رضي اللّه عنه» .

في جميع أموره حتى قال فلما شارف الظفر وافق علو ما لك فيو الحق في يديك لا أبا لك .

قال أبو العباس المبرد هي [1] كلمة فيها جفاء و خشونة كانت الأعراب تستعملها فيمن يستعظمون أمره قال و لما أنشد سليمان بن عبد الملك قول بعض الأعراب

رب العباد ما لنا و ما لكا # قد كنت تسقينا فما بدا لكا

أنزل علينا الغيث لا أبا لكا.

قال أشهد أنه لا أب له و لا صاحبة و لا ولد فأخرجها أحسن مخرج (1) -

ثم قال ع **كيلا بغير ثمن لو كان له وعاء** انتصب كيلا لأنه مصدر في موضع الحال و يمكن أن ينتصب على التمييز كقولهم لله دره فارسا يقول أنا أكيل لكم العلم و الحكمة كيلا و لا أطلب لذلك ثمنا لو وجدت وعاء أي حاملا للعلم **1- و هذا مثل قوله ع ها إن بين جنبي علما جما لو أجد له حملة (2) - .** ثم ختم الفصل بقوله تعالى **وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ** و هو أحسن ما ختم هذا الكلام به

خطبة 1الإمام علي بعد

1- و روى المدائني في كتاب صفين قال خطب 1علي ع بعد انقضاء أمر فذكر طرفا من الملاحم قال إذا كثرت فيكم الأخلاط و استولت الأنباط دنا خراب العراق ذاك إذا بنيت مدينة ذات أثل و أنهار فإذا غلت فيها الأسعار و شيد فيها البنيان و حكم فيها الفساق و اشتد البلاء و تفاخر الغوغاء دنا خسوف البيداء و طاب الهرب و الجلاء و ستكون قبل الجلاء أمور يشيب منها الصغير و يعطب الكبير و يخرس الفصيح

---

(1) الكامل ص 3: 216.

و يبهت اللبيب يعاجلون بالسيف صلتا و قد كانوا قبل ذلك في غضارة من عيشهم يمرحون فيا لها مصيبة حينئذ من البلاء العقيم و البكاء الطويل و الويل و العويل و شدة الصريخ في ذلك أمر الله و هو كائن وقتا يريج [1] فيا 12بن حرة [2] الإماء متى تنتظر أبشر بنصر قريب من رب رحيم ألا فويل للمتكبرين عند حصاد الحاصدين و قتل الفاسقين عصاة ذي العرش العظيم فبأبي و أمي من عدة قليلة أسماؤهم في الأرض مجهولة قد دنا حينئذ ظهورهم و لو شئت لأخبرتكم بما يأتي و يكون من حوادث دهركم و نوائب زمانكم و بلايا أيامكم و غمرات ساعاتكم و لكنه أفضيه إلى من أفضيه إليه مخافة عليكم و نظرا لكم علما مني بما هو كائن و ما يكون من البلاء الشامل ذلك عند تمرد الأشرار و طاعة أولي الخسار ذاك أوان الحتف و الدمار ذاك إدبار أمركم و انقطاع أصلكم و تشتت ألفتكم و إنما يكون ذلك عند ظهور العصيان و انتشار الفسوق حيث يكون الضرب بالسيف أهون على المؤمنين من اكتساب درهم حلال حين لا تنال المعيشة إلا بمعصية الله في سمائه حين تسكرون من غير شراب و تحلفون من غير اضطرار و تظلمون من غير منفعة و تكذبون من غير إحراج تتفكهون بالفسوق و تبادرون بالمعصية قولكم البهتان و حديثكم الزور و أعمالكم الغرور فعند ذلك لا تأمنون البيات فيا له من بيات ما أشد ظلمته و من صائح ما أفظع صوته ذلك بيات لا ينمي صاحبه فعند ذلك تقتلون و بأنواع البلاء تضربون و بالسيف تحصدون و إلى النار تصيرون و يعضكم البلاء كما يعض الغارب القتب [3] .

يا عجبا كل العجب بين جمادى و رجب من جمع أشتات و حصد نبات و من أصوات بعدها أصوات ثم قال سبق القضاء سبق القضاء

---

(1) كذا وردت العبارة في الأصول، و فيها غموض.
(2) كذا في ب، و في ج: «خرت الإماء، و في ا كلمة غير واضحة.
(3) الغارب هنا: كاهل البعير. و القتب: رحل صغير على قدر السنام؛ و الكلام هنا جار على المثل.

قال رجل من أهل البصرة لرجل من أهل الكوفة إلى جانبه أشهد أنه كاذب على الله و 14رسوله قال الكوفي و ما يدريك قال فو الله ما نزل 1علي من المنبر حتى فلج الرجل فحمل إلى منزله في شق محمل فمات من ليلته .

من خطب الإمام 1علي أيضا

1- و روى المدائني أيضا قال خطب 1علي ع [1] فقال لو كسرت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم و بين أهل الإنجيل بإنجيلهم و بين أهل الفرقان بفرقانهم و ما من آية في كتاب الله أنزلت في سهل أو جبل إلا و أنا عالم متى أنزلت و فيمن أنزلت فقال رجل من القعود تحت منبره يا لله و للدعوى الكاذبة و قال آخر إلى جانبه أشهد أنك أنت الله رب العالمين قال المدائني فانظر إلى هذا التناقض و التباين فيه .
1- و روى المدائني أيضا قال خطب 1علي ع [1] فذكر الملاحم فقال سلوني قبل أن تفقدوني أما و الله لتشغرن الفتنة الصماء برجلها و تطأ في خطامها يا لها من فتنة [2] شبت نارها بالحطب الجزل مقبلة من شرق الأرض رافعة ذيلها داعية ويلها بدجلة أو حولها ذاك إذا استدار الفلك و قلتم مات أو هلك بأي واد سلك فقال قوم تحت منبره لله أبوه ما أفصحه كاذبا . 1- و روى صاحب كتاب الغارات عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث

---

(1) ح: «رضي اللّه عنه» .
(2) ، ج: «قنة» تصحيف.

137

قال سمعت 1عليا يقول على المنبر ما أحد جرت عليه المواسي إلا و قد أنزل الله فيه قرآنا فقام إليه رجل فقال يا 1أمير المؤمنين فما أنزل الله تعالى فيك قال يريد تكذيبه فقام الناس إليه يلكزونه في صدره و جنبه فقال دعوه أ قرأت سورة هود قال نعم قال أ قرأت قوله سبحانه أَ فَمَنْ كَانَ عَلىَ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَ يَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ [1] قال نعم قال صاحب البينة 14محمد و التالي الشاهد أنا .

(1) سورة هود 17.

1071 71 و من خطبة له ع علم فيها الناس الصلاة على النبي ص14

اَللَّهُمَّ دَاحِيَ اَلْمَدْحُوَّاتِ وَ دَاعِمَ اَلْمَسْمُوكَاتِ وَ جَابِلَ اَلْقُلُوبِ عَلَى فِطَرَاتِهَا [1] شَقِيِّهَا وَ سَعِيدِهَا اِجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَ نَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَ رَسُولِكَ اَلْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ وَ اَلْفَاتِحِ لِمَا اِنْغَلَقَ وَ اَلْمُعْلِنِ اَلْحَقَّ بِالْحَقِّ وَ اَلدَّافِعِ جَيْشَاتِ اَلْأَبَاطِيلِ وَ اَلدَّامِغِ صَوْلاَتِ اَلْأَضَالِيلِ كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ قَائِماً بِأَمْرِكَ مُسْتَوْفِزاً فِي مَرْضَاتِكَ غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ وَ لاَ وَاهٍ فِي عَزْمٍ وَاعِياً لِوَحْيِكَ حَافِظاً لِعَهْدِكَ مَاضِياً عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ اَلْقَابِسِ وَ أَضَاءَ اَلطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ وَ هُدِيَتْ بِهِ اَلْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ اَلْفِتَنِ وَ اَلْآثَامِ [2] وَ أَقَامَ بِمُوضِحَاتِ اَلْأَعْلاَمِ وَ نَيِّرَاتِ اَلْأَحْكَامِ فَهُوَ أَمِينُكَ اَلْمَأْمُونُ وَ خَازِنُ عِلْمِكَ اَلْمَخْزُونِ وَ شَهِيدُكَ يَوْمَ اَلدِّينِ وَ بَعِيثُكَ بِالْحَقِّ وَ رَسُولُكَ إِلَى اَلْخَلْقِ اَللَّهُمَّ اِفْسَحْ لَهُ مَفْسَحاً فِي ظِلِّكَ وَ اِجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ اَلْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ اَللَّهُمَّ وَ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ اَلْبَانِينَ بِنَاءَهُ وَ أَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ وَ أَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ وَ اِجْزِهِ مِنِ اِبْتِعَاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ اَلشَّهَادَةِ مَرْضِيَّ اَلْمَقَالَةِ ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ وَ خُطْبَةٍ فَصْلٍ اَللَّهُمَّ اِجْمَعْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُ فِي بَرْدِ اَلْعَيْشِ وَ قَرَارِ اَلنِّعْمَةِ وَ مُنَى اَلشَّهَوَاتِ وَ أَهْوَاءِ اَللَّذَّاتِ وَ رَخَاءِ اَلدَّعَةِ وَ مُنْتَهَى اَلطُّمَأْنِينَةِ وَ تُحَفِ اَلْكَرَامَةِ.

---

(1) مخطوطة النهج: «فطرتها» .
(2) مخطوطة النهج بالإثم: «» .

دحوت الرغيف دحوا بسطته و **المدحوات** هنا الأرضون .

فإن قلت قد ثبت أن الأرض كرية فكيف تكون بسيطة و البسيط هو المسطح و الكري لا يكون مسطحا .

قلت الأرض بجملتها شكل كرة و ذلك لا يمنع أن تكون كل قطعة منها مبسوطة تصلح لأن تكون مستقرا و مجالا للبشر و غيرهم من الحيوان فإن المراد بانبساطها هاهنا ليس هو السطح الحقيقي الذي لا يوجد في الكرة بل كون كل قطعة منها صالحة لأن يتصرف عليها الحيوان لا يعني به غير ذلك .

و **داحي المدحوات** ينتصب لأنه منادى مضاف تقديره يا باسط الأرضين المبسوطات (1) - قوله **و داعم المسموكات** أي حافظ السموات المرفوعات دعمت الشيء إذا حفظته من الهوى بدعامه و المسموك المرفوع قال

إن الذي سمك السماء بنى لنا # بيتا دعائمه أعز و أطول [1] .

و يجوز أن يكون عنى بكونها مسموكة كونها ثخينة و سمك الجسم هو البعد الذي يعبر عنه المتكلمون بالعمق و هو قسيم الطول و العرض و لا شيء أعظم ثخنا من الأفلاك .

فإن قلت كيف قال إنه تعالى دعم السموات و هي بغير عمد .

قلت إذا كان حافظا لها من الهوى بقدرته و قوته فقد صدق عليه كونه داعما لها لأن قوته الحافظة تجري مجرى الدعامة (2) - .

قوله **و جابل القلوب** أي خالقها و الجبل الخلق و جبلة الإنسان خلقته و فطراتها بكسر الفاء و فتح الطاء جمع فطرة و يجوز كسر الطاء كما قالوا في سدرة سدرات و سدرات و الفطرة الحالة التي يفطر الله عليها الإنسان أي يخلقه عليها خاليا من الآراء

(1) البيت مطلع قصيدة للفرزدق، ديوانه 714.

و الديانات و العقائد و الأهوية و هي ما يقتضيه محض العقل و إنما يختار الإنسان بسوء نظره ما يفضي به إلى الشقوة و هذا معنى **14- قول 14النبي ص كل مولود يولد على الفطرة فإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه .** قوله **شقيها و سعيدها** بدل من القلوب و تقدير الكلام و جابل الشقي من القلوب و السعيد على ما فطرت عليه (1) - .

و **النوامي** الزوائد (2) - و **الخاتم لما سبق** أي لما سبق من الملل (3) - **و الفاتح لما انغلق** من أمر الجاهلية (4) - **و المعلن الحق بالحق** أي المظهر للحق الذي هو خلاف الباطل بالحق أي بالحرب و الخصومة يقال حاق فلان فلانا فحقه أي خاصمه فخصمه و يقال ما فيه حق أي خصومة (5) - .

قوله **و الدافع جيشات الأباطيل** جمع جيشة من جاشت القدر إذا ارتفع غليانها .

و الأباطيل جمع باطل على غير قياس و المراد أنه قامع ما نجم من الباطل (6) - .

و الدامغ المهلك من دمغه أي شجه حتى بلغ الدماغ و مع ذلك يكون الهلاك .

و **الصولات** جمع صولة و هي السطوة و **الأضاليل** جمع ضلال على غير قياس (7) - .

قوله **كما حمل** أي لأجل أنه يحمل و العرب تستعمل هذه الكاف بمعنى التعليل قال الشاعر

فقلت له أبا الملحاء خذها # كما أوسعتنا بغيا و عدوا

أي هذه الضربة لبغيك علينا و تعديك .

و قوله **كما حمل** يعني حمل أعباء الرسالة **فاضطلع** أي نهض بها قويا فرس ضليع أي قوي و هي الضلاعة أي القوة (8) - .

مستوفزا أي غبر بطيء بل يحث نفسه و يجهدها في رضا الله سبحانه و الوفز العجلة و المستوفز المستعجل (9) - .

غير ناكل عن قدم أي غير جبان و لا متأخر عن إقدام و المقدام المتقدم يقال مضى قدما أي تقدم و سار و لم يعرج (1) - .

قوله **و لا واه في عزم** وهى أي ضعف و الواهي الضعيف (2) - .

واعيا لوحيك أي فاهما وعيت الحديث أي فهمته و عقلته (3) - .

ماضيا على نفاذ أمرك في الكلام حذف تقديره ماضيا مصرا على نفاذ أمرك كقوله تعالى **فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلىَ فِرْعَوْنَ** [1] و لم يقل مرسلا لأن الكلام يدل بعضه على بعض (4) - .

و قوله **حتى أورى قبس القابس** يقال ورى الزند يري أي خرج ناره و أوريته أنا و القبس شعله من النار و المراد بالقبس هاهنا نور الحق و القابس الذي يطلب النار يقال قبست منه نارا و أقبسني نارا أي أعطانيها .

و قال الراوندي أقبست الرجل علما و قبسته نارا أعطيته فإن كنت طلبتها له قلت أقبسته نارا .

و قال الكسائي أقبسته نارا و علما سواء قال و يجوز قبسته بغير همزة فيهما (5) - .

قوله **و أضاء الطريق للخابط** أي جعل الطريق للخابط مضيئة و الخابط الذي يسير ليلا على غير جادة واضحة .

و هذه الألفاظ كلها استعارات و مجازات (6) - .

و **خوضات الفتن** جمع خوضة و هي المرة الواحدة من خضت الماء و الوحل أخوضهما و تقدير الكلام و هديت به القلوب إلى الأعلام الموضحة بعد أن خاضت في الفتن أطوارا (7) - و **الأعلام** جمع علم و هو ما يستدل به على الطريق كالمنارة و نحوها .

و **الموضحة** التي توضح للناس الأمور و تكشفها (8) - و **النيرات** [2] ذوات النور (9) - .

قوله **فهو أمينك المأمون** أي أمينك على وحيك و 14المأمون من ألقاب 14رسول الله ص قال كعب بن زهير

---

(1) سورة النمل 12.
(2) زيادة يقتضيها السياق.

سقاك أبو بكر بكأس روية # و انهلك 14المأمون منها و علكا (1) - [1] .

و خازن علمك المخزون بالجر صفة علمك و العلم الإلهي المخزون هو ما اطلع الله تعالى عليه و 14رسوله من الأمور الخفية التي لا تتعلق بالأحكام الشرعية كالملاحم و أحكام الآخرة و غير ذلك لأن الأمور الشرعية لا يجوز أن تكون مخزونة عن المكلفين (2) - .

و قوله **و شهيدك يوم الدين** أي شاهدك قال سبحانه **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلىَ هَؤُلاَءِ شَهِيداً (3) -** [2] .

و **البعيث** المبعوث فعيل بمعنى مفعول كقتيل و جريح و صريع (4) - و **مفسحا** مصدر أي وسع له مفسحا .

و قوله **في ظلك** يمكن أن يكون مجازا كقولهم فلان يشملني بظله أي بإحسانه و بره و يمكن أن يكون حقيقة و يعني به الظل الممدود الذي ذكره الله تعالى فقال **وَ ظِلٍّ مَمْدُودٍ `وَ مَاءٍ مَسْكُوبٍ (5) -** [3] .

و قوله **و أعل على بناء البانين بناءه** أي اجعل منزلته في دار الثواب أعلى المنازل (6) - .

و أتمم له نوره من قوله تعالى **رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا** [4] **16- و قد روي أنه تطفأ سائر الأنوار إلا نور 14محمد ص ثم يعطى المخلصون [5] من أصحابه أنوارا يسيرة يبصرون بها مواطئ الأقدام فيدعون إلى الله تعالى بزيادة تلك الأنوار و إتمامها ثم إن الله تعالى يتم نور 14محمد ص فيستطيل حتى يملأ الآفاق.** فذلك هو إتمام نوره ص (7) - .

قوله **من ابتعاثك له** أي في الآخرة .

مقبول الشهادة أي مصدقا فيما يشهد به على أمته و على غيرها من الأمم .

(8) -

---

(1) ديوانه 3، و روايته: «شربت مع المأمون» ، و قال في شرحه: «و كانت قريش تسمى النبيّ صلّى اللّه عليه و سلم المأمون الأمين» .
(2) سورة النساء 41.
(3) سورة الواقعة 30، 31.
(4) سورة التحريم 8.

(5) ج «المكلفون» .

و قوله **ذا منطق عدل** أي عادل و هو مصدر أقيم مقام اسم الفاعل كقولك رجل فطر و صوم أي مفطر و صائم (1) - .

و قوله **و خطبة فصل** أي يخطب خطبة فاصلة يوم القيامة كقوله تعالى **إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ` وَ مَا هُوَ بِالْهَزْلِ** [1] أي فاصل يفصل بين الحق و الباطل و هذا هو المقام المحمود الذي ذكره الله تعالى في الكتاب فقال **عَسىَ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً** [2] و هو الذي يشار إليه في الدعوات في قولهماللهم آت 14محمدا الوسيلة و الفضيلة و الدرجة الرفيعة و ابعثه المقام المحمود (2) -.

قوله **في برد العيش** تقول العرب عيش بارد و معيشة باردة أي لا حرب فيها و لا نزاع لأن البرد و السكون متلازمان كتلازم الحر و الحركة .

و قرار النعمة أي مستقرها يقال هذا قرار السيل أي مستقره و من أمثالهم لكل سائلة قرار (3) - .

و منى الشهوات ما تتعلق به الشهوات من الأماني (4) - **و أهواء اللذات** ما تهواه النفوس و تستلذه (5) - و **الرخاء** المصدر من قولك رجل رخى البال فهو بين الرخاء أي واسع الحال .

و **الدعة** السكون و الطمأنينة و أصلها الواو (6) - .

و **منتهى الطمأنينة** غايتها التي ليس بعدها غاية (7) - .

و **التحف** جمع تحفة و هي ما يكرم به الإنسان من البر و اللطف و يجوز فتح الحاء ـ

معنى الصلاة على 14النبي و الخلاف في جواز الصلاة على غيره

فإن قلت ما معنى الصلاة على 14الرسول ص التي قال الله تعالى فيها

---

(1) سورة الطارق 13، 14.
(2) سورة الإسراء 79.

إِنَّ اَللَّهَ وَ مَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى 14اَلنَّبِيِّ يَا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً [1] .

قلت الصلاة من الله تعالى هي الإكرام و التبجيل و رفع المنزلة و الصلاة منا على 14النبي ص هي الدعاء له بذلك فقوله سبحانه **هُوَ اَلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ** [2] أي هو الذي يرفع منازلكم في الآخرة و قوله **وَ مَلاَئِكَتُهُ** أي يدعون لكم بذلك .

و قيل جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كأنهم فاعلون التعظيم للمؤمن و رفع المنزلة و نظيره قوله حياك الله أي أحياك الله و أبقاك و حييتك أي دعوت لك بأن يحييك لأنك لاعتمادك على إجابة دعوتك و وثوقك بذلك كأنك تحييه و تبقيه على الحقيقة و هكذا القول في قوله سبحانه **إِنَّ اَللَّهَ وَ مَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى 14اَلنَّبِيِّ** .

و قد اختلف في الصلاة على 14النبي ص هل هي واجبة أم لا .

فمن الناس من لم يقل بوجوبها و جعل الأمر في هذه الآية للندب و منهم من قال إنها واجبة .

و اختلفوا في حال وجوبها فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره **14- و في الحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي دخل النار و أبعده الله.** و منهم من قال تجب في كل مجلس مرة واحدة و إن تكرر ذكره و منهم من أوجبها في العمر مرة واحدة و كذلك قال في إظهار الشهادتين .

و اختلف أيضا في وجوبها في الصلاة المفروضة فأبو حنيفة و أصحابه لا يوجبونها فيها و روي عن إبراهيم النخعي أنهم كانوا يكتفون يعني الصحابة عنها بالتشهد و هوالسلام عليك أيها 14النبي و رحمة الله و بركاتهو أوجبها الشافعي و أصحابه و اختلف أصحابه في وجوب الصلاة على آل محمد ص فالأكثرون على أنها واجبة و أنها شرط في صحة الصلاة .

---

(1) سورة الأحزاب 56.
(2) سورة الأحزاب 43.

فإن قلت فما تقول في الصلاة على الصحابة و الصالحين من المسلمين .

قلت القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله تعالى **هُوَ اَلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَ مَلاَئِكَتُهُ** و قوله **وَ صَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ** [1] و قوله **أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ** [2] و لكن العلماء قالوا إذا ذكر أحد من المسلمين تبعا 14للنبي ع فلا كلام في جواز ذلك و أما إذا أفردوا أو ذكر أحد منهم فأكثر الناس كرهوا الصلاة عليه لأن ذلك شعار 14رسول الله فلا يشركه فيه غيره .

و أما أصحابنا من البغداديين فلهم اصطلاح آخر و هو أنهم يكرهون إذا ذكروا 1عليا ع أن يقولوا صلى الله عليه و لا يكرهون أن يقولوا صلوات الله عليه و جعلوا اللفظة الأولى مختصة 14بالرسول ص و جعلوا اللفظة الثانية مشتركة فيها بينهما ع و لم يطلقوا لفظ الصلاة على أحد من المسلمين إلا على 1علي وحده

---

(1) سورة التوبة 103.
(2) سورة البقرة 157.

1072 72 و من كلام له ع قاله لمروان بن الحكم بالبصرة

قَالُوا: أُخِذَ مَرْوَانُ بْنُ اَلْحَكَمِ أَسِيراً فَاسْتَشْفَعَ 2اَلْحَسَنَ وَ 3اَلْحُسَيْنَ ع إِلَى 1أَمِيرِ اَلْمُؤْمِنِينَ ع فَكَلَّمَاهُ فِيهِ فَخَلَّى سَبِيلَهُ فَقَالاَ لَهُ يُبَايِعُكَ يَا 1أَمِيرَ اَلْمُؤْمِنِينَ قَالَ ع أَ وَ لَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ لاَ حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ إِنَّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ لَوْ بَايَعَنِي بِيَدِهِ لَغَدَرَ بِسَبَّتِهِ أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ اَلْكَلْبِ أَنْفَهُ وَ هُوَ أَبُو اَلْأَكْبُشِ اَلْأَرْبَعَةِ وَ سَتَلْقَى اَلْأُمَّةُ مِنْهُ وَ مِنْ وُلْدِهِ يَوْماً [مَوْتاً] أَحْمَرَ (1) -. قد روي هذا الخبر من طرق كثيرة و رويت فيه زيادة لم يذكرها صاحب نهج البلاغة **1- و هي قوله ع في مروان يحمل راية ضلالة بعد ما يشيب صدغاه و إن له إمرة .** إلى آخر الكلام (2) - .

و قوله **فاستشفع** 2الحسن و 3الحسين إلى 1أمير المؤمنين ع هو الوجه يقال استشفعت فلانا إلى فلان أي سألته أن يشفع لي إليه و تشفعت إلى فلان في فلان فشفعني فيه تشفيعا و قول الناس استشفعت بفلان إلى فلان بالباء ليس بذلك الجيد (3) - .

و قول 1أمير المؤمنين ع **أ و لم يبايعني بعد** أي و قد غدر و هكذا لو بايعني الآن (4) - .

و معنى قوله **إنها كف يهودية** أي غادرة و اليهود تنسب إلى الغدر و الخبث و قال تعالى **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ اَلنَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا اَلْيَهُودَ (1)** - [1] .

و **السبة** الاست بفتح السين سبه يسبه أي طعنه في الموضع و معنى الكلام محمول على وجهين .

أحدهما أن يكون ذكر السبة إهانة له و غلظة عليه و العرب تسلك مثل ذلك في خطبها و كلامها قال المتوكل لأبي العيناء إلى متى تمدح الناس و تذمهم فقال ما أحسنوا و أساءوا ثم قال يا أمير المؤمنين إن الله تعالى رضي عن واحد فمدحه و سخط على آخر فهجاه و هجا أمه قال **نِعْمَ اَلْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ** [2] و قال **عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ** [3] و الزنيم ولد الزنا [4] .

الوجه الثاني أن يريد بالكلام حقيقة لا مجازا و ذلك لأن الغادر من العرب كان إذا عزم على الغدر بعد عهد قد عاهده أو عقد قد عقده حبق استهزاء بما كان قد أظهره من اليمين و العهد و سخرية و تهكما (2) - .

و **الإمرة** الولاية بكسر الهمزة و قوله **كلعقة الكلب أنفه** يريد قصر المدة و كذلك كانت مدة خلافة مروان فإنه ولي تسعة أشهر (3) - .

و **الأكبش الأربعة** بنو عبد الملك الوليد و سليمان و يزيد و هشام و لم يل الخلافة من بني أمية و لا من غيرهم أربعة إخوة إلا هؤلاء .

و كل الناس فسروا الأكبش الأربعة بمن ذكرناه و عندي أنه يجوز أن يعني به

---

(1) سورة المائدة 82.
(2) سورة ص 30، 44.
(3) سورة القلم 13.
(4) العتل: الشديد.

بني مروان لصلبه و هم عبد الملك و عبد العزيز و بشر و محمد و كانوا كباشا أبطالا أنجادا أما عبد الملك فولي الخلافة و أما بشر فولي العراق و أما محمد فولي الجزيرة و أما عبد العزيز فولي مصر و لكل منهم آثار مشهورة و هذا التفسير أولى لأن الوليد و إخوته أبناء ابنه و هؤلاء بنوه لصلبه (1) - .

و يقال لليوم الشديد يوم أحمر و للسنة ذات الجدب سنة حمراء .

و كل ما أخبر به 1أمير المؤمنين ع في هذا الكلام وقع كما أخبر به و كذلك قوله يحمل راية ضلالة بعد ما يشيب صدغاه فإنه ولي الخلافة و هو ابن خمسة و ستين في أعدل الروايات

مروان بن الحكم و نسبه و أخباره

و نحن ذاكرون في هذا الموضع نسبه و جملا من أمره و ولايته للخلافة و وفاته على سبيل الاختصار .

هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف و أمه آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أمية الكناني يكنى أبا عبد الملك ولد على عهد 14رسول الله ص منذ سنة اثنتين من الهجرة و قيلو قيلو قيل غير ذلك و قال قوم بل ولد بمكة و قيل ولد بالطائف ذكر ذلك كله أبو عمر بن عبد البر في كتاب الإستيعاب [1] . قال أبو عمر و ممن قال بولادته مالك بن أنس و على قوله يكون

(1) الاستيعاب 1387-1390 (طبعة نهضة مصر) .

14رسول الله ص قد توفي و عمره ثمان سنين أو نحوها .

14- و قيل إنه لما نفي مع أبيه إلى الطائف كان طفلا لا يعقل و إنه لم ير 14رسول الله ص و كان الحكم أبوه قد طرده 14رسول الله عن المدينة و سيره إلى الطائف فلم يزل بها حتى ولي عثمان فرده إلى المدينة فقدمها هو و ولده في خلافة عثمان و توفي فاستكتبه عثمان و ضمه إليه فاستولى عليه إلى أن قتل . و الحكم بن أبي العاص [1] هو عم عثمان بن عفان كان من مسلمةو من المؤلفة قلوبهم و توفي الحكم في خلافة عثمان قبل قتله بشهور .

14- و اختلف في السبب الموجب لنفي 14رسول الله ص فقيل إنه كان يتحيل و يستخفي و يتسمع [2] ما يسره 14رسول الله ص إلى أكابر الصحابة في مشركي قريش و سائر الكفار و المنافقين و يفشي ذلك عنه حتى ظهر ذلك عنه [3] .

و قيل كان يتجسس على 14رسول الله ص و هو عند نسائه و يسترق السمع و يصغي إلى ما يجري هناك مما لا يجوز الاطلاع عليه ثم يحدث به المنافقين على طريق الاستهزاء .

و قيل كان يحكيه في بعض مشيته و بعض حركاته فقد قيل إن 14النبي ص كان إذا مشى يتكفأ [4] و كان الحكم بن أبي العاص يحكيه و كان شانئا له مبغضا حاسدا فالتفت 14رسول الله ص يوما فرآه يمشي خلفه يحكيه في مشيته

---

(1) الاستيعاب 359، 360.

(2) كذا في الاستيعاب، و في الأصول: «يسمع» .

(3) ج: «منه» .

(4) قال ابن الأثير في النهاية 4: 24 في صفة مشيه عليه الصلاة و السلام: «كان إذا مشى تكفى تكفيا؛ أى تمايل إلى قدام؛ هكذا روى غير مهموز، و الأصل الهمز، و بعضهم يرويه مهموزا لأنه مصدر تفعل... » .

فقال له كذلك فلتكن يا حكم فكان الحكم مختلجا يرتعش من [1] يومئذ . فذكر ذلك عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فقال لعبد الرحمن بن الحكم يهجوه ـ

إن اللعين أبوك فارم عظامه # إن ترم ترم مخلجا مجنونا

يمشي خميص البطن من عمل التقى # و يظل من عمل الخبيث بطينا.

قال صاحب الإستيعاب أما قول عبد الرحمن بن حسان إن اللعين أبوك فإنه **14- روي عن عائشة من طرق ذكرها ابن أبي خيثمة و غيره أنها قالت لمروان إذ قال في أخيها عبد الرحمن إنه أنزل فيه وَ اَلَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَ تَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَ قَدْ خَلَتِ اَلْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَ هُمَا يَسْتَغِيثَانِ اَللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اَللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ اَلْأَوَّلِينَ [2] أما أنت يا مروان فأشهد أن 14رسول اللّه ص لعن أباك و أنت في صلبه [3] . 14- و روى صاحب كتاب الإستيعاب بإسناد ذكره عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن 14رسول الله ص قال يدخل عليكم رجل لعين قال عبد الله و كنت قد رأيت أبي [4] يلبس ثيابه ليقبل إلى 14رسول الله ص فلم أزل مشفقا أن يكون أول من يدخل فدخل الحكم بن أبي العاص . 1- قال صاحب الإستيعاب و نظر 1علي ع يوما إلى مروان فقال له ويل لك و ويل لأمة 14محمد منك و من بنيك [5] إذا شاب صدغاك .** و كان مروان يدعى

---

(1) الخبر في النهاية لابن الأثير 1: 310 عن عبد الرحمن بن أبي بكر: «أن الحكم بن أبي العاص ابن أبي أميّة أبا مروان، كان يجلس خلف النبيّ صلّى اللّه عليه و سلم، فإذا تكلم اختلج بوجهه، فرآه فقال له: كن كذلك، فلم يزل يختلج حتّى مات أي كان يحرك شفتيه و ذقنه استهزاء و حكاية لفعل النبيّ صلّى اللّه عليه و سلم فبقى يرتعد و يضطرب إلى أن مات» .

(2) سورة الأحقاف 17.

(3) الاستيعاب: «تركت» .

(4) الاستيعاب: «عمرا» .

(5) ج: «بيتك» .

خيط باطل قيل لأنه كان طويلا مضطربا .

و ضربعلى قفاه فخر لفيه [1] فلما بويع له بالخلافة قال فيه أخوه عبد الرحمن بن الحكم و كان ماجنا شاعرا محسنا [2] و كان لا يرى رأي مروان

فو الله ما أدري و إني لسائل # حليلة مضرب القفا كيف تصنع

لحا الله قوما أمروا خيط باطل # على الناس يعطي ما يشاء و يمنع.

و قيل إنما قال له أخوه عبد الرحمن ذلك حين ولاه معاوية إمرة المدينة و كان كثيرا ما يهجوه و من شعره فيه

وهبت نصيبي منك يا مرو كله # لعمرو و مروان الطويل و خالد

و رب ابن أم زائد غير ناقص # و أنت ابن أم ناقص غير زائد.

و قال مالك بن الريب يهجو مروان بن الحكم

لعمرك ما مروان يقضي أمورنا [3] # و لكن ما يقضي لنا بنت جعفر

فيا ليتها كانت علينا أميره # و ليتك يا مروان أمسيت ذاحر.

و من شعر أخيه عبد الرحمن فيه

ألا من يبلغن مروان عني [4] # رسولا و الرسول من البيان

بأنك لن ترى طردا لحر # كإلصاق به بعض الهوان [5] و هل حدثت قبلي عن كريم # معين في الحوادث أو معان

يقيم بدار مضيعة إذا لم # يكن حيران أو خفق الجنان

---

(1) الاستيعاب: «فجرى لفيه» .
(2) من الاستيعاب.
(3) في الأصول: «يا مروان» و الصواب ما أثبته من الاستيعاب.
(4) الاستيعاب: «من مبلغ» .
(5) ورد البيت محرفا في الأصول، و ما أثبته من الاستيعاب.

فلا تقذف بي الرجوين إني # أقل القوم من يغني مكاني [1] سأكفيك الذي استكفيت مني # بأمر لا تخالجه اليدان

فلو أنا بمنزلة جرينا # جريت و أنت مضطرب العنان

و لو لا أن أم أبيك أمي # و أن من قد هجاك فقد هجاني

لقد جاهرت بالبغضاء إني # إلى أمر الجهارة و العلان.

و لما صار أمر الخلافة إلى معاوية ولى مروان المدينة ثم جمع له إلى المدينة مكة و الطائف ثم عزله و ولى سعيد بن العاص فلما مات يزيد بن معاوية و ولي ابنه أبو ليلى معاوية بن يزيد في سنة أربع و ستين عاش في الخلافة أربعين يوما و مات فقالت له أمه أم خالد بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس اجعل الخلافة من بعدك لأخيك فأبى و قال لا يكون لي مرها و لكم حلوها فوثب مروان عليها و أنشد

إني أرى فتنة تغلي مراجلها # و الملك بعد أبي ليلى لمن غلبا.

14- و ذكر أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في كتاب الأغاني أن [2] معاوية لما عزل مروان بن الحكم عن إمرة المدينة و الحجاز و ولى مكانه سعيد بن العاص وجه مروان أخاه عبد الرحمن بن الحكم أمامه إلى معاوية و قال له ألقه قبلي فعاتبه لي و استصلحه .

قال أبو الفرج و قد روي أن عبد الرحمن كان بدمشق يومئذ فلما بلغه خبر عزل مروان و قدومه إلى الشام خرج و تلقاه و قال له أقم حتى أدخل إلى أخيك [3] فإن كان عزلك عن موجدة دخلت إليه منفردا و إن كان عن غير موجدة دخلت إليه مع الناس

---

(1) الرجا: ناحية البئر من أعلاها، إلى أسفلها، و تثنيته رجوان، (على البناء للمجهول) و رمى به الرجوان، أى استهين به، فكأنّه رمى به هناك، أي طرح في المهالك.
(2) الأغانى 13: 259 و ما بعدها (طبعة الدار) .
(3) الأغانى: «الرجل» .

فأقام مروان و مضى عبد الرحمن فلما قدم على معاوية دخل إليه و هو يعشي الناس فأنشده

أتتك العيس تنفخ في براها # تكشف عن مناكبها القطوع [1] بأبيض من أمية مضرحي # كأن جبينه سيف صنيع [2] .

فقال له معاوية أ زائرا جئت أم مفاخرا مكابرا فقال أي ذلك شئت فقال ما أشاء من ذلك شيئا و أراد معاوية أن يقطعه عن كلامه الذي عن له فقال له على أي ظهر جئتنا فقال على فرس قال ما صفته قال أجش هزيم يعرض بقول النجاشي في معاوية

و نجا ابن حرب سابح ذو علالة # أجش هزيم و الرماح دوان [3] إذا قلت أطراف الرماح تناله # مرته له الساقان و القدمان [4] .

فغضب معاوية و قال إلا أنه لا يركبه صاحبه في الظلم إلى الريب و لا هو ممن يتسور على جاراته و لا يتوثب بعد هجعة الناس على كنائنه [5] و كان عبد الرحمن يتهم بذلك في امرأة أخيه فخجل عبد الرحمن و قال يا أمير المؤمنين ما حملك على عزل ابن عمك الخيانة أ وجبت ذلك أم لرأي رأيته و تدبير استصلحته قال بل لتدبير استصلحته قال فلا بأس بذلك فخرج من عنده فلقي أخاه مروان فأخبره بما دار بينه و بين معاوية فاستشاط غيظا و قال لعبد الرحمن قبحك الله ما أضعفك عرضت للرجل بما أغضبه حتى إذا انتصر [6]

---

(1) العيس: النوق البيض، يخالط بياضها شقرة. و البرى: جمع برة، بضم ففتح، و هي حلقة تجعل في أنف البعير: و القطوع: جمع قطع، بالكسر؛ و هو الطنفسة تكون تحت الرحل.

(2) المضرحى: السيّد الكريم، و الصنيع: السيف المجرب المجلو.

(3) السابح: الفرس السريع. و العلالة: البقية من السير و الأجش: الغليظ الصوت من الإنسان و من الخيل و من الرعد. و الهزيم: الفرس الشديد الصوت.

(4) مرته: استدرت جريه. و في الأغانى: «إذا خلت» .

(5) كنائن: جمع كنة؛ امرأة الأخ أو الابن.

(6) الأغانى: «انتصف» .

منك أحجمت عنه ثم لبس حلته و ركب فرسه و تقلد سيفه و دخل على معاوية فقال له حين رآه و تبين الغضب في وجهه مرحبا بأبي عبد الملك لقد زرتنا عند اشتياق منا إليك فقال لا [1] ها الله ما زرتك لذلك و لا قدمت عليك فألفيتك إلا عاقا قاطعا و الله ما أنصفتنا و لا جزيتنا جزاءنا لقد كانت السابقة من بني عبد شمس لآل أبي العاص و الصهر عن 14رسول الله ص لهم و الخلافة منهم [2] فوصلوكم يا بني حرب و شرفوكم و ولوكم فما عزلوكم و لا آثروا عليكم حتى إذا وليتم و أفضى الأمر إليكم أبيتم إلا أثرة و سوء صنيعة و قبح قطيعة فرويدا رويدا فقد بلغ بنو الحكم و بنو بنيه نيفا و عشرين و إنما هي أيام قلائل حتى يكملوا أربعين ثم يعلم امرؤ ما يكون منهم حينئذ ثم هم للجزاء بالحسنى و السوء بالمرصاد .

قال أبو الفرج هذا رمز إلى قول 14رسول الله ص إذا بلغ بنو أبي العاص أربعين رجلا اتخذوا مال الله دولا و عباد الله خولا فكان بنو أبي العاص يذكرون أنهم سيلون أمر الأمة إذا بلغوا هذه العدة .

قال أبو الفرج فقال له معاوية مهلا أبا عبد الملك إني لم أعزلك عن خيانة و إنما عزلتك لثلاثة لو لم يكن منهن إلا واحدة لأوجبت عزلك إحداهن أني أمرتك على عبد الله بن عامر و بينكما ما بينكما فلن تستطيع أن تشتفي منه و الثانية كراهيتك لإمرة زياد و الثالثة أن ابنتي رملة استعدتك على زوجها عمرو بن عثمان فلم تعدها فقال مروان أما ابن عامر فإني لا أنتصر منه في سلطاني و لكن إذا تساوت الأقدام علم أين موقعه و أما كراهتي لإمرة زياد فإن سائر بني أمية كرهوه و جعل الله لنا في ذلك الكره خيرا كثيرا و أما استعداء رملة على عمرو فو الله إنه ليأتي علي سنة أو أكثر

(1) من الأغانى، و هاهنا للتنبيه و بعدها حرف قسم محذوف (انظر المغني 1: 349) .
(2) الأغانى: «فيهم» .

و عندي بنت عثمان فما أكشف لها ثوبا يعرض بأن رملة إنما تستعدي على عمرو بن عثمان طلب النكاح فغضب معاوية فقال يا ابن الوزغ [1] لست هناك فقال مروان هو ما قلت لك و إني الآن لأبو عشرة و أخو عشرة و عم عشرة و قد كاد ولد أبي [2] أن يكملوا العدة يعني أربعين و لو قد بلغوها لعلمت أين تقع مني فانخزل معاوية [3] و قال

فإن أك في شراركم قليلا # فإني في خياركم كثير [4] بغاث الطير أكثرها فراخا # و أم الصقر مقلات نزور [5] .

ثم استخذى معاوية في يد مروان [6] و خضع و قال لك [7] العتبى و أنا رادك إلى عملك فوثب مروان و قال كلا و عيشك لا رأيتني عائدا و خرج .

ـفقال الأحنف لمعاوية ما رأيت قط لك سقطة مثلها ما هذا الخضوع لمروان و أي شيء يكون منه و من بني أبيه إذا بلغوا أربعين و ما الذي تخشاه منهم فقال ادن مني أخبرك ذلك فدنا الأحنف منه فقال له [7] إن الحكم بن أبي العاص كان أحد من قدم مع أختي [7] أم حبيبة لما زفت إلى 14رسول الله ص و هو يتولى نقلها إليه فجعل 14رسول الله ص يحد النظر إليه فلما خرج من عنده قيل يا 14رسول الله لقد أحددت النظر إلى الحكم فقال ابن المخزومية ذاك رجل إذا بلغ بنو [8] أبيه ثلاثين أو أربعين ملكوا الأمر من بعدي فو الله لقد تلقاها مروان من عين صافية فقال الأحنف رويدا يا أمير المؤمنين لا يسمع هذا منك أحد فإنك تضع من قدرك و قدر ولدك بعدك و إن يقض الله أمرا يكن فقال

---

(1) الوزغ: جمع وزغة، سام أبرص، سميت بها لخفائها و سرعة حركتها.
(2) الأغانى: «ولد» .
(3) انخزل، أي تراجع.
(4) البيتان من مقطوعة للعباس بن مرداس-حماسة أبى تمام-بشرح المرزوقى 3: 1453؛ و نسب صاحب اللسان في (قلت) البيت الثاني إلى كثير عزة.
(5) المقلات: مفعال، من القلت، و هو الهلاك. و النزور: القليلة.
(6) الأغانى: «فى يد مروان» .
(7) من الأغانى.
(8) الأغانى: «ولد» .

معاوية اكتمها يا أبا بحر علي إذا فقد لعمرك [1] صدقت و نصحت . و ذكر شيخنا أبو عثمان الجاحظ في كتاب مفاخرة هاشم و عبد شمس أن مروان كان يضعف و أنه كان ينشدو الرءوس تندر عن كواهلها

و ما ضرهم غير حين النفوس # أي غلامي قريش غلب.

قال و هذا حمق شديد و ضعف عظيم قال و إنما ساد مروان و ذكر بابنه عبد الملك كما ساد بنوه و لم يكن في نفسه هناك .

فأما خلافة مروان **17- فذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في التاريخ [2] أن عبد الله بن الزبير لما أخرج بني أمية عن الحجاز إلى الشام في خلافة يزيد بن معاوية خرجوا و فيهم مروان و ابنه عبد الملك و لم تطل مدة يزيد فتوفي و مات ابنه بعده بأيام يسيرة و كان من رأي مروان أن يدخل إلى ابن الزبير بمكة فيبايعه بالخلافة فقدم عبيد الله بن زياد و قد أخرجه أهل البصرة عنها بعد فاجتمع هو و بنو أمية و أخبروه بما قد أجمع عليه مروان فجاء إليه و قال استجبت لك يا أبا عبد الملك فما يريد أنت كبير قريش و سيدها تصنع ما تصنع و تشخص إلى أبي خبيب فتبايعه بالخلافة فقال مروان ما فات شيء بعد فقام مروان و اجتمع إليه بنو أمية و مواليهم و عبيد الله بن زياد و كثير من أهل اليمن و كثير من كلب فقدم دمشق و عليها الضحاك بن قيس الفهري قد بايعه الناس على أن يصلي بهم و يقيم لهم أمرهم حتى يجتمع**

(1) الأغانى: «لعمرى» .
(2) تاريخ الطبريّ 5: 530 و ما بعدها؛ مع تصرف و اختصار.

الناس على إمام و كان هوى الضحاك مع ابن الزبير إلا أنه لم يبايع له بعد و كان زفر بن الحارث الكلابي بقنسرين يخطب لابن الزبير و النعمان بن بشير الأنصاري بحمص يخطب لابن الزبير و كان حسان بن مالك بن بحدل الكلبي بفلسطين يهوى هوى بني أمية ثم من بينهم بني حرب لأنه كان عاملا لمعاوية ثم ليزيد بن معاوية من بعده و كان حسان بن مالك مطاعا في قومه عظيما عندهم فخرج عن فلسطين يريد الأردن و استخلف على فلسطين روح بن زنباع الجذامي فوثب عليه بعد شخوص حسان بن مالك و ناتل [1] بن قيس الجذامي أيضا فأخرجه عن فلسطين و خطب لابن الزبير و كان له فيه هوى فاستوثقت الشام كلها لابن الزبير ما عدا الأردن فإن حسان بن مالك الكلبي كان يهوى هوى بني أمية و يدعو إليهم فقام في أهل الأردن فخطبهم و قال لهم ما شهادتكم على ابن الزبير و قتلى المدينة قالوا نشهد أن ابن الزبير كان منافقا و أن قتلى أهل المدينة في النار قال فما شهادتكم على يزيد بن معاوية و قتلاكمقالوا نشهد أن يزيد بن معاوية كان مؤمنا و كان قتلانافي الجنة قال و أنا أشهد أنه إن كان دين يزيد بن معاوية و هو حي حقا إنه اليوم لعلى حق هو و شيعته و إن كان ابن الزبير يومئذ هو و شيعته على باطل إنه اليوم و شيعته على باطل قالوا صدقت نحن نبايعك على أن نقاتل معك من خالفك من الناس و أطاع ابن الزبير على أن تجنبنا ولاية هذين الغلامين ابني يزيد بن معاوية و هما خالد و عبد الله فإنهما حديثة أسنانهما و نحن نكره أن يأتينا الناس بشيخ و نأتيهم بصبي .

قال و قد كان الضحاك بن قيس يوالي ابن الزبير باطنا و يهوى هواه و يمنعه إظهار ذلك بدمشق و البيعة له أن بني أمية و كلبا كانوا بحضرته و كلب أخوال يزيد

(1) في الأصول: «نائل» ، و الصواب ما أثبته من تاريخ الطبريّ.

بن معاوية و بنيه و يطلبون الإمرة لهم فكان الضحاك يعمل في ذلك سرا و بلغ حسان بن مالك بن بحدل ما أجمع عليه الضحاك فكتب إليه كتابا يعظم فيه حق بني أمية و يذكر الطاعة و الجماعة و حسن بلاء بني أمية عنده و صنيعهم إليه و يدعوه إلى بيعتهم و طاعتهم و يذكر ابن الزبير و يقع فيه و يشتمه و يذكر أن منافق قد خلع خليفتين و أمره أن يقرأ كتابه على الناس ثم دعا رجلا من كلب يقال له ناغضة فسرح بالكتاب معه إلى الضحاك بن قيس و كتب حسان نسخة ذلك الكتاب و دفعه إلى ناغضة و قال له إن قرأ الضحاك كتابي على الناس و إلا فقم أنت و اقرأ هذا الكتاب عليهم و كتب حسان إلى بني أمية يأمرهم أن يحضروا ذلك فقدم ناغضة بالكتاب على الضحاك فدفعه إليه و دفع كتاب بني أمية إليهم سرا .

فلما كان يوم الجمعة و صعد الضحاك على المنبر و قدم إليه ناغضة فقال أصلح الله الأمير ادع بكتاب حسان فاقرأه على الناس فقال له الضحاك اجلس فجلس ثم قام ثانية فتكلم مثل ذلك فقال له اجلس فجلس ثم قام ثالثة و كان كالثانية و الأولى فلما رآه ناغضة لا يقرأ الكتاب أخرج الكتاب الذي معه فقرأه على الناس فقام الوليد بن عتبة بن أبي سفيان فصدق حسان و كذب ابن الزبير و شتمه و قام يزيد بن أبي النمس الغساني فصدق مقالة حسان و كتابه و شتم ابن الزبير و قام سفيان بن أبرد الكلبي فصدق مقالة حسان و شتم ابن الزبير و قام عمر بن يزيد الحكمي فشتم حسان و أثنى على ابن الزبير فاضطرب الناس و نزل الضحاك بن قيس فأمر بالوليد بن عتبة و سفيان بن الأبرد و يزيد بن أبي النمس الذين كانوا صدقوا حسان و شتموا ابن الزبير فحبسوا و جال الناس بعضهم في بعض و وثبت كلب على عمر بن يزيد الحكمي فضربوه و خرقوا ثيابه و قد كان قام خالد بن يزيد بن معاوية فصعد مرقاتين [1] من المنبر و هو يومئذ غلام .

و الضحاك بن قيس فوق المنبر فتكلم بكلام أوجز فيه لم يسمع بمثله ثم نزل .

(1) المرقاة: الدرجة في السلم.

فلما دخل الضحاك بن قيس داره جاءت كلب إلى السجن فأخرجوا سفيان بن أبرد الكلبي و جاءت غسان فأخرجوا يزيد بن أبي النمس و قال الوليد بن عتبة لو كنت من كلب أو غسان لأخرجت فجاء ابنا يزيد بن معاوية خالد و عبد الله و معهما أخوالهما من كلب فأخرجوه من السجن .

ثم إن الضحاك بن قيس خرج إلى مسجد دمشق فجلس فيه و ذكر يزيد بن معاوية فوقع فيه فقام إليه سنان من كلب و معه عصا فضربه بها و الناس جلوس حلقا متقلدي السيوف فقام بعضهم إلى بعض في المسجد فاقتتلوا فكانت قيس عيلان قاطبة تدعو إلى ابن الزبير و معهما الضحاك و كلب تدعو إلى بني أمية ثم إلى خالد بن يزيد فيتعصبون له فدخل الضحاك دار الإمارة و أصبح الناس فلم يخرج الضحاك إلى صلاة الفجر .

ـفلما ارتفع النهار بعث إلى بني أمية فدخلوا عليه فاعتذر إليهم و ذكر حسن بلائهم عنده و أنه ليس يهوى شيئا يكرهونه ثم قال تكتبون إلى حسان و نكتب و يسير حسان من الأردن حتى ينزل الجابية [1] و نسير نحن و أنتم حتى نوافيه بها فيجتمع رأي الناس على رجل منكم فرضيت بذلك بنو أمية و كتبوا إلى حسان و هو بالأردن و كتب إليه الضحاك يأمره بالموافاة في الجابية و أخذ الناس في الجهاز للرحيل .

و خرج الضحاك بن قيس من دمشق و خرج الناس و خرجت بنو أمية و توجهت الرايات يريدون الجابية فجاء ثور بن معن يزيد بن الأخنس السلمي إلى الضحاك فقال دعوتنا إلى طاعة ابن الزبير فبايعناك على ذلك ثم أنت الآن تسير إلى هذا الأعرابي من كلب لتستخلف ابن أخته خالد بن يزيد بن معاوية فقال الضحاك فما الرأي قال الرأي أن

(1) الجابية، بكسر الباء و ياء خفيفة: من أعمال دمشق.

نظهر ما كنا نسر و ندعو إلى طاعة ابن الزبير و نقاتل عليها فمال الضحاك بمن معه من الناس و انخزل من بني أمية و من معهم من قبائل اليمن فنزل مرج راهط . قال أبو جعفر و اختلف في أي وقت كانت الوقعة بمرج راهط فقال الواقدي كانت في سنة خمس و ستين و قال غيره في سنة أربع و ستين .

قال أبو جعفر و سارت بنو أمية و لفيفها حتى وافوا حسان بالجابية فصلى بهم أربعين يوما و الناس يتشاورن و كتب الضحاك بن قيس من مرج راهط إلى النعمان بن بشير الأنصاري و هو على حمص يستنجده و إلى زفر بن الحارث و هو في قنسرين و إلى ناتل [1] بن قيس و هو على فلسطين ليستمدهم و كلهم على طاعة ابن الزبير فأمدوه فاجتمعت الأجناد إليه بمرج راهط و أما الذين بالجابية فكانت أهواؤهم مختلفة فأما مالك بن هبيرة السكوني فكان يهوى هوى يزيد بن معاوية و يحب أن تكون الخلافة في ولده و أما حصين بن نمير السكوني [2] فكان يهوى هوى بني أمية و يحب أن تكون الخلافة لمروان بن الحكم فقال مالك بن هبيرة للحصين بن نمير هلم فلنبايع لهذا الغلام الذي نحن ولدنا أباه و هو ابن أختنا فقد عرفت منزلتنا التي كانت من أبيه إنك إن تبايعه يحملك غدا على رقاب العرب يعني خالد بن يزيد فقال الحصين لا لعمر الله لا يأتينا العرب بشيخ و نأتيها بصبي فقال مالك أظن هواك في مروان و الله إن استخلفت مروان ليحسدنك على سوطك و شراك نعلك و ظل شجرة تستظل بها إن مروان أبو عشرة و أخو عشرة و عم عشرة فإن بايعتموه كنتم عبيدا لهم و لكن عليكم بابن أختكم خالد بن يزيد فقال الحصين إني رأيت في المنام قنديلا معلقا من السماء و إنه جاء كل من يمد عنقه إلى الخلافة ليتناوله فلم يصل إليه و جاء مروان فتناوله و الله لنستخلفنه .

---

(1) في الأصول: «نائل» و صوابه من تاريخ الطبريّ.
(2) في الأصول: «السلولى» ، و ما أثبته من تاريخ الطبريّ.

فلما اجتمع رأيهم على بيعته و استمالوا حسان بن بحدل إليها قام روح بن زنباع الجذامي فحمد الله و أثنى عليه فقال أيها الناس إنكم تذكرون لهذا الأمر عبد الله بن عمر بن الخطاب و تذكرون صحبته 14لرسول الله ص و قدمه في الإسلام و هو كما تذكرون لكنه رجل ضعيف و ليس صاحب أمة 14محمد بالضعيف و أما عبد الله بن الزبير و ما يذكر الناس من أمره و أن أباه حواري 14رسول الله ص و أمه أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين فهو لعمري كما تذكرون و لكنه منافق قد خلع خليفتين يزيد و أباه معاوية و سفك الدماء و شق عصا المسلمين و ليس صاحب أمة 14محمد ص بالمنافق و أما مروان بن الحكم فو الله ما كان في الإسلام صدع قط إلا كان مروان ممن يشعب ذلك الصدع و هو الذي قاتل عن عثمان بن عفان و الذي قاتل 1علي بن أبي طالب و إنا نرى للناس أن يبايعوا الكبير و يستشبوا الصغير يعني بالكبير مروان و بالصغير خالد بن يزيد . فاجتمع رأي الناس[1] على البيعة لمروان ثم لخالد بن يزيد من بعده ثم لعمرو بن سعيد بن العاص بعدهما على أن تكون في أيام خلافة مروان إمرة دمشق لعمرو بن سعيد و إمرة حمص لخالد بن يزيد فلما استقر الأمر على ذلك دعا حسان بن بحدل خالد بن يزيد فقال يا ابن أختي إن الناس قد أبوك لحداثة سنك و إني و الله ما أريد هذا الأمر إلا لك و لأهل بيتك و ما أبايع مروان إلا نظرا لكم فقال خالد بل عجزت عنا فقال لا و الله لم أعجز عنك و لكن الرأي لك ما رأيت .

ثم إن حسان دعا مروان بن الحكم فقال له يا مروان إن الناس كلهم لا يرضون

(1) في الأصول: «و يسلموا» و ما أثبته من تاريخ الطبريّ.

بك فما ترى فقال مروان إن يرد الله أن يعطينيها لم يمنعنها أحد من خلقه و إن يرد أن يمنعنيها لا يعطينيها أحد من خلقه فقال حسان صدقت .

ثم صعد حسان المنبر فقال أيها الناس إني مستخلف في غد أحدكم إن شاء الله فاجتمع الناس بكرة الغد ينتظرون فصعد حسان المنبر و بايع لمروان و بايع الناس و سار من الجابية حتى نزل بمرج راهط حيث الضحاك بن قيس نازل فجعل مروان على ميمنته عمرو بن سعيد بن العاص و على ميسرته عبيد الله بن زياد و جعل الضحاك على ميمنته زياد بن عمرو بن معاوية العتكي و على ميسرته ثور بن معن السلمي و كان يزيد بن أبي النمس الغساني بدمشق لم يشهد الجابية و كان مريضا فلما حصل الضحاك بمرج راهط [1] ثار بأهل دمشق في عبيده و أهله فغلب عليها و أخرج عامل الضحاك منها و غلب على الخزائن و بيت المال و بايع لمروان و أمده من دمشق بالرجال و المال و السلاح فكان ذلك أول فتح فتح لمروان . ثم وقعت الحرب بين مروان و الضحاك فاقتتلوا بمرج راهط عشرين ليلة فهزم أصحاب الضحاك و قتلوا و قتل أشراف الناس من أهل الشام و قتلت قيس مقتلة لم تقتل مثلها في موطن قط و قتل ثور بن معن السلمي الذي رد الضحاك عن رأيه .

قال أبو جعفر و روي أن بشير بن مروان كان صاحب الراية ذلك اليوم و أنه كان ينشد

إن على الرئيس حقا حقا # أن يخضب الصعدة أو يندقا.

و صرع ذلك اليوم عبد العزيز بن مروان [2] ثم استنقذ [2] .

قال و مر مروان برجل من محارب و هو في نفر يسير من أصحاب مروان فقال له

---

(1) مرج راهط: موضع في الغوطة من دمشق؛ بها الواقعة المشهورة بين قيس و تغلب.
(2-2) لم يذكر في الطبريّ.

لو انضممت إلى أصحابك رحمك الله فإني أراك في قلة فقال إن معنا يا 1أمير المؤمنين من الملائكة مددا أضعاف من تأمرنا بالانضمام إليهم قال فضحك مروان و سر بذلك و قال للناس ممن كان حوله **أَ لاَ تَسْتَمِعُونَ** قال أبو جعفر و كان قاتل الضحاك رجلا من كلب يقال له زحنة بن عبد الله فلما قتله و أحضر الرأس إلى مروان ظهرت عليه كآبة و قال الآن حين كبرت سني و دق عظمي و صرت في مثل ظمء [1] الحمار أقبلت أضرب الكتائب بعضها ببعض .

قال أبو جعفر و روي أن مروان أنشد لما بويع و دعا إلى نفسه

لما رأيت الأمر أمرا نهبا # سيرت غسان لهم و كلبا

و السكسكيين رجالا غلبا # و طيئا تأباه إلا ضربا

و القين تمشي في الحديد نكبا # و من تنوخ مشمخرا صعبا

لا يملكون الملك إلا غصبا [2] # و إن دنت قيس فقل لا قربا

قال أبو جعفر و خرج الناس منهزمين بعد فانتهى أهل حمص إلى حمص و عليها النعمان بن بشير فلما عرف الخبر خرج هاربا و معه ثقله و ولده و تحير ليلته كلها و أصبح و هو بباب مدينة حمص فرآه أهل حمص فقتلوه و خرج زفر بن الحارث الكلابي من قنسرين هاربا فلحق بقرقيسياء و عليها عياض بن أسلم الجرشي [3] فلم يمكنه من دخولها فحلف له زفر بالطلاق و العتاق أنه إذا دخل حمامها خرج منها و قال له إن لي حاجة إلى دخول الحمام فلما دخلها لم يدخل حمامها و أقام بها و أخرج عياضا

---

(1) أي لم يبق من عمرى غير وقت قصير، و الظمء في الأصل: ما بين الشربتين، و يقال: إنّه ليس شيء من الدوابّ أقصر ظمأ من الحمار.

(2) الطبريّ: «لا يأخذون الملك» .

(3) في الطبريّ: «و هو ابن أسلم بن كعب بن مالك» .

منها و تحصن فيها و ثابت إليه قيس عيلان و خرج ناتل بن قيس الجذامي من فلسطين هاربا فالتحق بابن الزبير بمكة و أطبق أهل الشام على مروان و استوثقوا له و استعمل عليهم عماله ففي ذلك يقول زفر بن الحارث

أريني سلاحي لا أبا لك إنني # أرى الحرب لا تزداد إلا تماديا [1] أتاني عن مروان بالغيب أنه # مريق دمي أو قاطع من لسانيا

و في العيس منجاة و في الأرض مهرب # إذا نحن رفعنا لهن المبانيا [2] فقد ينبت المرعى على دمن الثرى # و تبقى حزازات النفوس كما هيا

أ تذهب كلب لم تنلها رماحنا # و تترك قتلهي ما هيا

لعمري لقد أبقت وقيعة # لحسان صدعا بينا متنائيا

أ بعد ابن عمرو و ابن معن تتايعا # و مقتل همام أمنى الأمانيا

و لم تر مني نبوة قبل هذه # فراري و تركي صاحبي ورائيا

أ يذهب يوم واحد إن أسأته # بصالح أيامي و حسن بلائيا

فلا صلح حتى تنحط الخيل بالقنا # و تثأر من نسوان كلب نسائيا [3] .

و قال زفر بن الحارث أيضا و هو من شعر الحماسة

أ في الله أما بحدل و ابن بحدل # فيحيا و أما ابن الزبير فيقتل [4] كذبتم و بيت الله لا تقتلونه # و لما يكن يوم أغر محجل

---

(1) الأبيات في معجم البلدان 4: 216، و الأغانى 17: 111 (ساسى) ، مع اختلاف في الرواية بينها و بين رواية الطبريّ.
(2) في الطبريّ: «المثانيا» ، بعده:

فلا تحسبونى إن تغيّبت غافلا # و لا تفرحوا إن جئتكم بلقائيا.

(3) النحط: صوت الخيل من الإعياء، بعده في الطبريّ: ألا ليت شعرى هل تصيبنّ؟؟؟ # تنوخا و حيّى طيّئ من شفائيا.
(4) ديوان الحماسة-بشرح المرزوقى 2: 649.

و لما يكن للمشرفية فوقكم # شعاع كقرن الشمس حين ترجل [1] .

و أما وفاة مروان و السبب فيها أنه كان قد استقر الأمر بعده لخالد بن يزيد بن معاوية على ما قدمنا ذكره فلما استوثق له الأمر أحب أن يبايع لعبد الملك و عبد العزيز ابنيه فاستشار في ذلك فأشير عليه أن يتزوج أم خالد بن يزيد و هي ابنة أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة ليصغر شأنه فلا يرشح للخلافة فتزوجها ثم قال لخالد يوما في كلام دار بينهما و المجلس غاص بأهله اسكت يا ابن الرطبة [2] فقال خالد أنت لعمري مؤتمن و خبير .

ثم قام باكيا من مجلسه و كان غلاما حينئذ فدخل على أمه فأخبرها فقالت له لا يعرفن ذلك فيك و اسكت فأنا أكفيك أمره فلما دخل عليها مروان قال لها ما قال لك خالد قالت و ما عساه يقول قال أ لم يشكني إليك قالت إن خالدا أشد إعظاما لك من أن يشتكيك فصدقها ثم مكثت أياما فنام عندها و قد واعدت جواريها و قمن إليه فجعلن الوسائد و البراذع عليه و جلسن عليه حتى خنقه و ذلك بدمشق في شهر رمضان .

و هو ابن ثلاث و ستين سنة في قول الواقدي . و أما هشام بن محمد الكلبي فقال ابن إحدى و ثمانين سنة و قال كان ابن إحدى و ثمانين عاش في الخلافة تسعة أشهر و قيل عشرة أشهر و كان في أيام كتابته لعثمان بن عفان أكثر حكما و أشد تلطفا و تسلطا منه في أيام خلافته و كان ذلك من أعظم الأسباب الداعية إلى خلع عثمان و قتله .

و قد قال قوم إن الضحاك بن قيس لما نزل مرج راهط لم يدع إلى ابن الزبير و إنما دعا إلى نفسه و بويع بالخلافة و كان قرشيا و الأكثر الأشهر أنه كان يدعو إلى ابن الزبير

---

(1) قرن الشمس: أول ما ظهر منها. الترجل: هو المتوع، و المتوع: قبل انتصاف النهار.
(2) الطبريّ: «يا ابن الرطبة الاست» .

1073 73 و من كلام له ع لما عزموا على بيعة عثمان

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي وَ وَ اَللَّهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ اَلْمُسْلِمِينَ وَ لَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلاَّ عَلَيَّ خَاصَّةً اِلْتِمَاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وَ فَضْلِهِ وَ زُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَ زِبْرِجِهِ (1) -. نافست في الشيء منافسة و نفاسا إذا رغبت فيه على وجه المباراة في الكرم و **تنافسوا** فيه أي رغبوا .

و **الزخرف** الذهب ثم شبه به كل مموه مزور قال تعالى **حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ اَلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا** [1] و المزخرف المزين .

و **الزبرج** الزينة من وشي أو جوهر و نحو ذلك و يقال الزبرج الذهب أيضا .

يقول لأهل الشورى إنكم تعلمون أني أحق بالخلافة من غيري و تعدلون عني ثم أقسم ليسلمن و ليتركن المخالفة لهم إذا كان في تسليمه و نزوله عن حقه سلامة أمور المسلمين و لم يكن الجور و الحيف إلا عليه خاصة و هذا كلام مثله ع لأنه إذا علم أو غلب على ظنه أنه أن نازع و حارب دخل على الإسلام وهن و ثلم لم يختر له المنازعة و إن كان

---

(1) سورة يونس 24.

يطلب بالمنازعة ما هو حق و إن علم أو غلب على ظنه بالإمساك عن طلب حقه إنما يدخل الثلم و الوهن عليه خاصة و يسلم الإسلام من الفتنة وجب عليه أن يغضي و يصبر على ما أتوا إليه من أخذ حقه و كف يده حراسة للإسلام من الفتنة .

فإن قلت فهلا سلم إلى معاوية و إلى أصحاب و أغضى على اغتصاب حقه حفظا للإسلام من الفتنة .

قلت إن الجور الداخل عليه من أصحاب و من معاوية و أهل الشام لم يكن مقصورا عليه خاصة بل كان يعم الإسلام و المسلمين جميعا لأنهم لم يكونوا عنده ممن يصلح لرئاسة الأمة و تحمل أعباء الخلافة فلم يكن الشرط الذي اشترطه متحققا و هو قوله و لم يكن فيه جور إلا علي خاصة .

و هذا الكلام يدل على أنه ع لم يكن يذهب إلى أن خلافة عثمان كانت تتضمن جورا على المسلمين و الإسلام و إنما كانت تتضمن جورا عليه خاصة و أنها وقعت على جهة مخالفة الأولى لا على جهة الفساد الكلي و البطلان الأصلي و هذا محض مذهب أصحابنا

كلام 1لعلي قبل المبايعة لعثمان (1) -

و نحن نذكر في هذا الموضع ما استفاض في الروايات من مناشدته أصحاب الشورى و تعديده فضائله و خصائصه التي بان بها منهم و من غيرهم قد روى الناس ذلك فأكثروا و الذي صح عندنا أنه لم يكن الأمر كما روي من تلك التعديدات الطويلة **1- و لكنه قال لهم بعد أن بايع عبد الرحمن و الحاضرون عثمان و تلكا هو ع عن البيعة إن لنا حقا إن نعطه نأخذه و إن نمنعه نركب أعجاز الإبل و إن طال السرى .** في كلام قد ذكره أهل السيرة و قد أوردنا بعضه فيما تقدم **1,14- ثم قال لهم أنشدكم الله أ فيكم أحد آخى 14رسول الله ص بينه و بين نفسه حيث آخى بين بعض المسلمين و بعض غيري**

فقالوا لا فقال أ فيكم أحد قال له 14رسول الله ص من كنت مولاه فهذا مولاه غيري فقالوا لا فقال أ فيكم أحد قال له 14رسول الله ص أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي غيري قالوا لا قال أ فيكم من اؤتمن على سورة براءة و قال له 14رسول الله ص إنه لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني غيري قالوا لا قال أ لا تعلمون أن أصحاب 14رسول الله ص فروا عنه في ماقط [1] الحرب في غير موطن و ما فررت قط قالوا بلى قال أ لا تعلمون أني أول الناس إسلاما قالوا بلى قال فأينا أقرب إلى 14رسول الله ص نسبا قالوا أنت فقطع عليه عبد الرحمن بن عوف كلامه و قال يا 1علي قد أبى الناس إلا على عثمان فلا تجعلن على نفسك سبيلا ثم قال يا أبا طلحة ما الذي أمرك به عمر قال أن أقتل من شق عصا الجماعة فقال عبد الرحمن 1لعلي بايع اذن و إلا كنت متبعا غَيْرَ سَبِيلِ اَلْمُؤْمِنِينَ و أنفذنا فيك ما أمرنا به فقال لقد علمتم أني أحق بها من غيري و الله لأسلمن ... الفصل إلى آخره ثم مد يده فبايع .

(1) المأقط: موضع القتال.

1074 74 و من كلام له ع لما بلغه اتهام بني أمية له بالمشاركة في دم عثمان

أَ وَ لَمْ يَنْهَ بَنِي أُمَيَّةَ عِلْمُهَا بِي عَنْ قَرْفِي أَ وَ مَا وَزَعَ اَلْجُهَّالَ سَابِقَتِي عَنْ تُهَمَتِي وَ لَمَا وَعَظَهُمُ اَللَّهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِي أَنَا حَجِيجُ اَلْمَارِقِينَ وَ خَصِيمُ اَلنَّاكِثِينَ اَلْمُرْتَابِينَ وَ عَلَى كِتَابِ اَللَّه تُعْرَضُ اَلْأَمْثَالُ وَ بِمَا في اَلصُّدُورِ تُجَازَى اَلْعِبَادُ (1) - . ـ **القرف** العيب قرفته بكذا أي عبته (2) - و **وزع** كف و ردع و منه قوله لا بد للناس من وزعة جمع وازع أي من رؤساء و أمراء و **التهمة** بفتح الهاء هي اللغة الفصيحة و أصل التاء فيه واو (3) - .

و **الحجيج** كالخصيم ذو الحجاج و الخصومة يقول ع أ ما كان في علم بني أمية بحالي ما ينهاها عن قرفي بدم عثمان و حاله التي أشار إليها و ذكر أن علمهم بها يقتضي ألا يقرفوه بذلك هي منزلته في الدين التي لا منزلة أعلى منها و ما نطق به الكتاب الصادق من طهارته و طهارة بنيه و 15زوجته في قوله **إِنَّمَا يُرِيدُ اَللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ اَلرِّجْسَ أَهْلَ اَلْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** [1] **14- و قول 14النبي ص أنت مني بمنزلة هارون من موسى .** و ذلك يقتضي عصمته عن الدم الحرام

(1) سورة الأحزاب 33.

كما أن هارون معصوم عن مثل ذلك و ترادف الأقوال و الأفعال من 14رسول الله ص في أمره التي يضطر معها الحاضرون لها و المشاهدون إياها إلى أن مثله لا يجوز أن يسعى في إراقة دم أمير مسلم لم يحدث حدثا يستوجب به إحلال دمه .

و هذا الكلام صحيح معقول و ذاك أنا نرى من يظهر ناموس الدين و يواظب على نوافل العبادات و نشاهد من ورعه و تقواه ما يتقرر معه في نفوسنا استشعاره الدين و اعتقاده إياه فيصرفنا ذلك عن قرفه بالعيوب الفاحشة و نستبعد مع ذلك طعن من يطعن فيه و ننكره و نأباه و نكذبه فكيف ساغ لأعداء 1أمير المؤمنين ع مع علمهم بمنزلته العالية في الدين التي لم يصل إليها أحد من المسلمين أن يطلقوا ألسنتهم فيه و ينسبوه إلى قتل عثمان أو الممالاة عليه لا سيما و قد اتصل بهم و ثبت عندهم أنه كان من أنصاره لا من المجلبين عليه و أنه كان أحسن الجماعة فيه قولا و فعلا .

ثم قال أ لم تزع الجهال و تردعهم **سابقتي عن تهمتي** و هذا الكلام تأكيد للقول الأول .

ثم قال إن الذي وعظهم الله تعالى به في القرآن من تحريم الغيبة و القذف و تشبيه ذلك بأكل لحم الميت أبلغ من وعظي لهم لأنه لا عظة أبلغ من عظة القرآن (1) - . ثم قال **أنا حجيج المارقين و خصيم المرتابين** يعني يوم القيامة **1- روي 1عنه ع أنه قال أنا أول من يجثو للحكومة بين يدي الله تعالى . 14,1- و قد روي عن 14النبي ص مثل ذلك مرفوعا في قوله تعالى هَذَانِ خَصْمَانِ اِخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ [1] و أنه ص سئل عنها فقال 1علي و حمزة و عبيدة و عتبة و شيبة و الوليد .** و كانت حادثتهم أول حادثة وقعت فيها مبارزة أهل الإيمان لأهل الشرك و كان المقتول الأول بالمبارزة الوليد بن عتبة قتله 1علي ع ضربه على رأسه فبدرت عيناه على وجنته

(1) سورة الحجّ 19.

فقال 14النبي ص فيه و في أصحابه ما قال و كان 1علي ع يكثر من قوله أنا حجيج المارقين و يشير إلى هذا المعنى (1) - .

ثم أشار إلى ذلك بقوله **على كتاب الله تعرض الأمثال** يريد قوله تعالى **هَذَانِ خَصْمَانِ اِخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ (2) -** .

ثم قال **و بما في الصدور تجازى العباد** إن كنت قتلت عثمان أو مالأت عليه فإن الله تعالى سيجازيني بذلك و إلا فسوف يجازي بالعقوبة و العذاب من اتهمني به و نسبه إلي .

و هذا الكلام يدل على ما يقوله أصحابنا من تبرؤ 1أمير المؤمنين ع من دم عثمان و فيه رد و إبطال لما يزعمه الإمامية من كونه رضي به و أباحه و ليس يقول أصحابنا أنه ع لم يكن ساخطا أفعال عثمان و لكنهم يقولون إنه و إن سخطها و كرهها و أنكرها لم يكن مبيحا لدمه و لا ممالئا على قتله و لا يلزم من إنكار أفعال الإنسان إحلال دمه فقد لا يبلغ الفعل في القبح إلى أن يستحل به الدم كما في كثير من المناهي

1075 75 و من خطبة له ع

رَحِمَ اَللَّهُ اِمْرَأً [عَبْداً] سَمِعَ حُكْماً فَوَعَى وَ دُعِيَ إِلَى رَشَادٍ فَدَنَا وَ أَخَذَ بِحُجْزَةِ هَادٍ فَنَجَا رَاقَبَ رَبَّهُ وَ خَافَ ذَنْبَهُ قَدَّمَ خَالِصاً وَ عَمِلَ صَالِحاً [نَاصِحاً] اِكْتَسَبَ مَذْخُوراً وَ اِجْتَنَبَ مَحْذُوراً رَمَى غَرَضاً وَ أَحْرَزَ عِوَضاً كَابَرَ هَوَاهُ وَ كَذَّبَ مُنَاهُ جَعَلَ اَلصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ وَ اَلتَّقْوَى عُدَّةَ وَفَاتِهِ رَكِبَ اَلطَّرِيقَةَ اَلْغَرَّاءَ لَزِمَ اَلْمَحَجَّةَ اَلْبَيْضَاءَ اِغْتَنَمَ اَلْمَهَلَ وَ بَادَرَ اَلْأَجَلَ وَ تَزَوَّدَ مِنَ اَلْعَمَلِ (1) -. **الحكم** هاهنا الحكمة قال سبحانه **وَ آتَيْنَاهُ اَلْحُكْمَ صَبِيًّا** [1] و **وعى** حفظ وعيت الحديث أعيه وعيا و **أُذُنٌ وَاعِيَةٌ** أي حافظة (2) - و **دنا** قرب (3) - و **الحجزة** معقد الإزار و أخذ فلان بحجزة فلان إذا اعتصم به و لجأ إليه (4) - .

ثم حذف ع الواو في اللفظات الأخر فلم يقل و **راقب ربه** و لا و **قدم خالصا** و كذلك إلى آخر اللفظات و هذا نوع من الفصاحة كثير في استعمالهم (5) - .

و **اكتسب** بمعنى كسب يقال كسبت الشيء و اكتسبته بمعنى (6) - .

و الغرض ما يرمى بالسهام يقول رحم الله امرأ رمى غرضا أي قصد الحق كمن يرمي غرضا يقصده لا من يرمي في عمياء لا يقصد شيئا بعينه .

(7) -

---

(1) سورة مريم 12.

و **العوض** المحرز هاهنا هو الثواب (1) - .

و قوله **كابر هواه** أي غالبه و روي كاثر بالثاء المنقوطة بالثلاث أي غالب هواه بكثرة عقله يقال كاثرناهم فكثرناهم أي غلبناهم بالكثرة (2) - .

و قوله **و كذب مناه** أي أمنيته (3) - و **الطريقة الغراء** البيضاء (4) - و **المهل** النظر و التؤدة

1076 76 و من كلام له ع

: إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَيُفَوِّقُونَنِي تُرَاثَ 14مُحَمَّدٍ ص تَفْوِيقاً وَ اَللَّهِ لَئِنْ بَقِيتُ لَهُمْ لَأَنْفُضَنَّهُمْ نَفْضَ اَللَّحَّامِ اَلْوِذَامَ اَلتَّرِبَةَ. قال الرضي رحمه الله و يروى التراب الوذمة و هو على القلب .

و قوله ع ليفوقونني أي يعطونني من المال قليلا كفواق الناقة و هو الحلبة الواحدة من لبنها .

و الوذام التربة جمع وذمة و هي الحزة من الكرش أو الكبد تقع في التراب فتنفض (1) - اعلم أن أصل هذا الخبر قد **1- رواه أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في كتاب الأغاني [1] بإسناد رفعه إلى الحارث بن حبيش قال بعثني سعيد بن العاص و هو يومئذ أمير الكوفة من قبل عثمان بهدايا إلى المدينة و بعث معي هدية إلى 1علي ع و كتب إليه أني لم أبعث إلى أحد أكثر مما بعثت به إليك إلا إلى أمير المؤمنين [2] فلما أتيت 1عليا ع و قرأ كتابه [3] قال لشد ما يحظر علي بنو أمية تراث 14محمد ص أما و الله لئن وليتها لأنفضنها نفض القصاب التراب الوذمة .**

---

(1) الأغانى 12: 144 (طبعة دار الكتب) .
(2) الأغانى: «إلا شيئا في خزائن أمير المؤمنين» .
(3) الأغانى: «فأخبرته» .

قال أبو الفرج و هذا خطأ إنما هو الوذام التربة .

1- قال و قد حدثني [(1)] بذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن أبي زيد عمر بن شبة بإسناد ذكره في الكتاب أن سعيد بن العاص حيث كان أمير الكوفة بعث مع ابن أبي عائشة مولاه إلى 1علي بن أبي طالب ع بصلة فقال 1علي ع و الله لا يزال غلام من غلمان بني أمية يبعث إلينا مما أَفَاءَ اَللَّهُ عَلىَ 14رَسُولِهِ بمثل قوت الأرملة و الله لئن بقيت لأنفضنها نفض القصاب الوذام التربة .

(1) الخبر في الأغانى: «عن أبي زيد عن عبد اللّه بن محمّد بن حكيم الطائى عن السعدى عن أبيه» .

1077 77 و من كلمات كان ع يدعو بها

اَللَّهُمَّ اِغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ اَللَّهُمَّ اِغْفِرْ لِي مَا وَأَيْتُ مِنْ نَفْسِي وَ لَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدِي اَللَّهُمَّ اِغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ بِلِسَانِي ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي اَللَّهُمَّ اِغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ اَلْأَلْحَاظِ وَ سَقَطَاتِ اَلْأَلْفَاظِ وَ سَهَوَاتِ اَلْجَنَانِ وَ هَفَوَاتِ اَللِّسَانِ (1) -. **وأيت** أي وعدت و الوأي الوعد (2) - و **رمزات الألحاظ** الإشارة بها و الألحاظ جمع لحظ بفتح اللام و هو مؤخر العين (3) - و **سقطات الألفاظ** لغوها (4) - و **سهوات الجنان** غفلاته و الجنان القلب (5) - و **هفوات اللسان** زلاته (6) - .

و في هذا الموضع يقال ما فائدة الدعاء عندكم و القديم تعالى إنما يغفر الصغائر لأنها تقع مكفرة فلا حاجة إلى الدعاء بغفرانها و لا يؤثر الدعاء أيضا في أفعال الباري سبحانه لأنه إنما يفعل بحسب المصالح و يرزق المال و الولد و غير ذلك و يصرف المرض و الجدب و غيرهما بحسب ما يعلمه من المصلحة فلا تأثير للدعاء في شيء من ذلك .

و الجواب أنه لا يمتنع أن يحسن الدعاء بما يعلم أن القديم يفعله لا محالة و يكون وجه حسنه صدوره عن المكلف على سبيل الانقطاع إلى الخالق سبحانه .

و يجوز أيضا أن يكون في الدعاء نفسه مصلحة و لطف للمكلف لقد حسن منا الاستغفار للمؤمنين و الصلاة على الأنبياء و الملائكة .

ـو أيضا فليس كل أفعال البارئ سبحانه واجبة عليه بل معظمها ما يصدر على وجه الإحسان و التفضل فيجوز أن يفعله و يجوز ألا يفعله .

فإن قلت فهل يسمى فعل الواجب الذي لا بد للقديم تعالى من فعله إجابة لدعاء المكلف .

قلت لا و إنما يسمى إجابة إذا فعل سبحانه ما يجوز أن يفعله و يجوز ألا يفعله كالتفضل و أيضا فإن اللطف و المصلحة قد يكون لطفا و مصلحة في كل حال و قد يكون لطفا عند الدعاء و لو لا الدعاء لم يكن لطفا و ليس بممتنع في القسم الثاني أن يسمى إجابة للدعاء لأن للدعاء على كل حال تأثيرا في فعله .

فإن قيل أ يجوز أن يدعو 14النبي ص بدعاء فلا يستجاب له .

قيل إن من شرط حسن الدعاء أن يعلم الداعي حسن ما طلبه بالدعاء و إنما يعلم حسنه بألا يكون فيه وجه قبح ظاهر و ما غاب عنه من وجوه القبح نحو كونه مفسدة يجب أن يشترطه في دعائه و يطلب ما يطلبه بشرط ألا يكون مفسدة و إن لم يظهر هذا الشرط في دعائه وجب أن يضمره في نفسه فمتى سأل 14النبي ربه تعالى أمرا فلم يفعله لم يجز أن يقال إنه ما أجيبت دعوته لأنه يكون قد سأل بشرط ألا يكون مفسدة فإذا لم يقع ما يطلبه فلأن المطلوب قد علم الله فيه من المفسدة ما لم يعلمه 14النبي ص فلا يقال إنه ما أجيب دعاؤه لأن دعاءه كان مشروطا و إنما يصدق قولنا ما أجيب دعاؤه على من طلب أمرا طلبا مطلقا غير مشروط فلم يقع و 14النبي ص لا يتحقق ذلك في حقه [1]ا: «غاية» .

من أدعية 14رسول الله المأثورة

و نحن نذكر في هذا الموضع جملة من الأدعية المأثورة طلبا لبركتها و لينتفع قارئ الكتاب بها **14- كان من دعاء 14رسول الله ص إذا أصبح أن يقول أصبحنا و أصبح الملك و الكبرياء و العظمة و الجلال و الخلق و الأمر و الليل و النهار و ما يسكن فيهما لله عز و جل وحده لا شريك له اللهم اجعل أول يومي هذا صلاحا و أوسطه فلاحا و آخره نجاحا اللهم إني أسألك خير الدنيا و الآخرة يا أرحم الراحمين اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا و بين معاصيك و من طاعتنا ما تبلغنا به رحمتك و من اليقين ما تهون به علينا مصيبات الدنيا اللهم متعنا بأسماعنا و أبصارنا و اجعلهما الوارث منا و انصرنا على من ظلمنا و لا تجعل مصيبتنا في ديننا و لا تجعل الدنيا أكبر همنا و لا مبلغ علمنا و لا تسلط علينا من لا يرحمنا.**

من أدعية الصحيفة

1,4- و من دعاء 1أمير المؤمنين ع و كان يدعو به 4زين العابدين علي بن الحسين ع و هو من أدعية الصحيفة يا من يرحم من لا يرحمه العباد و يا من يقبل من لا تقبله البلاد و يا من لا يحتقر أهل الحاجة إليه يا من لا يجبه بالرد أهل الإلحاح إليه يا من لا يخفى عليه صغير ما يتحف به و لا يضيع يسير ما يعمل له يا من يشكر على القليل و يجازي بالجليل يا من يدنو إلى من دنا منه يا من يدعو إلى نفسه من أدبر عنه يا من لا يغير النعمة و لا يبادر بالنقمة يا من يثمر الحسنة حتى ينميها و يتجاوز عن السيئة حتى يعفيها انصرفت

دون مدى كرمك الحاجات و امتلأت ببعض جودك أوعية الطلبات و تفسخت دون بلوغ نعتك الصفات فلك العلو الأعلى فوق كل عال و الجلال الأمجد فوق كل جلال كل جليل عندك حقير و كل شريف في جنب شرفك صغير خاب الوافدون على غيرك و خسر المتعرضون إلا لك و ضاع الملمون إلا بك و أجدب المنتجعون إلا من انتجع فضلك لأنك ذو غاية قريبة من الراغبين و ذو مجد مباح للسائلين لا يخيب لديك الآملون و لا يخفق من عطائك المتعرضون و لا يشقى بنقمتك المستغفرون رزقك مبسوط لمن عصاك و حلمك معرض لمن ناواك و عادتك الإحسان إلى المسيئين و سنتك الإبقاء على المعتدين حتى لقد غرتهم أناتك عن النزوع و صدهم إمهالك عن الرجوع و إنما تأنيت بهم ليفيئوا إلى أمرك و أمهلتهم ثقة بدوام ملكك فمن كان من أهل السعادة ختمت له بها و من كان من أهل الشقاوة خذلته لها .

كلهم صائر إلى رحمتك و أمورهم آئلة إلى أمرك لم يهن على طول مدتهم سلطانك و لم تدحض لترك معاجلتهم حججك حجتك [1] قائمة و سلطانك ثابت فالويل الدائم لمن جنح عنك و الخيبة الخاذلة لمن خاب أمله منك و الشقاء الأشقى لمن اغتر بك ما أكثر تقلبه في عذابك و ما أعظم تردده في عقابك و ما أبعد غايته من الفرج و ما أثبطه من سهولة المخرج عدلا من قضائك لا تجور فيه و إنصافا من حكمك لا تحيف عليه قد ظاهرت الحجج و أزلت الأعذار و تقدمت بالوعيد و تلطفت في الترغيب و ضربت الأمثال و أطلت الإمهال و أخرت و أنت تستطيع المعاجلة و تأنيت و أنت مليء بالمبادرة لم تك أناتك عجزا و لا حلمك وهنا و لا إمساكك لعلة و لا انتظارك لمداراة بل لتكون حجتك الأبلغ و كرمك الأكمل و إحسانك الأوفى و نعمتك الأتم

(1) ج: «برهانك» .

180

كل ذلك كان و لم يزل و هو كائن لا يزول نعمتك أجل من أن توصف بكلها و مجدك أرفع من أن يحد بكنهه و إحسانك أكبر من أن يشكر على أقله فقد أقصرت ساكتا عن تحميدك و تهيبت ممسكا عن تمجيدك لا رغبة يا إلهي عنك بل عجزا و لا زهدا فيما عندك بل تقصيرا و ها أنا ذا يا إلهي أؤمل بالوفادة و أسألك حسن الرفادة فاسمع ندائي و استجب دعائي و لا تختم عملي بخيبتي و لا تجبهني بالرد في مسألتي و أكرم من عندك منصرفي إنك غير ضائق عما تريد و لا عاجز عما تشاء و أنت على كل شيء قدير . **-1,4**

و من أدعيته ع و هو من أدعية الصحيفة أيضا اللهم يا من برحمته يستغيث المذنبون و يا من إلى إحسانه يفزع المضطرون و يا من لخيفته ينتحب الخاطئون يا أنس كل مستوحش غريب يا فرج كل مكروب حريب يا عون كل مخذول فريد يا عائذ كل محتاج طريد أنت الذي وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَ عِلْماً و أنت الذي جعلت لكل مخلوق في نعمتك سهما و أنت الذي عفوه أعلى من عقابه و أنت الذي رحمته أمام غضبه و أنت الذي إعطاؤه أكبر من منعه و أنت الذي وسع الخلائق كلهم بعفوه و أنت الذي لا يرغب في غنى من أعطاه و أنت الذي لا يفرط في عقاب من عصاه .

و أنا يا سيدي عبدك الذي أمرته بالدعاء فقال لبيك و سعديك و أنا يا سيدي عبدك الذي أوقرت الخطايا ظهره و أنا الذي أفنت [1] الذنوب عمره و أنا الذي بجهله عصاك و لم يكن أهلا منه لذلك فهل أنت يا مولاي راحم من دعاك فاجتهد في الدعاء أم أنت غافر لمن بكى لك فأسرع في البكاء أم أنت متجاوز عمن عفر لك وجهه متذللا أم أنت مغن من شكا إليك فقره متوكلا

---

(1) ج: «و أفنت الذنوب عمره» .

اللهم فلا تخيب من لا يجد معطيا غيرك و لا تخذل من لا يستغني عنك بأحد دونك اللهم لا تعرض عني و قد أقبلت عليك و لا تحرمني و قد رغبت إليك و لا تجبهني بالرد و قد انتصبت بين يديك أنت الذي وصفت نفسك بالرحمة و أنت الذي سميت نفسك بالعفو فارحمني و اعف عني فقد ترى يا سيدي فيض دموعي من خيفتك و وجيب قلبي من خشيتك و انتفاض جوارحي من هيبتك كل ذلك حياء منك بسوء عملي و خجلا منك لكثرة ذنوبي قد كل لساني عن مناجاتك و خمد صوتي عن الدعاء إليك يا إلهي فكم من عيب سترته علي فلم تفضحني و كم من ذنب غطيت عليه فلم تشهر بي و كم من عائبة ألممت بها فلم تهتك عني سترها و لم تقلدني مكروها شنارها و لم تبد علي محرمات سوآتها فمن يلتمس معايبي من جيرتي و حسدة نعمتك عندي ثم لم ينهني ذلك حتى صرت إلى أسوإ ما عهدت مني فمن أجهل مني يا سيدي برشدك و من أغفل مني عن حظه منك و من أبعد مني من استصلاح نفسه حين أنفقت ما أجريت علي من رزقك فيما نهيتني عنه من معصيتك و من أبعد غورا في الباطل و أشد إقداما على السوء مني حين أقف بين دعوتك و دعوة الشيطان فأتبع دعوته على غير عمى عن المعرفة به و لا نسيان من حفظي له و أنا حينئذ موقن أن منتهى دعوتك الجنة و منتهى دعوته النار ـسبحانك فما أعجب ما أشهد به على نفسي و أعدده من مكنون أمري و أعجب من ذلك أناتك عني و إبطاؤك عن معاجلتي و ليس ذلك من كرمي عليك بل تأتيا منك بي و تفضلا منك علي لأن أرتدع عن خطئي و لأن عفوك أحب إليك من عقوبتي بل أنا يا إلهي أكثر ذنوبا و أقبح آثارا و أشنع أفعالا و أشد في الباطل تهورا و أضعف عند طاعتك تيقظا و أغفل لوعيدك انتباها من أن أحصي لك عيوبي و أقدر على تعديد

ذنوبي و إنما أوبخ بهذا نفسي طمعا في رأفتك التي بها إصلاح أمر المذنبين و رجاء لعصمتك التي بها فكاك رقاب الخاطئين اللهم و هذه رقبتي قد أرقتها الذنوب فأعتقها بعفوك و قد أثقلتها الخطايا فخفف عنها بمنك اللهم إني لو بكيت حتى تسقط أشفار عيني و انتحبت حتى ينقطع صوتي و قمت لك حتى تنتشر قدماي و ركعت لك حتى ينجذع صلبي و سجدت لك حتى تتفقأ حدقتاي و أكلت التراب طول عمري و شربت ماء الرماد آخر دهري و ذكرتك في خلال ذلك حتى يكل لساني ثم لم أرفع طرفي إلى آفاق السماء استحياء منك لما استوجبت بذلك محو سيئة واحدة من سيئاتي فإن كنت تغفر لي حين أستوجب مغفرتك و تعفو عني حين أستحق عفوك فإن ذلك غير واجب لي بالاستحقاق و لا أنا أهل له على الاستيجاب إذ كان جزائي منك من [1] أول ما عصيتك النار فإن تعذبني فإنك غير ظالم إلهي فإن تغمدتني بسترك فلم تفضحني و أمهلتني بكرمك فلم تعاجلني و حلمت عني بتفضلك فلم تغير نعمك علي و لم تكدر معروفك عندي فارحم طول تضرعي و شدة مسكنتي و سوء موقفي اللهم صل على 14محمد و آل محمد و أنقذني من المعاصي و استعملني بالطاعة و ارزقني حسن الإنابة و طهرني بالتوبة و أيدني بالعصمة و استصلحني بالعافية و ارزقني حلاوة المغفرة و اجعلني طليق عفوك و اكتب لي أمانا من سخطك و بشرني بذلك في العاجل دون الآجل [2] بشرى أعرفها و عرفني له علامة أتبينها أن ذلك لا يضيق عليك في وجدك و لا يتكاءدك في قدرتك و أنت على كل شيء قدير .

1,4- و من أدعيته ع و هو من أدعية الصحيفة

---

(1) ب: «فى» .

(2) ب: «و العاجل» .

183

اللهم يا ذا الملك المتأبد بالخلود و السلطان الممتنع بغير جنود و المعز الباقي على مر الدهور عز سلطانك عزا لا حد له و لا منتهى لآخره و استعلى ملكك علوا سقطت الأشياء دون بلوغ أمده و لا يبلغ أدنى ما استأثرت به من ذلك نعوت أقصى نعت الناعتين ضلت فيك الصفات و تفسخت دونك النعوت و حارت في كبريائك لطائف الأوهام كذلك أنت الله في أوليتك و على ذلك أنت دائم لا تزول و كذلك أنت الله في آخريتك و كذلك أنت ثابت لا تحول و أنا العبد الضعيف عملا الجسيم أملا خرجت من يدي أسباب الوصلات إلى رحمتك و تقطعت عني عصم الآمال إلا ما أنا معتصم به من عفوك قل عندي ما أعتد به من طاعتك و كثر عندي ما أبوء به من معصيتك و لن يفوتك [1] عفو عن عبدك و إن أساء فاعف عني اللهم قد أشرف على كل خطايا الأعمال علمك و انكشف كل مستور عند خبرك فلا ينطوي عنك دقائق الأمور و لا يعزب عنك خفايا السرائر [2] و قد هربت إليك من صغائر ذنوب موبقة و كبائر أعمال مردية فلا شفيع يشفع لي إليك و لا خفير يؤمنني منك و لا حصن يحجبني عنك و لا ملاذ ألجأ إليه غيرك هذا مقام العائذ بك و محل المعترف لك فلا يضيقن عني فضلك و لا يقصرن دوني عفوك و لا أكون أخيب عبادك التائبين و لا أقنط وفودك الآملين و اغفر لي إنك خير الغافرين اللهم إنك أمرتني فغفلت و نهيتني فركبت و هذا مقام من استحيا لنفسه منك و سخط عليها و رضي عنك و تلقاك بنفس خاشعة و عين خاضعة و ظهر مثقل من الخطايا واقفا بين الرغبة إليك و الرهبة منك و أنت أولى من رجاه و أحق من خشيه و اتقاه

---

(1) ج: «يفوتك» .
(2) ج: «خفايا لأعمال» .

فأعطني يا رب ما رجوت و أمني ما حذرت و عد علي بفضلك و رحمتك إنك أكرم المسئولين اللهم و إذ سترتني بعفوك و تغمدتني بفضلك في دار الفناء فأجرني من فضيحات دار البقاء عند مواقف الأشهاد من الملائكة المقربين و الرسل المكرمين و الشهداء الصالحين من جار كنت أكاتمه سيئاتي و من ذي رحم كنت أحتشم منه لسريراتي لم أثق بهم في الستر [1] علي و وثقت بك في المغفرة لي و أنت أولى من وثق به و أعطى من رغب إليه و أرأف من استرحم فارحمني اللهم إني أعوذ بك من نار تغلظت بها على من عصاك و أوعدت بها من ضارك و ناواك و صدف عن رضاك و من نار نورها ظلمة و هينها صعب و قريبها بعيد و من نار يأكل بعضها بعضا و يصول بعضها على بعض و من نار تذر العظام رميما و تسقي أهلها حميما و من نار لا تبقى على من تضرع و لا ترحم من استعطفها و لا تقدر على التخفيف عمن خشع لها و استبتل إليها تلقى سكانها بأحر ما لديها من أليم النكال و شديد الوبال اللهم بك أعوذ من عقاربها الفاغرة أفواهها و حياتها الناهشة بأنيابها و شرابها الذي يقطع الأمعاء و يذيب الأحشاء و أستهديك لما باعد عنها و أنقذ منها فأجرني بفضل رحمتك و أقلني عثرتي بحسن إقالتك و لا تخذلني يا خير المجيرين اللهم صل على 14محمد و آل محمد إذا ذكر الأبرار و صل على 14محمد و آل محمد ما اختلف الليل و النهار صلاة لا ينقطع مددها و لا يحصى عددها صلاة تشحن الهواء و تملأ الأرض و السماء صل اللهم عليه و عليهم حتى ترضى و صل عليه و عليهم بعد الرضا صلاة لا حد لها و لا منتهى يا أرحم الراحمين .

(1) ب: «السرّ» و ما أثبته من ج.

1,4- و من دعائه ع و هو من أدعية الصحيفة اللهم إني أعوذ بك من هيجان الحرص و سورة الغضب و غلبة الحسد و ضعف الصبر و قلة القناعة و شكاسة الخلق و إلحاح الشهوة و ملكة الحمية و متابعة الهوى و مخالفة الهدى و سنة الغفلة و تعاطي الكلفة و إيثار الباطل على الحق و الإصرار على المآثم و الاستكثار من المعصية و الإقلال من الطاعة و مباهات المكثرين و الإزراء على المقلين و سوء الولاية على من تحت أيدينا و ترك الشكر لمن اصطنع العارفة عندنا و أن نعضد ظالما أو نخذل ملهوفا أو نروم ما ليس لنا بحق أو نقول بغير علم و نعوذ بك أن ننطوي على غش لأحد و أن نعجب بأموالنا و أعمالنا و أن نمد في آمالنا و نعوذ بك من سوء السريرة و احتقار الصغيرة و أن يستحوذ علينا الشيطان أو يشتد لنا الزمان أو يتهضمنا السلطان و نعوذ بك من حب الإسراف و فقدان الكفاف و من شماتة الأعداء و الفقر إلى الأصدقاء و من عيشة في شدة أو موت على غير عدة و نعوذ اللهم بك من الحسرة العظمى و المصيبة الكبرى و من سوء المآب و حرمان الثواب و حلول العقاب اللهم أعذنا من كل ذلك برحمتك و منك و جودك إِنَّكَ عَلىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . 1,4- و من دعائه ع و تحميده و ذكره 14النبي ص و هو من أدعية الصحيفة أيضا الحمد لله بكل ما حمده أدنى ملائكته إليه و أكرم خلقه عليه و أرضى حامديه لديه حمدا يفضل سائر الحمد كفضل ربنا جل جلاله على جميع خلقه ثم له الحمد مكان كل نعمة له علينا و على جميع عباده الماضين و الباقين عدد ما أحاط به علمه و من جميع الأشياء أضعافا مضاعفة أبدا سرمدا إلى يوم القيامة و إلى ما لا نهاية له

من بعد القيامة حمدا لا غاية لحده و لا حساب لعده و لا مبلغ لأعداده و لا انقطاع لآماده حمدا يكون وصلة إلى طاعته و سببا إلى رضوانه و ذريعة إلى مغفرته و طريقا إلى جنته و خفيرا من نقمته و أمنا من غضبه و ظهيرا على طاعته و حاجزا عن معصيته و عونا على تأدية حقه و وظائفه حمدا نسعد به في السعداء من أوليائه و ننتظم به في نظام الشهداء بسيوف أعدائه ـو الحمد لله الذي من علينا بنبيه 14محمد ص دون الأمم الماضية و القرون السالفة لقدرته التي لا تعجز عن شيء و إن عظم و لا يفوتها شيء و إن لطف اللهم فصل على 14محمد أمينك على وحيك و نجيك من خلقك و صفيك من عبادك إمام الرحمة و قائد الخير و مفتاح البركة كما نصب لأمرك نفسه و عرض فيك للمكروه بدنه و كاشف في الدعاء إليك حاسته و حارب في رضاك أسرته و قطع في نصرة دينك رحمه و أقصى الأدنين على عنودهم عنك و قرب الأقصين على استجابتهم لك و والى فيك الأبعدين و عاند فيك الأقربين و أدأب [1] نفسه في تبليغ رسالتك و أتعبها في الدعاء إلى ملتك و شغلها بالنصح لأهل دعوتك و هاجر إلى بلاد الغربة و محل النأي عن موطن رحله و موضع رجله و مسقط رأسه و مأنس نفسه إرادة منه لإعزاز دينك و استنصارا على أهل الكفر بك حتى استتب له ما حاول في أعدائك و استتم له ما دبر في أوليائك فنهد إلى المشركين بك مستفتحا بعونك و متقويا على ضعفه بنصرك فغزاهم في عقر ديارهم و هجم عليهم في بحبوحة قرارهم حتى ظهر أمرك و علت كلمتك و قد كره المشركون اللهم فارفعه بما كدح فيك إلى الدرجة العليا من جنتك حتى لا يساوى في منزلة و لا يكافأ في مرتبة و لا يوازيه لديك ملك مقرب و لا نبي مرسل و عرفه في أمته من

(1) ج: «و أدّب» .

حسن الشفاعة أجل ما وعدته يا نافذ العدة يا وافي القول يا مبدل السيئات بأضعافها من الحسنات إنك ذُو اَلْفَضْلِ اَلْعَظِيمِ .

من الأدعية المأثورة عن عيسى ع

16- و من الأدعية المروية عن عيسى ابن مريم ع اللهم أنت إله من في السماء و إله من في الأرض لا إله فيهما غيرك و أنت حكيم من في السماء و حكيم من في الأرض لا حكيم فيهما غيرك و أنت ملك من في السماء و ملك من في الأرض لا ملك فيهما غيرك قدرتك في السماء كقدرتك في الأرض و سلطانك في السماء كسلطانك في الأرض أسألك باسمك الكريم و وجهك المنير و ملكك القديم أن تفعل بي كذا و كذا.

من الأدعية المأثورة عن بعض الصالحين

17- و كان بعض الصالحين يدعو فيقولاللهم لا تدخلنا النار بعد أن أسكنت قلوبنا توحيدك و إني لأرجو ألا تفعل و إن فعلت لتجمعن بيننا و بين قوم عادياهم فيك. 17- و من دعاء بعضهم اللهم إنك لم تشرك في خلقنا غيرك فلا تشرك في الإحسان إلينا غيرك اللهم لا رب لنا غيرك فلا تجعل حاجتنا عند غيرك اللهم إنا لا نعبد غيرك فلا تسلط علينا غيرك. 17- قام أعرابي على قبر 14رسول الله ص فقال

بأبي أنت و أمي يا 14رسول الله قلت فقبلنا و تلوت فوعينا ثم ظلمنا أنفسنا و قرأنا فيما أتيتنا به عن ربنا وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اَللَّهَ وَ اِسْتَغْفَرَ لَهُمُ 14اَلرَّسُولُ لَوَجَدُوا اَللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً [1] اللهم إنا قد جئنا رسولك و نحن نستغفرك و نسأل 14رسولك أن يستغفر لنا خطايانا فاغفر لنا و تب علينا . فيقال إن إنسانا حضر ذلك الدعاء فرأى تلك الليلة 14رسول الله ص في منامه يقول له أبلغ الأعرابي أن الله قد غفر له. 17- و من أدعية بعض الصالحين اللهم إني لم آتك بعمل صالح قدمته و لا شفاعة مخلوق رجوته أتيتك مقرا بالظلم و الإساءة على نفسي أتيتك بلا حجة أتيتك أرجو عظيم عفوك الذي عدت به على الخاطئين ثم لم يمنعك عكوفهم على عظيم الجرم أن جدت لهم بالمغفرة فيا صاحب العفو العظيم اغفر الذنب العظيم برحمتك يا أرحم الراحمين. 1- و روي أن 1عليا ع اعتمر فرأى رجلا متعلقا بأستار الكعبة و هو يقوليا من لا يشغله سمع عن سمع يا من لا تقلقه [2] المسائل و لا يبرمه إلحاح الملحين أذقني برد عفوك و حلاوة مغفرتك و عذوبة عافيتك و الفوز بالجنة و النجاة من النار فقال 1علي ع و الذي نفسي بيده إن قالها و عليه مثل السموات و الأرض من الذنوب قولا مخلصا ليغفرن له . 17- و دعا أعرابي عند الملتزم فقالاللهم إن لك علي حقوقا فتصدق بها علي و إن للناس قبلي تبعات فتحملها عني و قد أوجبت لكل ضيف قرى و أنا ضيفك الليلة فاجعل قراي الجنة .

---

(1) سورة النساء 64.

(2) ب: «تغلطه» ، و ما أثبته من ج.

17- و دعا بعض الأعراب أيضا و قد خرج حاجا فقالاللهم إليك خرجت و ما عندك طلبت فلا تحرمني خير ما عندك لشر ما عندي اللهم إن كنت لم ترحم تعبي و نصبي فإنها لمصيبة أصبت بها فلا تحرمني أجر المصاب على المصيبة. 17- و دعا بعضهم فقالاللهم إنك سترت علينا في الدنيا ذنوبا كثيرة و نحن إلى سترها في الآخرة أحوج فاغفر لنا. 17- و من دعاء بعضهم اللهم اجعل الموت خير غائب ننتظره و اجعل القبر خير بيت نعمره و اجعل ما بعده خيرا لنا منه اللهم إليك عجت الأصوات بصنوف اللغات تسألك الحاجات و حاجتي إليك أن تذكرني عند طول البلى إذا نسيني أهل الدنيا. 17- و قال بعضهم كنت أدعو الله بعد وفاة مالك بن دينار أن أراه في منامي فرأيته بعد سنة فقلت يا أبا يحيى علمني كيف أدعو فقال قلاللهم يسر الجواز و سهل المجاز. 17- و قال الشعبي حسدت عبد الملك بن مروان على دعاء كان يدعو به على المنبر يقولاللهم إن ذنوبي كثيرة جلت أن توصف و هي صغيرة في جنب عفوك فاعف عني. 17- و من دعاء بعض الزهاد اللهم إني أعوذ بك من أهل يلهيني و من هوى يرديني و من عمل يخزيني و من صاحب يغويني و من جار يؤذيني و من غنى يطغيني و من فقر ينسيني اللهم اجعلنا نستحييك و نتقيك و نخافك و نخشاك و نرجوك و نطيعك في السر و العلانية اللهم استرنا بالمعافاة و الغنى أستعين الله على أموري و أستغفر الله لذنوبي و أعوذ بك من شر نفسي. 14- و يروى أن رجلا أعمى جاء إلى 14رسول الله ص فشكا إليه ذهاب بصره فقال ص له قليا سبوح يا قدوس يا نور الأنوار يا نور السموات و الأرض يا أول الأولين و يا آخر الآخرين و يا أرحم الراحمين أسألك

أن تغفر لي الذنوب التي تغير النعم و الذنوب التي تنزل النقم و الذنوب التي تهتك العصم و الذنوب التي توجب البلاء و الذنوب التي تقطع الرجاء و الذنوب التي تحبس الدعاء و الذنوب التي تكشف الغطاء و الذنوب التي تعجل الفناء و الذنوب التي تظلم الهواء و أسألك باسمك العظيم و وجهك الكريم أن ترد علي بصري فدعا بذلك فرد عليه بصره . 16- و من الآثار المنقولة أن الله تعالى غضب على أمة فأنزل عليهم العذاب و كان فيهم ثلاثة صالحون فخرجوا و ابتهلوا إلى الله سبحانه فقام أحدهم فقالاللهم إنك أمرتنا أن نعتق أرقاءنا و نحن أرقاؤك فاعتقناثم جلس و قام الثاني فقالاللهم إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا و قد ظلمنا أنفسنا فاعف عناثم جلس و قام الثالث فقالاللهم أنا على ثقة أنك لم تخلق خلقا أوسع من مغفرتك فاجعل لنا في سعتها نصيبا فرفع عنهم العذاب. 14- قيل لسفيان بن عيينة ما حديث رويته عن 14رسول الله ص أفضل دعاء أعطيته أنا و النبيون قبليأشهد أن لاَ إِلَهَ إِلاَّ اَللَّهُ وحده لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ اَلْمُلْكُ وَ لَهُ اَلْحَمْدُ يُحْيِي وَ يُمِيتُ و هو حي لا يموت بيده الخير وَ هُوَ عَلىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ كأنهم لم يروه دعاء فقال ما تنكرون من هذا ثم روي لهم قول 14رسول الله ص من تشاغل بالثناء على الله أعطاه الله فوق رغبة السائلين ثم قال هذا أمية بن أبي الصلت يقول لابن جدعان

أ أذكر حاجتي أم قد كفاني # حياؤك إن شيمتك الحياء [1] إذا أثنى عليك المرء يوما # كفاه من تعرضه الثناء.

و قال هذا مخلوق يقول لمخلوق فما ظنكم برب العالمين .

(1) شعراء النصرانية 220.

14- و من دعائه ص اللهم إني أعوذ بك من الفقر إلا إليك و من الذل إلا لك. 14- و من دعائه ع اللهم ارزقني عينين هطالتين تسقيان القلوب مذروف الدموع قبل أن يكون الدمع دما و قرع الضرس ندما . ـ 14- و من دعائه ع اللهم طهر لساني من الكذب و قلبي من النفاق و عملي من الرياء و بصري من الخيانة فإنك تعلم خَائِنَةَ اَلْأَعْيُنِ وَ مَا تُخْفِي اَلصُّدُورُ. 14- و مما رواه أنس بن مالك لا تعجزوا عن الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد. 14- و من رواية جابر بن عبد الله لقد بارك الله للرجل في الحاجة بكثرة الدعاء فيها أعطيها أو منعها. 16- أبو هريرة يرفعه اللهم أصلح لي في ديني الذي هو عصمة أمري و أصلح لي دنياي التي فيها معاشي و أصلح لي آخرتي التي إليها معادي و اجعل الحياة زيادة لي في كل خير و الموت راحة لي من كل شر. 17- قيل لأعرابي أ تحسن أن تدعو ربك فقال نعم ثم دعا فقالاللهم إنك مننت علينا بالإسلام من غير أن نسألك فلا تحرمنا الجنة و نحن نسألك. 17- سمعت أعرابية تقول في دعائها ياعريض الجفنة يا أبا المكارم يا أبيض الوجهفزجرها رجل فقالت دعوني أصف ربي بما يستحقه . 7- و كان 7موسى بن جعفر ع يقول في سجوده آخر الليلإلهي عظم الذنب من عبدك فليحسن العفو من عندك . 17- ذكر عند بعض الصالحين رجل قد أصابه بلاء عظيم و هو يدعو فتبطئ عنه الإجابة فقال بلغني أن الله تعالى يقول كيف أرحم المبتلى من شيء أرحمه به-

4- قال طاوس إني لفي الحجر ليلة إذ دخل 4علي بن الحسين ع فقلت رجل صالح من أهل بيت صالح لأسمعن دعاءه فسمعته يقول في أثناء دعائهعبدك بفنائك سائلك بفنائك مسكينك بفنائكفما دعوت بهن في كرب إلا و فرج عني . 17- عمر بن ذر اللهم إن كنا عصيناك فقد تركنا من معاصيك أبغضها إليك و هو الإشراك و إن كنا قصرنا عن بعض طاعتك فقد تمسكنا منها بأحبها إليك و هو شهادة أن لا إله إلا أنت و أن رسلك جاءت بالحق من عندك. 17- أعرابي اللهم إنا نبات نعمتك فلا تجعلنا حصائد نقمتك. 17- بعضهم اللهم إن كنت قد بلغت أحدا من عبادك الصالحين درجة ببلاء فبلغنيها بالعافية. 17- حج أعرابي فكان لا يستغفر إذا صلى كما يستغفر الناس فقيل له فقال كما أن تركي الاستغفار مع ما أعلم من عفو الله و رحمته ضعف فكذلك استغفاري مع ما أعلم من إصراري لؤم . 17- لما صاف قتيبة بن مسلم الترك و هاله أمرهم سأل عن محمد بن واسع فقيل هو في أقصى الميمنة جانحا على سية [1] قوسه مبصبصا بإصبعه نحو السماء فقال قتيبة لتلك الإصبع القارورة أحب إلي من مائة ألف سيف شهير و رمح طرير [2] . 17- سمع مطرف بن الشخير صيحة الناس بالدعاء فقال لقد هممت أن أحلف أن الله غفر لهم ثم ذكرت أني فيهم فكففت . 17- كان المأمون إذا رفعت المائدة من بين يديه يقولالحمد لله الذي جعل أرزاقنا أكثر من أقواتنا. 16- الحسن البصري من دخل المقبرة فقالاللهم رب الأرواح العالية و الأجساد البالية

---

(1) سية القوس: ما عطف من طرفيها.
(2) رمح طرير: محدد.

و العظام النخرة التي خرجت من الدنيا و هي مؤمنة بك أدخل عليهم روحا منك و سلاما منيكتب الله له بعدد من ولد منذ زمن آدم إلى أن تقوم الساعة حسنات . 1- 1علي ع الدعاء سلاح المؤمن و عماد الدين و نُورُ اَلسَّمَاوَاتِ وَ اَلْأَرْضِ . 16- قيل إن فيما أنزله الله تعالى من الكتب القديمة أن الله يبتلي العبد و هو يحبه ليسمع دعاءه و تضرعه . 16- أبو هريرة اطلبوا الخير دهركم كله و تعرضوا لنفحات من رحمة الله تعالى فإن لله تعالى نفحات من رحمته يصيب بها مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ و اسألوا الله أن يستر عوراتكم و يؤمن روعاتكم . 17- صلى رجل إلى جنب عبد الله بن المبارك فلما سلم الإمام سلم و قام عجلا فجذب عبد الله بثوبه و قال أ ما لك إلى ربك حاجة . 17- قيل لعمر بن عبد العزيز جزاك الله عن الإسلام خيرا فقال لا بل جزى الله الإسلام عني خيرا . 1- 1علي ع الداعي بغير عمل كالرامي بغير وتر . 17- كان الزهري إذا فرغ من الحديث تلاه فدعااللهم إني أسألك خير ما أحاط به علمك في الدنيا و الآخرة و أعوذ بك من شر ما أحاط به علمك في الدنيا و الآخرة. 17- كان زبيد النامي يستتبع الصبيان إلى المسجد و في كمه الجوز و يقول من يتبعني منكم فأعطيه خمس جوزات فإذا دخلوا المسجد قال ارفعوا أيديكم و قولوا اللهم اغفر لزبيد فإذا دعوا قال اللهم استجب لهم فإنهم لم يذنبوا. 1- 1علي ع جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك فيه من مسألته فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته و استمطرت شآبيب رحمته فلا يقنطنك إبطاء

إجابته فإن العطية على قدر النية و ربما أخرت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل و أجزل لعطاء الآمل و ربما سألت الشيء فلا تؤتاه و أوتيت خيرا منه أو صرف عنك بما هو لك خير و اعلم أنه رب أمر قد طلبت فيه هلاك دينك لو أوتيته .

16- و من الدعاء المرفوع اللهم من أراد بنا سوءا فأحط به ذلك السوء كإحاطة القلائد بترائب الولائد و أرسخه على هامته كرسوخ السجيل [1] على قمم أصحاب الفيل .

17- سمع عمر رجلا يقول في دعائهاللهم اجعلني من الأقلينفقال ما أردت بهذا قال قول الله عز و جل وَ مَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ [2] و قوله تعالى وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ اَلشَّكُورُ [3] فقال عليكم من الدعاء بما عرف .

17- قال سعيد بن المسيب مر بي صلة بن أشيم فقلت له ادع لي فقال رغبك الله فيما يبقى و زهدك فيما يفنى و وهب لك اليقين الذي لا تسكن النفوس إلا إليه و لا تعول إلا عليه .

17- كان علي بن عيسى بن ماهان صاحب خراسان و في أيامه عصام بن يوسف الزاهد فلقيه في الطريق و سلم عليه علي فأعرض عنه و لم يرد عليه فوقف علي و رفع يديه و أسبل عينيه و قالاللهم إن هذا الرجل يتقرب إليك ببغضي و أنا أتقرب إليك بحبه فإن كنت غفرت له ببغضي فاغفر لي بحبه يا كريمثم سار .

17- قال الأصمعي سمعت أعرابيا يدعو و يقولاللهم إن كان رزقي في السماء فأنزله و إن كان في الأرض فأخرجه و إن كان بعيدا فقربه و إن كان قريبا فيسره و إن كان قليلا فكثره و إن كان كثيرا فبارك لي فيه.

---

(1) السجيل: حجارة من مدر.
(2) سورة هود 40.
(3) سورة سبأ 13.

17- من دعاء عمرو بن عبيد [1] اللهم أغنني بالافتقار إليك و لا تفقرني بالاستغناء عنك اللهم أعني على الدنيا بالقناعة و على الدين بالعصمة. 17- شكا رجل إلى الحسن رحمه الله تعالى رجلا يظلمه فقال له إذا صليت الركعتين بعد المغرب فاسجد و قل يا شديد القوى يا شديد المحال يا عزيز أذللت لعزك جميع من خلقت فصل على 14محمد و آل محمد و اكفني مئونة فلانبما شئت فدعا بها فلم يرعه إلا الواعية [2] بالليل فسأل فقيل مات فلان فجأة. 16- قال موسى ع يا رب إنك لتعطيني أكثر من أمليقال لأنك تكثر من قول **مَا شَاءَ اَللَّهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ** . 17- كان بعض الصالحين يقول قبل الصلاةيا محسن قد جاءك المسيء و قد أمرت المحسن أن يتجاوز عن المسيء فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك اللهم ارزقني عمل الخائفين و خوف العاملين حتى أنعم بترك [3] التنعم طمعا فيما وعدت و خوفا مما أوعدت. 16- و من الأدعية الجامعة اللهم أغنني بالعلم و زيني بالحلم و جملني بالعافية و كرمني بالتقوى. 17- أحمد بن يوسف كاتب المأمون إذا دخل عليه حياة بتحية أبرويز الملك عشت الدهر و نلت المنى و جنبت طاعة النساء . ـ 14- و من الدعاء المروي عن 14رسول الله ص اللهم اغفر لي ذنوبي و خطاياي كلها اللهم أنعشني و أجزني و انصرني و اهدني لصالح الأعمال و الأخلاق

---

(1) في الأصول: «عبيدة» تحريف.
(2) الواعية: الصراخ.
(3) في الأصول: «منزلة» ، تحريف.

إنه لا يهدي لصالحها و لا يصرف عن سيئها إلا أنت اللهم إني أسألك الثبات في الأمر و العزيمة على الرشد و أسألك شكر نعمتك و حسن عبادتك و أسألك قلبا سليما و لسانا صادقا و أسألك من خير ما تعلم و أعوذ بك من شر ما تعلم و أستغفرك لما تعلم إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ اَلْغُيُوبِ.

آداب الدعاء

قالوا و من آداب الدعاء أن ترصد له الأوقات الشريفة كما بين الأذان و الإقامة و كوقت السجود و وقت السحر و يستحب أن يدعو مستقبل القبلة رافعا يديه **14- لما روى سلمان عن 14النبي ص أن ربكم كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا و يستحب أن يمسح بهما وجهه بعد الدعاء فإن ذلك قد روي عن 14رسول الله ص** و يكره أن يرفع بصره إلى السماء **14- لقوله ع لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم.** و قد رخص في ذلك للصديقين و الأئمة العادلين و يستحب أن يخفض صوته لقوله تعالى **اُدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَ خُفْيَةً** [1] و قد روي أن عمر سمع رجلا يجهر بالدعاء فقال لكن زكريا **نَادىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا** .

و يكره أن يتكلف [2] الكلام المسجوع و يستحب الإتيان بالمطبوع منه **14- لقوله ص إياكم و السجع في الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم إني أسألك الجنة و ما قرب إليها من قول أو عمل و أعوذ بك من النار و ما قرب إليها من قول أو عمل.**

---

(1) سورة الأعراف 55.

(2) في ب: «يتكلم» ، و ما أثبته عن ا، ج.

و قيل في الوصية الصالحة ادع ربك بلسان الذلة و الاحتقار لا بلسان الفصاحة و التشدق .

و قال سفيان بن عيينة لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلمه من نفسه فإن الله تعالى أجاب دعاء شر خلقه إبليس حيث قال **أَنْظِرْنِي** [1] .

14- 14النبي ص إذا سأل أحدكم ربه مسألة فتعرف الإجابة فليقلالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحاتو من أبطأ عنه شيء من ذاك فليقلالحمد لله على كل حال. [2] و من الآداب أن يفتتح بالذكر و إلا يبتدئ بالمسألة **1- كان 14رسول الله ص قبل أن يدعو يقولسبحان ربي العلي الوهاب . 17- أبو سليمان الداراني من أراد أن يسأل الله تعالى حاجته فليبدأ بالصلاة على 14رسول الله ص ثم يسأل حاجته ثم يختم بالصلاة على 14رسول الله ص فإن الله تعالى يقبل الصلاتين و هو أكرم من أن يدع ما بينهما. 1- و من دعاء 1علي ع اللهم صن وجهي باليسار و لا تبذل جاهي بالإقتار فأسترزق طالبي رزقك و أستعطف شرار خلقك و أبتلي بحمد من أعطاني و أفتتن بذم من منعني و أنت من وراء ذلك كله ولي الإعطاء و المنع إِنَّكَ عَلىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . 17- و من دعاء الحسن رحمه الله تعالى اللهم إني أعوذ بك من قلب يعرف و لسان يصف و أعمال تخالف. 16- و من دعاء أهل البيت ع و فيه رائحة من كلام 1أمير المؤمنين ع الذي نحن في شرحه اللهم إني أستغفرك لما تبت منه إليك ثم عدت فيه و أستغفرك**

---

(1) سورة الأعراف 14.
(2) من ج.

لما وعدتك من نفسي ثم أخلفتك و أستغفرك للنعم التي أنعمت بها علي فتقويت على معصيتك و أستغفرك من كل ذنب تمكنت منه بعافيتك و نالته يدي بفضل نعمتك و انبسطت إليه بسعة رزقك و احتجبت فيه عن الناس بسترك و اتكلت فيه على أكرم عفوك اللهم إني أعوذ بك أن أقول حقا ليس فيه رضاك ألتمس به أحدا سواك و أعوذ بك أن أتزين للناس بشيء يشينني عندك و أعوذ بك أن أكون عبرة لأحد من خلقك و أن يكون أحد من خلقك أسعد بما علمتني مني و أعوذ بك أن أستعين بمعصية لك على ضر يصيبني. 17- كان أبو مسلم الخولاني إذا أهمه أمر قاليا مالك يَوْمِ اَلدِّينِ `إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. 1- و من دعاء 1علي ع اللهم إن تهت عن مسألتي و أعميت عن طلبتي فدلني على مصالحي و خذ بقلبي إلى مراشدي اللهم احملني على عفوك و لا تحملني على عدلك .

1078 78 و من كلام له ع قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج

و قد قال له إن سرت يا 1أمير المؤمنين في هذا الوقت خشيت ألا تظفر بمرادك من طريق علمالنجوم فَقَالَ ع: أَ تَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى اَلسَّاعَةِ اَلَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ اَلسُّوءُ وَ تُخَوِّفُ مِنَ اَلسَّاعَةِ اَلَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ اَلضُّرُّ فَمَنْ صَدَّقَكَ بِهَذَا فَقَدْ كَذَّبَ اَلْقُرْآنَ وَ اِسْتَغْنَى عَنِ اَلِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ فِي نَيْلِ اَلْمَحْبُوبِ وَ دَفْعِ اَلْمَكْرُوهِ وَ تَبْتَغِي فِي قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ أَنْ يُوَلِيَكَ اَلْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ لِأَنَّكَ بِزَعْمِكَ أَنْتَ هَدَيْتَهُ إِلَى اَلسَّاعَةِ اَلَّتِي نَالَ فِيهَا اَلنَّفْعَ وَ أَمِنَ اَلضُّرَّ ثُمَّ أَقْبَلَ ع عَلَى اَلنَّاسِ فَقَالَ أَيُّهَا اَلنَّاسُ إِيَّاكُمْ وَ تَعَلُّمَ اَلنُّجُومِ إِلاَّ مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى اَلْكَهَانَةِ اَلْمُنَجِّمُ كَالْكَاهِنِ وَ اَلْكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ وَ اَلسَّاحِرُ كَالْكَافِرِ وَ اَلْكَافِرُ فِي اَلنَّارِ سِيرُوا عَلَى اِسْمِ اَللَّهِ (1) -. **حاق به الضر** أي أحاط به قال تعالى **وَ لاَ يَحِيقُ اَلْمَكْرُ اَلسَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ (2) -** [1] .

و **يوليك الحمد** مضارع أولاك و أولاك معدى بالهمزة من ولي يقال ولي

(1) سورة فاطر 43.

الشيء ولاية و أوليته ذلك أي جعلته واليا له و متسلطا عليه (1) - و **الكاهن** واحد الكهان و هم الذين كانوا يخبرون عن الشياطين بكثير من الغائبات

القول في أحكامالنجوم

و اعلم أن الناس قد اختلفوا في أحكامالنجومفأنكرها جمهور المسلمين و المحققون من الحكماء و نحن نتكلم هاهنا في ذلك و نبحث فيه بحثين بحثا كلاميا و بحثا حكميا .

أما البحثالكلاميهو أن يقال أما أن يذهب المنجمون إلى أنالنجوممؤثرة أو أمارات .

و الوجه الأول ينقسم قسمين أحدهما أن يقال إنها تفعل بالاختيار و الثاني أن تفعل بالإيجاب .

و القول بأنها تفعل بالاختيار باطل لأن المختار لا بد أن يكون قادرا حيا و الإجماع من المسلمين حاصل على أن الكواكب ليست حية و لا قادرة و الإجماع حجة و قد بين المتكلمون أيضا أن من شرط الحياة الرطوبة و أن تكون الحرارة على قدر مخصوص متى أفرط امتنع حلول الحياة في ذلك الجسم فإن النار على صرافتها يستحيل أن تكون حية و أن تحلها الحياة لعدم الرطوبة و إفراط الحرارة فيها و اليبس و الشمس أشد حرارة من النار لأنها على بعدها تؤثره النار على قربها و ذلك دليل على أن حرارتها أضعاف حرارة النار و بينوا أيضا أنها لو كانت حية قادرة لم يجز أن تفعل في غيرها ابتداء لأن القادر بقدرة لا يصح منه الاختراع و إنما يفعل في غيره على سبيل التوليد و لا بد من وصلة بين الفاعل و المفعول فيه و الكواكب غير مماسة لنا فلا وصلة بينها و بيننا فيستحيل أن تكون فاعلة فينا .

فإن ادعى مدع أن الوصلة هي الهواء فعن ذلك أجوبة أحدها أن الهواء لا يجوز أن يكون وصلة و آلة في الحركات الشديدة و حمل الأثقال لا سيما إذا لم يتموج .

و الثاني أنه كان يجب أن نحس بذلك و نعلم أن الهواء يحركنا و يصرفنا كما نعلم في الجسم إذا حركنا و صرفنا بآلة موضع تحريكه لنا بتلك الآلة .

و الثالث أن في الأفعال الحادثة فينا ما لا يجوز أن يفعل بآلة و لا يتولد عن سبب كالإرادات و الاعتقادات و نحوها .

و قد دلل أصحابنا أيضا على إبطال كون الكواكب فاعلة للأفعال فينا بأن ذلك يقتضي سقوط الأمر و النهي و المدح و الذم و يلزمهم ما يلزم المجبرة و هذا الوجه يبطل كون الكواكب فاعلة فينا بالإيجاب كما يبطل كونها فاعلة بالاختيار .

و أما القول بأنها أمارات على ما يحدث و يتجدد فيمكن أن ينصر بأن يقال لم لا يجوز أن يكون الله تعالى أجرى العادة بأن يفعل أفعالا مخصوصة عند طلوع كوكب أو غروبه أو اتصاله بكوكب آخر .

و الكلام على ذلك بأن يقال هذا غير ممتنع لو ثبت سمع مقطوع به يقتضي ذلك فإن هذا مما لا يعلم بالعقل .

فإن قالوا نعلم بالتجربة .

قيل لهم التجربة إنما تكون حجة إذا استمرت و اطردت و أنتم خطؤكم فيما تحكمون به أكثر من صوابكم فهلا نسبتم الصواب الذي يقع منكم إلى الاتفاق و التخمين فقد رأينا من أصحاب الزرق [1] و التخمين من يصيب أكثر مما يصيب المنجم و هو من غير أصل صحيح و لا قاعدة معتمدة و متى قلتم إنما أخطأ المنجم لغلطه في تسيير الكواكب

(1) الزرق: التفرس.

قيل لكم و لم لا يكون سبب الإصابة اتفاقا و إنما يصح لكم هذا التأويل و التخريج لو كان على صحة أحكامالنجومدليل قاطع هو غير إصابة المنجم .

ـفأما إذا كان دليل صحة الأحكام الإصابة فهلا كان دليل فسادها الخطاء فما أحدهما إلا في مقابلة صاحبه .

و مما قيل على أصحاب الأحكام إن قيل لهم في شيء بعينه خذوا الطالع و احكموا أ يؤخذ أم يترك فإن حكموا بأحدهما خولفوا و فعل خلاف ما أخبروا به و هذه المسألة قد أعضل عليهم جوابها .

و قال بعض المتكلمين لبعض المنجمين أخبرني لو فرضنا جادة مسلوكة و طريقا يمشي فيها الناس نهارا و ليلا و في تلك المحجة آبار متقاربة و بين بعضها و بعض طريق يحتاج سالكه إلى تأمل و توقف حتى يتخلص من السقوط في بعض تلك الآبار هل يجوز أن تكون سلامة من يمشي بهذا الطريق من العميان كسلامة من يمشي فيه من البصراء و المفروض أن الطريق لا يخلو طرفة عين من مشاة فيها عميان و مبصرون و هل يجوز أن يكون عطب البصراء مقاربا لعطب العميان .

فقال المنجم هذا مما لا يجوز بل الواجب أن تكون سلامة البصراء أكثر من سلامة العميان .

فقال المتكلم فقد بطل قولكم لأن مسألتنا نظير هذه الصورة فإن مثال البصراء هم الذين يعرفون أحكام النجوم و يميزون مساعدها من مناحسها و يتوقون بهذه المعرفة مضار الوقت و الحركات و يتخطونها و يعتمدون منافعها و يقصدونها و مثال العميان كل من لا يحسن علمالنجومو لا يقولون به من أهل العلم و العامة و هم أضعاف أضعاف عدد المنجمين .

و مثال الطريق الذي فيه الآبار الزمان الذي مضى و مر على الخلق أجمعين و مثال آباره مصائبه و محنه .

و قد كان يجب لو صح علم أحكامالنجومأن سلامة المنجمين أكثر و مصائبهم أقل لأنهم يتوقون المحن و يتخطونها لعلمهم بها قبل كونها و أن تكون محن المعرضين عن علم أحكامالنجومعلى كثرتهم أوفر و أظهر حتى تكون سلامة كل واحد منهم هي الطريقة الغريبة و المعلوم خلاف ذلك فإن السلامة و المحن في الجميع متقاربة متناسبة غير متفاوتة .

و أما البحث الحكمي في هذا الموضع فهو أن الحادث في عالم العناصر عند حلول الكوكب المخصوص في البرج المخصوص إما أن يكون المقتضي له مجرد ذلك الكوكب أو مجرد ذلك البرج أو حلول ذلك الكوكب في ذلك البرج فالأولان باطلان و إلا لوجب أن يحدث ذلك الأمر قبل أن يحدث و الثالث باطل أيضا لأنه إما أن يكون ذلك البرج مساويا لغيره من البروج في الماهية أو مخالفا و الأول يقتضي حدوث ذلك الحادث حال ما كان ذلك الكوكب حالا في غيره من البروج لأن حكم الشيء حكم مثله و الثاني يقتضي كون كرة البروج متخالفة الأجزاء في أنفسها و يلزم في ذلك كونها مركبة و قد قامت الدلالة على أنه لا شيء من الأفلاك بمركب .

و قد اعترض على هذا الدليل بوجهين أحدهما أنه لم لا يجوز أن تختلف أفعال الكواكب المتحيرة عند حلولها في البروج لا لاختلاف البروج في نفسها بل لاختلاف ما في تلك البروج من الكواكب الثابتة المختلفة الطبائع .

الوجه الثاني لم لا يجوز أن يقال الفلك التاسع مكوكب بكواكب صغار لا نراها

لغاية بعدها عنا فإذا تحركت في كرات تداويرها سامتت مواضع مخصوصة من كرة الكواكب الثابتة و هي فلك البروج فاختلفت آثار الكواكب المتحيرة عند حلولها في البروج باعتبار اختلاف تلك الكواكب الصغيرة و لم لا يجوز إثبات كرة بين الكرة الثامنة و بين الفلك الأطلس المدبر لجميع الأفلاك من المشرق إلى المغرب و تكون تلك الكرة المتوسطة بينهما بطيئة الحركة بحيث لا تفي أعمارنا بالوقوف على حركتها و هي مكوكبة بتلك الكواكب الصغار المختلفة الطبائع .

و أجيب عن الأول بأنه لو كان الأمر كما ذكر لوجب أن تختلف بيوت الكواكب و أشرافها و حدودها عند حركة الثوابت بحركة فلكها حتى أنها تتقدم على مواضعها في كل مائة سنة على رأي المتقدمين أو في كل ست و ستين سنة على رأي المتأخرين درجة واحدة لكن ليس الأمر كذلك فإن شرف القمر كما أنه في زماننا في درجة الثالثة من الثور فكذلك كان عند الذين كانوا قبلنا بألف سنة و بألفي سنة .

و أما الوجه الثاني فلا جواب عنه .

و اعلم أن الفلاسفة قد عولت في إبطال القول بأحكامالنجومعلى وجه واحد و هو أن مبنى هذا العلم على التجربة و لم توجد التجربة فيما يدعيه أرباب علمالنجومفإن هاهنا أمورا لا تتكرر إلا في الأعمار المتطاولة مثل الأدوار و الألوف التي زعم أبو معشر أنها هي الأصل في هذا العلم و مثل مماسة جرم زحل للكرة المكوكبة و مثل انطباق معدل النهار على دائرة فلك البروج فإنهم يزعمون أن ذلك يقتضي حدوث طوفان الماء و إحاطته بالأرض من جميع الجوانب مع أن هذه الأمور لا توجد إلا في ألوف الألوف من السنين فكيف تصح أمثال هذه الأمور بالتجربة .

و أيضا فإنا إذا رأينا حادثا حدث عند حلول كوكب مخصوص في برج مخصوص

فكيف نعلم استناد حدوثه إلى ذلك الحلول فإن في الفلك كواكب لا تحصى فما الذي خصص حدوث ذلك الحدوث بحلول ذلك الكوكب في ذلك البرج لا غيره و بتقدير أن يكون لحلوله تأثير في ذلك فلا يمكن الجزم قبل حلوله بأنه إذا حل في البرج المذكور لا بد أن يحدث ذلك الحادث لجواز أن يوجد ما يبطل تأثيره نحو أن يحل كوكب آخر في برج آخر فيدفع تأثيره و يبطل عمله أو لعل المادة الأرضية لا تكون مستعدة لقبول تلك الصورة و حدوث الحادث كما يتوقف على حصول الفاعل يتوقف على حصول القابل و إذا وقع الشك في هذه الأمور بطل القول بالجزم بعلم أحكامالنجومو هذه الحجة جيدة إن كان المنجمون يطلبون القطع في علمهم .

فإما أن كانوا يطلبون الظن فإن هذه الحجة لا تفسد قولهم .

فأما أبو البركات بن ملكا البغدادي صاحب كتاب المعتبر فإنه أبطل أحكامالنجوممن وجه و أثبته من وجه .

قال أما من يريد تطبيق علم أحكامالنجومعلى قاعدة العلم الطبيعي فإنه لا سبيل له إلى ذلك فإنا لا نتعلق من أقوالهم إلا بأحكام يحكمون بها من غير دليل نحو القول بحر الكواكب و بردها أو رطوبتها و يبوستها و اعتدالها كقولهم إن زحل بارد يابس و المشتري معتدل و الاعتدال خير و الإفراط شر و ينتجون من ذلك أن الخير يوجب سعادة و الشر يوجب منحسة و ما جانس ذلك مما لم يقل به علماء الطبيعيين و لم تنتجه مقدماتهم في أنظارهم و إنما الذي أنتجته هو أن الأجرام السماوية فعالة فيما تحويه و تشتمل عليه و تتحرك حوله فعلا على الإطلاق غير محدود بوقت و لا مقدر بتقدير و القائلون بالأحكام ادعوا حصول علمهم بذلك من توقيف و تجربة لا يطابق نظر الطبيعي .

و إذا قلت بقول الطبيعي بحسب أنظاره أن المشتري سعد و المريخ نحس أو أن زحل

بارد يابس و المريخ حار يابس و الحار و البارد من الملموسات و ما دل على هذا المس و ما استدل عليه بلمس كتأثيره فيما يلمسه فإن ذلك لم يظهر للحس في غير الشمس حيث تسخن الأرض بشعاعها و لو كان في السمائيات شيء من طبائع الأضداد لكان الأولى أن تكون كلها حارة لأن كواكبها كلها منيرة .

ـو متى يقول الطبيعي بتقطيع الفلك و تقسيمه إلى أجزاء كما قسمه المنجمون قسمة وهمية إلى بروج و درج و دقائق و ذلك جائز للمتوهم كجواز غيره و ليس بواجب في الوجود و لا حاصل فنقلوا ذلك التوهم الجائز إلى الوجود الواجب في أحكامهم و كان الأصل فيه على زعمهم حركة الشمس و الأيام و الشهور فحصلوا منها قسمة وهمية و جعلوها كالحاصلة الوجودية المثمرة بحدود و خطوط كان الشمس بحركتها من وقت إلى مثله خطت في السماء خطوطا و أقامت فيها جدرا أو حدودا أو غيرت في أجزائها طباعا تغييرا يبقى فيتقى به القسمة إلى تلك الدرج و الدقائق مع جواز الشمس عنها و ليس في جوهر الفلك اختلاف يتميز به موضع عن موضع سوى الكواكب و الكواكب تتحرك عن أمكنتها فبقيت الأمكنة على التشابه فبما ذا تتميز بروجه و درجه و يبقى اختلافها بعد حركة المتحرك في سمتها و كيف يقيس الطبيعي على هذه الأصول و ينتج منها نتائج و يحكم بحسبها أحكاما و كيف له أن يقول بالحدود و يجعل خمس درجات من برج الكوكب و ستا لآخر و أربعا لآخر و يختلف فيها البابليون و المصريون و جعلوا أرباب البيوت كأنها ملاك و البيوت كأنها أملاك تثبت لأربابها بصكوك و أحكام الأسد للشمس و السرطان للقمر و إذا نظر الناظر وجد الأسد أسدا من جهة كواكب شكلوها بشكل الأسد ثم انقلبت عن مواضعها و بقي الموضع أسدا و جعلوا الأسد للشمس و قد ذهبت منه الكواكب التي كان بها أسدا كان ذلك الملك بيت للشمس مع انتقال الساكن و كذلك السرطان للقمر .

و من الدقائق في العلم النجومي الدرجات المدارة و الغربية و المظلمة و النيرة و الزائدة في السعادة و درجات الآثار من جهة أنها أجزاء الفلك إن قطعوها و ما انقطعت و مع انتقال ما ينتقل من الكواكب إليها و عنها ثم أنتجوا من ذلك نتائج أنظارهم من أعداد الدرج و أقسام الفلك فقالوا إن الكوكب ينظر إلى الكواكب من ستين درجة نظر تسديس لأنه سدس من الفلك و لا ينظر إليه من خمسين و لا من سبعين و قد كان قبل الستين بعشر درج و هو أقرب من ستين و بعدها بعشر درج و هو أبعد من ستين لا ينظر .

فليت شعري ما هذا النظر أ ترى الكواكب تظهر للكوكب ثم تحتجب عنه ثم شعاعه يختلط بشعاعه عند حد لا يختلط به قبله و لا بعده .

و كذلك التربيع من الربع الذي هو تسعون درجة و التثليث من الثلث الذي هو مائة و عشرون درجة فلم لا يكون التخميس و التسبيع و التعشير على هذا القياس ثم يقولون الحمل حار يابس ناري و الثور بارد يابس أرضي و الجوزاء حار رطب هوائي و السرطان بارد رطب مائي ما قال الطبيعي هذا قط و لا يقول به .

و إذا احتجوا و قاسوا كانت مبادئ قياساتهم الحمل برج ينقلب لأن الشمس إذا نزلت فيه ينقلب الزمان من الشتاء إلى الربيع و الثور برج ثابت لأن الشمس إذا نزلت فيه ثبت الربيع على ربيعيته .

و الحق أنه لا ينقلب الحمل و لا يثبت الثور بل هما على حالهما في كل وقت ثم كيف يبقى دهره منقلبا مع خروج الشمس منه و حلولها فيه أ تراها تخلف فيه أثرا أو تحيل منه طباعا و تبقى تلك الاستحالة إلى أن تعود فتجددها و لم لا يقول قائل إن السرطان حار يابس لأن الشمس إذا نزلت فيه يشتد حر الزمان و ما يجانس هذا مما لا يلزم لا هو و لا ضده فليس في الفلك اختلاف يعرفه الطبيعي إلا بما فيه من الكواكب و هو في نفسه

واحد متشابه الجوهر و الطبع و لكنها أقوال قال بها قائل فقبلها قائل و نقلها ناقل فحسن فيها ظن السامع و اغتر بها من لا خبرة له و لا قدرة له على النظر .

ثم حكم بها الحاكمون بجيد و رديء و سلب و إيجاب و بت و تجوز فصادف بعضه موافقة الوجود فصدق فيعتبر به المعتبرون و لم يلتفتوا إلى ما كذب منه فيكذبوه بل عذروا و قالوا إنما هو منجم و ليس بنبي حتى يصدق في كل ما يقول و اعتذروا له بأن العلم أوسع من أن يحيط به أحد و لو أحاط به أحد لصدق في كل شيء و لعمر الله إنه لو أحاط به علما صادقا لصدق و الشأن في أن يحيط به على الحقيقة لا أن يفرض فرضا و يتوهم وهما فينقله إلى الوجود و ينسب إليه و يقيس عليه .

قال و الذي يصح من هذا العلم و يلتفت إليه العقلاء هي أشياء غير هذه الخرافات التي لا أصل لها فما حصل توقيف أو تجربة حقيقة كالقرانات و المقابلة فإنها أيضا من جملة الاتصالات كالمقارنة من جهة أن تلك غاية القرب و هذه غاية البعد و نحو ممر كوكب من المتحيرة تحت كوكب من الثابتة و نحوه ما يعرض للمتحيرة من رجوع و استقامة و ارتفاع في شمال و انخفاض في جنوب و أمثال ذلك .

فهذا كلام ابن ملكا كما تراه يبطل هذا الفن من وجه و يقول به من وجه .

و قد وقفت لأبي جعفر محمد بن الحسين الصنعاني المعروف بالخازن صاحب كتاب زيج الصفائح على كلام في هذا الباب مختصر له سماه كتاب العالمين أنا ذاكره في هذا الموضع على وجهه لأنه كلام لا بأس به قال إن بعض المصدقين بأحكامالنجومو كل المكذبين بها قد زاغوا عن طريق الحق و الصواب فيها فإن الكثير من المصدقين بها قد أدخلوا فيها ما ليس منها و ادعوا ما لم يمكن إدراكه بها حتى كثر فيها خطؤهم و ظهر كذبهم و صار ذلك سببا لتكذيب أكثر الناس بهذا العلم .

فأما المكذبون به فقد بلغوا من إنكار صحيحه و رد ظاهره إلى أن قالوا إنه لا يصح منه شيء أصلا و نسبوا أهله إلى الرزق و الاحتيال و الخداع و التمويه فلذلك رأينا أن نبتدئ بتبيين صحة هذه الصناعة ليظهر فساد قول المكذبين لها بأسرها ثم نبين ما يمكن إدراكه بها ليبطل دعوى المدعين فيها ما يمتنع وجوده بها .

أما الوجوه التي بها تصح صناعة الأحكام فهي كثيرة منها ما يظهر لجميع الناس من قبل الشمس فإن حدوث الصيف و الشتاء و ما يعرض فيهما من الحر و البرد و الأمطار و الرياح و نبات الأرض و خروج وقت الأشجار و حملها الثمار و حركة الحيوان إلى النسل و التوالد و غير ذلك مما يشاكله من الأحوال إنما يكون أكثر ذلك بحسب دنو الشمس من سمت الرءوس في ناحية الشمال و تباعدها منه إلى ناحية الجنوب و بفضل قوة الشمس على قوة القمر و قوى سائر الكواكب ظهر ما قلنا لجميع الناس .

و قد ظهر لهم أيضا من قبل الشمس في تغيير الهواء كل يوم عند طلوعها و عند توسطها السماء و عند غروبها ما لا خفاء به من الآثار .

و من هذه الوجوه ما يظهر للفلاحين و الملاحين بأدنى تفقد للأشياء التي تحدث فإنهم يعلمون أشياء كثيرة من الآثار التي يؤثرها القمر و أنوار الكواكب الثابتة كالمد و الجزر و حركات الرياح و الأمطار و أوقاتها عند الحدوث و ما يوافق من أوقات الزراعات و ما لا يوافق و أوقات اللقاح و النتاج .

و قد يظهر من آثار القمر في الحيوان الذي يتوالد في الماء و الرطوبات ما هو مشهور لا ينكر .

و منها جهات أخرى يعرفها المنجمون فقط على حسب فضل علمهم و دقة نظرهم في هذا

العلم و إذ قد وصفنا على سبيل الإجمال ما يوجب حقيقة هذا العلم فإنا نصف ما يمكن إدراكه به أو لا يمكن فنقول لما كانت تغيرات الهواء إنما تحدث بحسب أحوال الشمس و القمر و الكواكب المتحيرة و الثابتة صارت معرفة هذه التغيرات قد تدرك منالنجوممع سائر ما يتبعها من الرياح و السحاب و الأمطار و الثلج و البرد و الرعد و البرق لأن الأشياء التي تلي الأرض و تصل إليها هذه الآثار من الهواء المحيط بها كانت الأعراض العامية التي تعرض في هذه الأشياء تابعة لتلك الآثار مثل كثرة مياه الأنهار و قلتها و كثرة الثمار و قلتها و كثرة خصب الحيوان و قلته و الجدوبة و القحط و الوباء و الأمراض التي تحدث في الأجناس و الأنواع أو في جنس دون جنس أو في نوع دون نوع و سائر ما يشاكل ذلك من الأحداث .

و لما كانت أخلاق النفس تابعة لمزاج البدن و كانت الأحداث التي ذكرناها مغيرة لمزاج البدن صارت أيضا مغيرة للأخلاق و لأن المزاج الأول الأصلي هو الغالب على الإنسان في الأمر الأكثر و كان المزاج الأصلي هو الذي طبع عليه الإنسان في وقت كونه في الرحم و في وقت مولده و خروجه إلى جو العالم صار وقت الكون و وقت المولد أدل الأشياء على مزاج الإنسان و على أحواله التابعة للمزاج مثل خلقة البدن و خلق النفس و المرض و الصحة و سائر ما يتبع ذلك فهذه الأشياء و ما يشبهها من الأمور التي لا تشارك شيئا من الأفعال الإرادية فيه مما يمكن معرفته بالنجوم و أما الأشياء التي تشارك الأمور الإرادية بعض المشاركة فقد يمكن أن يصدق فيها هذا العلم على الأمر الأكثر و إذا لم يستعمل فيه الإرادة جرى على ما تقود إليه الطبيعة .

على أنه قد يعرض الخطاء و الغلط لأصحاب هذه الصناعة من أسباب كثيرة بعضها يختص بهذه الصناعة دون غيرها و بعضها يعمها و غيرها من الصنائع .

-

فأما ما يعم فهو من قصور طبيعة الناس في معرفة الصنائع أيا كانت عن بلوغ الغاية فيها حتى لا يبقى وراءها غاية أخرى فكثرة الخطإ و قلته على حسب تقصير واحد واحد من الناس .

و أما ما يخص هذه الصناعة فهو كثير ما يحتاج صاحبها إلى معرفته مما لا يمكنه أن يعلم كثيرا منه إلا بالحدس و التخمين فضلا عن لطف الاستنباط و حسن القياس و مما يحتاج إلى معرفة علم أحوال الفلك و مما يحدث في كل واحد من تلك الأحوال فإن كل واحد منها له فعل خاص ثم يؤلف تلك الأحوال بعضها مع بعض على كثرة فنونها و اختلافاتها ليحصل من جميع ذلك قوة واحدة و فعل واحد يكون عنه الحادث في هذا العالم و ذلك أمر عسير فمتى أغفل من ذلك شيء كان الخطأ الواقع بحسب الشيء الذي سها عنه و ترك استعماله .

ثم من بعد تحصيل ما وصفناه ينبغي أن يعلم الحال التي عليها يوافي في تلك القوة الواحدة الأشياء التي تعرض فيها تلك الأحداث كأنه مثلا إذا دل ما في الفلك على حدوث حر و كانت الأشياء التي يعرض فيها ما يعرض قد مر بها قبل ذلك حر فحميت و سخنت أثر ذلك فيها أثرا قويا فإن كان قد مر بها برد قبل ذلك أثر ذلك فيها أثرا ضعيفا و هذا شيء يحتاج إليه في جميع الأحداث التي تعمل في غيرها مما يناسب هذه المعرفة .

و أما الأحداث التي تخص ناحية ناحية أو قوما قوما أو جنسا جنسا أو مولودا واحدا من الناس فيحتاج مع معرفتها إلى أن يعلم أيضا أحوال البلاد و العادات و الأغذية و الأوباء و سائر ما يشبه ذلك مما له فيه أثر و شركة مثل ما يفعل الطبيب في المعالجة و في تقدمه المعرفة ثم من بعد تحصيل هذه الأشياء كلها ينبغي أن ينظر في الأمر الذي قد استدل على حدوثه هل هو مما يمكن أن يرد أو يتلافى بما يبطله أو بغيره من جهة

الطبو الحيل أم لا كأنه مثلا استدل على أنه يصيب هذا الإنسان حرارة يحم منها فينبغي أن يحكم بأنه يحم أن لم يتلاف تلك الحرارة بالتبريد فإنه إذا فعل ذلك أنزل الأمور منازلها و أجراها مجاريها .

ثم إن كان الحادث قويا لا يمكن دفعه ببعض ما ذكرنا فليس يلزم الحاجة إلى ما قلنا فإن الأمر يحدث لا محالة و ما قوي و شمل الناس فإنه لا يمكن دفعه و لا فسخه و إن أمكن فإنما يمكن في بعض الناس دون بعض .

و أما أكثرهم فإنه يجري أمره على ما قد شمل و عم فقد يعم الناس حر الصيف و إن كان بعضهم يحتال في صرفه بالأشياء التي تبرد و تنفى الحر .

فهذه جملة ما ينبغي أن يعلم و يعمل عليه أمور هذه الصناعة .

قلت هذا اعتراف بأن جميع الأحداث المتعلقة باختيار الإنسان و غيره من الحيوان لا مدخل لعلم أحكام النجوم فيه فعلى هذا لا يصح قول من يقول منهم لزيد مثلا إنك تتزوج أو تشتري فرسا أو تقتل عدوا أو تسافر إلى بلد و نحو ذلك و هو أكثر ما يقولونه و يحكمون به .

و أما الأمور الكلية الحادثة لا بإرادة الحيوان و اختياره فقد يكون لكلامهم فيه وجه من الطريق التي ذكرها و هي تعلق كثير من الأحداث بحركة الشمس و القمر إلا أن المعلوم ضرورة من دين 14رسول الله ص إبطال حكمالنجومو تحريم الاعتقاد بها و النهي و الزجر عن تصديق المنجمين و هذا معنى قول 1أمير المؤمنين في هذا الفصل فمن صدقك بهذا فقد كذب القرآن و استغنى عن الاستعانة بالله ثم أردف

ذلك و أكده بقوله كان يجب أن يحمد المنجم دون الباري تعالى لأن المنجم هو الذي هدى الإنسان إلى الساعة التي ينجح فيها و صده عن الساعة إلى يخفق و يكدي فيها فهو المحسن إليه إذا و المحسن يستحق الحمد و الشكر و ليس للبارئ سبحانه إلى الإنسان في هذا الإحسان المخصوص فوجب ألا يستحق الحمد على ظفر الإنسان بطلبه لكن القول بذلك و التزامه كفر محض

1079 79 و من كلام له ع بعد فراغه منفي ذم النساء

مَعَاشِرَ اَلنَّاسِ إِنَّ اَلنِّسَاءَ نَوَاقِصُ اَلْإِيمَانِ نَوَاقِصُ اَلْحُظُوظِ نَوَاقِصُ اَلْعُقُولِ فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ اَلصَّلاَةِ وَ اَلصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ وَ أَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ اِمْرَأَتَيْنِ مِنْهُنَّ كَشَهَادَةِ اَلرَّجُلِ اَلْوَاحِدِ وَ أَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى اَلْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ اَلرِّجَالِ فَاتَّقُوا شِرَارَ اَلنِّسَاءِ وَ كُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ وَ لاَ تُطِيعُوهُنَّ فِي اَلْمَعْرُوفِ حَتَّى لاَ يَطْمَعْنَ فِي اَلْمُنْكَرِ (1) -. جعل ع نقصان الصلاة نقصانا في الإيمان و هذا هو قول أصحابنا إن الأعمال من الإيمان و إن المقر بالتوحيد و النبوة و هو تارك للعمل ليس بمؤمن (2) - .

و قوله ع **و لا تطيعوهن في المعروف** ليس بنهي عن فعل المعروف و إنما هو نهي عن طاعتهن أي لا تفعلوه لأجل أمرهن لكم به بل افعلوه لأنه معروف و الكلام ينحو نحو المثل المشهور لا تعط العبد كراعا فيأخذ ذراعا .

و هذا الفصل كله رمز إلى عائشة و لا يختلف أصحابنا في أنها أخطأت فيما فعلت ثم تابت و ماتت تائبة و إنها من أهل الجنة .

قال كل من صنف فيالسيرو الأخبار أن عائشة كانت من أشد الناس على عثمان حتى إنها أخرجت ثوبا من ثياب 14رسول الله ص فنصبته في منزلها و كانت تقول للداخلين إليها هذا ثوب 14رسول الله ص لم يبل و عثمان قد أبلى سنته .

قالوا أول من سمى عثمان نعثلا عائشة و النعثل الكثير شعر اللحية و الجسد و كانت تقول اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا .

1- و روى المدائني في كتاب الجمل قال لما قتل عثمان كانت عائشة بمكة و بلغ قتله إليها و هي بشراف فلم تشك في أن طلحة هو صاحب الأمر و قالت بعدا لنعثل و سحقا إيه ذا الإصبع إيه أبا شبل إيه يا ابن عم لكأني أنظر إلى إصبعه و هو يبايع له حثوا الإبل و دعدعوها [1] .

قال و قد كان طلحة حين قتل عثمان أخذ مفاتيح بيت المال و أخذ نجائب كانت لعثمان في داره ثم فسد أمره فدفعها إلى 1علي بن أبي طالب ع .

أخبار عائشة في خروجها من مكة إلى البصرة بعد

1- و قال أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي في كتابه أن عائشة لما بلغها هي بمكة أقبلت مسرعة و هي تقول إيه ذا الإصبع لله أبوك أما إنهم وجدوا طلحة لها كفوا فلما انتهت إلى شراف استقبلها عبيد بن أبي سلمة الليثي فقالت له ما عندك قال قتل عثمان قالت ثم ما ذا قال ثم حارت بهم الأمور إلى خير محار بايعوا 1عليا فقالت لوددت أن السماء انطبقت على الأرض إن تم هذا ويحك انظر ما تقول قال هو ما قلت لك يا أم المؤمنين فولولت فقال لها ما شأنك يا أم المؤمنين

---

(1) الدعدعة: الزجر.

و الله ما أعرف بين لابتيها أحدا أولى بها منه و لا أحق و لا أرى له نظيرا في جميع حالاته فلما ذا تكرهين ولايته قال فما ردت عليه جوابا .

قال و قد روي من طرق مختلفة أن عائشة لما بلغها قتل عثمان و هي بمكة قالت أبعده الله ذلك بما قدمت يداه و ما الله بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ . 1,14- قال و قد روى قيس بن أبي حازم أنه حج في العام الذي قتل فيه عثمان و كان مع عائشة لما بلغها قتله فتحمل إلى المدينة قال فسمعها تقول في بعض الطريق إيه ذا الإصبع و إذا ذكرت عثمان قالت أبعده الله حتى أتاها خبرفقالت لوددت أن هذه وقعت على هذه ثم أمرت برد ركائبها إلى مكة فردت معها و رأيتها في سيرها إلى مكة تخاطب نفسها كأنها تخاطب أحدا قتلوا ابن عفان مظلوما فقلت لها يا أم المؤمنين أ لم أسمعك آنفا تقولين أبعده الله و قد رأيتك قبل أشد الناس عليه و أقبحهم فيه قولا فقالت لقد كان ذلك و لكني نظرت في أمره فرأيتهم استتابوه حتى إذا تركوه كالفضة البيضاء أتوه صائما محرما في شهر حرام فقتلوه .

قال و روي من طرق أخرى أنها قالت لما بلغها قتله أبعده الله قتله ذنبه و أقاده الله بعمله يا معشر قريش لا يسومنكم قتل عثمان كما سام أحمر ثمود قومه أن أحق الناس بهذا الأمر ذو الإصبع فلما جاءت الأخبار ببيعة 1علي ع قالت تعسوا تعسوا لا يردون الأمر في تيم أبدا .

كتب طلحة و الزبير إلى عائشة و هي بمكة كتابا أن خذلي الناس عن بيعة 1علي و أظهري الطلب بدم عثمان و حملا الكتاب مع ابن أختها عبد الله بن الزبير فلما قرأت الكتاب كاشفت و أظهرت الطلب بدم عثمان و كانت أم سلمة رضي الله عنها بمكة في ذلك العام فلما رأت صنع عائشة قابلتها بنقيض ذلك و أظهرت موالاة 1علي ع و نصرته على مقتضي العداوة المركوزة في طباع الصرتين .

-

قال أبو مخنف جاءت عائشة إلى أم سلمة تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان فقالت لها يا بنت أبي أمية أنت أول مهاجرة من أزواج 14رسول الله ص و أنت كبيرة أمهات المؤمنين و كان 14رسول الله ص يقسم لنا من بيتك و كان جبريل أكثر ما يكون في منزلك فقالت أم سلمة لأمر ما قلت هذه المقالة فقالت عائشة إن عبد الله أخبرني أن القوم استتابوا عثمان فلما تاب قتلوه صائما في شهر حرام و قد عزمت على الخروج إلى البصرة و معي الزبير و طلحة فاخرجي معنا لعل الله أن يصلح هذا الأمر على أيدينا بنا فقالت أم سلمة إنك كنت بالأمس تحرضين على عثمان و تقولين فيه أخبث القول و ما كان اسمه عندك إلا نعثلا و إنك لتعرفين منزلة 1علي بن أبي طالب عند 14رسول الله ص أ فأذكرك قالت نعم قالت أ تذكرين يوم أقبل ع و نحن معه حتى إذا هبط من قديد ذات الشمال خلا 1بعلي يناجيه فأطال فأردت أن تهجمي عليهما فنهيتك فعصيتني فهجمت عليهما فما لبثت أن رجعت باكية فقلت ما شأنك فقلت إني هجمت عليهما و هما يتناجيان فقلت 1العلي ليس لي من 14رسول الله إلا يوم من تسعة أيام أ فما تدعني يا 1ابن أبي طالب و يومي فأقبل 14رسول الله ص علي و هو غضبان محمر الوجه فقال ارجعي وراءك و الله لا يبغضه أحد من أهل بيتي و لا من غيرهم من الناس إلا و هو خارج من الإيمان فرجعت نادمة ساقطة قالت عائشة نعم أذكر ذلك قالت و أذكرك أيضا كنت أنا و أنت مع 14رسول الله ص و أنت تغسلين رأسه و أنا أحيس له حيسا و كان الحيس [1] يعجبه فرفع رأسه و قال يا ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأذنب تنبحها كلاب الحوأب فتكون ناكبة

---

(1) الحيس: تمر يخلط بسمن و أقط فيعجن و يدلك حتّى تمتزج ثمّ يندر نواه.

عن الصراط فرفعت يدي من الحيس فقلت أعوذ بالله و 14برسوله من ذلك ثم ضرب على ظهرك و قال إياك أن تكونيها ثم قال يا بنت أبي أمية إياك أن تكونيها يا حميراء أما أنا فقد أنذرتك قالت عائشة نعم أذكر هذا قالت و أذكرك أيضا كنت أنا و أنت مع 14رسول الله ص في سفر له و كان 1علي يتعاهد نعلي 14رسول الله ص فيخصفها [1] و يتعاهد أثوابه فيغسلها فنقبت [2] له نعل فأخذها يومئذ يخصفها و قعد في ظل سمرة و جاء أبوك و معه عمر فاستأذنا عليه فقمنا إلى الحجاب و دخلا يحادثانه فيما أراد ثم قالا يا 14رسول الله إنا لا ندري قدر ما تصحبنا فلو أعلمتنا من يستخلف علينا ليكون لنا بعدك مفزعا فقال لهما أما إني قد أرى مكانه و لو فعلت لتفرقتم عنه كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران فسكتا ثم خرجا فلما خرجنا إلى 14رسول الله ص قلت له و كنت أجرأ عليه منا من كنت يا 14رسول الله مستخلفا عليهم فقال خاصف النعل فنظرنا فلم نر أحدا إلا 1عليا فقلت يا 14رسول الله ما أرى إلا 1عليا فقال هو ذاك فقالت عائشة نعم أذكر ذلك فقالت فأي خروج تخرجين بعد هذا فقالت إنما أخرج للإصلاح بين الناس و أرجو فيه الأجر إن شاء الله فقالت أنت و رأيك فانصرفت عائشة عنها و كتبت أم سلمة بما قالت و قيل لها إلى 1علي ع . فإن قلت فهذا نص صريح في إمامة 1علي ع فما تصنع أنت و أصحابك المعتزلة به قلت كلا إنه ليس بنص كما ظننت لأنه ص لم يقل قد استخلفته و إنما قال لو قد استخلفت أحدا لاستخلفته و ذلك لا يقتضي حصول الاستخلاف

---

(1) خصف النعل: حرزها.
(2) نقبت النعل: ثقبت.

و يجوز أن تكون مصلحة المكلفين متعلقة بالنص عليه لو كان 14النبي ص مأمورا بأن ينص على إمام بعينه من بعده و أن يكون من مصلحتهم أن يختاروا لأنفسهم من شاءوا إذا تركهم 14النبي ص و آراءهم و لم يعين أحدا .

1- و روى هشام بن محمد الكلبي في كتاب الجمل أن أم سلمة كتبت إلى 1علي ع من مكة أما بعد فإن طلحة و الزبير و أشياعهم أشياع الضلالة يريدون أن يخرجوا بعائشة إلى البصرة و معهم عبد الله بن عامر بن كريز و يذكرون أن عثمان قتل مظلوما و أنهم يطلبون بدمه و الله كافيهم بحوله و قوته و لو لا ما نهانا الله عنه من الخروج و أمرنا به من لزوم البيت لم أدع الخروج إليك و النصرة لك و لكني باعثة نحوك ابني عدل نفسي عمر بن أبي سلمة فاستوص به يا 1أمير المؤمنين خيرا . (1)

قال فلما قدم عمر على 1علي ع أكرمه و لم يزل مقيما معه حتى شهد مشاهده كلها و وجهه أميرا على البحرين و قال لابن عم له بلغني أن عمر يقول الشعر فابعث إلي من شعره فبعث إليه بأبيات له أولها

جزتك 1أمير المؤمنين قرابة # رفعت بها ذكري جزاء موفرا.

فعجب 1علي ع من شعره و استحسنه . **17- و من الكلام المشهور الذي قيل إن أم سلمة رحمها الله كتبت به إلى عائشة إنك جنة بين 14رسول الله ص و بين أمته و إن الحجاب دونك لمضروب على حرمته و قد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه و سكن عقيراك فلا تصحريها لو أذكرتك قولة من 14رسول الله ص تعرفينها لنهشت بها نهش الرقشاء المطرقة ما كنت**

---

(1) عدل نفسى: مثلها.

قائلة 14لرسول الله ص لو لقيك ناصة قلوص قعودك من منهل إلى منهل قد تركت عهيداه و هتكت ستره إن عمود الدين لا يقوم بالنساء و صدعه لا يرأب بهن حماديات النساء خفض الأصوات و خفر الأعراض اجعلي قاعدة البيت قبرك حتى تلقينه و أنت على ذلك .

فقالت عائشة ما أعرفني بنصحك و أقبلني لوعظك و ليس الأمر حيث تذهبين ما أنا بعمية عن رأيك فإن أقم ففي غير حرج و إن أخرج ففي إصلاح بين فئتين من المسلمين . 14- و قد ذكر هذا الحديث أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في كتابه المصنف في غريب الحديث في باب أم سلمة على ما أورده عليك قال لما أرادت عائشة الخروج إلى البصرة أتتها أم سلمة فقالت لها إنك سدة بين 14محمد رسول الله ص و بين أمته و حجابك مضروب على حرمته قد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه و سكن عقيراك فلا تصحريها الله من وراء هذه الأمة لو أراد 14رسول الله ص أن يعهد إليك عهدا علت علت بل قد نهاك عن الفرطة في البلاد إن عمود الإسلام لا يثأب بالنساء إن مال و لا يرأب بهن إن صدع حماديات النساء غض الأطراف و خفر الأعراض و قصر الوهازة ما كنت قائلة لو أن 14رسول الله ص عارضك بعد الفلوات ناصة قلوصا من منهل إلى آخر إن بعين الله مهواك و على 14رسوله تردين و قد وجهت سدافته و يروى سجافته و تركت عهيداه لو سرت مسيرك هذا ثم قيل لي ادخلي الفردوس لاستحييت أن ألقى 14محمدا ص هاتكة حجابا و قد ضربه علي اجعلي حصنك بيتك و وقاعة الستر قبرك حتى تلقينه و أنت على تلك أطوع ما تكونين لله

بالرقبة و أنصر ما تكون للدين ما حلت عنه لو ذكرتك قولا تعرفينه لنهشت به نهش الرقشاء المطرقة .

فقالت عائشة ما أقبلني لوعظك و ليس الأمر كما تظنين و لنعم المسير مسير فزعت فيه إلى فئتان متناجزتان أو قالت متناحرتان إن أقعد ففي غير حرج و إن أخرج فإلى ما لا بد لي من الازدياد منه . ـ <تفسير غريب هذا الخبر> السدة الباب **14- و منه حديث 14رسول الله ص أنه ذكر أول من يرد عليه الحوض فقال الشعث رءوسا الدنس ثيابا الذين لا تفتح لهم السدد و لا ينكحون المتنعمات.** و أرادت أم سلمة أنك باب بين 14النبي ص و بين الناس فمتى أصيب ذلك الباب بشيء فقد دخل على 14رسول الله ص في حرمه و حوزته و استبيح ما حماه تقول فلا تكوني أنت سبب ذلك بالخروج الذي لا يجب عليك فتحوجي الناس إلى أن يفعلوا ذلك و هذا مثل قول نعمان بن مقرن للمسلمين فيألا و إنكم باب بين المسلمين و المشركين إن كسر ذلك الباب دخل عليهم منه .

و قولها قد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه أي لا تفتحيه و لا توسعيه بالحركة و الخروج يقال ندحت الشيء إذا وسعته و منه يقال فلان في مندوحة عن كذا أي في سعة تريد قول الله تعالى **وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ** [1] و من روى تبدحيه بالباء فإنه من البداح و هو المتسع من الأرض و هو معنى الأول .

و سكن عقيراك من عقر الدار و هو أصلها أهل الحجاز يضمون العين و أهل نجد يفتحونها و عقير اسم مبني من ذلك على صيغة التصغير و مثله مما جاء مصغرا الثريا و الحميا و هو سورة الشراب قال ابن قتيبة و لم أسمع بعقيرا إلا في هذا الحديث .

---

(1) سورة الأحزاب 33.

قولها فلا تصحريها أي لا تبرزيها و تجعليها بالصحراء يقال أصحر كما يقال أنجد و أسهل و أحزن .

و قولها الله من وراء هذه الأمة أي محيط بهم و حافظ لهم و عالم بأحوالهم كقوله تعالى **وَ اَللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ** (1) قولها لو أراد رسول الله ص الجواب محذوف أي لفعل و لعهد و هذا كقوله تعالى **وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ اَلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ اَلْأَرْضُ** (2) أي لكان هذا القرآن . قولها علت علت أي جرت في هذا الخروج و عدلت عن الجواب و العول الميل و الجور قال تعالى **ذَلِكَ أَدْنىَ أَلاَّ تَعُولُوا** (3) و من الناس من يرويه علت علت بكسر العين أي ذهبت في البلاد و أبعدت السير يقال عال فلان في البلاد أي ذهب و أبعد و منه قيل للذئب عيال .

قولها عن الفرطة في البلاد أي عن السفر و الشخوص من الفرط و هو السبق و التقدم و رجل فارط أتى الماء أي سابق .

قولها لا يثأب بالنساء أي لا يرد بهن إن مال إلى استوائه من قولك ثأب فلان إلى كذا أي عاد إليه .

قولها و لا يرأب بهن إن صدع أي لا يسد بهن و لا يجمع و الصدع الشق و يروى إن صدع بفتح الصاد و الدال أجروه مجرى قولهم جبرت العظم فجبر .

قولها حماديات النساء يقال حماداك أن تفعل كذا مثل قصاراك أن تفعل كذا أي جهدك و غايتك .

---

(1) سورة البروج 85.
(2) سورة الرعد 31.
(3) سورة النساء 3.

و غض الأطراف جمعها و خفر الأعراض الخفر الحياء و الأعراض جمع عرض و هو الجسد يقال فلان طيب العرض أي طيب ريح البدن و من رواه الأعراض بكسر الهمزة جعله مصدرا من أعرض عن كذا .

قولها و قصر الوهازة قال ابن قتيبة سألت عن هذا فقال لي من سألته سألت عنه أعرابيا فصيحا فقال الوهازة الخطوة يقال للرجل إنه لمتوهز و متوهر إذا وطئ وطئا ثقيلا .

قولها ناصة قلوصا أي رافعة لها في السير و النص الرفع و منه يقال حديث منصوص أي مرفوع و القلوص من النوق الشابة و هي بمنزلة الفتاة من النساء .

و المنهل الماء ترده الإبل .

قولها إن بعين الله مهواك أي إن الله يرى سيرك و حركتك و الهوى الانحدار في السير من النجد إلى الغور .

قولها و على 14رسوله تردين أي تقدمين في القيامة .

قولها و قد وجهت سدافته السدافة الحجاب و الستر هي من أسدف الليل إذا ستر بظلمته كأنه أرخى ستورا من الظلام و يروى بفتح السين و كذلك القول في سجافته إنه يروى بكسر السين و فتحها و السدافة و السجافة بمعنى .

و وجهت أي نظمتها بالخرز و الوجيهة خرزة معروفة و عادة العرب أن تنظم على المحمل خرزات إذا كان للنساء .

قولها و تركت عهيداه لفظة مصغرة مأخوذة من العهد مشابهة لما سلف من قولها عقيراك و حماديات النساء .

قولها و وقاعة الستر أي موقعه على الأرض إذا أرسلته و هي الموقعة أيضا و موقعة الطائر .

قولها حتى تلقينه و أنت على تلك أي على تلك الحال فحذف .

قولها أطوع ما تكونين لله إذا لزمته أطوع مبتدأ و إذا لزمته خبر المبتدأ و الضمير في لزمته راجع إلى العهد و الأمر الذي أمرت به .

قولها لنهشت به نهش الرقشاء المطرقة أي لعضك و نهشك ما أذكره لك و أذكرك به كما تنهشك أفعى رقشاء و الرقش في ظهرها هو النقط و الجرادة أيضا رقشاء قال النابغة

فبت كأني ساورتني ضئيلة # من الرقش في أنيابها السم ناقع [1] .

و الأفعى يوصف بالإطراق و كذلك الأسد و النمر و الرجل الشجاع و كان معاوية يقول في 1علي ع الشجاع المطرق و قال الشاعر و ذكر أفعى

أصم أعمى ما يجيب الرقى # من طول إطراق و إسبات [2] .

قولها فئتان متناجزتان أي تسرع كل واحدة منهما إلى نفوس الأخرى و من رواه متناحرتان أراد الحرب و طعن النحور بالأسنة و رشقها بالسهام .

و فزعت إلى فلان في كذا أي لذت به و التجأت إليه .

و قولها إن أقعد ففي غير حرج أي في غير إثم و قولها فإن أخرج فإلى ما لا بد لي من الازدياد منه كلام من يعتقد الفضيلة في الخروج أو يعرف موقع الخطإ و يصر عليه .

14,1- لما عزمت عائشة على الخروج إلى البصرة طلبوا لها بعيرا أيدا يحمل هودجها فجاءهم يعلى بن أمية ببعيره المسمى عسكرا و كان عظيم الخلق شديدا فلما رأته أعجبها و أنشأ الجمال يحدثها بقوته و شدته و يقول في أثناء كلامه عسكر فلما سمعت هذه اللفظة استرجعت و قالت ردوه لا حاجة لي فيه و ذكرت حيث سئلت أن 14رسول الله ص

---

(1) ديوانه: 51.
(2) اللسان 2: 343، من غير نسبة.

ذكر لها هذا الاسم و نهاها عن ركوبه و أمرت أن يطلب لها غيره فلم يوجد لها ما يشبهه فغير لها بجلال غير جلاله و قيل لها قد أصبنا لك أعظم منه خلقا و أشد قوة و أتيت به فرضيت .

قال أبو مخنف و أرسلت إلى حفصة تسألها الخروج و المسير [1] معها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فأتى أخته فعزم عليها فأقامت و حطت الرحال بعد ما همت .

كتب الأشتر من المدينة إلى عائشة و هي بمكة أما بعد فإنك ظعينة 14رسول الله ص و قد أمرك أن تقري في بيتك فإن فعلت فهو خير لك فإن أبيت إلا أن تأخذي منسأتك و تلقي جلبابك و تبدي للناس شعيراتك قاتلتك حتى أردك إلى بيتك و الموضع الذي يرضاه لك ربك .

فكتبت إليه في الجواب أما بعد فإنك أول العرب شب الفتنة و دعا إلى الفرقة و خالف الأئمة و سعى في قتل الخليفة و قد علمت أنك لن تعجز الله حتى يصيبك منه بنقمة ينتصر بها منك للخليفة المظلوم و قد جاءني كتابك و فهمت ما فيه و سيكفينيك الله و كل من أصبح مماثلا لك في ضلالك و غيك إن شاء الله .

و قال أبو مخنف لما انتهت عائشة في مسيرها إلى الحوأب و هو ماء لبني عامر بن صعصعة نبحتها الكلاب حتى نفرت صعاب إبلها فقال قائل من أصحابها أ لا ترون ما أكثر كلاب الحوأب و ما أشد نباحها فأمسكت زمام بعيرها و قالت و إنها لكلاب الحوأب ردوني ردوني فإني سمعت 14رسول الله ص يقول و ذكرت الخبر فقال لها قائل مهلا يرحمك الله فقد جزنا ماء الحوأب فقالت فهل من شاهد فلفقوا لها خمسين أعرابيا جعلوا لهم جعلا فحلفوا لها [1] أن هذا ليس بماء الحوأب فسارت لوجهها .

ـلما انتهت عائشة و طلحة و الزبير إلى حفر [2] أبي موسى قريبا من البصرة أرسل

---

(1) ساقطة من ب.

(2) ضبطه صاحب مراصد الاطلاع بالفتح ثمّ السكون، و قال: على جادّة البصرة إلى مكّة.

عثمان بن حنيف و هو يومئذ عامل 1علي ع على البصرة إلى القوم أبا الأسود الدؤلي يعلم له [1] علمهم فجاء حتى دخل على عائشة فسألها عن مسيرها فقالت أطلب بدم عثمان قال إنه ليس بالبصرة من قتلة عثمان أحد قالت صدقت و لكنهم مع 1علي بن أبي طالب بالمدينة و جئت أستنهض أهل البصرة لقتاله أ نغضب لكم من سوط عثمان و لا نغضب لعثمان من سيوفكم فقال لها ما أنت من السوط و السيف إنما أنت حبيس 14رسول الله ص أمرك أن تقري في بيتك و تتلي كتاب ربك و ليس على النساء قتال و لا لهن الطلب بالدماء و إن 1عليا لأولى بعثمان منك و أمس رحما فإنهما ابنا عبد مناف فقالت لست بمنصرفة حتى أمضي لما قدمت له أ فتظن يا أبا الأسود أن أحدا يقدم على قتالي قال أما و الله لتقاتلن قتالا أهونه الشديد .

ثم قام فأتى الزبير فقال يا أبا عبد الله عهد الناس بك و أنت يوم بويع أبو بكر آخذ بقائم سيفك تقول لا أحد أولى بهذا الأمر من 1ابن أبي طالب و أين هذا المقام من ذاك فذكر له دم عثمان قال أنت و صاحبك وليتماه فيما بلغنا قال فانطلق إلى طلحة فاسمع ما يقول فذهب إلى طلحة فوجده سادرا في غيه مصرا على الحرب و الفتنة فرجع إلى عثمان بن حنيف فقال إنها الحرب فتأهب لها .

لما نزل 1علي ع بالبصرة كتبت [2] عائشة إلى زيد بن صوحان العبدي من عائشة بنت أبي بكر الصديق زوج 14النبي ص إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان أما بعد فأقم في بيتك و خذل الناس عن 1علي و ليبلغني عنك ما أحب فإنك أوثق أهلي عندي و السلام .

فكتب إليها من زيد بن صوحان إلى عائشة بنت أبي بكر أما بعد فإن الله أمرك بأمر و أمرنا بأمر أمرك أن تقري في بيتك و أمرنا أن نجاهد و قد أتاني كتابك

---

(1) كذا في ا، و في ب: «لهم» .
(2) كذا في ا، و في ب: «فكتبت» .

فأمرتني أن أصنع خلاف ما أمرني الله فأكون قد صنعت ما أمرك الله به و صنعت ما أمرني الله به فأمرك عندي غير مطاع و كتابك غير مجاب و السلام .

روى هذين الكتابين شيخنا أبو عثمان عمرو بن بحر عن شيخنا أبي سعيد الحسن البصري . و ركبت عائشة يوم الحرب الجمل المسمى عسكرا في هودج قد ألبس الرفرف ثم ألبس جلود النمر ثم ألبس فوق ذلك دروع الحديد . **14- الشعبي عن مسلم بن أبي بكرة عن أبيه أبي بكرة قال لما قدم طلحة و الزبير البصرة تقلدت سيفي و أنا أريد نصرهما فدخلت على عائشة و إذا هي تأمر و تنهى و إذا الأمر أمرها فذكرت حديثا كنت سمعته عن 14رسول الله ص لن يفلح قوم تدبر أمرهم امرأة فانصرفت و اعتزلتهم . 14- و قد روي هذا الخبر على صورة أخرى أن قوما يخرجون بعدي في فئة رأسها امرأة لا يفلحون أبدا. 1- كان الجمل لواء عسكر البصرة لم يكن لواء غيره .**

خطبت عائشة و الناس قد أخذوا مصافهم للحرب فقالت أما بعد فإنا كنا نقمنا على عثمان ضرب السوط و إمرة الفتيان و مرتع السحابة المحمية ألا و إنكم استعتبتموه فأعتبكم فلما مصتموه [1] كما يماص الثوب الرحيض [2] عدوتم عليه فارتكبتم منه دما حراما و ايم الله إن كان لأحصنكم فرجا و أتقاكم لله .

---

(1) الموص: الغسل؛ كذا فسره صاحب اللسان، و استشهد بكلام عائشة.
(2) الرحيض: المغسول؛ و انظر النهاية لابن الأثير 1: 72.

خطب 1علي ع لما تواقف الجمعان فقال لا تقاتلوا القوم حتى يبدءوكم فإنكم بحمد الله على حجة و كفكم عنهم حتى يبدءوكم حجة أخرى و إذا قاتلتموهم فلا تجهزوا على جريح و إذا هزمتموهم فلا تتبعوا مدبرا و لا تكشفوا عورة و لا تمثلوا بقتيل و إذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترا و لا تدخلوا دارا و لا تأخذوا من أموالهم شيئا و لا تهيجوا امرأة بأذى و إن شتمن أعراضكم و سببن أمراءكم و صلحاءكم فإنهن ضعاف القوى [1] و الأنفس و العقول لقد كنا نؤمر بالكف عنهن و إنهن لمشركات و إن كان الرجل ليتناول المرأة بالهراوة و الجريدة فيعير بها و عقبه من بعده .

قتل بنو ضبة حول الجمل فلم يبق فيهم إلا من لا نفع عنده و أخذت الأزد بخطامه فقالت عائشة من أنتم قالوا الأزد قالت صبرا فإنما يصبر الأحرار ما زلت أرى النصر مع بني ضبة فلما فقدتهم أنكرته فحرضت الأزد بذلك فقاتلوا قتالا شديدا و رمي الجمل بالنبل حتى صارت القبة عليه كهيئة القنفذ .

قال 1علي ع لما فني الناس على خطام الجمل و قطعت الأيدي و سالت النفوس ادعوا لي الأشتر و عمارا فجاءا فقال اذهبا فاعقرا هذا الجمل فإن الحرب لا يبوخ [2] ضرامها ما دام حيا إنهم قد اتخذوه قبلة فذهبا و معهما فتيان من مراد يعرف أحدهما بعمر بن عبد الله فما زالا يضربان الناس حتى خلصا إليه فضربه المرادي على عرقوبيه فأقعى و له رغاء ثم وقع لجنبه و فر الناس من حوله فنادى 1علي ع اقطعوا

---

(1) في ب: «القوم» ، و ما أثبته من ا.
(2) لا يبوخ: لا يخمد.

أنساع الهودج ثم قال لمحمد بن أبي بكر اكفني أختك فحملها محمد حتى أنزلها دار عبد الله بن خلف الخزاعي .

بعث 1علي عبد الله بن عباس إلى عائشة يأمرها بالرحيل إلى المدينة قال فأتيتها [1] فدخلت عليها فلم يوضع لي شيء أجلس عليه فتناولت وسادة كانت في رحلها فقعدت عليها فقالت يا ابن عباس أخطأت السنة قعدت على وسادتنا في بيتنا بغير إذننا فقلت ليس هذا بيتك الذي أمرك الله أن تقري فيه و لو كان بيتك ما قعدت على وسادتك إلا بإذنك ثم قلت إن 1أمير المؤمنين أرسلني إليك يأمرك بالرحيل إلى المدينة فقالت و أين أمير المؤمنين ذاك عمر فقلت عمر و 1علي قالت أبيت قلت أما و الله ما كان أبوك إلا قصير المدة عظيم المشقة قليل المنفعة ظاهر الشؤم بين النكد و ما عسى أن يكون أبوك و الله ما كان أمرك إلا كحلب شاة حتى صرت لا تأمرين و لا تنهين و لا تأخذين و لا تعطين و ما كنت إلا كما قال أخو بني أسد

ما زال إهداء الصغائر بيننا # نث الحديث و كثرة الألقاب [2] حتى نزلت كأن صوتك بينهم # في كل نائبة طنين ذباب.

قال فبكت حتى سمع نحيبها من وراء الحجاب ثم قالت إني معجلة الرحيل إلى بلادي إن شاء الله تعالى و الله ما من بلد أبغض إلي من بلد أنتم فيه قلت و لم ذاك فو الله لقد جعلناك للمؤمنين أما و جعلنا أباك صديقا قالت يا ابن عباس أ تمن علي 1برسول الله قلت ما لي لا أمن عليك بمن لو كان منك لمننت به علي .

ثم أتيت 1عليا ع فأخبرته بقولها و قولي فسر بذلك و قال لي **ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَ اَللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** [3] و في رواية أنا كنت أعلم بك حيث بعثتك .

---

(1) ب «فلقيتها» ، و ما أثبته من ا.
(2) البيتان في ثمار القلوب 503، و نسبهما إلى حضرمى بن عامر، و هما أيضا في الحيوان 3: 315.
(3) سورة آل عمران 34.

1080 80 و من كلام له ع

أَيُّهَا اَلنَّاسُ اَلزَّهَادَةُ قِصَرُ اَلْأَمَلِ وَ اَلشُّكْرُ عِنْدَ [عَنِ] اَلنِّعَمِ وَ اَلتَّوَرُّعُ عِنْدَ اَلْمَحَارِمِ فَإِنْ عَزَبَ ذَلِكَ عَنْكُمْ فَلاَ يَغْلِبِ اَلْحَرَامُ صَبْرَكُمْ وَ لاَ تَنْسَوْا عِنْدَ اَلنِّعَمِ شُكْرَكُمْ فَقَدْ أَعْذَرَ اَللَّهُ إِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُسْفِرَةٍ ظَاهِرَةٍ وَ كُتُبٍ بَارِزَةِ اَلْعُذْرِ وَاضِحَةٍ (1) -. فسر ع لفظ **الزهادة** و هي الزهد بثلاثة أمور و هي قصر الأمل و شكر النعمة و الورع عن المحارم فقال لا يسمى الزاهد زاهدا حتى يستكمل هذه الأمور الثلاثة (2) - ثم قال **فإن عزب ذلك عنكم** أي بعد فأمران من الثلاثة لا بد منهما و هما الورع و شكر النعم جعلهما آكد و أهم من قصر الأمل .

و اعلم أن الزهد في العرف المشهور هو الإعراض عن متاع الدنيا و طيباتها لكنه لما كانت الأمور الثلاثة طريقا موطئة إلى ذلك أطلق ع لفظ الزهد عليها على وجه المجاز (3) - .

و قوله **فقد أعذر الله إليكم** أي بالغ يقال أعذر فلان في الأمر أي بالغ فيه و يقال ضرب فلان فأعذر أي أشرف على الهلاك و أصل اللفظة من العذر يريد أنه

قد أوضح لكم بالحجج النيرة المشرقة ما يجب اجتنابه و ما يجب فعله فإن خالفتم استوجبتم العقوبة فكان له في تعذيبكم العذر ـ

الآثار و الأخبار الواردة في الزهد

و الآثار الواردة في الزهد كثيرة **14- قال 14رسول الله ص أفلح الزاهد في الدنيا حظي بعز العاجلة و بثواب الآخرة. 14- و قال ص من أصبحت الدنيا همه و سدمه نزع الله الغنى من قلبه و صير الفقر بين عينيه و لم يأته من الدنيا إلا ما كتب له و من أصبحت الآخرة همه و سدمه نزع الله الفقر عن قلبه و صير الغنى بين عينيه و أتته الدنيا و هي راغمة. 14- و قال ع للضحاك بن سفيان ما طعامك قال اللحم و اللبن قال ثم يصير إلى ما ذا قال إلى ما علمت قال فإن الله ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا . 17- و كان الفضيل بن عياض يقول لأصحابه إذا فرغ من حديثه انطلقوا حتى أريكم الدنيا فيجيء بهم إلى المزبلة فيقول انظروا إلى عنبهم و سمنهم و دجاجهم و بطهم صار إلى ما ترون . 16- و من الكلام المنسوب إلى المسيح ع الدنيا قنطرة فاعبروها و لا تعمروها. 14- سئل 14رسول الله ص عن قوله سبحانه فَمَنْ يُرِدِ اَللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ**

يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلاَمِ [1] فقال إذا دخل النور القلب انفسح فذلك شرح الصدر فقيل أ فلذلك علامة يعرف بها قال نعم الإنابة إلى دار الخلود و التجافي عن دار الغرور و الاستعداد للموت قبل نزوله . **16- قالوا أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء اتخذ الدنيا ظئرا و اتخذ الآخرة أما. 17- الشعبي ما أعلم لنا و للدنيا مثلا إلا قول كثير**

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة # لدينا و لا مقلية إن تقلت [2] **.**

17- بعض الصالحين المستغني عن الدنيا بالدنيا كالمطفئ النار بالتبن . 13- و في بعض الكتب القديمة الإلهية قال الله للدنيا من خدمني فاخدميه و من خدمك فاستخدميه . 17- دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم و عليه مدرعة من صوف فقال ما هذه فسكت فأعاد عليه السؤال فقال أكره أن أقول زهدا فأزكي نفسي أو فقرا فأشكو ربي . 17- قيل في صفة الدنيا و الآخرة هما كضرتين إن أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى . 17- قيل لمحمد بن واسع إنك لترضى بالدون قال إنما رضي بالدون من رضي بالدنيا . 17- خطب أعرابي كان عاملا لجعفر بن سليمان على ضريةخطبة لم يسمع أوجز منها و لا أفصح فقال إن الدنيا دار بلاغ و إن الآخرة دار قرار فخذوا من ممركم لمستقركم و لا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم و أخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ففيها جئتم و لغيرها خلقتم إن المرء إذا هلك قال الناس ما ترك و قالت الملائكة ما قدم فلله آثاركم قدموا بعضا يكن لكم

---

(1) سورة الأنعام 125.
(2) من قصيدته التائية المشهورة؛ فى أمالي القالى 2: 107-110.

و لا تؤخروا كلا فيكون عليكم أقول قولي هذا و أستغفر الله و المدعو له الخليفة ثم الأمير جعفر و نزل . 17- أبو حازم الأعرج الدنيا كلها غموم فما كان فيها سرورا فهو ربح . 17- محمد بن الحنفية من عزت عليه نفسه هانت عليه الدنيا . 4- قيل 4لعلي بن الحسين ع من أعظم الناس خطرا قال من لم ير الدنيا لنفسه خطرا . 16- قال المسيح ع لأصحابه حب الدنيا رأس كل خطيئة و اقتناء المال فيها داء عظيم قالوا له كيف ذلك قال لا يسلم صاحبه من البغي و الكبر قيل فإن سلم منهما قال يشغله إصلاحه عن ذكر الله . 17- أشرف أبو الدرداء على أهل دمشق فقال يا أهل دمشق تبنون ما لا تسكنون و تجمعون ما لا تأكلون و تأملون ما لا تدركون أين من كان قبلكم بنوا شديدا و أملوا بعيدا و جمعوا كثيرا فأصبحت مساكنهم قبورا و جمعهم بورا و أملهم غرورا . 17- قال المأمون لو سئلت الدنيا عن نفسها لم تسطع أن تصف نفسها بأحسن من قول الشاعر

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت # له عن عدو في ثياب صديق [1] .

14- و قال رجل يا 14رسول الله كيف لي أن أعلم أمري قال إذا أردت شيئا من أمور الدنيا فعسر عليك فاعلم أنك بخير و إذا أردت شيئا من أمر الدنيا فيسر لك فاعلم أنه شر لك . 17- قال رجل ليونس بن عبيد إن فلانا يعمل بعمل الحسن البصري فقال و الله ما أعرف أحدا يقول بقوله فكيف يعمل بعمله قيل فصفه لنا قال كان إذا أقبل

---

(1) لأبى نواس. ديوانه 192.

فكأنه أقبل من دفن حبيب و إذا جلس فكأنه أسير أجلس لضرب عنقه و إذا ذكرت النار فكأنها لم تخلق إلا له . 17- و قال بعض الصالحين لرجل يا فلان هل أنت على حال أنت فيها مستعد للموت قال لا قال فهل أنت عالم بأنك تنتقل إلى حال ترضى به قال لا قال أ فتعلم بعد الموت دارا فيها مستعتب [1] قال لا قال أ فتأمن الموت أن يأتيك صباحا أو مساء قال لا قال أ فيرضى بهذه الحال عاقل . 17- و قال أبو الدرداء أضحكتني ثلاث و أبكتني ثلاث أضحكني مؤمل الدنيا و الموت يطلبه و غافل و ليس بمغفول عنه و ضاحك ملء فيه لا يدرى أ راض عنه الله أم ساخط و أبكاني فراق 14محمد و حزبه و أبكاني هول الموت و أبكاني هول الموقف يوم تبدو السرائر حين لا أدري أ يؤخذ بي إلى جنة أم إلى نار . 17- و كان عبد الله بن صغير يقول أ تضحك و لعل أكفانك قد خرجت من عند القصار و كان يقال من أتى الذنب ضاحكا دخل النار باكيا . 17- و كان مالك بن دينار يقول وددت أن رزقي في حصاة أمصها حتى أبول فلقد اختلفت إلى الخلاء حتى استحييت من ربي . 14- و قال 14رسول الله ص لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما ليس به بأس حذرا عما به البأس. 16- و قال المسيح ع بحق أقول لكم إن من طلب الفردوس فخبز الشعير و النوم على المزابل مع الكلاب له كثير. 17- و أوصى ابن محرز رجلا فقال إن استطعت أن تعرف و لا تعرف و تسأل و لا تسأل و تمشي و لا يمشى إليك فافعل .

(1) مستعتب: رضا.

1- و قال 1علي ع طوبى لمن عرف الناس و لم يعرفوه تعجلت له منيته و قل تراثه و فقد باكياته . 16- و كان يقال في الجوع ثلاث خصال حياة للقلب و مذلة للنفس و يورث العقل الدقيق من المعاني [1] . 17- و قال رجل لإبراهيم بن أدهم أريد أن تقبل مني دراهم قال إن كنت غنيا قبلتها منك و إن كنت فقيرا لم أقبلها قال فإني غني قال كم تملك قال ألفي درهم قال أ فيسرك أن تكون أربعة آلاف قال نعم قال لست بغني و دراهمك لا أقبلها . 17- و كان أبو حازم الأعرج إذا نظر إلى الفاكهة في السوق قال موعدك الجنة إن شاء الله تعالى . 17- و مر أبو حازم بالقصابين فقال له رجل منهم يا أبا حازم هذا سمين فاشتر منه قال ليس عندي دراهم قال أنا أنظرك قال فأفكر ساعة ثم قال أنا أنظر نفسي . 17- نزل الحجاج في يوم حار على بعض المياه و دعا بالغداء و قال لحاجبه انظر من يتغدى معي و اجهد ألا يكون من أهل الدنيا فرأى الحاجب أعرابيا نائما عليه شملة من شعر فضربه برجله و قال أجب الأمير فأتاه فدعاه الحجاج إلى الأكل فقال دعاني من هو خير من الأمير فأجبته قال من هو قال الله دعاني إلى الصوم فصمت قال أ في هذا اليوم الحار قال **نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا** قال أفطر و تصوم غدا قال إن ضمنت لي البقاء إلى غد قال ليس ذلك إلي قال فكيف أدع عاجلا لآجل لا تقدر عليه قال إنه طعام طيب قال إنك لم تطيبه و لا الخباز و لكن العافية طيبته لك . 17- و قال شبيب كنا سنة في طريق مكة فجاء أعرابي في يوم صائف شديد الحر

(1) بالأصول غموض، و لعلّ الصواب ما أثبته أو قريب منه.

و معه جارية سوداء و صحيفة فقال أ فيكم كاتب قلنا نعم و حضر غداؤنا فقلنا له لو دخلت فأصبت من طعامنا قال إني صائم قلنا الحر و شدته و جفاء البادية فقال إن الدنيا كانت و لم أكن فيها و ستكون و لا أكون فيها و ما أحب أن أغبن أمامي ثم نبذ إلينا الصحيفة فقال للكاتب اكتب و لا تزد على ما أمليه عليك هذا ما أعتق عبد الله بن عقيل الكلبي أعتق جارية له سوداء اسمها لؤلؤة ابتغاء وجه الله و جواز العقبة و إنه لا سبيل له عليها إلا سبيل الولاء و المنة لله علينا و عليها واحدة .

قال الأصمعي فحدث بذلك الرشيد فأمر أن يعتق عنه ألف نسمة و يكتب لهم هذا الكتاب . 17- و قال خالد بن صفوان بت ليلتي هذه أتمنى فكبست البحر الأخضر بالذهب الأحمر فإذا الذي يلقاني من ذلك رغيفان و كوزان و طمران [1] . 17- و رأى رجل رجلا من ولد معاوية يعمل على بعير له فقال هذا بعد ما كنتم فيه من الدنيا قال رحمك الله يا ابن أخي ما فقدنا إلا الفضول . ـ 17- و قال الحسن يا ابن آدم إنما أنت أيام مجموعة كلما ذهب يوم ذهب بعضك . 17- قال يونس الكاتب لو قيل بيت دريد في زاهد كان به جديرا

قليل التشكي للمصيبات ذاكر # من اليوم أعقاب الأحاديث في غد [2] .

17- و قال الحسن ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل . 17- و قال رجل للفضيل بن عياض ما أعجب الأشياء قال قلب عرف الله ثم عصاه . 17- قال وكيع ما أحسنت قط إلى أحد و لا أسأت إليه قيل كيف قال لأن الله تعالى قال **إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا** [3] .

---

(1) الطمر: الثوب الخلق.
(2) من كلمة له في ديوان الحماسة 2: 308 يرثى أخاه عبد اللّه.
(3) سورة الإسراء 7.

17- و قال الحسن لرجل إن استطعت ألا تسيء إلى أحد ممن تحبه فافعل قال الرجل يا أبا سعيد [1] أ و يسيء المرء إلى من يحبه قال نعم نفسك أحب النفوس إليك فإذا عصيت الله فقد أسأت إليها . 17- و كان مالك بن دينار إذا منع نفسه شيئا من الشهوات قال اصبري فو الله ما منعك [2] إلا لكرامتك علي . 14- قام 14رسول الله ص الليل حتى تورمت قدماه فقيل له يا 14رسول الله أ تفعل هذا و قد غفر الله مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ قال أ فلا أكون عبدا شكورا . 17- و قال عبد الله بن مسعود لا يكونن أحدكم جيفة ليله قطرب [3] نهاره . 16- و كان يقال من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار . 17- و كان مالك بن دينار يقول في قصصه ما أشد فطام الكبر و ينشد

أ تروض عرسك بعد ما هرمت # و من العناء رياضة الهرم.

و قال آخر

إن كنت تؤمن بالقيامة # و اجترأت على الخطيئة

فلقد هلكت و إن # جحدت فذاك أعظم للبلية.

---

(1) كنية الحسن البصرى.
(2) ج: «ما منعتك» .
(3) القطرب: دويبة لا تستريح نهارها سعيا.

1081 81 و من كلام له ع في صفة الدنيا

مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ وَ آخِرُهَا فَنَاءٌ فِي حَلاَلِهَا حِسَابٌ وَ فِي حَرَامِهَا عِقَابٌ مَنِ اِسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ وَ مَنِ اِفْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ وَ مَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ وَ مَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ وَ مَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ وَ مَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ.

قال الرضي رحمه الله أقول و إذا تأمل المتأمل قوله ع و من أبصر بها بصرته وجد تحته من المعنى العجيب و الغرض البعيد ما لا يبلغ غايته و لا يدرك غوره لا سيما إذا قرن إليه قوله و من أبصر إليها أعمته فإنه يجد الفرق بين أبصر بها و أبصر إليها واضحا نيرا و عجيبا باهرا (1) - **العناء** التعب (2) - و **ساعاها** جاراها سعيا (3) - و **واتته** طاوعته (4) - .

و نظر الرضي إلى قوله **أولها عناء و آخرها فناء** فقال

و أولنا العناء إذا طلعنا # إلى الدنيا و آخرنا الذهاب [1] .

- (5)

(1) ديوانه 1: 101.

و نظر إلى قوله ع **في حلالها حساب و في حرامها عقاب** بعض الشعراء فقال

الدهر يومان فيوم مضى # عنك بما فيه و يوم جديد

حلال يوميك حساب و في # حرام يوميك عذاب شديد

تجمع ما يأكله وارث # و أنت في القبر وحيد فريد

إني لغيري واعظ تارك # نفسي و قولي من فعالي بعيد

حلاوة الدنيا و لذاتها # تكلف العاقل ما لا يريد.

و من المعنى أيضا قول بعضهم

حلالها حسرة تفضي إلى ندم # و في المحارم منها الغنم منزور (1) -.

و نظر الحسن البصري إلى قوله ع **من استغنى فيها فتن و من افتقر فيها حزن** فقال و قد جاءه إنسان يبشره بمولود له ذكر ليهنك الفارس يا أبا سعيد فقال بل الراجل ثم قال لا مرحبا بمن إن كان غنيا فتنني و إن كان فقيرا أحزنني و إن عاش كدني و إن مات هدني ثم لا أرضى بسعيي له سعيا و لا بكدحي له كدحا حتى أهتم بما يصيبه بعد موتي و أنا في حال لا ينالني بمساءته حزن و لا بسروره جذل .

و نظر ابن المعتز إلى قوله ع **من ساعاها فاتته و من قعد عنها واتته** فقال الدنيا كظلك كلما طلبته زاد منك بعدا (2) - .

و نظرت إلى قوله ع **و من أبصر بها بصرته و من أبصر إليها أعمته** فقلت

دنياك مثل الشمس تدني إليك # الضوء لكن دعوة المهلك

إن أنت أبصرت إلى نورها # تعش و إن تبصر به تدرك.

فإن قلت المسموع أبصرت زيدا و لم يسمع أبصرت إلى زيد قلت يجوز أن يكون قوله ع **و من أبصر إليها** أي و من أبصر متوجها إليها كقوله **فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلىَ فِرْعَوْنَ** [1] و لم يقل مرسلا و يجوز أن يكون أقام ذلك مقام قوله نظر إليها لما كان مثله كما قالوا في دخلت البيت و دخلت إلى البيت أجروه مجرى ولجت إلى البيت لما كان نظيره

(1) سورة النمل 12.

1082 82 و من خطبة له ع و تسمى بالغراء

و هي من الخطب العجيبة اَلْحَمْدُ لِلَّهِ اَلَّذِي عَلاَ بِحَوْلِهِ وَ دَنَا بِطَوْلِهِ مَانِحِ كُلِّ غَنِيمَةٍ وَ فَضْلٍ وَ كَاشِفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَ أَزْلٍ أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ وَ سَوَابِغِ نِعَمِهِ وَ أُومِنُ بِهِ أَوَّلاً بَادِياً وَ أَسْتَهْدِيهِ قَرِيباً هَادِياً وَ أَسْتَعِينُهُ قَاهِراً قَادِراً وَ أَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِياً نَاصِراً وَ أَشْهَدُ أَنَّ 14مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ أَرْسَلَهُ لِإِنْفَاذِ أَمْرِهِ وَ إِنْهَاءِ عُذْرِهِ وَ تَقْدِيمِ نُذُرِهِ (1) -. **الحول** القوة (2) - و **الطول** الإفضال (3) - و **المانح** المعطي (4) - و **الأزل** بفتح الهمزة الضيق و الحبس (5) - و **العواطف** جمع عاطفة و هي ما يعطفك على الغير و يدنيه من معروفك (6) - و **السوابغ** التوام الكوامل سبغ الظل إذا عم و شمل (7) - .

و **أولا** هاهنا منصوب على الظرفية كأنه قال قبل كل شيء و الأول نقيض الآخر أصله أوءل على أفعل مهموز الوسط قلبت الهمزة واوا و أدغم يدل على ذلك قولهم هذا أول منك و الإتيان بحرف الجر دليل على أنه أفعل كقولهم هذا أفضل منك و جمعه على أوائل و أوال أيضا على القلب و قال قوم أصله وول على فوعل فقلبت الواو الأولى همزة و إنما لم يجمع على ووال لاستثقالهم اجتماع الواوين و بينهما ألف الجمع .

[1]ب: «أوال» تصحيف

و إذا جعلت الأول صفة لم تصرفه تقول لقيته عاما أول لاجتماع وزن الفعل و تقول ما رأيته مذ عام أول كلاهما بغير تنوين فمن رفع جعله صفة لعام كأنه قال أول من عامنا و من نصب جعله كالظرف كأنه قال مذ عام قبل عامنا فإن قلت ابدأ بهذا أول ضممته على الغاية (1) - .

و **الإنهاء** الإبلاغ أنهيت إليه الخبر فانتهى أي بلغ و المعنى أن الله تعالى أعذر إلى خلقه و أنذرهم فإعذاره إليهم أن عرفهم بالحجج العقلية و السمعية أنهم إن عصوه استحقوا العقاب فأوضح عذره لهم في عقوبته إياهم على عصيانه (2) - و إنذاره لهم تخويفه إياهم من عقابه و قد نظر البحتري إلى معنى قوله ع **علا بحوله و دنا بطوله** فقال

دنوت تواضعا و علوت قدرا # فشأناك انخفاض و ارتفاع [1] كذاك الشمس تبعد أن تسامى # و يدنو النور منها و الشعاع.

و في هذا الفصل ضروب من البديع فمنها أن **دنا** في مقابلة **علا** لفظا و معنى و كذلك **حوله** و **طوله** .

فإن قلت لا ريب في تقابل دنا و علا من حيث المعنى و اللفظ و أما حوله و طوله فإنهما يتناسبان لفظا و ليسا متقابلين معنى لأنهما ليسا ضدين كما في العلو و الدنو .

قلت بل فيهما معنى التضاد لأن الحول هو القوة و هي مشعرة بالسطوة و القهر و منه منشأ الانتقام و الطول الإفضال و التكرم و هو نقيض الانتقام و البطش .

فإن قلت أنت و أصحابك لا تقولون إن الله تعالى قادر بقدرة و هو عندكم قادر

(1) ديوانه 1: 82، يمدح إبراهيم بن المدبر.

لذاته فكيف تتأولون قوله ع **الذي علا بحوله** أ ليس في هذا إثبات قدرة له زائدة على ذاته و هذا يخالف مذهبكم .

قلت إن أصحابنا لا يمتنعون من إطلاق قولهم إن لله قوة و قدرة و حولا و حاش لله أن يذهب ذاهب منهم إلى منع ذلك و لكنهم يطلقونه و يعنون به حقيقته العرفية و هي كون الله تعالى قويا قادرا كما نقول نحن و المخالف إن لله وجودا و بقاء و قدما و لا نعني بذلك أن وجوده أو بقاءه أو قدمه معان زائدة على نفسه لكنا نعني كلنا بإطلاق هذه الألفاظ عليه كونه موجودا أو باقيا أو قديما و هذا هو العرف المستعمل في قول الناس لا قوة لي على ذلك و لا قدرة لي على فلان لا يعنون نفي المعنى بل يعنون كون الإنسان قادرا قويا على ذلك .

و منها أن **مانحا** في وزن **كاشف** و **غنيمة** بإزاء **عظيمة** في اللفظ و ضدها في المعنى و كذلك **فضل** و **أزل** .

و منها أن **عواطف** بإزاء **سوابغ** و **نعمه** بإزاء **كرمه (1) -** .

و منها و هو ألطف ما يستعمله أرباب هذا الصناعة أنه جعل **قريبا هاديا** مع قوله **أستهديه** لأن الدليل القريب منك أجدر بأن يهديك من البعيد النازح و لم يجعله مع قوله **و أستعينه** و جعل مع الاستعانة **قاهرا قادرا** لأن القادر القاهر يليق أن يستعان و يستنجد به و لم يجعله قادرا قاهرا مع التوكل عليه و جعل مع التوكل **كافيا ناصرا** لأن الكافي الناصر أهل لأن يتوكل عليه .

و هذه اللطائف و الدقائق من معجزاته ع التي فات بها البلغاء و أخرس الفصحاء ـ

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اَللَّهِ بِتَقْوَى اَللَّهِ اَلَّذِي ضَرَبَ لَكُمُ اَلْأَمْثَالَ وَ وَقَّتَ لَكُمُ اَلْآجَالَ وَ أَلْبَسَكُمُ اَلرِّيَاشَ وَ أَرْفَغَ لَكُمُ اَلْمَعَاشَ وَ أَحَاطَ [أَحَاطَكُمْ] بِكُمُ اَلْإِحْصَاءَ وَ أَرْصَدَ لَكُمُ اَلْجَزَاءَ وَ آثَرَكُمْ بِالنِّعَمِ اَلسَّوَابِغِ وَ اَلرِّفَدِ اَلرَّوَافِغِ وَ أَنْذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ اَلْبَوَالِغِ فَأَحْصَاكُمْ عَدَداً وَ وَظَّفَ لَكُمْ مُدَداً فِي قَرَارِ خِبْرَةٍ وَ دَارِ عِبْرَةٍ أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيهَا وَ مُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا (1) -. **وقت** و أقت بمعنى أي جعل الآجال لوقت مقدر (2) - .

و **الرياش** و الريش واحد و هو اللباس قال تعالى **يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَ رِيشاً** [1] .

و قرئ و رياشا و يقال الرياش الخصب و الغنى و منه ارتاش فلان حسنت حاله و يكون لفظ **ألبسكم** مجازا إن فسر بذلك (3) - .

و **أرفغ لكم المعاش** أي جعله رفيغا أي واسعا مخصبا يقال رفغ بالضم عيشه رفاغة اتسع فهو رافغ و رفيغ و ترفغ الرجل و هو في رفاغية من العيش مخففا مثل رفاهية و ثمانية (4) - .

و قوله **و أحاط بكم الإحصاء** يمكن أن ينصب الإحصاء على أنه مصدر فيه اللام و العامل فيه غير لفظه كقوله يعجبه السخون ثم قال حبا [2] و ليس

---

(1) سورة الأعراف 26.

(2) أصله قول الراجز، و أورده صاحب اللسان في (سخن) :

يعجبه السّخين و العصيد # و التّمر حبّا ما له مزيد.

.

دخول اللام بمانع من ذلك تقول ضربته الضربة كما تقول ضربته ضربا و يجوز أن ينصب بأنه مفعول به و يكون ذلك على وجهين .

أحدهما أن يكون من حاط ثلاثيا تقول حاط فلان كرمه أي جعل عليه حائطا فكأنه جعل الإحصاء و العد كالحائط المدار عليهم لأنهم لا يبعدون منه و لا يخرجون عنه .

و الثاني أن يكون من حاط الحمار عانته يحوطها بالواو أي جمعها فأدخل الهمزة كأنه جعل الإحصاء يحوطهم و يجمعهم تقول ضربت زيدا و أضربته أي جعلته ذا ضرب فلذلك كأنه جعل ع الإحصاء ذا تحويط عليهم بالاعتبار الأول أو جعله ذا جمع لهم بالاعتبار الثاني .

و يمكن فيه وجه آخر و هو أن يكون الإحصاء مفعولا له و يكون في الكلام محذوف تقديره و أحاط بكم حفظته و ملائكته للإحصاء و دخول اللام في المفعول له كثير كقوله

و الهول من تهول الهبور (1) - [1] .

قوله **و أرصد** يعني أعد و في الحديث إلا أن أرصده لدين علي (2) - .

و **آثركم** من الإيثار و أصله أن تقدم غيرك على نفسك في منفعة أنت قادر على الاختصاص بها و هو في هذا الموضع مجاز مستحسن (3) - .

و **الرفد** جمع رفدة مثل كسرة و كسر و فدرة و فدر و الرفدة و الرفد واحد و هي العطية و الصلة و رفدت فلانا رفدا بالفتح و المضارع أرفده بكسر الفاء و يجوز أرفدته بالهمزة .

و **الروافغ** الواسعة (4) - و **الحجج البوالغ** الظاهرة المبينة قال سبحانه **فَلِلَّهِ اَلْحُجَّةُ اَلْبَالِغَةُ** [2] .

- (5)

---

(1) للعجاج و قد ورد البيت محرفا في الأصول، و صوابه من الديوان 48.
(2) سورة الأنعام 149.

و وظف لكم مددا أي قدر و منه وظيفة الطعام (1) - .

و **قرار خبرة** بكسر الخاء أي دار بلاء و اختبار تقول خبرت زيدا أخبره خبرة بالضم فيهما و خبرة بالكسر إذا بلوته و اختبرته و منه قولهم صغر الخبر الخبر (2) - .

و دار عبرة أي دار اعتبار و اتعاظ (3) - و الضمير في **فيها** و **عليها** ليس واحدا فإنه في فيها يرجع إلى الدار و في عليها يرجع إلى النعم و الرفد و يجوز أن يكون الضمير في عليها عائدا إلى الدار على حذف المضاف أي على سكانها فَإِنَّ اَلدُّنْيَا رَنِقٌ مَشْرَبُهَا رَدِغٌ مَشْرَعُهَا يُونِقُ مَنْظَرُهَا وَ يُوبِقُ مَخْبَرُهَا غُرُورٌ حَائِلٌ وَ ضَوْءٌ آفِلٌ وَ ظِلٌّ زَائِلٌ وَ سِنَادٌ مَائِلٌ حَتَّى إِذَا أَنِسَ نَافِرُهَا وَ اِطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا وَ قَنَصَتْ بِأَحْبُلِهَا [أَحْلُبِهَا] وَ أَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا وَ أَعْلَقَتِ اَلْمَرْءَ أَوْهَاقَ اَلْمَنِيَّةِ قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْكِ اَلْمَضْجَعِ وَ وَحْشَةِ اَلْمَرْجِعِ وَ مُعَايَنَةِ اَلْمَحَلِّ وَ ثَوَابِ اَلْعَمَلِ .

وَ كَذَلِكَ اَلْخَلَفُ بِعَقْبِ اَلسَّلَفِ لاَ تُقْلِعُ اَلْمَنِيَّةُ اِخْتِرَاماً وَ لاَ يَرْعَوِي اَلْبَاقُونَ اِجْتِرَاماً يَحْتَذُونَ مِثَالاً وَ يَمْضُونَ أَرْسَالاً إِلَى غَايَةِ اَلاِنْتِهَاءِ وَ صَيُّورِ اَلْفَنَاءِ (4) -. يقال عيش رنق بكسر النون أي كدر و ماء رنق بالتسكين أي كدر و الرنق بفتح النون مصدر قولك رنق الماء بالكسر و رنقته أنا ترنيقا أي كدرته و الرواية

المشهورة في هذا الفصل **رنق مشربها** بالكسر أقامه مقام قولهم عيش رنق و من رواه رنق مشربها بالسكون و هم الأقلون أجرى اللفظ على حقيقته (1) - .

و يقال **مشرع ردغ** ذو طين و وحل روي الردغة بالتحريك و يجوز تسكين الدال و الجمع رداغ و ردغ (2) - [1] .

و **يونق منظرها** يعجب الناظر آنقني الشيء أعجبني (3) - و **يوبق مخبرها** يهلك وبق الرجل يبق وبوقا هلك و الموبق مفعل منه كالموعد مفعل من وعد يعد و منه قوله سبحانه **وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً** [2] و قد جاء وبق يبق بالكسر فيهما و هو نادر كورث يرث و جاء أيضا وبق يوبق وبقا (4) - .

و **الغرور** بضم الغين ما يغتر به من متاع الدنيا و الغرور بالفتح الشيطان و **الحائل** الزائل (5) - و **الآفل** الغائب أفل غاب يأفل و يأفل أفولا (6) - .

و **السناد** دعامة يسند بها السقف (7) - و **ناكرها** فاعل من نكرت كذا أي أنكرته (8) - .

و **قمصت بأرجلها** قمص الفرس و غيره يقمص و يقمص قمصا و قماصا أي استن و هو أن يرفع يديه و يطرحهما معا و يعجن برجليه و في المثل المضروب لمن ذل بعد عزة ما لعير من قماص .

و جمع فقال بأرجلها و إنما للدابة رجلان إما لأن المثنى قد يطلق عليه صيغة الجمع كما في قولهم امرأة ذات أوراك و مآكم و هما وركان و إما لأنه أجرى اليدين و الرجلين مجرى واحد فسماها كلها أرجلا و من رواه بالحاء فهو جمع رحل الناقة (9) - .

و أقصدت قتلت مكانها من غير تأخير .

(10) -

---

(1) و ردع، كخدم أيضا.
(2) سورة الكهف 52.

و **الأوهاق** جمع وهق بالتحريك و هو الحبل و قد يسكن مثل نهر و نهر و أعلقت المرء الأوهاق جعلت الأوهاق عالقة به (1) - و **الضنك** الضيق .

و **المضجع** المصدر أو المكان و الفعل ضجع الرجل جنبه بالأرض بالفتح يضجع ضجوعا و ضجعا فهو ضاجع و مثله أضجع (2) - .

و **المرجع** مصدر رجع و منه قوله تعالى **ثُمَّ إِلىَ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ** [1] و هو شاذ لأن المصادر من فعل يفعل بكسر العين إنما يكون بالفتح (3) - .

قوله **و معاينة المحل** أي الموضع الذي يحل به المكلف بعد الموت و لا بد لكل مكلف أن يعلم عقيب الموت مصيره أما إلى جنة و أما إلى نار (4) - .

و قوله **ثواب العمل** يريد جزاء العمل و مراده الجزاء الأعم الشامل للسعادة و الشقاوة لا الجزاء الأخص الذي هو جزاء الطاعة و سمى الأعم ثوابا على أصل الحقيقة اللغوية لأن الثواب في اللغة الجزاء يقال قد أثاب فلان الشاعر لقصيدة كذا أي جازاه (5) - .

و قوله **و كذلك الخلف بعقب السلف** الخلف المتأخرون و السلف المتقدمون و عقب هاهنا بالتسكين و هو بمعنى بعد جئت بعقب فلان أي بعده و أصله جري الفرس بعد جريه يقال لهذا الفرس عقب حسن و قال ابن السكيت يقال جئت في عقب شهر كذا بالضم إذا جئت بعد ما يمضي كله و جئت في عقب بكسر القاف إذا جئت و قد بقيت منه بقية و قد روي يعقب السلف أي يتبع (6) - .

و قوله **لا تقلع المنية** أي لا تكف و **الاختزام** إذهاب الأنفس و استئصالها .

(7) -

(1) سورة الأنعام 164.

و **ارعوى** كف عن الأمر و أمسك و أصل فعله الماضي رعى يرعو أي كف عن الأمر و فلان حسن الرعوة و الرعوة و الرعوة و الرعوى و الارعواء و **الاجترام** افتعال من الجرم و هو الذنب و مثله الجريمة يقال جرم و أجرم بمعنى (1) - .

قوله **يحتذون مثالا** أي يقتدون و أصله من حذوت النعل بالنعل حذوا إذا قدرت كل واحدة على صاحبها (2) - .

قوله **و يمضون أرسالا** بفتح الهمزة جمع رسل بفتح السين و هو القطيع من الإبل أو الغنم يقال جاءت الخيل أرسالا أي قطيعا قطيعا (3) - .

و **صبور** الأمر آخره و ما يئول إليه حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ اَلْأُمُورُ وَ تَقَضَّتِ اَلدُّهُورُ وَ أَزِفَ اَلنُّشُورُ أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ اَلْقُبُورِ وَ أَوْكَارِ اَلطُّيُورِ وَ أَوْجِرَةِ اَلسِّبَاعِ وَ مَطَارِحِ اَلْمَهَالِكِ سِرَاعاً إِلَى أَمْرِهِ مُهْطِعِينَ إِلَى مَعَادِهِ رَعِيلاً صُمُوتاً قِيَاماً صُفُوفاً يَنْفُذُهُمُ اَلْبَصَرُ وَ يُسْمِعُهُمُ اَلدَّاعِي عَلَيْهِمْ لَبُوسُ اَلِاسْتِكَانَةِ وَ ضَرَعُ اَلِاسْتِسْلاَمِ وَ اَلذِّلَّةِ قَدْ ضَلَّتِ اَلْحِيَلُ وَ اِنْقَطَعَ اَلْأَمَلُ وَ هَوَتِ اَلْأَفْئِدَةُ كَاظِمَةً **وَ خَشَعَتِ اَلْأَصْوَاتُ** مُهَيْنِمَةً وَ أَلْجَمَ اَلْعَرَقُ وَ عَظُمَ اَلشَّفَقُ وَ أُرْعِدَتِ اَلْأَسْمَاعُ لِزَبْرَةِ اَلدَّاعِي إِلَى فَصْلِ اَلْخِطَابِ وَ مُقَايَضَةِ اَلْجَزَاءِ وَ نَكَالِ اَلْعِقَابِ وَ نَوَالِ اَلثَّوَابَ (4) - . ـ

تصرمت الأمور تقطعت و مثله **تقضت الدهور (1) -** و **أزف** قرب و دنا يأزف أزفا و منه قوله تعالى **أَزِفَتِ اَلْآزِفَةُ** [1] أي القيامة الفاعل آزف (2) - .

و **الضرائح** جمع ضريح و هو الشق في وسط القبر و اللحد ما كان في جانب القبر و ضرحت ضرحا إذا حفرت الضريح (3) - .

و **الأوكار** جمع وكر يفتح الواو و هو عش الطائر و جمع الكثرة وكور وكر الطائر يكر وكرا أي دخل وكره و الوكن بالفتح مثل الوكر أي العش (4) - .

و أوجرة السباع جمع وجار بكسر الواو و يجوز فتحها و هو بيت السبع و الضبع و نحوهما (5) - .

مهطعين مسرعين (6) - و **الرعيل** القطعة من الخيل (7) - .

قوله ع **ينفذهم البصر و يسمعهم الداعي** أي هم مع كثرتهم لا يخفى منهم أحد عن إدراك البارئ سبحانه و هم مع هذه الكثرة أيضا لا يبقى منهم أحد إلا إذا دعا داعي الموت سمع دعاءه و نداءه (8) - .

و **اللبوس** بفتح اللام ما يلبس قال

البس لكل حالة لبوسها # إما نعيمها و إما بوسها [2] .

و منه قوله تعالى **وَ عَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ** [3] يعني الدروع .

و **الاستكانة** الخضوع و **الضرع** الخشوع و الضعف ضرع الرجل يضرع و أضرعه غيره (9) - .

و **كاظمته** ساكته كظم يكظم كظوما أي سكت و قوم كظم أي ساكتون .

- (10)

---

(1) سورة النجم 57.
(2) أنشده ابن السكيت لبيهس الفزارى، في خبر ذكره صاحب اللسان في 8: 87.
(3) سورة الأنبياء 81.

و **مهينمة** ذات هينمة و هي الصوت الخفي (1) - **و ألجم العرق** صار لجاما **16- و في الحديث إن العرق ليجري منهم حتى إن منهم من يبلغ ركبتيه و منهم من يبلغ صدره و منهم من يبلغ عنقه و منهم من يلجمه و هم أعظمهم مشقة.** و قال لي قائل ما أرى **16- لقوله ع المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة .** كثير فائدة لأن طول العنق جدا ليس مما يرغب في مثله فذكرت له الخبر الوارد في العرق و قلت إذا كان الإنسان شديد طول العنق كان عن إلجام العرق أبعد فظهرت فائدة الخبر .

و يروى و أنجم العرق أي كثر و دام (2) - .

و **الشفق** و الشفقة بمعنى و هو الاسم من الإشفاق و هو الخوف و الحذر قال الشاعر

تهوى حياتي و أهوى موتها شفقا # و الموت أكرم نزال على الحرم (3) - [1] .

و **أرعدت الأسماع** عرتها الرعدة و **زبرة الداعي** صدته و لا يقال الصوت زبرة إلا إذا خالطه زجر و انتهار زبرته أزبره بالضم (4) - .

و قوله **إلى فصل الخطاب** إلى هاهنا يتعلق بالداعي و فصل الخطاب بت الحكومة التي بين الله و بين عباده في الموقف رزقنا الله المسامحة فيها بمنه و إنما خص الأسماع بالرعدة لأنها تحدث من صوت الملك الذي يدعو الناس إلى محاسبته (5) - .

و **المقايضة** المعاوضة قايضت زيدا بالمتاع و هما قيضان كما قالوا بيعان .

فإن قلت كيف يصح ما ذكره المسلمون من حشر الأجساد و كيف يمكن ما أشار إليه ع من جمع الأجزاء البدنية من أوكار الطيور و أوجرة السباع و معلوم أنه قد يأكل الإنسان سبع و يأكل ذلك السبع إنسان آخر و يأكل هذا الإنسان طائر ثم يأكل الطائر إنسان آخر و المأكول يصير أجزاء من أجزاء بدن الآكل فإذا حشرت

(1) لإسحاق بن خلف، من أبيات له في ديوان الحماسة-بشرح التبريزى 1: 275.

الحيوانات كلها على ما تزعم المعتزلة فتلك الأجزاء المفروضة إما أن تحشر أجزاء من بنية الإنسان أو بنية السبع أو منهما معا فإن كان الأول وجب إلا يحشر السبع و إن كان الثاني وجب ألا يحشر الإنسان و الثالث محال عقلا لأن الجزء الواحد لا يكون في موضعين .

قلت إن في بدن كل إنسان و كل حيوان أجزاء أصلية و أجزاء زائدة فالأجزاء الزائدة يمكن أن تصير أجزاء بدن حيوان إذا اغتذى بها و الأجزاء الأصلية لا يمكن ذلك فيها بل يحرسها الله تعالى من الاستحالة و التغيير و إذا كان كذلك أمكن الحشر بأن تعاد الأجزاء الأصلية إلى موضعها الأول و لا فساد في استحالة الأجزاء الزائدة لأنه لا يجب حشرها لأنها ليست أصل بنية المكلف فاندفع الأشكال و أما من يقول بالنفس الناطقة من أهل الملة فلا يلزمه الجواب عن السؤال لأنه يقول إن الأنفس إذا أزف يوم القيامة خلقت لها أبدان غير الأبدان الأولى لأن المكلف المطيع و العاصي المستحق للثواب و العقاب عندهم هو النفس و أما البدن فآلة لها نستعمله استعمال الكاتب للقلم و النجار للفأس عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ اِقْتِدَاراً وَ مَرْبُوبُونَ اِقْتِسَاراً وَ مَقْبُوضُونَ اِحْتِضَاراً وَ مُضَمِّنُونَ مُضَمَّنُونَ أَجْدَاثاً وَ كَائِنُونَ رُفَاتاً وَ مَبْعُوثُونَ أَفْرَاداً وَ مَدِينُونَ جَزَاءً وَ مُمَيَّزُونَ حِسَاباً قَدْ أُمْهِلُوا فِي طَلَبِ اَلْمَخْرَجِ وَ هُدُوا سَبِيلَ اَلْمَنْهَجِ وَ عُمِّرُوا مَهَلَ اَلْمُسْتَعْتَبِ وَ كُشِفَتْ عَنْهُمْ سُدَفُ اَلرِّيَبِ وَ خُلُّوا لِمِضْمَارِ اَلْجِيَادِ [اَلْخِيَارِ] وَ رَوِيَّةِ اَلِارْتِيَادِ وَ أَنَاةِ اَلْمُقْتَبِسِ [اَلْمُقْتَبِينَ] اَلْمُرْتَادِ [اَلْمُتَّقِينَ] فِي مُدَّةِ اَلْأَجَلِ وَ مُضْطَرَبِ اَلْمَهَلِ (1) -.

مربوبون مملوكون و **الاقتسار** الغلبة و القهر (1) - .

و **الاحتضار** حضور الملائكة عند الميت و هو حينئذ محتضر و كانت العرب تقول لبن محتضر أي فاسد ذو آفة يعنون أن الجن حضرته يقال اللبن محتضر فغط إناءك (2) - .

و **الأجداث** جمع جدث و هو القبر و اجتدث الرجل اتخذ جدثا و يقال جدف بالفاء (3) - .

و **الرفات** الحطام تقول منه رفت الشيء فهو مرفوت (4) - .

و **مدينون** أي مجزيون و الدين الجزاء و منه **مَالِكِ يَوْمِ اَلدِّينِ (5) -** [1] .

و **مميزون حسابا** من قوله تعالى **وَ اِمْتَازُوا اَلْيَوْمَ أَيُّهَا اَلْمُجْرِمُونَ** [2] و من قوله تعالى **وَ كُنْتُمْ أَزْوَاجاً ثَلاَثَةً (6) -** [3] كما أن قوله و **مبعوثون أفرادا** مأخوذ من قوله تعالى **وَ لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادىٰ** [4] و أصل التمييز على الفصل و التبيين (7) - .

قوله **قد أمهلوا في طلب المخرج** أي انظروا ليفيئوا إلى الطاعة و يخلصوا التوبة لأن إخلاص التوبة هو المخرج الذي من سلكه خرج من ربقة المعصية و مثله قوله **و هدوا سبيل المنهج** و المنهج الطريق الواضح (8) - .

و **المستعتب** المسترضى استعتبت زيدا إذا استرضيته عني فأنا مستعتب له و هو مستعتب و أعتبني أي أرضاني و إنما ضرب المثل بمهل المستعتب لأن من يطلب رضاه في مجرى العادة لا يرهق بالتماس الرضا منه و إنما يمهل ليرضى بقلبه لا بلسانه (9) - .

و **السدف** جمع سدفة هي القطعة من الليل المظلم هذا في لغة أهل نجد و أما غيرهم

---

(1) سورة الفاتحة 3.
(2) سورة يس 59.
(3) سورة الواقعة 7.
(4) سورة الأنعام 94.

فيجعل السدفة الضوء و هذا اللفظ من الأضداد و كذلك السدف بفتح السين و الدال .

و قد قيل السدفة اختلاط الضوء و الظلمة كوقت ما بين طلوع الفجر إلى الإسفار و السدف الصبح و إقباله و أسدف الليل أظلم و أسدف الصبح أضاء يقال أسدف الباب أي افتحه حتى يضيء البيت و في لغة هوازن أسدفوا أي أسرجوا من السراج و الريب الشبهة جمع ريبة (1) - .

و **المضمار** الموضع الذي تضمر فيه الخيل و **المضمار** أيضا المدة التي تضمر فيها .

و التضمير أن تعلف الفرس حتى يسمن ثم ترده إلى قوته الأولى و ذلك في أربعين يوما و قد يطلق التضمير على نقيض ذلك و هو التجويع حتى يهزل و يخف لحمه ضمر الفرس بالفتح يضمر بالضم ضمورا و جاء ضمر الفرس بالضم و أضمرته أنا و ضمرته فاضطمر هو و لؤلؤ مضطمر في وسطه بعض الانضمام رجل لطيف الجسم ضمير البطن و ناقة ضامر و ضامرة أيضا يقول مكنهم الحكيم سبحانه و خلاهم و أعمالهم كما تمكن الخيل التي تستبق في المضمار ليعلم أيها أسبق (2) - .

و **الروية** الفكرة و **الارتياد** الطلب ارتاد فلان الكلأ يرتاده ارتيادا طلبه و مثله راد الكلأ يروده رودا و ريادا **16- و في الحديث إذا بال أحدكم فليرتد لبوله.** أي فليطلب مكانا لينا أو منحدرا و الرائد الذي يرسله القوم في طلب الكلإ و في المثل الرائد لا يكذب أهله و الأناة التؤدة و الانتظار مثل القناة .

و تأنى في الأمر ترفق و استأنى فلان بفلان أي انتظر به و جاء الأناء بالفتح و المد على فعال قال الحطيئة

و أكريت العشاء إلى سهيل # أو الشعرى فطال بي الأناء (3) - [1] .

و **المقتبس** متعلم العلم هاهنا و لا بد له من أناة و مهل ليبلغ حاجته فضرب مثلا و جاء

(1) ديوانه 25.

في بعض الروايات و مقبوضون اختضارا بالخاء المعجمة و هو موت الشاب غضا أخضر أي مات شابا و كان فتيان يقولون لشيخ أ جززت يا أبا فلان فيقول أي بني و تختضرون أجز الحشيش آن أن يجز و منه قيل للشيخ كاد يموت قد أجز و الرواية الأولى أحسن لأنها أعم .

و في رواية لمضمار الخيار أي للمضمار الذي يستبق فيه الأبرار الأتقياء إلى رضوان الله سبحانه ـ : فَيَا لَهَا أَمْثَالاً صَائِبَةً وَ مَوَاعِظَ شَافِيَةً لَوْ صَادَفَتْ قُلُوباً زَاكِيَةً وَ أَسْمَاعاً وَاعِيَةً وَ آرَاءً عَازِمَةً وَ أَلْبَاباً حَازِمَةً فَاتَّقُوا اَللَّهَ تَقِيَّةَ مَنْ سَمِعَ فَخَشَعَ وَ اِقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ وَ وَجِلَ فَعَمِلَ وَ حَاذَرَ فَبَادَرَ وَ أَيْقَنَ فَأَحْسَنَ وَ عُبِّرَ فَاعْتَبَرَ وَ حُذِّرَ فَحَذِرَ وَ زُجِرَ فَازْدَجَرَ وَ أُجَابَ فَأَنَابَ وَ رَاجَعَ [رَجَعَ] فَتَابَ وَ اِقْتَدَى فَاحْتَذَى وَ أُرِيَ فَرَأَى فَأَسْرَعَ طَالِباً وَ نَجَا هَارِباً فَأَفَادَ ذَخِيرَةً وَ أَطَابَ سَرِيرَةً وَ عَمَّرَ مَعَاداً وَ اِسْتَظْهَرَ زَاداً لِيَوْمِ رَحِيلِهِ وَ وَجْهِ سَبِيلِهِ وَ حَالِ حَاجَتِهِ وَ مَوْطِنِ فَاقَتِهِ وَ قَدَّمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مُقَامِهِ فَاتَّقُوا اَللَّهَ عِبَادَ اَللَّهِ جِهَةَ مَا خَلَقَكُمْ لَهُ وَ اِحْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ وَ اِسْتَحِقُّوا مِنْهُ مَا أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّنَجُّزِ لِصِدْقِ مِيعَادِهِ وَ اَلْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعَادِهِ (1) -. **صائبة** غير عادلة عن الصواب صاب السهم يصوب صوبة أي قصد و لم يجر

و صاب السهم القرطاس يصيبه صبيا لغة في أصابه و في المثل مع الخواطئ سهم صائب (1) - .

و **شافية** تبرئ من مرض الجهل و الهوى (2) - و **القلوب الزاكية** الطاهرة (3) - و **الأسماع الواعية** الحافظة (4) - و **الآراء العازمة** ذات العزم (5) - و **الألباب** العقول و **الحازمة** ذات الحزم و الحزم ضبط الرجل أمره (6) - .

و **خشع** الرجل أي خضع (7) - **و اقترف** اكتسب و مثله قرف يقرف بالكسر يقال هو يقرف لعياله أي يكسب (8) - .

و **وجل** الرجل خاف وجلا بفتح الجيم و مستقبلة يوجل و يأجل و ييجل و ييجل بكسر الياء المضارعة (9) - .

و **بادر** سارع (10) - و **عبر** أي أري العبر مرارا كثيرة لأن التشديد هاهنا دليل التكثير .

فاعتبر أي فاتعظ (11) - و **الزجر** النهي و المنع زجر أي منع و **ازدجر** مطاوع ازدجر اللفظ فيهما واحد تقول ازدجرت زيدا عن كذا فازدجر هو و هذا غريب و إنما جاء مطاوع ازدجر في زجر لأنهما كالشيء الواحد و في بعض الروايات ازدجر فازدجر فلا يحتاج مع هذه الرواية إلى تأويل (12) - .

و **أناب** الرجل إلى الله أي أقبل و تاب (13) - و **اقتدى** بزيد فعل مثل فعله و **احتذى** مثله (14) - .

قوله ع **فأفاد ذخيرة** أي فاستفاد و هو من الأضداد أفدت المال زيدا أعطيته إياه و أفدت أنا مالا أي استفدته و اكتسبته (15) - .

قوله ع **فاتقوا الله عباد الله جهة ما خلقكم له** نصب جهة بفعل مقدر تقديره و اقصدوا **جهة ما خلقكم له** يعني العبادة لأنه تعالى قال **وَ مَا خَلَقْتُ اَلْجِنَّ وَ اَلْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** [1] فحذف الفعل و استغنى عنه بقوله **فاتقوا الله** لأن التقوى

(1) سورة الذاريات 96.

ملازمة لقصد المكلف العبادة فدلت عليه و استغنى بها عن إظهاره (1) - .

و **الكنه** الغاية و النهاية تقول أعرفه كنه المعرفة أي نهايتها (2) - .

ثم قال ع **و استحقوا منه ما أعد لكم** أي اجعلوا أنفسكم مستحقين لثوابه الذي أعده لكم إن أطعتم .

و الباء في **بالتنجز** متعلق باستحقوا و يقال فلان يتنجز الحاجة أي يستنجحها و يطلب تعجلها و الناجز العاجل يقال ناجزا بناجز كقولك يدا بيد أي تعجيلا بتعجيل و التنجز من المكلفين بصدق ميعاد القديم سبحانه و هو مواظبتهم على فعل الواجب و تجنب القبيح (3) - و **و الحذر** مجرور بالعطف على التنجز لا على الصدق لأنه لا معنى له وَ مِنْهَا جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعاً لِتَعِيَ مَا عَنَاهَا وَ أَبْصَاراً لِتَجْلُوَ عَنْ عَشَاهَا وَ أَشْلاَءً جَامِعَةً لِأَعْضَائِهَا مُلاَئِمَةً لِأَحْنَائِهَا فِي تَرْكِيبِ صُوَرِهَا وَ مُدَدِ عُمُرِهَا بِأَبْدَانٍ قَائِمَةٍ بِأَرْفَاقِهَا وَ قُلُوبٍ رَائِدَةٍ [بَائِدَةٍ] لِأَرْزَاقِهَا فِي مُجَلِّلاَتِ نِعَمِهِ وَ مُوجِبَاتِ مِنَنِهِ وَ حَوَاجِزِ [جَوَائِزِ] عَافِيَتِهِ وَ قَدَّرَ لَكُمْ أَعْمَاراً سَتَرَهَا عَنْكُمْ وَ خَلَّفَ لَكُمْ عِبَراً مِنْ آثَارِ الْمَاضِينَ قَبْلَكُمْ مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلاَقِهِمْ وَ مُسْتَفْسَحِ خَنَاقِهِمْ أَرْهَقَتْهُمُ الْمَنَايَا دُونَ الْآمَالِ وَ شَذَّبَهُمْ عَنْهَا تَخَرُّمُ الْآجَالِ لَمْ يَمْهَدُوا فِي سَلاَمَةِ الْأَبْدَانِ وَ لَمْ يَعْتَبِرُوا فِي أُنُفِ الْأَوَانِ (4) -.

قوله **لتعي ما عناها** أي لتحفظ و تفهم ما أهمها **16- و منه الأثر المرفوع من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه (1) -.** و **لتجلو** أي لتكشف .

و **عن** هاهنا زائدة و يجوز أن تكون بمعنى بعد كما قال

لقحت حرب وائل عن حيال [1] .

أي بعد حيال فيكون قد حذف المفعول و حذفه جائز لأنه فضله و يكون التقدير **لتجلو** الأذى **بعد عشاها** و العشى مقصور مصدر عشي بكسر الشين يعشى فهو عش إذا أبصر نهارا و لم يبصر ليلا (2) - .

و **الأشلاء** جمع شلو و هو العضو .

فإن قلت فأي معنى في قوله أعضاء تجمع أعضاء **تجمع أعضاءها** و كيف يجمع الشيء نفسه قلت أراد ع **بالأشلاء** هاهنا الأعضاء الظاهرة و بالأعضاء الجوارح الباطنة و لا ريب أن الأعضاء الظاهرة تجمع الأعضاء الباطنة و تضمها (3) - و **الملاءمة** الموافقة و **الأحناء** الجوانب و الجهات و وجه الموافقة و الملاءمة أن كون اليد في الجانب أولى من كونها في الرأس أو في أسفل القدم لأنها إذا كانت في الجانب كان البطش و تناول ما يراد و دفع ما يؤذى أسهل و كذلك القول في جعل العين في الموضع الذي جعلت به لأنها كديدبان السفينة البحرية و لو جعلت في أم الرأس لم ينتفع بها هذا الحد من الانتفاع الآن و إذا تأملت سائر أدوات الجسد و أعضائه وجدتها كذلك .

---

(1) للحارث بن عباد؛ و أوله: *قرّبا مربط النعامة منّى*.

.

ثم قال **في تركيب صورها** كأنه قال مركبة أو مصورة فأتى بلفظه في كما تقول ركب بسلاحه و في سلاحه أي متسلحا (1) - .

و قوله **بأرفاقها** أي بمنافعها جمع رفق بكسر الراء مثل حمل و أحمال و أرفقت فلانا أي نفعته و المرفق من الأمر ما ارتفقت به و انتفعت و يروى بأرماقها و الرمق بقية الروح (2) - .

و **رائدة** طالبة (3) - و **مجللات النعم** تجلل الناس أي تعمهم من قولهم سحاب مجلل أي يطبق الأرض و هذا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف كقولك أنا في سابغ ظلك و عميم فضلك كأنه قال في نعمه المجللة و كذلك القول في **موجبات مننه** أي في مننه التي توجب الشكر .

و **في** هاهنا متعلقة بمحذوف و الموضع نصب على الحال (4) - .

ثم قال **و حواجز عافيته** الحواجز الموانع أي في عافية تحجز و تمنع عنكم المضار .

و يروى و حواجز بليته و قد فسر قوله **حواجز عافيته** على أن يراد به ما يحجز العافية و يمنعها عن الزوال و العدم (5) - .

قوله ع **من مستمتع خلاقهم** الخلاق النصيب قال تعالى **وَ مَا لَهُ فِي اَلْآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ** [1] و قال تعالى **فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاَقِكُمْ كَمَا اِسْتَمْتَعَ اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاَقِهِمْ (6) -** [2] و تقدير الكلام **خلف لكم عبرا** من القرون السالفة منها تمتعهم بنصيبهم من الدنيا ثم فناؤهم (7) - و منها **فسحة خناقهم** [3] و طول إمهالهم ثم كانت عاقبتهم الهلكة (8) - .

و **أرهقتهم المنايا** أدركتهم مسرعة .

---

(1) سورة البقرة 200.
(2) سورة التوبة 69.
(3) الخناق، بالفتح: حبل يختنق به.

و المرهق الذي أدرك ليقتل (1) - **و شذبهم عنها** قطعهم و فرقهم من تشذيب الشجرة و هو تقشيرها .

و تخرمت زيدا المنية استأصلته و اقتطعته (2) - .

ثم قال **لم يمهدوا في سلامة الأبدان** أي لم يمهدوا لأنفسهم من تمهيد الأمور و هو تسويتها و إصلاحها (3) - .

و **أنف الأوان** أوله يقال روضة أنف لم ترع قبل و كأس أنف لم يشرب بها قبل فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضَاضَةِ اَلشَّبَابِ إِلاَّ حَوَانِيَ اَلْهَرَمِ وَ أَهْلُ غَضَارَةِ اَلصِّحَّةِ إِلاَّ نَوَازِلَ اَلسَّقَمِ وَ أَهْلُ مُدَّةِ اَلْبَقَاءِ إِلاَّ آوِنَةَ [أَوْبَةَ] اَلْفَنَاءِ مَعَ قُرْبِ اَلزِّيَالِ [اَلزَّوَالِ] وَ أُزُوفِ اَلِانْتِقَالِ وَ عَلَزِ اَلْقَلَقِ وَ أَلَمِ اَلْمَضَضِ وَ غُصَصِ اَلْجَرَضِ وَ تَلَفُّتِ اَلِاسْتِغَاثَةِ بِنُصْرَةِ اَلْحَفَدَةِ وَ اَلْأَقْرِبَاءِ وَ اَلْأَعِزَّةِ وَ اَلْفُرَنَاءِ فَهَلْ دَفَعَتِ اَلْأَقَارِبُ أَوْ نَفَعَتِ اَلنَّوَاحِبُ وَ قَدْ غُودِرَ فِي مَحَلَّةِ اَلْأَمْوَاتِ رَهِيناً وَ فِي ضِيقِ اَلْمَضْجَعِ وَحِيداً قَدْ هَتَكَتِ اَلْهَوَامُّ جِلْدَتَهُ وَ أَبْلَتِ اَلنَّوَاهِكُ جِدَّتَهُ وَ عَفَتِ اَلْعَوَاصِفُ آثَارَهُ وَ مَحَا اَلْحَدَثَانُ مَعَالِمَهُ وَ صَارَتِ اَلْأَجْسَادُ شَحِبَةً بَعْدَ بَضَّتِهَا وَ اَلْعِظَامُ نَخِرَةً بَعْدَ قُوَّتِهَا وَ اَلْأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةً بِثِقَلِ أَعْبَائِهَا مُوقِنَةً بِغَيْبِ أَنْبَائِهَا لاَ تُسْتَزَادُ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا وَ لاَ تُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّئِ زَلَلِهَا (4) - . ـ

البضاضة مصدر من بضضت يا رجل بضضت بالفتح و الكسر بضاضة و بضوضة و رجل بض أي ممتلئ البدن رقيق الجلد و امرأة بضة .

و **حواني الهرم** جمع حانية و هي العلة التي تحني شطاط [1] الجسد و تميله عن الاستقامة .

و الهرم الكبر (1) - و **الغضارة** طيب العيش و منه المثل أباد الله غضراءهم أي خيرهم و خصبهم (2) - .

و **آونة الفناء** جمع أوان و هو الحين كزمان و أزمنة و فلان يصنع ذلك الأمر آونة كقولك تارات أي يصنعه مرارا و يدعه مرارا (3) - .

و **الزيال** مصدر زايله مزايلة و زيالا أي فارقه (4) - .

و **الأزوف** مصدر أزف أي دنا (5) - .

و **العلز** قلق و خفة و هلع يصيب الإنسان و قد علز بالكسر و بات علزا أي وجعا **قلقا (6) -** و **المضض** الوجع أمضني الجرح و مضني لغتان و قد مضضت يا رجل بالكسر (7) - .

و **الغصص** جمع غصة و هي الشجا و الغصص بالفتح مصدر قولك غصصت يا رجل تغص بالطعام فأنت غاص و غصان و أغصصته أنا .

و **الجريض** الريق يغص به جرض بريقه بالفتح يجرض بالكسر مثل كسر يكسر و هو أن يبلع ريقه على هم و حزن بالجهد و الجريض الغصة و في المثل حال

---

(1) الشطاط، بالفتح و الكسر: الطول و اعتدال القوام.

الجريض دون القريض و فلان يجرض بنفسه إذا كان يموت و أجرضه الله بريقه أغصه (1) - .

و **الحفدة** الأعوان و الخدم و قيل ولد الولد واحدهم حافد و الباء في **بنصرة الحفدة** متعلق بالاستعانة يقول إن الميت عند نزول الأمر به يتلفت مستغيثا بنصرة أهله و ولده أي يستنصر يستصرخ بهم (2) - .

و **النواحب** جمع ناحبة و هي الرافعة صوتها بالبكاء و يروى النوادب (3) - .

و **الهوام** جمع هامة و هي ما يخاف ضرره من الأحناش كالعقارب و العناكب و نحوها (4) - و **النواهك** جمع ناهكة و هي ما ينهك البدن أي يبليه (5) - .

و **عفت** درست و يروى بالتشديد (6) - و **شحبة** هالكة و الشحب الهلاك شحب الرجل بالكسر يشحب و جاء شحب بالفتح يشحب بالضم أي هلك و شحبة الله يشحبه يتعدى و لا يتعدى (7) - .

و **نخرة** بالية (8) - و **الأعباء** الأثقال واحدها عبء (9) - .

و قال **موقنة بغيب أنبائها** لأن الميت يعلم بعد موته ما يصير إليه حاله من جنة أو نار (10) - .

ثم قال إنها لا تكلف بعد ذلك زيادة في العمل الصالح و لا يطلب منها التوبة من العمل القبيح لأن التكليف قد بطل أَ وَ لَسْتُمْ أَبْنَاءَ اَلْقَوْمِ وَ اَلْآبَاءَ وَ إِخْوَانَهُمْ وَ اَلْأَقْرِبَاءَ تَحْتَذُونَ أَمْثِلَتَهُمْ وَ تَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ وَ تَطَئُونَ جَادَّتَهُمْ فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا لاَهِيَةٌ عَنْ رُشْدِهَا

سَالِكَةٌ فِي غَيْرِ مِضْمَارِهَا كَأَنَّ اَلْمَعْنِيَّ سِوَاهَا وَ كَأَنَّ اَلرُّشْدَ فِي إِحْرَازِ دُنْيَاهَا (1) -. **القدة** بالدال المهملة و بكسر القاف الطريقة و يقال لكل فرقة من الناس إذا كانت ذات هوى على حدة قدة و منه قوله تعالى **كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً** [1] و من رواه و يركبون قذتهم بالذال المعجمة و ضم القاف أراد الواحدة من قذذ السهم و هي ريشة يقال حذو القذة بالقذة و يكون معنى و تركبون قذتهم تقتفون آثارهم و تشابهون بهم في أفعالهم (2) - .

ثم قال **و تطئون جادتهم** و هذه لفظة فصيحة جدا (3) - .

ثم ذكر قساوة القلوب و ضلالها عن رشدها و قال **كأن المعني سواها 14- هذا مثل قول 14النبي ص كأن الموت فيها على غيرنا كتب و كأن الحق فيها على غيرنا وجب.** وَ اِعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمْ عَلَى اَلصِّرَاطِ [اَلسِّرَاطِ] وَ مَزَالِقِ دَحْضِهِ وَ أَهَاوِيلِ زَلَلِهِ وَ تَارَاتِ أَهْوَالِهِ فَاتَّقُوا اَللَّهَ عِبَادَ اَللَّهِ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ اَلتَّفَكُّرُ قَلْبَهُ وَ أَنْصَبَ اَلْخَوْفُ بَدَنَهُ وَ أَسْهَرَ اَلتَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ وَ أَظْمَأَ اَلرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ وَ ظَلَفَ اَلزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ

(1) سورة الجن 11.

وَ أَوْجَفَ اَلذِّكْرُ بِلِسَانِهِ وَ قَدَّمَ اَلْخَوْفَ لِأَمَانِهِ [أَبَانَهُ] وَ تَنَكَّبَ اَلْمَخَالِجَ عَنْ وَضَحِ اَلسَّبِيلِ وَ سَلَكَ أَقْصَدَ اَلْمَسَالِكِ إِلَى اَلنَّهْجِ اَلْمَطْلُوبِ وَ لَمْ تَفْتِلْهُ فَاتِلاَتُ اَلْغُرُورِ وَ لَمْ تَعْمَ عَلَيْهِ مُشْتَبِهَاتُ اَلْأُمُورِ ظَافِراً بِفَرْحَةِ اَلْبُشْرَى وَ رَاحَةِ اَلنُّعْمَى فِي أَنْعَمِ نَوْمِهِ وَ آمَنِ يَوْمِهِ قَدْ عَبَرَ مَعْبَرَ اَلْعَاجِلَةِ حَمِيداً وَ قَدَّمَ زَادَ [ذَاتَ] اَلْآجِلَةِ سَعِيداً وَ بَادَرَ عَنْ وَجَلٍ وَ أَكْمَشَ فِي مَهَلٍ وَ رَغِبَ فِي طَلَبٍ وَ ذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ وَ رَاقَبَ فِي يَوْمِهِ غَدَهُ وَ رُبَّمَا نَظَرَ قُدُماً أَمَامَهُ فَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَوَاباً وَ نَوَالاً وَ كَفَى بِالنَّارِ عِقَاباً وَ وَبَالاً وَ كَفَى بِاللَّهِ مُنْتَقِماً وَ نَصِيراً وَ كَفَى بِالْكِتَابِ حَجِيجاً وَ خَصِيماً. و قال أصحابنا رحمهم الله تعالى الصراط الوارد ذكره في الكتاب العزيز هو الطريق لأهل الجنة إلى الجنة و لأهل النار إلى النار بعد المحاسبة قالوا لأن أهل الجنة ممرهم على باب النار فمن كان من أهل النار عدل به إليها و قذف فيها و من كان من أهل الجنة مر بالنار مرورا نجا منها إلى الجنة و هو معنى قوله تعالى **وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا** (1) لأن ورودها هو القرب منها و الدنو إليها و قد دل القرآن على سور مضروب بين مكان النار و بين الموضع الذي يجتازون منه إلى الجنة في قوله **فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ اَلرَّحْمَةُ وَ ظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ اَلْعَذَابُ** (2) .

---

(1) سورة مريم 19.
(2) سورة الحديد 13.

قالوا و لا يصح ما **16- روي في بعض الأخبار أن الصراط أدق من الشعر و أحد من السيف و أن المؤمن يقطعه كمرور البرق الخاطف و الكافر يمشي عليه حبوا و أنه ينتفض بالذين عليه حتى تتزايل مفاصلهم.** قالوا لأن مثل ذلك لا يكون طريقا للماشي و لا يتمكن من المشي عليه و لو أمكن لم يصح التكليف في الآخرة ليؤمر العقلاء بالمرور عليه على وجه التعبد .

ثم سأل أصحابنا أنفسهم فقالوا أي فائدة في عمل هذا السور و أي فائدة في كون الطريق الذي هو الصراط منتهيا إلى باب النار منفرجا منها إلى الجنة أ لستم تعللون أفعال البارئ تعالى بالمصالح و الآخرة ليست دار تكليف ليفعل فيها هذه الأفعال للمصالح .

و أجابوا بأن شعور المكلفين في الدنيا بهذه الأشياء مصالح لهم و ألطاف في الواجبات العقلية فإذا أعلم المكلفون بها وجب إيقاعها على حسب ما وعدوا و أخبروا به لأن الله صادق لا خلف في إخباره .

و عندي أنه لا يمتنع أن يكون الصراط على ما وردت به الأخبار و لا مانع من ذلك قولهم لا يكون طريقا للماشي و لا يتمكن من المشي عليه مسلم و لكن لم لا يجوز أن يكون في جعله على هذا الوجه و الإخبار عن كيفيته هذه مصلحة للمكلفين في الدنيا و ليس عدم تمكن الإنسان من المشي عليه بمانع من إيقاعه على هذا الوجه لأن المراد من هذا و أمثاله هو التخويف و الزجر .

و أما قولهم الآخرة ليست دار تكليف فلقائل أن يقول لهم لم قلتم إنه تكليف و لم لا يجوز أن يكون المكلفون مضطرين إلى سلوكه اضطرارا فالمؤمن يخلق الله فيه الثبات و السكينة و الحركة السريعة فينجو و يسلم و الكافر يخلق فيه ضد ذلك فيهوي و يعطب و لا مانع من ذلك (1) - .

يقال مكان دحض و دحض بالتحريك أي زلق و أدحضته أنا أزلقته فدحض هو (1) - .

و **الأهاويل** الأمور المفزعة (2) - **و تارات أهواله** كقوله دفعات أهواله و إنما جعل أهواله تارات لأن الأمور الهائلة إذا استمرت لم تكن في الإزعاج و الترويع كما تكون إذا طرأت تارة و سكنت تارة (3) - .

و انصب الخوف بدنه أتعب و النصب التعب (4) - و **التهجد** هنا صلاة الليل و أصله السهر و قد جاء التهجد بمعنى النوم أيضا و هو من الأضداد .

الغرار قلة النوم و أصله قلة لبن الناقة و يقال غارت الناقة تغار غرارا قل لبنها .

فإن قلت كيف توصف قلة النوم بالسهر و إنما يوصف بالسهر الإنسان نفسه قلت هذا من مجازات كلامهم كقولهم ليل ساهر و ليل نائم (5) - .

و **الهواجر** جمع هاجرة و هي نصف النهار عند اشتداد الحر يقال قد هجر النهار و أتينا أهلنا مهجرين أي سائرين في الهاجرة (6) - .

و **ظلف** منع و ظلفت نفس فلان بالكسر عن كذا أي كفت (7) - .

و **أوجف** أسرع كأنه جعل الذكر لشدة تحريكه اللسان موجفا به كما توجف الناقة براكبها و **الوجيف** ضرب من السير (8) - .

ثم قال **و قدم الخوف لأمانه** اللام هاهنا لام التعليل أي قدم خوفه ليأمن (9) - و **المخالج** الأمور المختلجة أي الجاذبة خلجه و اختلجه أي جذبه (10) - .

و **أقصد المسالك** أقومها و طريق قاصد أي مستقيم (11) - .

و **فتله** عن كذا أي رده و صرفه و هو قلب لفت (12) - .

و يروى قد عبر معبر العاجلة حميدا و قدم زاد الآجلة سعيدا (13) - .

و **أكمش** أسرع و مثله انكمش و رجل كمش أي سريع و قد كمش بالضم كماشة فهو كمش و كميش و كمشته تكميشا أعجلته (1) - .

قوله **و رغب في طلب و ذهب عن هرب** أي و رغب فيما يطلب مثله و فر عما يهرب من مثله فأقام المصدر مقام ذي المصدر (2) - .

و **نظر قدما أمامه** أي و نظر ما بين يديه مقدما لم ينثن و لم يعرج و الدال مضمومة هاهنا .

قال الشاعر يذم امرأة

تمضي إذا زجرت عن سوأة قدما # كأنها هدم في الجفر منقاض [1] .

و من رواه بالتسكين جاز أن يعنى به هذا و يكون قد خفف كما قالوا حلم و حلم .

و جاز أن يجعله مصدرا من قدم الرجل بالفتح يقدم قدما أي تقدم قال الله تعالى **يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ** [2] أي يتقدمهم إلى ورودها كأنه قال و نظر بين يديه متقدما لغيره و سابقا إياه إلى ذلك (3) - و الباء في **بالجنة** و **بالنار** و **بالله** و **بالكتاب** زائدة و التقدير كفى الله و كفى الكتاب

---

(1) الهدم بالتحريك: ما تهدم من نواحي البئر فسقط في جوفها. و الجفر: البئر الواسعة لم تطو.
و البيت أنشده ابن السيرافى عن ابن دريد مع أبيات هى: قد رابنى منك يا أسماء إعراض # فدام منّا لكم مقت و إبغاض

إن تبغضينى فما أحببت غانية # يروضها من لئام النّاس روّاض

تمضى إذا زجرت عن سوأة قدما # كأنّها هدم في الجفر منقاض

قل للغوانى أ ما فيكنّ فاتكة # تعلو اللئيم بضرب فيه إمحاض

و انظر اللسان 15: 370.

(2) سورة هود 98.

غ

أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اَللَّهِ اَلَّذِي أَعْذَرَ بِمَا أَنْذَرَ وَ اِحْتَجَّ بِمَا نَهَجَ وَ حَذَّرَكُمْ عَدُوّاً نَفَذَ فِي اَلصُّدُورِ خَفِيّاً وَ نَفَثَ فِي اَلْآذَانِ نَجِيّاً فَأَضَلَّ وَ أَرْدَى وَ وَعَدَ فَمَنَّى وَ زَيَّنَ سَيِّئَاتِ [اَلنِّيَاتِ] اَلْجَرَائِمِ وَ هَوَّنَ مُوبِقَاتِ اَلْعَظَائِمِ حَتَّى إِذَا اِسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ وَ اِسْتَغْلَقَ رَهِينَتَهُ أَنْكَرَ مَا زَيَّنَ وَ اِسْتَعْظَمَ مَا هَوَّنَ وَ حَذَّرَ مَا أَمَّنَ (1) -. **أعذر بما أنذر** ما هاهنا مصدرية أي أعذر بإنذاره و يجوز أن تكون بمعنى الذي (2) - .

و **العدو** المذكور الشيطان (3) - .

و قوله **نفذ في الصدور** و نفث في الآذان كلام صحيح بديع و في قوله نفذ في الصدور مناسبة **14- لقوله ص الشيطان يجري من بني آدم مجرى الدم.** و **النجي** الذي يساره و الجمع الأنجية قال

إني إذا ما القوم كانوا أنجيه [1] .

و قد يكون النجي جماعة مثل الصديق قال الله تعالى **خَلَصُوا نَجِيًّا** [2] أي متناجين (4) - .

القرينة هاهنا الإنسان الذي قارنه الشيطان و لفظه لفظ التأنيث و هو مذكر أراد القرين قال تعالى **فَبِئْسَ اَلْقَرِينُ** [3] و يجوز أن يكون أراد بالقرينة النفس و يكون

---

(1) بعده:

و اضطرب القوم اضطراب الأرشيه # هناك أوصينى و لا توصى بيه

و الرجز لسحيم بن وثيل اليربوعى. اللسان 20: 179.

(2) سورة يوسف 80.
(3) سورة الزخرف 38.

الضمير عائدا إلى غير مذكور لفظا لما دل المعنى عليه لأن قوله **فأضل و أردى و وعد فمنى** معناه أضل الإنسان و أردى و وعده فمنى فالمفعول محذوف لفظا و إليه رجع الضمير على هذا الوجه (1) - و يقال غلق الرهن إذا لم يفتكه الراهن في الوقت المشروط فاستحقه المرتهن .

و هذا الكلام مأخوذ من قوله تعالى **وَ قَالَ اَلشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ اَلْأَمْرُ إِنَّ اَللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ اَلْحَقِّ وَ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَ مَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَ لُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَ مَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ** الآية [1] وَ مِنْهَا فِي صِفَةِ خَلْقِ اَلْإِنْسَانِ أَمْ هَذَا اَلَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ اَلْأَرْحَامِ وَ شُغُفِ اَلْأَسْتَارِ نُطْفَةً دِهَاقاً [دِفَاقاً ذِهَاقاً] وَ عَلَقَةً مِحَاقاً وَ جَنِيناً وَ رَاضِعاً وَ وَلِيداً وَ يَافِعاً ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حَافِظاً وَ لِسَاناً لاَفِظاً وَ بَصَراً لاَحِظاً لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراً وَ يُقَصِّرَ مُزْدَجِراً حَتَّى إِذَا قَامَ اِعْتِدَالُهُ وَ اِسْتَوَى مِثَالُهُ نَفَرَ مُسْتَكْبِراً وَ خَبَطَ سَادِراً مَاتِحاً فِي غَرْبِ هَوَاهُ كَادِحاً سَعْياً لِدُنْيَاهُ فِي لَذَّاتِ طَرَبِهِ وَ بَدَوَاتِ أَرَبِهِ ثُمَّ لاَ يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً وَ لاَ يَخْشَعُ تَقِيَّةً فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيراً وَ عَاشَ فِي هَفْوَتِهِ يَسِيراً [أَسِيراً] لَمْ يُفِدْ عِوَضاً [غَرَضاً] وَ لَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضاً دَهِمَتْهُ فَجَعَاتُ اَلْمَنِيَّةِ فِي غُبَّرِ [غَبْرَةِ] جِمَاحِهِ وَ سَنَنِ مِرَاحِهِ فَظَلَّ سَادِراً وَ بَاتَ سَاهِراً فِي غَمَرَاتِ اَلْآلاَمِ وَ طَوَارِقِ اَلْأَوْجَاعِ وَ اَلْأَسْقَامِ بَيْنَ أَخٍ شَقِيقٍ وَ وَالِدٍ شَفِيقٍ

(1) سورة إبراهيم 22.

وَ دَاعِيَةٍ بِالْوَيْلِ جَزَعاً وَ لاَدِمَةٍ لِلصَّدْرِ قَلَقاً وَ اَلْمَرْءُ فِي سَكْرَةٍ مُلْهِثَةٍ وَ غَمْرَةٍ كَارِثَةٍ وَ أَنَّةٍ مُوجِعَةٍ وَ جَذْبَةٍ مُكْرِبَةٍ وَ سَوْقَةٍ مُنْعِبَةٍ ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِساً [مُلْبَساً] وَ جُذِبَ مُنْقَاداً سَلِساً ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى اَلْأَعْوَادِ رَجِيعَ وَصَبٍ وَ نِضْوَ سَقَمٍ تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ اَلْوِلْدَانِ وَ حَشَدَةُ اَلْإِخْوَانِ إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ وَ مُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ وَ مُفْرَدِ وَحْشَتِهِ حَتَّى إِذَا اِنْصَرَفَ اَلْمُشَيِّعُ وَ رَجَعَ اَلْمُتَفَجِّعُ [مُفِجٌ] أُقْعِدَ فِي حُفْرَتِهِ نَجِيّاً لِبَهْتَةِ اَلسُّؤَالِ وَ عَثْرَةِ اَلِامْتِحَانِ وَ أَعْظَمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةً نُزُولُ اَلْحَمِيمِ وَ تَصْلِيَةُ اَلْجَحِيمِ وَ فَوْرَاتُ اَلسَّعِيرِ وَ سَوْرَاتُ اَلزَّفِيرِ [اَلسَّعِيرِ] لاَ فَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ وَ لاَ دَعَةٌ مُزِيحَةٌ وَ لاَ قُوَّةٌ حَاجِزَةٌ وَ لاَ مَوْتَةٌ نَاجِزَةٌ وَ لاَ سِنَةٌ مُسْلِيَةٌ بَيْنَ أَطْوَارِ اَلْمَوْتَاتِ وَ عَذَابِ اَلسَّاعَاتِ إِنَّا بِاللَّهِ عَائِذُونَ (1) -. **أم** هنا إما استفهامية على حقيقتها كأنه قال أعظكم و أذكركم بحال الشيطان و إغوائه أم بحال الإنسان منذ ابتدأ وجوده إلى حين مماته و إما أن تكون منقطعة بمعنى بل كأنه قال عادلا و تاركا لما وعظهم به بل أتلو عليكم نبأ هذا الإنسان الذي حاله كذا (2) - .

الشغف بالغين المعجمة جمع شغاف بفتح الشين و أصله غلاف القلب يقال شغفه الحب أي بلغ شغافه و قرئ **قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا (3) -** [1] .

و **الدهاق** المملوءة و يروى دفاقا من دفقت الماء أي صببته (4) - .

قال **و علقة محاقا** المحاق ثلاث ليال من آخر الشهر و سميت محاقا لأن القمر يمتحق فيهن أي يخفى و تبطل صورته و إنما جعل العلقة محاقا هاهنا لأنها لم تحصل لها الصورة الإنسانية بعد فكانت ممحوة ممحوقة .

(5) -

---

(1) سورة يوسف 30.

و **اليافع** الغلام المرتفع أيفع و هو يافع و هذا من النوادر و غلام يفع و يفعة و غلمان أيفاع و يفعة أيضا (1) - .

قوله **و خبط سادرا** خبط البعير إذا ضرب بيديه إلى الأرض و مشى لا يتوقى شيئا .

و **السادر** المتحير و **السادر** أيضا الذي لا يهتم و لا يبالي ما صنع و الموضع يحتمل كلا التفسيرين (2) - .

و **الماتح** الذي يستقي الماء من البئر و هو على رأسها و المائح الذي نزل البئر إذا قل ماؤها فيملأ الدلاء و سئل بعض أئمةاللغةعن الفرق بين الماتح و المائح فقال اعتبر نقطتي الإعجام فالأعلى للأعلى و الأدنى للأدنى و **إلغرب** الدلو العظيمة (3) - و **الكدح** شدة السعي و الحركة قال تعالى **يَا أَيُّهَا اَلْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلىَ رَبِّكَ كَدْحاً** [1] .

قوله **و بدوات** أي ما يخطر له من آرائه التي تختلف فيها دواعيه فتقدم و تحجم (4) - و **مات غريرا** أي شابا و يمكن أن يراد به أنه غير مجرب للأمور (5) - .

و **الهفوة** الزلة هفا يهفو (6) - **لم يفد عوضا** أي لم يكتسب (7) - .

و **غبر جماحه** بقاياه قال أبو كبير الهذلي

و مبرإ من كل غبر حيضة # و فساد مرضعة و داء مغيل [2] .

و **الجماح** الشره و ارتكاب الهوى (8) - **و سنن مراحه** السنن الطريقة و المراح شدة الفرج و النشاط (9) - .

قوله **فظل سادرا** السادر هاهنا غير السادر الأول لأنه هاهنا المغمى عليه كأنه

---

(1) سورة الانشقاق 6.
(2) ديوان الحماسة-بشرح التبريزى 1: 84 و المغيل، من الغيل؛ و هو أن تغشى المرأة و هى ترضع؛ فذلك اللبن الغيل.

سكران و أصله من سدر البعير من شدة الحر و كثرة الطلاء بالقطران فيكون كالنائم لا يحس و مراده ع هاهنا أنه بدأ به المرض (1) - و **لادمة** للصدر ضاربة له و التدام النساء ضربهن الصدور عند النياحة (2) - **سكرة ملهثة** تجعل الإنسان لاهثا لشدتها لهث يلهث لهثانا و لهاثا و يروى ملهية بالياء أي تلهي الإنسان و تشغله .

و **الكارثة** فاعلة من كرثه الغم يكرثه بالضم أي اشتد عليه و بلغ منه غاية المشقة (3) - .

الجذبة جذب الملك الروح من الجسد أو جذب الإنسان إذا احتضر ليسجى (4) - .

و **السوقة** من سياق الروح عند الموت (5) - و **المبلس** الذي ييئس من رحمة الله و منه سمي إبليس و الإبلاس أيضا الانكسار و الحزن (6) - و **السلس** السهل المقادة (7) - و **الأعواد** خشب الجنازة و **رجيع وصب** الرجيع المعنى الكال و الوصب الوجع وصب الرجل يوصب فهو واصب و أوصبه الله فهو موصب و الموصب بالتشديد الكثير الأوجاع (8) - و **النضو** الهزيل (9) - و **حشدة الإخوان** جمع حاشد و هو المتأهب المستعد و **دار غربته** قبره و كذلك **منقطع زورته** لأن الزيارة تنقطع عنده .

و **مفرد وحشته** نحو ذلك لانفراده بعمله و استيحاش الناس منه (10) - **حتى إذا انصرف المشيع** و هو الخارج مع جنازته أقعد في حفرته هذا تصريح بعذاب القبر و سنذكر ما يصلح ذكره في هذا الموضع (11) - .

و **النجي** المناجي و نزول الحميم و تصلية الجحيم من الألفاظ الشريفة القرآنية (12) - [1] .

ثم نفى ع أن يكون في العذاب **فتور** يجد الإنسان معه راحة أو سكون **يزيح** عنه الألم أي يزيله أو أن الإنسان يجد في نفسه **قوة** تحجز بينه و بين الألم أي تمنع و يموت **موتا ناجزا** معجلا فيستريح أو ينام **فيسلو** وقت نومه عما أصابه من الألم في اليقظة كما في دار الدنيا .

(13) -

(1) و هو قوله تعالى في سورة الواقعة: **فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ*`وَ تَصْلِيَةُ جَحِيمٍ.** .

ثم قال **بين أطوار الموتات** و هذا في ظاهره متناقض لأنه نفى الموت مطلقا ثم قال **بين أطوار الموتات** و الجواب أنه أراد بالموتات الآلام العظيمة فسماها موتات لأن العرب تسمي المشقة العظيمة موتا كما قال

إنما الميت ميت الأحياء [1] .

و يقولون الفقر الموت الأحمر و استعمالهم مثل ذلك كثير جدا (1) - .

ثم قال **إنا بالله عائذون** عذت بفلان و استعذت به أي التجأت إليه ـ

فصل في ذكر القبر و سؤال منكر و نكير

و اعلم أن لقاضي القضاة في كتاب طبقات المعتزلة في باب القبر و سؤال منكر و نكير كلاما أنا أورد هاهنا بعضه قال رحمه الله تعالى إن عذاب القبر إنما أنكره ضرار بن عمرو و لما كان ضرار من أصحاب واصل بن عطاء ظن كثير من الناس أن ذلك مما أنكرته المعتزلة و ليس الأمر كذلك بل المعتزلة رجلان أحدهما يجوز عذاب القبر و لا يقطع به و هم الأقلون و الآخر يقطع على ذلك و هم أكثر أصحابنا لظهور الأخبار الواردة فيه و إنما تنكر المعتزلة قول طائفة من الجهلة إنهم يعذبون و هم موتى لأن العقل يمنع من ذلك و إذا كان الإنسان مع قرب العهد بموته و لما يدفن يعلمون أنه لا يسمع و لا يبصر و لا يدرك و لا يألم و لا يلتذ فكيف يجوز عليه ذلك و هو ميت في قبره و ما روي من أن الموتى يسمعون لا يصح إلا أن يراد به أن الله تعالى أحياهم و قوى حاسة سمعهم فسمعوا و هم أحياء .

---

(1) صدره:

ليس من مات فاستراح بميت

من أبيات قالها ابن الرعلاء الضبابى في يوم عين أباغ. الكامل في التاريخ لابن الأثير 1: 326.

قال رحمه الله تعالى و أنكر أيضا مشايخنا أن يكون عذاب القبر دائما في كل حال لأن الأخبار إنما وردت بذلك في الجملة فالذي يقال به هو قدر ما تقتضيه الأخبار دون ما زاد عليه مما لا دليل عليه و لذلك لسنا نوقت في التعذيب وقتا و إن كان الأقرب في الأخبار أنها الأوقات المقارنة للدفن و إن كان لا نعنيها بأعيانها .

هكذا قال قاضي القضاة و الذي أعرفه أنا من مذهب كثير من شيوخنا قبل قاضي القضاة أن الأغلب أن يكون عذاب القبر بين النفختين .

ثم إن قاضي القضاة سأل نفسه فقال إذا كانت الآخرة هي وقت المجازاة فكيف يعذب في القبر في أيام الدنيا .

و أجاب بأن القليل من العقاب المستحق قد يجوز أن يجعله الله في الدنيا لبعض المصالح كما فعل في تعجيل إقامة الحدود على من يستحقها فلا يمنع منه تعالى أن يفعل ذلك بالإنسان إذا كان من أهل النار .

ثم سأل نفسه فقال إذا كان بالموت قد زال عنه التكليف فكيف يقولون يكون ذلك من مصالحه .

و أجاب بأنا لم نقل إن ذلك من مصالحه و هو ميت و إنما نقول إنه مصلحة أن نعلم في الدنيا ذلك من حال الموتى لأنه إذا تصور أنه مات عوجل بضرب من العقاب في القبر كان أقرب إلى أن ينصرف عن كثير من المعاصي و قد يجوز أن يكون ذلك لطفا للملائكة الذين يتولون هذا التعذيب .

فأما القول في منكر و نكير فإنه سأل نفسه رحمه الله تعالى و قال كيف يجوز أن يسموا بأسماء الذم و عندكم أن الملائكة أفضل من الأنبياء .

و أجاب فقال إن التسمية إذا كانت لقبا لم يقع بها ذم لأن الذم إنما يقع لفائدة الاسم و الألقاب كالإشارات لا فائدة تحتها و لذا يلقب الرجل المسلم بظالم و كلب و نحو ذلك فيجوز أن يكون هذان الاسمان من باب الألقاب و يجوز أن يسميا بذلك من حيث يهجمان على الإنسان عند إكمال الله تعالى عقله على وجه ينكره و يرتاع منه فسميا منكرا و نكيرا .

قال و قد روي في المساءلة في القبر أخبار كثيرة و كل ذلك مما لا قبح فيه بل يجوز أن يكون من مصالح المكلفين فلا يصح المنع عنه .

و جملة الأمر أن كل ما ثبت من ذلك بالتواتر و الإجماع و ليس بمستحيل في القدرة و لا قبيح في الحكمة يجب القول به و ما عداه مما وردت به آثار و أخبار آحاد يجب أن يجوز و يقال إنه مظنون ليس بمعلوم إذا لم يمنع منه الدليل عِبَادَ اَللَّهِ أَيْنَ اَلَّذِينَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا وَ عُلِّمُوا فَفَهِمُوا وَ أُنْظِرُوا فَلَهَوْا وَ سُلِّمُوا فَنَسُوا أُمْهِلُوا طَوِيلاً وَ مُنِحُوا جَمِيلاً وَ حُذِّرُوا أَلِيماً وَ وُعِدُوا جَسِيماً اِحْذَرُوا اَلذُّنُوبَ اَلْمُوَرِّطَةَ وَ اَلْعُيُوبَ اَلْمُسْخِطَةَ أُولِي اَلْأَبْصَارِ وَ اَلْأَسْمَاعِ وَ اَلْعَافِيَةِ وَ اَلْمَتَاعِ هَلْ مِنْ مَنَاصٍ أَوْ خَلاَصٍ أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلاَذٍ أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ **فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ** أَمْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ أَمْ بِمَا ذَا تَغْتَرُّونَ وَ إِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ اَلْأَرْضِ ذَاتِ اَلطُّوْلِ وَ اَلْعَرْضِ قِيدُ قَدِّهِ مُنْعَفِراً مُتَعَفِّراً عَلَى خَدِّهِ اَلآْنَ عِبَادَ اَللَّهِ وَ اَلْخِنَاقُ مُهْمَلٌ وَ اَلرَّوحُ مُرْسَلٌ فِي فَيْنَةِ اَلْإِرْشَادِ وَ رَاحَةِ

اَلْأَجْسَادِ وَ بَاحَةِ اَلاِحْتِشَادِ وَ مَهَلِ اَلْبَقِيَّةِ وَ أَنْفِ اَلْمَشِيَّةِ وَ إِنْظَارَ اَلتَّوْبَةِ وَ إِنْفِسَاحِ اَلْحَوْبَةِ قَبْلَ اَلضَّنْكِ وَ اَلْمَضِيقِ وَ اَلرَّوْعِ وَ اَلزُّهُوقِ وَ قَبْلَ قُدُومِ اَلْغَائِبِ اَلْمُنْتَظَرِ وَ أَخْذَةِ اَلْعَزِيزِ اَلْمُقْتَدِرِ. قال الرضي رحمه الله و في الخبر أنه ع لما خطب بهذه الخطبة اقشعرت لها الجلود و بكت العيون و رجفت القلوب و من الناس من يسمي هذه الخطبة الغراء (1) - نعم الرجل ينعم ضد قولك بئس و جاء شاذا نعم ينعم بالكسر (2) - **و أنظروا** أمهلوا (3) - و **الذنوب المورطة** التي تلقي أصحابها في الورطة و هي الهلاك قال رؤبة [1] فأصبحوا في ورطة الأوراط [2] .

و أصله أرض مطمئنة لا طريق فيها و قد أورطت زيدا و ورطته توريطا فتورط (4) - ثم قال ع **أولي الأبصار و الأسماع** ناداهم نداء ثانيا بعد النداء الذي في أول الفصل و هو قوله **عباد الله** فقال يا من منحهم الله أبصارا و أسماعا و أعطاهم **عافية** و متعهم **متاعا هل من مناص** و هو الملجأ و المفر يقال ناص عن قرنه مناصا أي فر و راوغ قال سبحانه **وَ لاَتَ حِينَ مَنَاصٍ** [3] .

---

(1) قبله: *نحن جمعنا النّاس بالملطاط*.
(2) اللسان 10: 304.
(3) سورة ص 3.

و **المحار** المرجع من حار يحور أي رجع قال تعالى **إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (1) -** [1] .

و **يؤفكون** يقلبون أفكه يأفكه عن كذا قلبه عنه إلى غيره و مثله **يصرفون (2) -** .

و **قيد قده** مقدار قده يقال قرب منه قيد رمح و قاد رمح و المراد هاهنا هو القبر لأنه بمقدار قامة الإنسان (3) - .

و **المنعفر** الذي قد لامس العفر و هو التراب (4) - .

ثم قال ع **الآن و الخناق مهمل** تقديره اعملوا الآن و أنتم مخلون متمكنون لم يعقد الحبل في أعناقكم و لم تقبض أرواحكم (5) - .

و **الروح** يذكر و يؤنث و **الفينة** الوقت و يروى و فينة الارتياد و هو الطلب (6) - .

و **أنف المشية** أول أوقات الإرادة و الاختيار (7) - .

قوله **و انفساح الحوبة** أي سعة وقت الحاجة و **الحوبة** الحاجة و الأرب قال الفرزدق

فهب لي خنيسا و اتخذ فيه منة # لحوبة أم ما يسوغ شرابها (8) - [2] .

و **الغائب المنتظر** هو الموت .

قال شيخنا أبو عثمان رحمه الله تعالى حدثني ثمامة قال سمعت جعفر بن يحيى و كان من أبلغ الناس و أفصحهم يقول الكتابة [3] ضم اللفظة إلى أختها أ لم تسمعوا قول شاعر لشاعر و قد تفاخرا أنا أشعر منك لأني أقول البيت و أخاه و أنت تقول البيت و ابن عمه ثم قال و ناهيك حسنا بقول 1علي بن أبي طالب ع **هل من مناص أو خلاص أو معاذ أو ملاذ أو فرار أو محار** .

---

(1) سورة الانشقاق 14.

(2) ديوانه 1: 94. الحوبة: الحاجة، و خنيس: فتى كان بالجيش في السند، مجمر-و التجمير: أن ينزل في البعث و لا يرد-و كانت أمه امرأة من الشام؛ تشفعت بالفرزدق في شأنه، فكتب إلى العامل أبياتا، و منها هذا البيت؛ و الخبر مذكور في الديوان.

(3) ب: «بضم» ، و ما أثبته من ا.

قال أبو عثمان و كان جعفر يعجب أيضا بقول 1علي ع أين من جد و اجتهد و جمع و احتشد و بنى فشيد و فرش فمهد [1] و زخرف فنجد قال أ لا ترى أن كل لفظة منها آخذة بعنق قرينتها جاذبة إياها إلى نفسها دالة عليها بذاتها قال أبو عثمان فكان جعفر يسميه فصيح قريش . و اعلم أننا لا يتخالجنا الشك في أنه ع أفصح من كل ناطق بلغة العرب من الأولين و الآخرين إلا من كلام الله سبحانه و كلام 14رسول الله ص و ذلك لأن فضيلة الخطيب و الكاتب في خطابته و كتابته تعتمد على أمرين هما مفردات الألفاظ و مركباتها .

أما المفردات فأن تكون سهلة سلسة غير وحشية و لا معقدة و ألفاظه ع كلها كذلك فأما المركبات فحسن المعنى و سرعة وصوله إلى الأفهام و اشتماله على الصفات التي باعتبارها فضل بعض الكلام على بعض و تلك الصفات هي الصناعة التي سماها المتأخرون البديع من المقابلة و المطابقة و حسن التقسيم و رد آخر الكلام على صدره و الترصيع و التسهيم و التوشيح و المماثلة و الاستعارة و لطافة استعمال المجاز و الموازنة و التكافؤ و التسميط و المشاكلة .

و لا شبهة أن هذه الصفات كلها موجودة في خطبه و كتبه مبثوثة متفرقة في فرش كلامه ع و ليس يوجد هذان الأمران في كلام أحد غيره فإن كان قد تعملها و أفكر فيها و أعمل رويته في رصفها [2] و نثرها فلقد أتى بالعجب العجاب و وجب

---

(1) ب: «و مهد» .

(2) ب: «فى «صنعها» .

أن يكون إمام الناس كلهم في ذلك لأنه ابتكره و لم يعرف من قبله و إن كان اقتضبها ابتداء و فاضت على لسانه مرتجلة و جاش بها طبعه بديهة من غير روية و لا اعتمال فأعجب و أعجب .

و على كلا الأمرين فلقد جاء مجليا و الفصحاء تنقطع أنفاسهم على أثره و بحق ما قال معاوية لمحقن الضبي لما قال له جئتك من عند أعيا الناس يا ابن اللخناء أ 1لعلي [(1)] تقول هذا و هل سن الفصاحة لقريش غيره .

و اعلم أن تكلف الاستدلال على أن الشمس مضيئة يتعب و صاحبه منسوب إلى السفه و ليس جاحد الأمور المعلومة علما ضروريا بأشد سفها ممن رام الاستدلال بالأدلة النظرية عليها

(1) ب لعلى: «» .
غ

1083 83 و من كلام له ع في ذكر عمرو بن العاص

عَجَباً لِاِبْنِ اَلنَّابِغَةِ يَزْعُمُ لِأَهْلِ اَلشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً وَ أَنِّي اِمْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ أُعَافِسُ وَ أُمَارِسُ لَقَدْ قَالَ بَاطِلاً وَ نَطَقَ آثِماً أَمَا وَ شَرُّ اَلْقَوْلِ اَلْكَذِبُ إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ وَ يَعِدُ فَيُخْلِفُ وَ يُسْأَلُ فَيَبْخَلُ وَ يَسْأَلُ فَيُلْحِفُ وَ يَخُونُ اَلْعَهْدَ وَ يَقْطَعُ اَلْإِلَّ فَإِذَا كَانَ عِنْدَ اَلْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَ آمِرٍ هُوَ مَا لَمْ تَأْخُذِ اَلسُّيُوفُ مَآخِذَهَا فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ أَكْبَرُ [أَكْبَرَ] مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ اَلْقَوْمَ اَلْقِرْمَ[اَلْقَوْمَ] سَبَّتَهُ أَمَا وَ اَللَّهِ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ اَللَّعِبِ ذِكْرُ اَلْمَوْتِ وَ إِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ اَلْحَقِّ نِسْيَانُ اَلْآخِرَةِ وَ إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ لَهُ أَنْ يُؤْتِيَهُ أُتِيَّةً وَ يَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ اَلدِّينِ رَضِيخَةً (1) -. **الدعابة** المزاح دعب الرجل بالفتح (2) - و رجل **تلعابة** بكسر التاء كثير اللعب و التلعاب بالفتح مصدر لعب (3) - .

و **المعافسة** المعالجة و المصارعة و منه الحديث عافسنا النساء [1] و الممارسة نحوه .

يقول ع إن عمرا يقدح في عند أهل الشام بالدعابة و اللعب و أني كثير

(1) النهاية لابن الأثير في حديث حنظلة الأسدى و روايته: «فإذا رجعنا عافسنا الأزواج» 30: 110.

الممازحة حتى أني ألاعب النساء و أغازلهن فعل المترف الفارغ القلب الذي تتقضى [1] أوقاته بملاذ نفسه (1) - .

و **يلحف** يلح في السؤال قال تعالى **لاَ يَسْئَلُونَ اَلنَّاسَ إِلْحَافاً** [2] و منه المثل ليس للملحف مثل الرد (2) - .

و **الإل** العهد و لما اختلف اللفظان حسن التقسيم بهما و إن كان المعنى واحدا (3) - .

و معنى قوله **ما لم تأخذ السيوف مآخذها** أي ما لم تبلغ الحرب إلى أن تخالط الرءوس أي هو مليء بالتحريض و الإغراء قبل أن تلتحم الحرب فإذا التحمت و اشتدت فلا يمكث و فعل فعلته التي فعل (4) - .

و **السبة** الاست و سبه يسبه طعنه في السبة .

و يجوز رفع **أكبر** و نصبه فإن رفعت فهو الاسم و إن نصبت فهو الخبر (5) - .

و **الأتية** العطية و الإيتاء الإعطاء (6) - و رضخ له رضخا أعطاه عطاء بالكثير و هي **الرضيخة** لما يعطى

نسب عمرو بن العاص و طرف من أخباره (7) -

و نحن نذكر طرفا من نسب عمرو بن العاص و أخباره إلى حين وفاته إن شاء الله .

هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكنى أبا عبد الله و يقال أبو محمد .

---

(1) ب: «تنقضى» .
(2) سورة البقرة 273.

أبوه العاص بن وائل أحد المستهزءين 14برسول الله ص و المكاشفين له بالعداوة و الأذى و فيه و في أصحابه أنزل قوله تعالى **إِنَّا كَفَيْنَاكَ اَلْمُسْتَهْزِئِينَ** (1) .

و يلقب العاص بن وائل في الإسلام بالأبتر لأنه قال لقريش سيموت هذا الأبتر غدا فينقطع ذكره يعني 14رسول الله ص لأنه لم يكن له ص ولد ذكر يعقب منه فأنزل الله سبحانه **إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ اَلْأَبْتَرُ** (2) .

14- و كان عمرو أحد من يؤذي 14رسول الله ص بمكة و يشتمه و يضع في طريقه الحجارة لأنه كان ص يخرج من منزله ليلا فيطوف بالكعبة و كان عمرو يجعل له الحجارة في مسلكه ليعثر بها و هو أحد القوم الذين خرجوا إلى زينب ابنة 14رسول الله ص لما خرجت مهاجرة من مكة إلى المدينة فروعوها و قرعوا هودجها بكعوب الرماح حتى أجهضت جنينا ميتا من أبي العاص بن الربيع بعلها فلما بلغ ذلك 14رسول الله ص نال منه و شق عليه مشقة شديدة و لعنهم روى ذلك الواقدي . 14- و روى الواقدي أيضا و غيره من أهل الحديث أن عمرو بن العاص هجا 14رسول الله ص هجاء كثيرا كان يعلمه صبيان مكة فينشدونه و يصيحون 14برسول الله إذا مر بهم رافعين أصواتهم بذلك الهجاء فقال 14رسول الله ص و هو يصلي بالحجر اللهم إن عمرو بن العاص هجاني و لست بشاعر فالعنه بعدد ما هجاني . 14,15- و روى أهل الحديث أن النضر بن الحارث و عقبة بن أبي معيط و عمرو بن العاص عهدوا إلى سلي (3) جمل فرفعوه بينهم و وضعوه على رأس 14رسول الله ص و هو ساجد بفناء الكعبة فسال عليه فصبر و لم يرفع رأسه و بكى في سجوده و دعا عليهم

---

(1) سورة الحجر 95.
(2) سورة الكوثر 3.
(3) السلى: جلدة فيها الولد من الناس و المواشى.

فجاءت ابنته 15فاطمة ع و هي باكية فاحتضنت ذلك السلا فرفعته عنه فألقته و قامت على رأسه تبكي فرفع رأسه ص و قال اللهم عليك بقريش قالها ثلاثا ثم قال رافعا صوته إني مظلوم فانتصر قالها ثلاثا ثم قام فدخل منزله و ذلك بعد وفاة عمه أبي طالب بشهرين . و لشدة عداوة عمرو بن العاص 14لرسول الله ص أرسله أهل مكة إلى النجاشي ليزهده في الدين و ليطرد عن بلاده مهاجرة الحبشة و ليقتل جعفر بن أبي طالب عنده إن أمكنه قتله فكان منه في أمر جعفر هناك ما هو مذكور مشهور في السير و سنذكر بعضه (1) - .

فأما **النابغة** **17- فقد ذكر الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار قال كانت النابغة أم عمرو بن العاص أمة لرجل من عنزة فسبيت فاشتراها عبد الله بن جدعان التيمي بمكة فكانت بغيا ثم أعتقها فوقع عليها أبو لهب بن عبد المطلب و أمية بن خلف الجمحي و هشام بن المغيرة المخزومي و أبو سفيان بن حرب و العاص بن وائل السهمي في طهر واحد فولدت عمرا فادعاه كلهم فحكمت أمه فيه فقالت هو من العاص بن وائل و ذاك لأن العاص بن وائل كان ينفق عليها كثيرا قالوا و كان أشبه بأبي سفيان و في ذلك يقول أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب في عمرو بن العاص**

أبوك أبو سفيان لا شك قد بدت # لنا فيك منه بينات الشمائل.

17- و قال أبو عمر بن عبد البر صاحب كتاب الإستيعاب [1] كان اسمها سلمى و تلقبت بالنابغة بنت حرملة [2] من بني جلان بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار

---

(1) الاستيعاب ص 434.

(2) الاستيعاب: «سبية بنى جلان» .

أصابها سباء فصارت إلى العاص بن وائل بعد جماعة من قريش فأولدها عمرا . قال أبو عمر يقال إنه جعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرا و هو على المنبر من أمه فسأله فقال أمي سلمى بنت حرملة تلقب بالنابغة من بني عنزة ثم أحد بني جلان و أصابتها راح [1] العرب فبيعت بعكاظ فاشتراها الفاكه بن المغيرة ثم اشتراها منه عبد الله بن جدعان ثم صارت إلى العاص بن وائل فولدت فأنجبت فإن كان جعل لك شيء فخذ .

17- و قال المبرد في كتاب الكامل [2] اسمها ليلى و ذكر هذا الخبر و قال إنها لم تكن في موضع مرضي قال المبرد و قال المنذر بن الجارود مرة لعمرو بن العاص أي رجل أنت لو لا أن أمك أمك فقال إني أحمد الله إليك لقد فكرت البارحة [3] فيها فأقبلت أنقلها في قبائل العرب [4] ممن أحب أن تكون [4] منها فما خطرت لي عبد القيس على بال .

و قال المبرد و دخل عمرو بن العاص مكة فرأى قوما من قريش قد جلسوا حلقة فلما رأوه رمقوه بأبصارهم فعدل إليهم فقال أحسبكم كنتم في شيء من ذكري قالوا أجل كنا نمثل بينك و بين أخيك هشام بن العاص أيكما أفضل فقال عمرو إن لهشام علي أربعة أمه بنت هشام بن المغيرة و أمي من قد عرفتم و كان أحب إلى أبيه مني و قد علمتم معرفة الوالد بولده و أسلم قبلي و استشهد و بقيت . **و روى أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتاب الأنساب أن عمرا اختصم فيه يوم**

---

(1) الاستيعاب «رماح» .
(2) الكامل 4: 79.
(3) الكامل: «فى هذا» .
(4-4) ليس في نسخة الكامل المطبوعة.

ولادته رجلان أبو سفيان بن حرب و العاص بن وائل فقيل لتحكم أمه فقالت أمه إنه من العاص بن وائل فقال أبو سفيان أما إني لا أشك أني وضعته في رحم أمه فأبت إلا العاص . فقيل لها أبو سفيان أشرف نسبا فقالت إن العاص بن وائل كثير النفقة علي و أبو سفيان شحيح .

ففي ذلك يقول حسان بن ثابت لعمرو بن العاص حيث هجاه مكافئا له عن هجاء 14رسول الله ص

أبوك أبو سفيان لا شك قد بدت # لنا فيك منه بينات الدلائل

ففاخر به إما فخرت و لا تكن # تفاخر بالعاص الهجين بن وائل

و إن التي في ذاك يا عمرو حكمت # فقالت رجاء عند ذاك لنائل

من العاص عمرو تخبر الناس كلما # تجمعت الأقوام عند المحافل .

مفاخرة بين 2الحسن بن علي و رجالات من قريش

2,14,1- و روى الزبير بن بكار في كتاب المفاخرات قال اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص و الوليد بن عقبة بن أبي معيط و عتبة بن أبي سفيان بن حرب و المغيرة بن شعبة و قد كان بلغهم عن 2الحسن بن علي ع قوارص و بلغه عنهم مثل ذلك فقالوا يا أمير المؤمنين إن 2الحسن قد أحيا 1أباه و ذكره و قال فصدق و أمر فأطيع و خفقت له النعال و إن ذلك لرافعه إلى ما هو أعظم منه و لا يزال يبلغنا عنه ما يسوءنا .

قال معاوية فما تريدون قالوا ابعث عليه فليحضر لنسبه و نسب 1أباه و نعيره و نوبخه و نخبره أن 1أباه قتل عثمان و نقرره بذلك و لا يستطيع أن يغير علينا شيئا من ذلك .

قال معاوية إني لا أرى ذلك و لا أفعله قالوا عزمنا عليك يا أمير المؤمنين لتفعلن فقال ويحكم لا تفعلوا فو الله ما رأيته قط جالسا عندي إلا خفت مقامه و عيبه لي قالوا ابعث إليه على كل حال قال إن بعثت إليه لأنصفنه منكم .

فقال عمرو بن العاص أ تخشى أن يأتي باطله على حقنا أو يربي قوله على قولنا قال معاوية أما إني إن بعثت إليه لآمرنه أن يتكلم بلسانه كله قالوا مره بذلك .

قال أما إذ عصيتموني و بعثتم إليه و أبيتم إلا ذلك فلا تمرضوا [1] له في القول و اعلموا أنهم أهل بيت لا يعيبهم العائب و لا يلصق بهم العار و لكن اقذفوه بحجره تقولون له إن 1أباك قتل عثمان و كره خلافة الخلفاء من قبله .

فبعث إليه معاوية فجاءه رسوله فقال إن أمير المؤمنين يدعوك .

قال من عنده فسماهم له فقال 2الحسن ع ما لهم خر **عَلَيْهِمُ اَلسَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ أَتَاهُمُ اَلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ** ثم قال يا جارية ابغيني [2] ثيابياللهم إني أعوذ بك من شرورهم و أدرأ بك في نحورهم و أستعين بك عليهم فاكفنيهم كيف شئت و أنى شئت بحول منك و قوة يا أرحم الراحمينثم قام فلما دخل على معاوية أعظمه و أكرمه و أجلسه إلى جانبه و قد ارتاد القوم و خطروا خطران الفحول بغيا في أنفسهم و علوا ثم قال يا 2أبا محمد إن هؤلاء بعثوا إليك و عصوني .

فقال 2الحسن ع سبحان الله الدار دارك و الإذن فيها إليك و الله إن كنت أجبتهم إلى ما أرادوا و ما في أنفسهم إني لأستحيي لك من الفحش و إن كانوا غلبوك على رأيك إني لأستحيي لك من الضعف فأيهما تقرر و أيهما تنكر أما إني

---

(1) فلا تمرضوا له؛ أي لا تجعلوا قولكم مريضا.
(2) ابغينى ثيابى، أي أعينينى على إحضارها.

لو علمت بمكانهم جئت معي بمثلهم من بني عبد المطلب و ما لي أن أكون مستوحشا منك و لا منهم **إِنَّ وَلِيِّيَ اَللَّهُ** ... **وَ هُوَ يَتَوَلَّى اَلصَّالِحِينَ** .

فقال معاوية يا هذا إني كرهت أن أدعوك و لكن هؤلاء حملوني على ذلك مع كراهتي له و إن لك منهم النصف و مني و إنما دعوناك لنقررك أن عثمان قتل مظلوما و أن أباك قتله فاستمع منهم ثم أجبهم و لا تمنعك وحدتك و اجتماعهم أن تتكلم بكل لسانك .

فتكلم عمرو بن العاص فحمد الله و صلى على 14رسوله ثم ذكر 1عليا ع فلم يترك شيئا يعيبه به إلا قاله و قال إنه شتم أبا بكر و كره خلافته و امتنع من بيعته ثم بايعه مكرها و شرك في دم عمر و قتل عثمان ظلما و ادعى من الخلافة ما ليس له .

ثم ذكر الفتنة يعيره بها و أضاف إليه مساوئ و قال إنكم يا بني عبد المطلب لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخلفاء و استحلالكم ما حرم الله من الدماء و حرصكم على الملك و إتيانكم ما لا يحل ثم إنك يا 2حسن تحدث نفسك أن الخلافة صائرة إليك و ليس عندك عقل ذلك و لا لبه كيف ترى الله سبحانه سلبك عقلك و تركك أحمق قريش يسخر منك و يهزأ بك و ذلك لسوء عمل 1أبيك و إنما دعوناك لنسبك و 1أباك فأما 1أبوك فقد تفرد الله به و كفانا أمره و أما أنت فإنك في أيدينا نختار فيك الخصال و لو قتلناك ما كان علينا إثم من الله و لا عيب من الناس فهل تستطيع أن ترد علينا و تكذبنا فإن كنت ترى أنا كذبنا في شيء فارددہ علينا فيما قلنا و إلا فاعلم أنك و 1أباك ظالمان ثم تكلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط فقال يا بني هاشم إنكم كنتم أخوال عثمان فنعم الولد كان لكن فعرف حقكم و كنتم أصهاره فنعم الصهر كان لكم يكرمكم فكنتم [1]ج: «وعيره» .

أول من حسده فقتله أبوك ظلما لا عذر له و لا حجة فكيف ترون الله طلب بدمه و أنزلكم منزلتكم و الله إن بني أمية خير لبني هاشم من بني هاشم لبني أمية و إن معاوية خير لك من نفسك .

ثم تكلم عتبة بن أبي سفيان فقال يا 2حسن كان أبوك شر قريش لقريش أسفكها لدمائها و أقطعها لأرحامها طويل السيف و اللسان يقتل الحي و يعيب الميت و إنك ممن قتل عثمان و نحن قاتلوك به و أما رجاؤك الخلافة فلست في زندها قادحا و لا في ميزانها راجحا و إنكم يا بني هاشم قتلتم عثمان و إن في الحق أن نقتلك و 3أخاك به فأما 1أبوك فقد كفانا الله أمره و أقاد منه و أما أنت فو الله ما علينا لو قتلناك بعثمان إثم و لا عدوان .

ثم تكلم المغيرة بن شعبة فشتم 1عليا و قال و الله ما أعيبه في قضية يخون و لا في حكم يميل و لكنه قتل عثمان ثم سكتوا .

فتكلم 2الحسن بن علي ع فحمد الله و أثنى عليه و صلى على 14رسوله ص ثم قال أما بعد يا معاوية فما هؤلاء شتموني و لكنك شتمتني فحشا ألفته و سوء رأي عرفت به و خلقا سيئا ثبت عليه و بغيا علينا عداوة منك 14لمحمد و أهله و لكن اسمع يا معاوية و اسمعوا فلأقولن فيك و فيهم ما هو دون ما فيكم أنشدكم الله أيها الرهط أ تعلمون أن الذي شتمتموه منذ اليوم صلى القبلتين كلتيهما و أنت يا معاوية بهما كافر تراها ضلالة و تعبد اللات و العزى غواية و أنشدكم الله هل تعلمون أنه بايع البيعتين كلتيهماوو أنت يا معاوية بإحداهما كافر و بالأخرى ناكث و أنشدكم الله هل تعلمون أنه أول الناس إيمانا و أنك يا معاوية و أباك

من **اَلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ** تسرون الكفر و تظهرون الإسلام و تستمالون بالأموال و أنشدكم الله أ لستم تعلمون أنه كان صاحب راية 14رسول الله ص و أن راية المشركين كانت مع معاوية و مع أبيه ثم لقيكموو معه راية 14رسول الله ص و معك و مع أبيك راية الشرك و في كل ذلك يفتح الله له و يفلج حجته و ينصر دعوته و يصدق حديثه و 14رسول الله ص في تلك المواطن كلها عنه راض و عليك و على أبيك ساخط و أنشدك الله يا معاوية أ تذكر يوما جاء أبوك على جمل أحمر و أنت تسوقه و أخوك عتبة هذا يقوده فرآكم 14رسول الله ص فقال اللهم العن الراكب و القائد و السائق أ تنسى يا معاوية الشعر الذي كتبته إلى أبيك لما هم أن يسلم تنهاه عن ذلك

يا صخر لا تسلمن يوما فتفضحنا # بعد الذينأصبحوا فرقا

خالي و عمي و عم الأم ثالثهم # و حنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا

لا تركنن إلى أمر تكلفنا # و الراقصات به في مكة الخرقا

فالموت أهون من قول العداة لقد # حاد ابن حرب عن العزى إذا فرقا [1] و الله لما أخفيت من أمرك أكبر مما أبديت و أنشدكم الله أيها الرهط أ تعلمون أن 1عليا حرم الشهوات على نفسه بين أصحاب 14رسول الله ص فأنزل فيه **يَا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اَللَّهُ لَكُمْ** [2] و أن 14رسول الله ص بعث أكابر أصحابه إلى بني قريظة فنزلوا من حصنهم فهزموا فبعث 1عليا بالراية فاستنزلهم على حكم الله و حكم 14رسوله و فعل فيمثلها

---

(1) فرق، كفرح: فزع و اضطرب.
(2) سورة المائدة 87.

ثم قال يا معاوية أظنك لا تعلم أني أعلم ما دعا به عليك 14رسول الله ص لما أراد أن يكتب كتابا إلى بني خزيمة فبعث إليك ابن عباس فوجدك تأكل ثم بعثه إليك مرة أخرى فوجدك تأكل فدعا عليك 14الرسول بجوعك [1] و نهمك إلى أن تموت و أنتم أيها الرهط نشدتكم الله أ لا تعلمون أن 14رسول الله ص لعن أبا سفيان في سبعة مواطن لا تستطيعون ردها أولها يوم لقي 14رسول الله ص خارجا من مكة إلى الطائف يدعو ثقيفا إلى الدين فوقع به و سبه و سفهه و شتمه و كذبه و توعده و هم أن يبطش به فلعنه الله و 14رسوله و صرف عنه و الثانيةإذ عرض لها 14رسول الله ص و هي جائية من الشام فطردها أبو سفيان و ساحل بها فلم يظفر المسلمون بها و لعنه 14رسول الله ص و دعا عليه فكانتلأجلها و الثالثةحيث وقف تحت الجبل و 14رسول الله ص في أعلاه و هو ينادي أعل هبل مرارا فلعنه 14رسول الله ص عشر مرات و لعنه المسلمون و الرابعة يوم جاء بالأحزاب و غطفان و اليهود فلعنه 14رسول الله و ابتهل و الخامسة يوم جاء أبو سفيان في قريش فصدوا 14رسول الله ص **عَنِ اَلْمَسْجِدِ اَلْحَرَامِ وَ اَلْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ** ذلكفلعن 14رسول الله ص أبا سفيان و لعن القادة و الأتباع و قال ملعونون كلهم و ليس فيهم من يؤمن فقيل يا 14رسول الله أ فما يرجى الإسلام لأحد منهم فكيف باللعنة فقال لا تصيب اللعنة أحدا من الأتباع و أما القادة فلا يفلح منهم أحد

---

(1) زيادة يقتضيها السياق، أخذت عن قصة جاءت في ترجمة معاوية في أسد الغابة 4: 386 نقلها عن صحيح مسلم.

و السادسةو السابعة يوم وقفوا 14لرسول الله ص في العقبة ليستنفروا ناقته و كانوا اثني عشر رجلا منهم أبو سفيان فهذا لك يا معاوية و أما أنت يا ابن العاص فإن أمرك مشترك وضعتك أمك مجهولا من عهر و سفاح فيك أربعة من قريش فغلب عليك جزارها ألأمهم حسبا و أخبثهم منصبا ثم قام أبوك فقال أنا شانئ 14محمد الأبتر فأنزل الله فيه ما أنزل و قاتلت 14رسول الله ص في جميع المشاهد و هجوته و آذيته بمكة و كدته كيدك كله و كنت من أشد الناس له تكذيبا و عداوة ـثم خرجت تريد النجاشي مع أصحاب السفينة لتأتي بجعفر و أصحابه إلى أهل مكة فلما أخطأك ما رجوت و رجعك الله خائبا و أكذبك واشيا جعلت حدك على صاحبك عمارة بن الوليد فوشيت به إلى النجاشي حسدا لما ارتكب مع حليلتك ففضحك الله و فضح صاحبك فأنت عدو بني هاشم في الجاهلية و الإسلام ثم إنك تعلم و كل هؤلاء الرهط يعلمون أنك هجوت 14رسول الله ص بسبعين بيتا من الشعر فقال 14رسول الله ص اللهم إني لا أقول الشعر و لا ينبغي لي اللهم العنه بكل حرف ألف لعنة فعليك إذا من الله ما لا يحصى من اللعن و أما ذكرت من أمر عثمان فأنت سعرت عليه الدنيا نارا ثم لحقت بفلسطين فلما أتاك قتله قلت أنا أبو عبد الله إذا نكأت قرحة أدميتها ثم حبست نفسك إلى معاوية و بعت دينك بدنياه فلسنا نلومك على بغض و لا نعاتبك على ود و بالله

ما نصرت عثمان حيا و لا غضبت له مقتولا ويحك يا ابن العاص أ لست القائل في بني هاشم لما خرجت من مكة إلى النجاشي

تقول ابنتي أين هذا الرحيل # و ما السير مني بمستنكر

فقلت ذريني فإني امرؤ # أريد النجاشي في جعفر

لأكويه عنده كية # أقيم بها نخوة الأصعر

و شانئ 14أحمد من بينهم # و أقولهم فيه بالمنكر

و أجري إلى عتبة جاهدا # و لو كان كالذهب الأحمر

و لا أنثني عن بني هاشم # و ما اسطعت في الغيب و المحضر

فإن قبل العتب مني له # و إلا لويت له مشفري

فهذا جوابك هل سمعته و أما أنت يا وليد فو الله ما ألومك على بغض 1علي و قد جلدك ثمانين في الخمر و قتل أباك بين يدي 14رسول الله صبرا و أنت الذي سماه الله الفاسق و سمى 1عليا المؤمن حيث تفاخرتما فقلت له اسكت يا 1علي فأنا أشجع منك جنانا و أطول منك لسانا فقال لك 1علي اسكت يا وليد فأنا مؤمن و أنت فاسق فأنزل الله تعالى في موافقة قوله **أَ فَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لاَ يَسْتَوُونَ** [1] ثم أنزل فيك على موافقة قوله أيضا **إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا** [2] ويحك يا وليد مهما نسيت فلا تنس قول الشاعر فيك و فيه

أنزل الله و الكتاب عزيز # في 1علي و في الوليد قرآنا

---

(1) سورة السجدة 18.
(2) سورة الحجرات 6.

فتبوأ الوليد إذ ذاك فسقا # و 1علي مبوأ إيمانا

ليس من كان مؤمنا عمرك الله # **كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً** خوانا

سوف يدعى الوليد بعد قليل # و 1علي إلى الحساب عيانا

1فعلي يجزى بذاك جنانا # و وليد يجزى بذاك هوانا

رب جد لعقبة بن أبان # لابس في بلادنا تبانا [1] و ما أنت و قريش إنما أنت علج من أهل صفورية و أقسم بالله لأنت أكبر في الميلاد و أسن ممن تدعى إليه و أما أنت يا عتبة فو الله ما أنت بحصيف فأجيبك و لا عاقل فأحاورك و أعاتبك و ما عندك خير يرجى و لا شر يتقى و ما عقلك و عقل أمتك إلا سواء و ما يضر 1عليا لو سبته على رءوس الأشهاد و أما وعيدك إياي بالقتل فهلا قتلت اللحياني إذا وجدته على فراشك أما تستحيي من قول نصر بن حجاج فيك

يا للرجال و حادث الأزمان # و لسبة تخزي أبا سفيان

نبئت عتبة خانه في عرسه # جبس لئيم الأصل من لحيان

و بعد هذا ما أربأ بنفسي عن ذكره لفحشه فكيف يخاف أحد سيفك و لم تقتل فاضحك و كيف ألومك على بغض 1علي و قد قتل خالك الوليد مبارزةو شرك حمزة في قتل جدك عتبة و أوحدك من أخيك حنظلة في مقام واحد و أما أنت يا مغيرة فلم تكن بخليق أن تقع في هذا و شبهه و إنما مثلك مثل البعوضة إذ قالت للنخلة استمسكي فإني طائرة عنك فقالت النخلة و هل علمت بك واقعة علي فأعلم بك طائرة عني

(1) التبان: سراويل صغيرة (معرب: تمبان بالفارسية) يكون للملاحين.

و الله ما نشعر بعداوتك إيانا و لا اغتممنا إذ علمنا بها و لا يشق علينا كلامك و إن حد الله في الزنا لثابت عليك و لقد درأ عمر عنك حقا الله سائله عنه و لقد سألت 14رسول الله ص هل ينظر الرجل إلى المرأة يريد أن يتزوجها فقال لا بأس بذلك يا مغيرة ما لم ينو الزنا لعلمه بأنك زان و أما فخركم علينا بالإمارة فإن الله تعالى يقول **وَ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا اَلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً** (1) .

ثم قام 2الحسن فنفض ثوبه و انصرف فتعلق عمرو بن العاص بثوبه و قال يا أمير المؤمنين قد شهدت قوله في و قذفه أمي بالزنا و أنا مطالب له بحد القذف فقال معاوية خل عنه لا جزاك الله خيرا فتركه فقال معاوية قد أنبأتكم أنه ممن لا تطاق عارضته و نهيتكم أن تسبوه فعصيتموني و الله ما قام حتى أظلم على البيت قوموا عني فلقد فضحكم الله و أخزاكم بترككم الحزم و عدولكم عن رأي الناصح المشفق **وَ اَللَّهُ اَلْمُسْتَعَانُ** .

عمرو بن العاص و معاوية

17- و روى الشعبي قال دخل عمرو بن العاص على معاوية يسأله حاجة و قد كان بلغ معاوية عنه ما كرهه فكره قضاءها و تشاغل فقال عمرو يا معاوية إن السخاء فطنة و اللؤم تغافل و الجفاء ليس من أخلاق المؤمنين فقال معاوية يا عمرو بما ذا تستحق منا قضاء الحوائج العظام فغضب عمرو و قال بأعظم حق و أوجبه إذ كنت في بحر عجاج فلو لا عمرو لغرقت في أقل مائه و أرقه و لكني دفعتك فيه دفعة فصرت في وسطه ثم دفعتك فيه أخرى فصرت في أعلى المواضع منه فمضى حكمك و نفذ أمرك و انطلق

---

(1) سورة الإسراء 16.

لسانك بعد تلجلجه و أضاء وجهك بعد ظلمته و طمست لك الشمس بالعهن المنفوش و أظلمت لك القمر بالليلة المدلهمة .

فتناوم معاوية و أطبق جفنيه مليا فخرج عمرو فاستوى معاوية جالسا و قال لجلسائه أ رأيتم ما خرج من فم ذلك الرجل ما عليه لو عرض ففي التعريض ما يكفي و لكنه جبهني [1] بكلامه و رماني بسموم سهامه .

فقال بعض جلسائه يا أمير المؤمنين إن الحوائج لتقضى على ثلاث خصال إما أن يكون السائل لقضاء الحاجة مستحقا فتقضى له بحقه و إما أن يكون السائل لئيما فيصون الشريف نفسه عن لسانه فيقضي حاجته و إما أن يكون المسئول كريما فيقضيها لكرمه صغرت أو كبرت .

فقال معاوية لله أبوك ما أحسن ما نطقت و بعث إلى عمرو فأخبره و قضى حاجته و وصله بصلة جليلة فلما أخذها ولى منصرفا فقال معاوية **فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَ إِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ** [2] فسمعها عمرو فالتفت إليه مغضبا و قال و الله يا معاوية لا أزال آخذ منك قهرا و لا أطيع لك أمرا و أحفر لك بئرا عميقا إذا وقعت فيه لم تدرك إلا رميما [3] فضحك معاوية فقال ما أريدك يا أبا عبد الله بالكلمة و إنما كانت آية تلوتها من كتاب الله عرضت بقلبي فاصنع ما شئت .

عبد الله بن جعفر و عمرو بن العاص في مجلس معاوية

17- و روى المدائني قال بينا معاوية يوما جالسا عنده عمرو بن العاص إذ قال الآذن قد جاء عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فقال عمرو و الله لأسوءنه اليوم فقال معاوية لا تفعل يا أبا عبد الله فإنك لا تنصف منه و لعلك أن تظهر لنا من منقبته ما هو خفي عنا و ما لا نحب أن نعلمه منه .

---

(1) جبهه: لقيه بما يكره من الكلام.
(2) سورة التوبة 58.
(3) الرميم: البالى من العظام.

و غشيهم عبد الله بن جعفر فأدناه معاوية و قربه فمال عمرو إلى بعض جلساء معاوية فنال من 1علي ع جهارا غير ساتر له و ثلبه ثلبا قبيحا .

فالتمع لون عبد الله بن جعفر و اعتراه أفكل حتى أرعدت خصائله (1) ثم نزل عن السرير كالفنيق (2) فقال عمرو مه يا أبا جعفر فقال له عبد الله مه لا أم لك ثم قال

أظن الحلم دل علي قومي # و قد يستجهل الرجل الحليم (3) .

ثم حسر عن ذراعيه و قال يا معاوية حتام نتجرع غيظك و إلى كم الصبر على مكروه قولك و سيئ أدبك و ذميم أخلاقك هبلتك الهبول (4) أ ما يزجرك ذمام المجالسة عن القذع لجليسك إذا لم تكن لك حرمة من دينك تنهاك عما لا يجوز لك أما و الله لو عطفتك أواصر الأرحام أو حاميت على سهمك من الإسلام ما أرعيت بني الإماء المتك (5) و العبيد الصك أعراض قومك .

و ما يجهل موضع الصفوة (6) إلا أهل الجفوة و إنك لتعرف وشائظ (7) قريش و صبوة غرائزها فلا يدعونك تصويب ما فرط من خطئك في سفك دماء المسلمين و محاربة 1أمير المؤمنين إلى التمادي فيما قد وضح لك الصواب في خلافه فاقصد لمنهج الحق فقد طال عمهك (8) عن سبيل الرشد و خبطك في بحور ظلمة الغي .

---

(1) الأفكل: الرعدة، و الخصائل: كل لحمة فيها عصب.
(2) الفنيق: الفحل المكرم الذي لا يؤذى لكرامته.
(3) من أبيات لقيس بن زهير، و قوله: «يستجهل الرجل الحليم» أي إذا أحرج الحليم، فقد يتكلف ما لا يكون معهودا في طبعه.
(4) الهبول، بالفتح: المرأة الثكول.
(5) المتك: جمع متكئا؛ و هي الجارية البظراء و هو ممّا يسب به. و الرجل الأصك: المضطرب الرجلين، و جمع الأصك صكّ.
(6) صفوة القوم: خيارهم.
(7) يقال: هو وشيظة في قومه، و جمعه و شائط، أي حشو فيهم.
(8) ب: «عماك» .

فإن أبيت إلا تتابعنا في قبح اختيارك لنفسك فأعفنا من سوء القالة فينا إذا ضمنا و إياك الندي و شأنك و ما تريد إذا خلوت و الله حسيبك فو الله لو لا ما جعل الله لنا في يديك لما أتيناك .

ثم قال إنك إن كلفتني ما لم أطق ساءك ما سرك مني من خلق .

فقال معاوية يا أبا جعفر أقسمت عليك لتجلسن لعن الله من أخرج ضب صدرك من وجاره محمول لك ما قلت و لك عندنا ما أملت فلو لم يكن محمدك و منصبك لكان خلقك و خلقك شافعين لك إلينا و أنت ابن ذي الجناحين و سيد بني هاشم . فقال عبد الله كلا بل سيد بني هاشم 2حسن و 3حسين لا ينازعهما في ذلك أحد .

فقال أبا جعفر أقسمت عليك لما ذكرت حاجة لك إلا قضيتها كائنة ما كانت و لو ذهبت بجميع ما أملك فقال أما في هذا المجلس فلا ثم انصرف .

فأتبعه معاوية بصره و قال و الله لكأنه 14رسول الله ص مشيه و خلقه و خلقه و إنه لمن مشكاته و لوددت أنه أخي بنفيس ما أملك .

ثم التفت إلى عمرو فقال أبا عبد الله ما تراه منعه من الكلام معك قال ما لا خفاء به عنك قال أظنك تقول إنه هاب جوابك لا و الله و لكنه ازدراك و استحقرك و لم يرك للكلام أهلا أ ما رأيت إقباله علي دونك ذاهبا بنفسه عنك .

فقال عمرو فهل لك أن تسمع ما أعددته لجوابه قال معاوية اذهب إليك أبا عبد الله فلاة حين جواب سائر اليوم .

و نهض معاوية و تفرق الناس.

عبد الله بن العباس و رجالات قريش في مجلس معاوية

1,2,3- و روى المدائني أيضا قال وفد عبد الله بن عباس على معاوية مرة فقال معاوية لابنه يزيد و لزياد بن سمية و عتبة بن أبي سفيان و مروان بن الحكم و عمرو بن العاص و المغيرة بن شعبة و سعيد بن العاص و عبد الرحمن بن أم الحكم إنه قد طال العهد بعبد الله بن عباس و ما كان شجر بيننا و بينه و بين 1ابن عمه و لقد كان نصبهفدفع عنه فحركوه على الكلام لنبلغ حقيقة صفته و نقف على كنه معرفته و نعرف ما صرف عنا من شبا حده و زوي عنا من دهاء رأيه فربما وصف المرء بغير ما هو فيه و أعطي من النعت و الاسم ما لا يستحقه .

ثم أرسل إلى عبد الله بن عباس فلما دخل و استقر به المجلس ابتدأه ابن أبي سفيان فقال يا ابن عباس ما منع 1عليا أن يوجه بك حكما فقال أما و الله لو فعل لقرن عمرا بصعبة من الإبل يوجع كفه [(1)] مراسها و لأذهلت عقله و أجرضته بريقه و قدحت في سويداء قلبه فلم يبرم أمرا و لم ينفض ترابا إلا كنت منه بمرأى و مسمع فإن أنكأه أدميت قواه و إن أدمه فصمت عراه بغرب مقول لا يقل حده و أصالة رأي كمتاح الأجل لا وزر منه أصدع به أديمه و أفل به شبا حده و أشحذ به عزائم المتقين و أزيح به شبه الشاكين .

فقال عمرو بن العاص هذا و الله يا أمير المؤمنين نجوم أول الشر و أفول آخر الخير و في حسمه قطع مادته فبادره بالحملة و انتهز منه الفرصة و اردع بالتنكيل به غيره و شرد به من خلفه .

فقال ابن عباس يا ابن النابغة ضل و الله عقلك و سفه حلمك و نطق الشيطان على لسانك هلا توليت ذلك بنفسكحين دعيت نزال [(2)] و تكافح الأبطال

---

(1) ا: «كفيه» .

(2) نزال هنا بمعنى المنازلة.

و كثرت الجراح و تقصفت الرماح و برزت إلى 1أمير المؤمنين مصلولا فانكفأ نحوك بالسيف حاملا فلما رأيت الكواشر من الموت أعددت حيلة السلامة قبل لقائه و الانكفاء عنه بعد إجابة دعائه فمنحته رجاء النجاة عورتك و كشفت له خوف بأسه سوأتك حذرا أن يصطلمك بسطوته و يلتهمك بحملته ثم أشرت على معاوية كالناصح له بمبارزته و حسنت له التعرض لمكافحته رجاء أن تكتفي مئونته و تعدم صورته فعلم غل صدرك و ما انحنت عليه من النفاق أضلعك و عرف مقر سهمك في غرضك .

فاكفف غرب لسانك و اقمع عوراء لفظك فإنك لمن أسد خادر [1] و بحر زاخر إن تبرزت للأسد افترسك و إن عمت في البحر قمسك [2] .

فقال مروان بن الحكم يا ابن عباس إنك لتصرف أنيابك و توري نارك كأنك ترجو الغلبة و تؤمل العافية و لو لا حلم أمير المؤمنين عنكم لتناولكم بأقصر أنامله فأوردكم منهلا بعيدا صدره و لعمري لئن سطا بكم ليأخذن بعض حقه منكم و لئن عفا عن جرائركم فقديما ما نسب إلى ذلك .

فقال ابن عباس و إنك لتقول ذلك يا عدو الله و طريد 14رسول الله و المباح دمه و الداخل بين عثمان و رعيته بما حملهم على قطع أوداجه و ركوب أثباجه أما و الله لو طلب معاوية ثأره لأخذك به و لو نظر في أمر عثمان لوجدك أوله و آخره .

و أما قولك لي إنك لتصرف أنيابك و توري نارك فسل معاوية و عمرا يخبراككيف ثباتنا للمثلات و استخفافنا بالمعضلات و صدق جلادنا عند المصاولة و صبرنا

---

(1) أسد خادر: مقيم في خدره.
(2) قمسك: غمسك، و في «ا» : «غمسك» .

على اللأواء و المطاولة و مصافحتنا بجباهنا السيوف المرهفة و مباشرتنا بنحورنا حد الأسنة هل خمنا [1] عن كرائم تلك المواقف أم لم نبذل مهجنا للمتالف و ليس لك إذ ذاك فيها مقام محمود و لا يوم مشهود و لا أثر معدود و إنهما شهدا ما لو شهدت لأقلقك فأربع على ظلعك و لا تتعرض لما ليس لك فإنك كالمغروز في صفد لا يهبط برجل و لا يرقى بيد .

فقال زياد يا ابن عباس إني لأعلم ما منع 2حسنا و 3حسينا من الوفود معك على أمير المؤمنين إلا ما سولت لهما أنفسهما و غرهما به من هو عند البأساء سلمهما و ايم الله لو وليتهما لأدأبا في الرحلة إلى أمير المؤمنين أنفسهما و لقل بمكانهما لبثهما .

فقال ابن عباس إذن و الله يقصر دونهما باعك و يضيق بهما ذراعك و لو رمت ذلك لوجدت من دونهما فئة صدقا صبرا على البلاء لا يخيمون عن اللقاء فلعركوك بكلاكلهم و وطئوك بمناسمهم و أوجروك مشق رماحهم و شفار سيوفهم و و خز أسنتهم حتى تشهد بسوء ما أتيت و تتبين ضياع الحزم فيما جنيت فحذار حذار من سوء النية فتكافأ برد الأمنية و تكون سببا لفساد هذين الحيين بعد صلاحهما و سعيا في اختلافهما بعد ائتلافهما حيث لا يضرهما إبساسك و لا يغني عنهما إيناسك .

ـفقال عبد الرحمن بن أم الحكم لله در ابن ملجم فقد بلغ الأمل و أمن الوجل و أحد الشفرة و ألان المهرة و أدرك الثأر و نفى العار و فاز بالمنزلة العليا و رقي الدرجة القصوى .

فقال ابن عباس أما و الله لقد كرع كأس حتفه بيده و عجل الله إلى النار بروحه

---

(1) خمنا: ضعفنا.

و لو أبدى 1لأمير المؤمنين صفحته لخالطه الفحل القطم [1] و السيف الخذم [2] و لألعقه صابا و سقاه سما و ألحقه بالوليد و عتبة و حنظلة فكلهم كان أشد منه شكيمة و أمضى عزيمة ففرى بالسيف هامهم و رملهم [3] بدمائهم و قرى الذئاب أشلاءهم و فرق بينهم و بين أحبائهم أولئك حصب جهنم هم لها واردون [4] و **هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً** [5] و لا غرو إن ختل و لا وصمة إن قتل فإنا لكما قال دريد بن الصمة

فإنا للحم السيف غير مكره # و نلحمه طورا و ليس بذي نكر [6] يغار علينا واترين فيشتفى # بنا إن أصبنا أو نغير على وتر.

فقال المغيرة بن شعبة أما و الله لقد أشرت على 1علي بالنصيحة فآثر رأيه و مضى على غلوائه فكانت العاقبة عليه لا له و إني لأحسب أن خلقه يقتدون بمنهجه .

فقال ابن عباس كان و الله 1أمير المؤمنين ع أعلم بوجوه الرأي و معاقد الحزم و تصريف الأمور من أن يقبل مشورتك فيما نهى الله عنه و عنف عليه قال سبحانه **لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ اَلْيَوْمِ اَلْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اَللَّهَ وَ 14رَسُولَهُ** [7] و لقد وقفك على ذكر مبين و آية متلوة قوله تعالى **وَ مَا كُنْتُ مُتَّخِذَ اَلْمُضِلِّينَ**

---

(1) القطم: الفحل الصئول.
(2) الخذم: القاطم.
(3) رملهم: لطخهم.
(4) سورة الأنبياء 98.
(5) سورة مريم 98.
(6) من كلمة له في الأغانى 10: 5 (طبعة الدار) ، و في الأغانى: *غير نكيرة... و نلحمه حينا*
و لحمه: أى أطعمه اللحم.
(7) سورة المجادلة 220.

عَضُداً [1] و هل كان يسوغ له أن يحكم في دماء المسلمين و فيء المؤمنين من ليس بمأمون عنده و لا موثوق به في نفسه هيهات هيهات هو أعلم بفرض الله و سنة 14رسوله أن يبطن خلاف ما يظهر إلا للتقية و لات حين تقية مع وضوح الحق و ثبوت الجنان و كثرة الأنصار يمضي كالسيف المصلت في أمر الله مؤثرا لطاعة ربه و التقوى على آراء أهل الدنيا .

فقال يزيد بن معاوية يا ابن عباس إنك لتنطق بلسان طلق ينبئ عن مكنون قلب حرق فاطو ما أنت عليه كشحا فقد محا ضوء حقنا ظلمة باطلكم .

فقال ابن عباس مهلا يزيد فو الله ما صفت القلوب لكم منذ تكدرت بالعداوة [2] عليكم و لا دنت بالمحبة إليكم مذ نأت بالبغضاء عنكم لا رضيت اليوم منكم ما سخطت بالأمس من أفعالكم و إن تدل [3] الأيام نستقض ما سد عنا و نسترجع ما ابتز منا كيلا بكيل و وزنا بوزن و إن تكن الأخرى ف **كَفىَ بِاللَّهِ وَلِيًّا** لنا و وكيلا على المعتدين علينا .

فقال معاوية إن في نفسي منكم لحزازات يا بني هاشم و إني لخليق أن أدرك فيكم الثأر و أنفي العار فإن دماءنا قبلكم و ظلامتنا فيكم .

فقال ابن عباس و الله إن رمت ذلك يا معاوية لتثيرن عليك أسدا مخدرة [4] و أفاعي مطرقة لا يفثؤها كثرة السلاح و لا يعضها نكاية الجراح يضعون أسيافهم على عواتقهم يضربون قدما قدما من ناوأهم يهون عليهم نباح الكلاب و عواء الذئاب

---

(1) سورة الكهف 51.
(2) ساقطة من ب.
(3) يقال: دالت الأيّام، أي درت، و هو من قوله تعالى: **وَ تِلْكَ اَلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ اَلنَّاسِ.** .
(4) الأسد الخادر و المخدر: المقيم في الخدر؛ و هو العرين.

لا يفاتون بوتر و لا يسبقون إلى كريم ذكر قد وطنوا على الموت أنفسهم و سمت بهم إلى العلياء هممهم كما قالت الأزدية

قوم إذا شهدوا الهياج فلا # ضرب ينهنههم و لا زجر

و كأنهم آساد غينة قد # غرثت و بل متونها القطر [1] .

فلتكونن منهم بحيث أعددتللهرب فرسك و كان أكبر همك سلامة حشاشة نفسك و لو لا طغام من أهل الشام وقوك بأنفسهم و بذلوا دونك مهجهم حتى إذا ذاقوا وخز الشفار و أيقنوا بحلول الدمار رفعوا المصاحف مستجيرين بها و عائذين بعصمتها لكنت شلوا [2] مطروحا بالعراء تسفي عليك رياحها و يعتورك ذبابها .

و ما أقول هذا أريد صرفك عن عزيمتك و لا إزالتك عن معقود نيتك لكن الرحم التي تعطف عليك و الأوامر التي توجب صرف النصيحة إليك .

فقال معاوية لله درك يا ابن عباس ما تكشف الأيام منك إلا عن سيف صقيل و رأي أصيل و بالله لو لم يلد هاشم غيرك لما نقص عددهم و لو لم يكن لأهلك سواك لكان الله قد كثرهم .

ثم نهض فقام ابن عباس و انصرف . **17- و روى أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب في أماليه أن عمرو بن العاص قال لعتبة بن أبي سفيان أ ما ترى ابن عباس قد فتح عينيه و نشر أذنيه و لو قدر أن يتكلم بهما فعل و إن غفلة أصحابه لمجبورة بفطنته و هي ساعتنا الطولى فاكفنيه .**

قال عتبة بجهدي .

---

(1) الغينة: الأشجار الملتفة في الجبال و في السهول بلا ماء؛ فإذا كانت بماء فهي الغيضة. و الغينة أيضا: موضع باليمن.
(2) الشلو: العضو من أعضاء اللحم.

قال فقمت فقعدت إلى جانبه فلما أخذ القوم في الكلام أقبلت عليه بالحديث فقرع يدي و قال ليست ساعة حديث قال فأظهرت غضبا و قلت يا ابن عباس إن ثقتك بأحلامنا أسرعت بك إلى أعراضنا و قد و الله تقدم من قبل العذر و كثر منا الصبر ثم أقذعته فجاش لي مرجله و ارتفعت أصواتنا فجاء القوم فأخذوا بأيدينا فنحوه عني و نحوني عنه فجئت فقربت من عمرو بن العاص فرماني بمؤخر عينيه و قال ما صنعت فقلت كفيتك التقوالة فحمحم كما يحمحم الفرس للشعير قال و فات ابن عباس أول الكلام فكره أن يتكلم في آخره . و قد ذكرنا نحن هذا الخبر فيما تقدم في أخبارعلى وجه آخر غير هذا الوجه

عمارة بن الوليد و عمرو بن العاص في الحبشة

فأما خبر عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي أخي خالد بن الوليد مع عمرو بن العاص فقد **14- ذكره ابن إسحاق في كتاب المغازي قال كان عمارة بن الوليد بن المغيرة و عمرو بن العاص بن وائل بعد خرجا إلى أرض الحبشة على شركهما و كلاهما كان شاعرا عارما فاتكا .**

و كان عمارة بن الوليد رجلا جميلا وسيما تهواه النساء صاحب محادثة لهن فركبا البحر و مع عمرو بن العاص امرأته حتى إذا صاروا في البحر ليالي أصابا من خمر معهما فلما انتشى عمارة قال لامرأة عمرو بن العاص قبليني فقال لها عمرو قبلي ابن عمك فقبلته فهويها عمارة و جعل يراودها عن نفسها فامتنعت منه ثم إن عمرا جلس على منجاف [1]

(1) المنجاف: سكان السفينة.

السفينة يبول فدفعه عمارة في البحر فلما وقع عمرو سبح حتى أخذ بمنجاف السفينة فقال له عمارة أما و الله لو علمت أنك سابح ما طرحتك و لكنني كنت أظن أنك لا تحسن السباحة فضغن عمرو عليه في نفسه و علم أنه كان أراد قتله و مضيا على وجههما ذلك حتى قدما أرض الحبشة فلما نزلاها كتب عمرو إلى أبيه العاص بن وائل أن اخلعني و تبرأ من جريرتي إلى بني المغيرة و سائر بني مخزوم و خشي على أبيه أن يتبغ بجريرته فلما قدم الكتاب على العاص بن وائل مشى إلى رجال بني المغيرة و بني مخزوم فقال إن هذين الرجلين قد خرجا حيث علمتم و كلاهما فاتك صاحب شر غير مأمونين على أنفسهما و لا أدري ما يكون منهما و إني أبرأ إليكم من عمرو و جريرته فقد خلعته فقال عند ذلك بنو المغيرة و بنو مخزوم و أنت تخاف عمرا على عمارة و نحن فقد خلعنا عمارة و تبرأنا إليك من جريرته فحل بين الرجلين قال قد فعلت فخلعوهما و برئ كل قوم من صاحبهم و ما يجري منه .

قال فلما اطمأنا بأرض الحبشة لم يلبث عمارة بن الوليد أن دب لامرأة النجاشي و كان جميلا صبيحا وسيما فأدخلته فاختلف إليها و جعل إذا رجع من مدخله ذلك يخبر عمرا بما كان من أمره فيقول عمرو لا أصدقك أنك قدرت على هذا إن شأن هذه المرأة أرفع من ذلك فلما أكثر عليه عمارة بما كان يخبره و كان عمرو قد علم صدقه و عرف أنه دخل عليها و رأى من حاله و هيئته و ما تصنع المرأة به إذا كان معها و بيتوتته عندها حتى يأتي إليه مع السحر ما عرف به ذلك و كانا في منزل واحد و لكنه كان يريد أن يأتيه بشيء لا يستطاع دفعه إن هو رفع شأنه إلى النجاشي فقال له في بعض

ما يتذاكران من أمرها إن كنت صادقا فقل لها فلتدهنك بدهن النجاشي الذي لا يدهن به غيره فإني أعرفه و ائتني بشيء منه حتى أصدقك قال أفعل .

ـفجاء في بعض ما يدخل إليها فسألها ذلك فدهنته منه و أعطته شيئا في قارورة فلما شمه عمرو عرفه فقال أشهد أنك قد صدقت لقد أصبت شيئا ما أصاب أحد من العرب مثله قط و نلت من [1] امرأة الملك شيئا [2] ما سمعنا بمثل هذا و كانوا أهل جاهلية و شبانا و ذلك في أنفسهم فضل لمن أصابه و قدر عليه .

ثم سكت عنه حتى اطمأن و دخل على النجاشي [2] فقال أيها الملك إن معي سفيها من سفهاء قريش و قد خشيت أن يعرني [3] عندك أمره و أردت أن أعلمك بشأنه و ألا أرفع ذلك إليك حتى استثبت أنه قد دخل على بعض نسائك فأكثر و هذا دهنك قد أعطته و ادهن به .

فلما شم النجاشي الدهن قال صدقت هذا دهني الذي لا يكون إلا عند نسائي فلما أثبت أمره دعا بعمارة و دعا نسوة أخر فجردوه من ثيابه ثم أمرهن أن ينفخن في إحليله ثم خلى سبيله .

فخرج هاربا في الوحش فلم يزل في أرض الحبشة حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب فخرج إليه رجال من بني المغيرة منهم عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة و كان اسم عبد الله قبل أن يسلم بجيرا فلما أسلم سماه 14رسول الله ص عبد الله فرصدوه على ماء بأرض الحبشة كان يرده مع الوحش فزعموا أنه أقبل في حمر من حمر الوحش ليرد معها فلما وجد ريح الإنس هرب منه حتى إذا أجهده العطش ورد فشرب حتى تملأ و خرجوا في طلبه .

---

(1) تكملة من الأغانى.

(2-2) الأغانى: «حتى إذا اطمأن دخل على النجاشيّ» .

(3) عره: لطخه بالعيب، و في ا: «يغيرنى» ، و ما أثبته عن الأغانى.

قال عبد الله بن أبي ربيعة فسبقت إليه فالتزمته فجعل يقول أرسلني أني أموت إن أمسكتني قال عبد الله فضبطته [1] فمات في يدي مكانه فواروه ثم انصرفوا .

و كان شعره فيما يزعمون قد غطى كل شيء منه فقال عمرو بن العاص يذكر ما كان صنع به و ما أراد من امرأته

تعلم عمار أن من شر سنة # على المرء أن يدعى ابن عم له ابنما

أ أن كنت ذا بردين أحوى مرجلا # فلست براع لابن عمك محرما

إذا المرء لم يترك طعاما يحبه # و لم ينه قلبا غاويا حيث يمما

قضى وطرا منه يسيرا و أصبحت # إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

[2] .

أمر عمرو بن العاص مع جعفر بن أبي طالب في الحبشة

و أما خبر عمرو بن العاص في شخوصه إلى الحبشة ليكيد جعفر بن أبي طالب و المهاجرين من المؤمنين عند النجاشي [3] فقد رواه كل من صنف في السيرة **14- قال محمد بن إسحاق في كتاب المغازي قال حدثني محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية زوجة 14رسول الله ص قالت لما نزلنا بأرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي أمنا [4] على ديننا و عبدنا الله لا نؤذى كما كنا نؤذى بمكة و لا نسمع شيئا نكرهه فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا**

---

(1) في الأغانى: «فضغطته» .
(2) الخبر و الشعر في الأغانى 9: 57-59 (طبعة الدار) .
(3) النجاشيّ، و بتخفيفها.
(4) في الأصول «أمننا» و ما أثبته من السيرة.

بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي في أمرنا رجلين منهم جلدين و أن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة و كان من أعجب ما يأتيه منه الأدم فجمعوا أدما كثيرا و لم يتركوا من بطارقته بطريقا إلا أهدوا إليه هدية ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي و عمرو بن العاص بن وائل السهمي و أمروهما أمرهم و قالوا لهما ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم .

ثم قدما إلى النجاشي و نحن عنده في خير دار عند خير جار فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي ثم قالا للبطارقة أنه قد فر [1] إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم و لم يدخلوا في دينكم و جاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن و لا أنتم و قد بعثنا إلى الملك أشراف قومهم لنردهم إليهم فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا و لا يكلمهم فإن قومهم أعلى بهم عينا و أعلم بما عابوا عليهم فقالوا لهما نعم .

ثم إنهما قربا [2] هدايا الملك إليه فقبلها منهم ثم كلماه فقالا له أيها الملك قد فر إلى بلادك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم و لم يدخلوا في دينك جاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن و لا أنت و قد بعثنا فيهم إليك أشراف قومنا من آبائهم و أعمامهم و عشائرهم لتردهم عليهم فهم أعلى بهم عينا و أعلم بما عابوا عليهم و عاينوه منهم .

قالت أم سلمة و لم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة و عمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلامهم .

فقالت بطارقة الملك و خواصه حوله صدقا أيها الملك قومهم أعلى بهم عينا و أعلم

---

(1) السيرة: «ضوى» ، أي أوى.
(2) السيرة: «؟؟؟» .

بما عابوا عليهم فليسلمهم الملك إليهما ليرادهم [1] إلى بلادهم و قومهم .

فغضب الملك و قال لا ها الله إذا لا أسلمهم إليهما و لا أخفر [2] قوما جاوروني و نزلوا بلادي و اختاروني على سواي حتى أدعوهم و أسألهم عما يقول هذان في أمرهم فإن كانوا كما يقولون أسلمتهم إليهما و رددتهم إلى قومهم و إن كانوا على غير ذلك منعتهم منهم و أحسنت جوارهم ما جاوروني .

قالت ثم أرسل إلى أصحاب 14رسول الله ص فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل إذا جئتموه قالوا نقول و الله ما علمناه و ما أمرنا به 14نبينا ص كائنا في ذلك [3] ما هو كائن فلما جاءوه و قد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم و لم تدخلوا في ديني و لا في دين أحد من هذه الملل قالت أم سلمة و كان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال له أيها الملك إنا كنا قوما في جاهلية نعبد الأصنام و نأكل الميتة و نأتي الفواحش و نقطع الأرحام و نسيء الجوار و يأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله عز و جل علينا رسولا منا نعرف نسبه و صدقه و أمانته و عفافه فدعانا إلى الله لنوحده و نعبده و نخلع ما كنا عليه نحن و آباؤنا من دونه من الحجارة و الأوثان و أمرنا بصدق الحديث و أداء الأمانة و صلة الرحم و حسن التجاور و الكف عن المحارم و الدماء و نهانا عن سائر الفواحش و قول الزور و أكل مال اليتيم و قذف المحصنة و أمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئا و بالصلاة و بالزكاة و الصيام .

---

(1) السيرة: «فليرداهم» .
(2) في السيرة: «و لا يكاد قوم» .
(3) من السيرة.

قالت [1] فعدد عليه أمور الإسلام كلها فصدقناه و آمنا به و اتبعناه على ما جاء به من الله فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا و حرمنا ما حرم علينا و أحللنا ما أحل لنا فعدا علينا قومنا فعذبونا و فتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأصنام و الأوثان عن عبادة الله و أن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا و ظلمونا و ضيقوا علينا و حالوا بيننا و بين ديننا خرجنا إلى بلدك و اخترناك على من سواك و رغبنا في جوارك و رجونا ألا نظلم عندك أيها الملك .

فقال النجاشي فهل معك مما جاء به صاحبكم عن الله شيء فقال جعفر نعم فقال اقرأه علي فقرأ عليه صدرا من كهيعص فبكى حتى اخضلت لحيته و بكت أساقفته حتى أخضلوا لحاهم [2] ثم قال النجاشي و الله إن هذا و الذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة و الله لا أسلمكم إليهم .

قالت أم سلمة فلما خرج القوم من عنده قال عمرو بن العاص [3] و الله لأعيبهم غدا عنده بما يستأصل به خضراءهم [3] فقال له عبد الله بن أبي ربيعة و كان أتقى الرجلين لا تفعل فإن لهم أرحاما و إن كانوا قد خالفوا قال و الله لأخبرنه غدا أنهم يقولون في عيسى بن مريم أنه عبد ثم غدا عليه من الغد فقال أيها الملك إن هؤلاء يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه فأرسل إليهم .

قالت أم سلمة فما نزل بنا مثلها و اجتمع المسلمون و قال بعضهم لبعض ما تقولون في عيسى إذا سألكم عنه فقال جعفر بن أبي طالب نقول فيه و الله ما قال عز و جل و ما جاء به 14نبينا ع كائنا في ذلك ما هو كائن .

فلما دخلوا عليه قال لهم ما تقولون في عيسى بن مريم فقال جعفر نقول إنه عبد الله

---

(1) في الأصول: «قال» ، و ما أثبته من السيرة.
(2) السيرة: «أخضلوا مصاحفهم» .
(3-3) السيرة: «و اللّه لآتينه غدا عنه بما أستأصل به خضراءهم، أي جماعتهم» .

و رسوله و روحه **وَ كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلىَ مَرْيَمَ** العذراء البتول .

قالت فضرب النجاشي يديه على الأرض و أخذ منها عودا و قال ما عدا عيسى بن مريم ما قال هذا العود .

قالت فقد كانت بطارقته تناخرت حوله حين قال جعفر ما قال فقال لهم النجاشي و إن تناخرتم .

ـثم قال للمسلمين اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي أي آمنون من سبكم غرم ثم من سبكم غرم ثم من سبكم غرم ما أحب أن لي دبرا [1] ذهبا و أني آذيت رجلا منكم و الدبر بلسان الحبشة الجبل ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي فيها فو الله ما أخذ الله مني الرشوة حتى ردني إلى ملكي فآخذ الرشوة فيه و ما أطاع الناس في أ فأطيعهم فيه .

قالت فخرج الرجلان من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاءا به و أقمنا عنده في خير [2] دار مع خير جار فو الله إنا لعلى ذلك إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه في ملكه .

قالت أم سلمة فو الله ما أصابنا خوف و حزن قط كان أشد من خوف و حزن نزل بنا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان يعرف منه .

قالت و سار إليه النجاشي و بينهما عرض النيل فقال أصحاب 14رسول الله ص من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر فقال الزبير بن العوام أنا و كان من أحدث المسلمين [3] سنا فنفخوا له قربة فجعلناها تحت صدره ثم سبح

---

(1) في الأصول: «دينا» ، و الصواب من السيرة.
(2) السيرة: «بخير» .
(3) السيرة: «القوم» .

عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها يلتقي القوم ثم انطلق حتى حضرهم قالت و دعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه و التمكين له في بلاده فو الله إنا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن إذ طلع الزبير يسعى و يلوح بثوبه و يقول ألا أبشروا فقد ظهر النجاشي و أهلك الله عدوه .

قالت فو الله ما أعلمنا فرحنا فرحة مثلها قط و رجع النجاشي و قد أهلك الله عدوه و تمكن و مكن له في بلاده و استوثق له أمر الحبشة فكنا عنده في خير منزل و دار إلى أن رجعنا إلى 14رسول الله ص بمكة [1] .

17- و روي عن عبد الله بن جعفر بن محمد ع أنه قال لقد كاد عمرو بن العاص عمنا جعفرا بأرض الحبشة عند النجاشي و عند كثير من رعيته بأنواع الكيد ردها الله تعالى عنه بلطفه رماه بالقتل و السرق و الزنا فلم يلصق به شيء من تلك العيوب لما شاهده القوم من طهارته و عبادته و نسكه و سيما النبوة عليه فلما نبا معوله عن صفاته هيأ له سما قذفه إليه في طعام فأرسل الله هرا كفأ تلك الصحفة و قد مد يده نحو ثم مات لوقته و قد أكل منها فتبين لجعفر كيده و غائلته فلم يأكل بعدها عنده و ما زال ابن الجزار عدوا لنا أهل البيت .

أمر عمرو بن العاص في

و أما خبر عمرو فيو اتقائه حملة 1علي ع بطرحه نفسه على الأرض و إبداء سوأته فقد ذكره كل من صنف فيالسيركتابا و خصوصا الكتب الموضوعة.

---

(1) الخبر في سيرة بن هشام 1: 211-213 (على هامش الروض الأنف) .

313

1- قال نصر بن مزاحم في كتاب صفين قال حدثنا محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي عمرو و عن عبد الرحمن بن حاطب قال [1] كان عمرو بن العاص عدوا للحارث بن نضر الخثعمي [2] و كان من أصحاب 1علي ع و كان 1علي ع قد تهيبته فرسان الشام و ملأ قلوبهم بشجاعته و امتنع كل منهم من الإقدام عليه و كان عمرو قلما جلس مجلسا إلا ذكر فيه الحارث بن نضر الخثعمي و عابه فقال الحارث

ليس عمرو بتارك ذكره الحارث # بالسوء أو يلاقي 1عليا [3] واضع السيف فوق منكبه الأيمن # لا يحسب الفوارس شيا

ليت عمرا يلقاه في حومة النقع # و قد أمست السيوف عصيا [4] حيث يدعو للحرب حامية القوم # إذا كان بالبراز مليا [5] فالقه إن أردت مكرمة الدهر # أو الموت كل ذاك عليا.

فشاعت هذه الأبيات حتى بلغت عمرا فأقسم بالله ليلقين 1عليا و لو مات ألف موتة فلما اختلطت الصفوف لقيه فحمل عليه برمحه فتقدم 1علي ع و هو مخترط سيفا

---

(1) صفين 481 و ما بعدها.
(2) صفين: «الجشميّ» .
(3) صفين:

ليس عمرو بتارك ذكره الحر # ب مدى الدهر أو يلاقى عليا.

(4) صفين: «صارت السيوف» .
(5) بعده في صفّين:

فوق شهب مثل السحوق من النّخل # ينادى المبارزين إليّا

ثمّ يا عمر نستريح من الفخر # و تلقى به فتى هاشميّا

السحوق من النخل: الطويلة؛ شبه بها الخيل.

معتقل رمحا فلما رهقه همز فرسه ليعلو عليه فألقى عمرو نفسه عن فرسه إلى الأرض شاغرا برجليه كاشفا عورته فانصرف عنه لافتا وجهه مستدبرا له فعد الناس ذلك من مكارمه و سؤدده و ضرب بها المثل . **1- قال نصر و حدثني محمد بن إسحاق قال اجتمع [1] عند معاوية في بعض ليالي عمرو بن العاص و عتبة بن أبي سفيان و الوليد بن عقبة و مروان بن الحكم و عبد الله بن عامر و ابن طلحة الطلحات الخزاعي فقال عتبة إن أمرنا و أمر 1علي بن أبي طالب لعجب ما فينا إلا موتور مجتاح [2] .**

أما أنا فقتل جدي عتبة بن ربيعة و أخي حنظلة و شرك في دم عمي شيبة . و أما أنت يا وليد فقتل أباك صبرا و أما أنت يا ابن عامر فصرع أباك و سلب عمك .

و أما أنت يا ابن طلحة فقتل أباكو أيتم إخوتك و أما أنت يا مروان فكما قال الشاعر

و أفلتهن علباء جريضا # و لو أدركنه صفر الوطاب [3] .

فقال معاوية هذا الإقرار فأين الغير [4] قال مروان و أي غير تريد قال أريد أن تشجروه بالرماح قال و الله يا معاوية ما أراك إلا هاذيا أو هازئا و ما أرانا إلا ثقلنا عليك فقال ابن عقبة

يقول لنا معاوية بن حرب # أ ما فيكم لواتركم طلوب

يشد على 1أبي حسن علي # بأسمر لا تهجنه الكعوب

---

(1) صفين 475 و ما بعدها.

(2) صفين: «محاج» .

(3) لامرئ القيس، ديوانه 138، و علباء قاتل والد امرئ القيس، و الجريض: الذي يؤخذ بريقه.
و صفر و طابه، كناية عن القتل.

(4) الغير: جمع غيور، و الغيرة: المحبة.

فيهتك مجمع اللبات منه # و نقع الحرب مطرد يئوب

فقلت له أ تلعب يا ابن هند # كأنك بيننا رجل غريب

أ تغرينا بحية بطن واد # إذا نهشت فليس لها طبيب [1] و ما ضبع يدب ببطن واد # أتيح له به أسد مهيب

بأضعف حيلة منا إذا ما # لقيناه و لقياه عجيب

سوى عمرو وقته خصيتاه # و كان لقلبه منه وجيب

كأن القوم لما عاينوه # خلال النقع ليس لهم قلوب

لعمر أبي معاوية بن حرب # و ما ظني ستلحقه العيوب

لقد ناداه في الهيجا 1علي # فأسمعه و لكن لا يجيب.

فغضب عمرو و قال إن كان الوليد صادقا فليلق 1عليا أو فليقف حيث يسمع صوته .

و قال عمرو

يذكرني الوليد دعا 1علي # و نطق المرء يملؤه الوعيد

متى تذكر مشاهده قريش # يطر من خوفه القلب الشديد

فأما في اللقاء فأين منه # معاوية بن حرب و الوليد

و عيرني الوليد لقاء ليث # إذا ما شد هابته الأسود [2] لقيت و لست أجهله 1عليا # و قد بلت من العلق اللبود

فأطعنه و يطعني خلاسا # و ما ذا بعد طعنته أريد

فرمها منه يا ابن أبي معيط # و أنت الفارس البطل النجيد

و أقسم لو سمعت ندا 1علي # لطار القلب و انتفخ الوريد

(1) صفين: «أ تأمرنا» .
(2) صفين: «إذا ما زار» أي زأر.

و لو لاقيته شقت جيوب # عليك و لطمت فيك الخدود

. **1- و ذكر أبو عمر بن عبد البر في كتاب الإستيعاب في باب بسر بن أرطاة [1] قال كان بسر من الأبطال الطغاة و كان مع معاوية فأمره أن يلقى 1عليا ع في القتال و قال له إني سمعتك تتمنى لقاءه فلو أظفرك الله به و صرعته حصلت على الدنيا و الآخرة [2] و لم يزل يشجعه و يمنيه حتى رأى 1عليا في الحرب فقصده و التقيا فصرعه 1علي ع [3] و عرض له معه مثل ما عرض له مع عمرو بن العاص في كشف السوأة [3] . 1- قال أبو عمر و ذكر ابن الكلبي في كتابه في أخبار صفين أن بسر بن أرطاة بارز 1عليا فطعنه 1علي ع فصرعه فانكشف له فكف عنه كما عرض له مثل [4] ذلك مع عمرو بن العاص .** قال و للشعراء فيهما أشعار مذكورة في موضعها من ذلك الكتاب منها فيما ذكر ابن الكلبي و المدائني قول الحارث بن نضر الخثعمي [5] و كان عدوا لعمرو بن العاص و بسر بن أرطاة

أ في كل يوم فارس لك ينتهي # و عورته وسط العجاجة باديه

يكف لها عنه 1علي سنانه # و يضحك منها في الخلاء معاوية

---

(1) الاستيعاب 164 و ما بعدها.
(2) الاستيعاب: «دنيا و آخرة» .
(3-3) الاستيعاب: «و عرض على كرم اللّه وجهه مثل ما عرض فيما ذكر مع عمرو بن العاص» .
(4) الاستيعاب: «فيما ذكر» .
(5) الاستيعاب: «السهمى» .

بدت أمس من عمرو فقنع رأسه # و عورة بسر مثلها حذو حاذيه

فقولا لعمرو ثم بسر ألا انظرا # لنفسكما لا تلقيا الليث ثانيه

و لا تحمدا إلا الحيا و خصاكما # هما كانتا و الله للنفس واقيه

و لولاهما لم تنجوا من سنانه # و تلك بما فيها إلى العود ناهيه

متى تلقيا الخيل المغيرة صبحة # و فيها 1علي فاتركا الخيل ناحيه

و كونا بعيدا حيث لا يبلغ القنا # نحوركما إن التجارب كافيه.

1- و روى الواقدي قال قال معاوية يوما بعد استقرار الخلافة له لعمرو بن العاص يا أبا عبد الله لا أراك إلا و يغلبني الضحك قال بما ذا قال أذكر يوم حمل عليك 1أبو تراب فيفأزريت نفسك فرقا من شبا سنانه و كشفت سوأتك له فقال عمرو أنا منك أشد ضحكا إني لأذكر يوم دعاك إلى البراز فانتفخ سحرك و ربا لسانك في فمك و غصصت بريقك و ارتعدت فرائصك و بدا منك ما أكره ذكره لك فقال معاوية لم يكن هذا كله و كيف يكون و دوني عك و الأشعريون قال إنك لتعلم أن الذي وصفت دون ما أصابك و قد نزل ذلك بك و دونك عك و الأشعريون فكيف كانت حالك لو جمعكما مأقط [1] الحرب فقال يا أبا عبد الله خض بنا الهزل إلى الجد إن الجبن و الفرار من 1علي لا عار على أحد فيهما .

(1) المأقط: موضع القتال .

غ

خبر إسلام عمرو بن العاص

فأما القول في إسلام عمرو بن العاص فقد **14- ذكره محمد بن إسحاق في كتاب المغازي قال حدثني زيد بن أبي حبيب عن راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي عن حبيب بن أبي أوس قال حدثني عمرو بن العاص من فيه قال لما انصرفنا مع الأحزاب [1] منجمعت رجالا من قريش كانوا يرون رأيي و يسمعون مني فقلت لهم و الله إني لأرى أمر 14محمد يعلو الأمور علوا منكرا و إني قد رأيت رأيا فما ترون فيه فقالوا ما رأيت فقلت أرى أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده فإن ظهر 14محمد على قومه أقمنا عند النجاشي فأن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي 14محمد فإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتنا منهم إلا خير [1] قالوا إن هذا الرأي فقلت فاجمعوا ما نهدي له و كان أحب [2] ما يأتيه من أرضنا الأدم [3] فجمعنا له أدما كثيرا ثم خرجنا حتى قدمنا عليه فو الله إنا لعنده إذ قدم عمرو بن أمية الضمري و كان 14رسول الله ص بعثه إليه في شأن جعفر بن أبي طالب و أصحابه .**

قال فدخل عليه ثم خرج من عنده فقلت لأصحابي هذا عمرو بن أمية لو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد أجزأت [4] عنها حين قتلت رسول 14محمد قال فدخلت عليه فسجدت له فقال مرحبا بصديقي

---

(1) من سيرة ابن هشام.
(2) السيرة: «ما يهدى إليه» .
(3) الأدم: الجلود، جمع أديم.
(4) أجزأت عنها: قمت مقامها.

أهديت إلي من بلادك شيئا قلت نعم أيها الملك قد أهديت لك أدما كثيرا ثم قربته إليه فأعجبه و اشتهاه ثم قلت له أيها الملك إني قد رأيت رجلا خرج من عندك و هو رسول رجل عدو لنا فأعطنيه لأقتله فإنه قد أصاب من أشرافنا و خيارنا .

فغضب الملك ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقا منه ثم قلت أيها الملك و الله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه فقال أ تسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله فقلت أيها الملك أ كذلك هو فقال إي و الله أطعني ويحك و اتبعه فإنه و الله لعلى حق و ليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون و جنوده قلت فبايعني له على الإسلام فبسط يده فبايعته على الإسلام و خرجت عامدا 14لرسول الله ص فلما قدمت المدينة جئت إلى 14رسول الله ص و قد أسلم خالد بن الوليد و قد كان صحبني في الطريق إليه فقلت يا 14رسول الله أبايعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي و لم أذكر ما تأخر فقال بايع يا عمرو فإن الإسلام يجب ما قبله و إن الهجرة تجب ما قبلها فبايعته و أسلمت [1] . **14- و ذكر أبو عمر في الإستيعاب أن إسلامه كان سنة ثمان و أنه قدم و خالد بن الوليد و عثمان بن طلحة المدينة فلما رآهم 14رسول الله قال رمتكم مكة بأفلاذ كبدها .** قال و قد قيل إنه أسلم بينوو القول الأول أصح [2]

بعث 14رسول الله عمرا إلى ذات السلاسل

14- قال أبو عمر و بعث 14رسول الله عمرا إلى ذات السلاسل من بلاد قضاعة في ثلاثمائة و كانت أم العاص بن وائل من بلي فبعث 14رسول الله ص عمرا إلى أرض بلي

---

(1) سيرة ابن هشام 3: 317 (مطبعة حجازى) .
(2) الاستيعاب 1185 و ما بعدها.

و عذرة يتألفهم بذلك و يدعوهم إلى الإسلام فسار حتى إذا كان على ماء أرض جذام يقال له السلاسل و قد سميت تلك الغزاةخاف فكتب إلى 14رسول الله ص يستنجد فأمده بجيش فيه مائتا فارس فيه أهل الشرف و السوابق من المهاجرين و الأنصار فيهم أبو بكر و عمر و أمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح فلما قدموا على عمرو قال عمرو أنا أميركم و إنما أنتم مددي فقال أبو عبيدة بل أنا أمير من معي و أنت أمير من معك فأبى عمرو ذلك فقال أبو عبيدة إن 14رسول الله ص عهد إلي فقال إذا قدمت إلى عمرو فتطاوعا و لا تختلفا فإن خالفتني أطعتك قال عمرو فإني أخالفك فسلم إليه أبو عبيدة و صلى خلفه في الجيش كله و كان أميرا عليهم و كانوا خمسمائة .

ولايات عمرو في عهد 14الرسول و الخلفاء

14- قال أبو عمر ثم ولاه 14رسول الله ص عمان فلم يزل عليها حتى قبض 14رسول الله ص و عمل لعمر و عثمان و معاوية و كان عمر بن الخطاب ولاه بعد موت يزيد بن أبي سفيان فلسطين و الأردن و ولى معاوية دمشق و بعلبك و البلقاء و ولى سعيد بن عامر بن خذيم حمص ثم جمع الشام كلها لمعاوية و كتب إلى عمرو بن العاص أن يسير إلى مصر فسار إليها فافتتحها فلم يزل عليها واليا حتى مات عمر فأمره عثمان عليها أربع سنين و نحوها ثم عزله عنها و ولاها عبد الله بن سعد العامري . قال أبو عمر ثم إن عمرو بن العاص ادعى على أهل الإسكندرية أنهم قد نقضوا العهد الذي كان عاهدهم فعمد إليها فحارب أهلها و افتتحها و قتل المقاتلة و سبى الذرية فنقم ذلك عليه عثمان و لم يصح عنده نقضهم العهد فأمر برد السبي الذي سبوا من القرى إلى مواضعهم و عزل عمرا عن مصر و ولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري

مصر بدله فكان ذلك بدو الشر بين عمرو بن العاص و عثمان بن عفان فلما بدا بينهما من الشر ما بدا اعتزل عمرو في ناحية فلسطين بأهله و كان يأتي المدينة أحيانا فلما استقر الأمر لمعاوية بالشام بعثه إلى مصر بعد فافتتحها فلم يزل بها إلى أن مات أميرا عليها في سنة ثلاث و أربعين و قيل سنة اثنتين و أربعين و قيل سنة ثمان و أربعين و قيل سنة إحدى و خمسين .

قال أبو عمر و الصحيح أنه مات في سنة ثلاث و أربعين و مات يوم عيد الفطر من هذه السنة و عمره تسعون سنة و دفن بالمقطم من ناحية السفح و صلى عليه ابنه عبد الله ثم رجع فصلى بالناس صلاة العيد فولاه معاوية مكانه ثم عزله و ولى مكانه أخاه عتبة بن أبي سفيان . قال أبو عمر و كان عمرو بن العاص من فرسان قريش و أبطالهم في الجاهلية مذكورا فيهم بذلك و كان شاعرا حسن الشعر و أحد الدهاة المتقدمين في الرأي و الذكاء و كان عمر بن الخطاب إذا استضعف رجلا في رأيه و عقله قال أشهد أن خالقك و خالق عمرو واحد يريد خالق الأضداد . [1]

نبذ من كلام عمرو بن العاص

و نقلت أنا من كتب متفرقة كلمات حكمية تنسب إلى عمرو بن العاص استحسنتها و أوردتها لأني لا أجحد لفاضل فضله و إن كان دينه عندي غير مرضي .

فمن كلامه **17- ثلاث لا أملهن جليسي ما فهم عني و ثوبي ما سترني و دابتي ما حملت رحلي .**

(1) انظر أخبار عمرو بن العاص في الاستيعاب ص 1184 و ما بعدها.

17- و قال لعبد الله بن عباس إن هذا الأمر الذي نحن و أنتم [1] فيه ليس بأول أمر قاده البلاء و قد بلغ الأمر منا و منكم ما ترى و ما أبقت لنا هذه الحرب حياة و لا صبرا و لسنا نقول ليت الحرب عادت و لكنا [1] نقول ليتها لم تكن كانت فافعل فيما بقي بغير ما مضى فإنك رأس هذا الأمر بعد 1علي و إنما هو آمر مطاع و مأمور مطيع و مبارز مأمون و أنت هو . 17- و لما نصب معاوية قميص عثمان على المنبر و بكى أهل الشام حوله قال قد هممت أن أدعه على المنبر فقال له عمرو إنه ليس بقميص يوسف أنه إن طال نظرهم إليه و بحثوا عن السبب وقفوا على ما لا تحب أن يقفوا عليه و لكن لذعهم بالنظر إليه في الأوقات . 17- و قال ما وضعت سري عند أحد فأفشاه فلمته لأني أحق باللوم منه إذ كنت أضيق به صدرا منه . 17- و قال ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر لكن العاقل من يعرف خير الشرين . 17- و قال عمر بن الخطاب لجلسائه يوما و عمرو فيهم ما أحسن الأشياء فقال كل منهم ما عنده فقال ما تقول أنت يا عمرو فقال

الغمرات ثم ينجلينا [2] .

17- و قال لعائشة لوددت أنك قتلتقالت و لم لا أبا لك قال كنت تموتين بأجلك و تدخلين الجنة و نجعلك أكبر التشنيع على 1علي بن أبي طالب ع . 17- و قال لبنيه يا بني اطلبوا العلم فإن استغنيتم كان جمالا و إن افتقرتم كان مالا . 17- و من كلامه أمير عادل خير من مطر وابل و أسد حطوم خير من سلطان ظلوم و سلطان ظلوم خير من فتنة تدوم و زلة الرجل عظم يجبر و زلة اللسان لاَ تُبْقِي وَ لاَ تَذَرُ و استراح من لا عقل له .

(1-1) ساقط من ب، ج، و أثبته من ا.

(2) البيت من رجز للأغلب العجليّ؛ جمهرة الأمثال 150.

17- و كتب إليه عمر يسأله عن البحر فكتب إليه خلق عظيم يركبه خلق ضعيف .

دود على عود بين غرق و نزق . 17- و قال لعثمان و هو يخطب على المنبر يا عثمان إنك قد ركبت بهذه الأمة نهاية من الأمر و زغت فزاغوا فاعتدل أو اعتزل . 17- و من كلامه استوحش من الكريم الجائع و من اللئيم الشبعان فإن الكريم يصول إذا جاع و اللئيم يصول إذا شبع . 17- و قال جمع العجز إلى التواني فنتج بينهما الندامة و جمع الجبن إلى الكسل فنتج بينهما الحرمان . 17- و روى عبد الله بن عباس قال دخلت على عمرو بن العاص و قد احتضر فقلت يا أبا عبد الله كنت تقول أشتهي أني أرى عاقلا يموت حتى أسأله كيف تجد فما ذا تجد قال أجد السماء كأنها مطبقة على الأرض و أنا بينهما و أراني كأنما أتنفس من خرق إبرة ثم قال اللهم خذ مني حتى ترضى ثم رفع يده فقال اللهم أمرت فعصينا و نهيت فركبنا فلا برئ فأعتذر و لا قوي فأنتصر و لكن لا إله إلا الله فجعل يرددها حتى فاض . 17- و قد روى أبو عمر بن عبد البر هذا الخبر في كتاب الإستيعاب قال لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال اللهم أمرتني فلم آتمر و زجرتني فلم أنزجر و وضع يده في موضع الغل ثم قال اللهم لا قوي فأنتصر و لا برئ فأعتذر و لا مستكبر بل مستغفر لا إله إلا أنت فلم يزل يرددها حتى مات . 17- قال أبو عمر و حدثني خلف بن قاسم قال حدثني الحسن بن رشيق قال حدثنا الطحاوي قال حدثنا المزني قال سمعت الشافعي يقول دخل ابن عباس على عمرو بن العاص في مرضه فسلم عليه فقال كيف أصبحت يا أبا عبد الله قال أصبحت و قد أصلحت من دنياي قليلا و أفسدت من ديني كثيرا فلو كان الذي أصلحت هو الذي

أفسدت و الذي أفسدت هو الذي أصلحت لفزت و لو كان ينفعني أن أطلب طلبت و لو كان ينجيني أن أهرب هربت فقد صرت كالمنخنق بين السماء و الأرض لا أرقى بيدين و لا أهبط برجلين فعظني بعظة أنتفع بها يا ابن أخي فقال ابن عباس هيهات أبا عبد الله صار ابن أخيك أخاك و لا تشاء أن تبلى إلا بليت [1] كيف يؤمر برحيل من هو مقيم فقال عمرو على حينها من حين ابن بضع و ثمانين تقنطني من رحمة ربي اللهم إن ابن عباس يقنطني من رحمتك فخذ مني حتى ترضى فقال ابن عباس هيهات أبا عبد الله أخذت جديدا و تعطى خلقا قال عمرو ما لي و لك يا ابن عباس ما أرسل كلمة إلا أرسلت نقيضها [2] .

14- و روى أبو عمر في كتاب الإستيعاب أيضا عن رجال قد ذكرهم و عددهم أن عمرا لما حضرته الوفاة قال له ابنه عبد الله و قد رآه يبكي لم تبكي أ جزعا من الموت قال لا و الله و لكن لما بعده فقال له لقد كنت على خير فجعل يذكره صحبة 14رسول الله ص و فتوحه بالشام فقال له عمر و تركت أفضل من ذلك شهادة أن لا إله إلا الله إني كنت على ثلاثة أطباق ليس منها طبق إلا عرفت نفسي فيه كنت أول أمري كافرا فكنت أشد الناس على 14رسول الله ص فلو مت حينئذ وجبت لي النار فلما بايعت 14رسول الله ص كنت أشد الناس حياء منه فما ملأت منه عيني قط فلو مت يومئذ قال الناس هنيئا لعمرو أسلم و كان على خير و مات على خير أحواله فسرحوا له بالجنة ثم تلبثت بعد ذلك بالسلطان و بأشياء فلا أدري

---

(1) الاستيعاب: «أن تبكى إلاّ بكيت» .
(2) الاستيعاب 1189.

أ علي أم لي فإذا مت فلا تبكين علي باكية و لا يتبعني نائح و لا تقربوا من قبري نارا و شدوا علي إزاري فإني مخاصم و شنوا علي التراب شنا فإن جنبي الأيمن ليس بأحق من جنبي الأيسر و لا تجعلوا في قبري خشبة و لا حجرا و إذا واريتموني فاقعدوا عندي قدر نحر جزور و تقطيعها أستأنس بكم [1] . فإن قلت فما الذي يقوله أصحابك المعتزلة في عمرو بن العاص قلت إنهم يحكمون على كل من شهدبما يحكم به على الباغي الخارج على الإمام العادل و مذهبهم في صاحب الكبيرة إذا لم يتب معلوم .

فإن قلت أ ليس في هذه الأخبار ما يدل على توبته نحو قوله و لا مستكبر بل مستغفر و قوله اللهم خذ مني حتى ترضى و قوله أمرت فعصيت و نهيت فركبت .

و هذا اعتراف و ندم و هو معنى التوبة قلت إن قوله تعالى **وَ لَيْسَتِ اَلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ اَلسَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ اَلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ اَلْآنَ** [2] يمنع من كون هذا توبة و شروط التوبة و أركانها معلومة و ليس هذا الاعتراف و التأسف منها في شيء .

و قال شيخنا أبو عبد الله أول من قال بالإرجاء المحض معاوية و عمرو بن العاص كانا يزعمان أنه لا يضر مع الإيمان معصية و لذلك قال معاوية لمن قال له حاربت من تعلم و ارتكبت ما تعلم فقال وثقت بقوله تعالى **إِنَّ اَللَّهَ يَغْفِرُ اَلذُّنُوبَ جَمِيعاً** [3]

_____

(1) الاستيعاب 1190.
(2) سورة النساء 18.
(3) سورة الزمر 53.

و إلى هذا المعنى أشار عمرو بقوله لابنه تركت أفضل من ذلك شهادة أن لا إله إلا الله

فصل في شرح ما نسب إلى 1علي من الدعابة

فأما ما كان يقوله عمرو بن العاص في 1علي ع لأهل الشام إن فيه دعابة يروم أن يعيبه بذلك عندهم فأصل ذلك كلمة قالها عمر فتلقفها حتى جعلها أعداؤه عيبا له و طعنا عليه .

1- قال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب في كتاب الأمالي كان عبد الله بن عباس عند عمر فتنفس عمر نفسا عاليا قال ابن عباس حتى ظننت أن أضلاعه قد انفرجت فقلت له ما أخرج هذا النفس منك يا أمير المؤمنين إلا هم شديد .

قال إي و الله يا ابن عباس إني فكرت فلم أدر فيمن أجعل هذا الأمر بعدي ثم قال لعلك ترى 1صاحبك لها أهلا قلت و ما يمنعه من ذلك مع جهاده و سابقته و قرابته و علمه قال صدقت و لكنه امرؤ فيه دعابة قلت فأين أنت من طلحة قال هو ذو البأو [1] بإصبعه المقطوعة قلت فعبد الرحمن قال رجل ضعيف لو صار الأمر إليه لوضع خاتمه في يد امرأته قلت فالزبير قال شكس لقس [2] يلاطم في البقيع في صاع من بر قلت فسعد بن أبي وقاص قال صاحب مقنب [3] و سلاح قلت فعثمان قال أوه أوه مرارا ثم قال و الله لئن وليها ليحملن بني أبي معيط على رقاب الناس ثم لتنهضن إليه العرب فتقتله ثم قال يا ابن عباس إنه لا يصلح لهذا الأمر إلا حصيف العقدة قليل الغرة لا تأخذه في الله لومة لائم يكون شديدا من غير عنف لينا من

---

(1) البأو: الكبر و الفخر؛ و في اللسان: روى الفقهاء: «فى طلحة بأواء» .
(2) الشكس: الصعب الخلق، و اللقس العسر.
(3) المقنب: جماعة الخيل.

غير ضعف جوادا من غير سرف ممسكا من غير وكف [1] قال ابن عباس و كانت هذه صفات عمر ثم أقبل علي فقال إن أحراهم أن يحملهم على كتاب ربهم و سنة 14نبيهم 1لصاحبك و الله لئن وليها ليحملنهم على المحجة البيضاء و الصراط المستقيم . و اعلم أن الرجل ذا الخلق المخصوص لا يرى الفضيلة إلا في ذلك الخلق أ لا ترى أن الرجل يبخل فيعتقد أن الفضيلة في الإمساك و البخيل يعيب أهل السماح و الجود و ينسبهم إلى التبذير و إضاعة الحزم و كذلك الرجل الجواد يعيب البخلاء و ينسبهم إلى ضيق النفس و سوء الظن و حب المال و الجبان يعتقد أن الفضيلة في الجبن و يعيب الشجاعة و يعتقد كونها خرقا و تغريرا بالنفس كما قال المتنبي

يرى الجبناء أن الجبن حزم [2] ـو الشجاع يعيب الجبان و ينسبه إلى الضعف و يعتقد أن الجبن ذل و مهانة و هكذا القول في جميع الأخلاق و السجايا المقتسمة بين نوع الإنسان و لما كان عمر شديد الغلظة وعر الجانب خشن الملمس دائم العبوس كان يعتقد أن ذلك هو الفضيلة و أن خلافه نقص و لو كان سهلا طلقا مطبوعا على البشاشة و سماحة الخلق لكان يعتقد أن ذاك هو الفضيلة و أن خلافه نقص حتى لو قدرنا أن خلقه حاصل 1لعلي ع و خلق 1علي حاصل له لقال في 1علي لو لا شراسة فيه .

فهو غير ملوم عندي فيما قاله و لا منسوب إلى أنه أراد الغض من 1علي و القدح

---

(1) الوكف: العيب.

(2) ديوانه 239 و بقيته: *و تلك خديعة الطّبع اللّئيم*.

.

فيه و لكنه أخبر عن خلقه ظانا أن الخلافة لا تصلح إلا لشديد الشكيمة العظيم الوعورة و بمقتضى ما كان يظنه من هذا المعنى تمم خلافة أبي بكر بمشاركته إياه في جميع تدابيراته و سياسته و سائر أحواله لرفق و سهولة كانت في أخلاق أبي بكر و بمقتضى هذا الخلق المتمكن عنده كان يشير على 14رسول الله ص في مقامات كثيرة و خطوب متعدة بقتل قوم كان يرى قتلهم و كان 14النبي ص يرى استبقاءهم و استصلاحهم فلم يقبل ع مشورته على هذا الخلق .

و أما إشارته عليهبقتل الأسرى حيث أشار أبو بكر بالفداء فكان الصواب مع عمر و نزل القرآن بموافقته فلما كان في اليوم الثاني و هوأشار بالحرب و كره الصلح فنزل القرآن بضد ذلك فليس كل وقت يصلح تجريد السيف و لا كل وقت يصلح إغماده و السياسة لا تجري على منهاج واحد و لا تلزم نظاما واحدا .

و جملة الأمر أنه رضي الله عنه لم يقصد عيب 1علي ع و لا كان عنده معيبا و لا منقوصا أ لا ترى أنه قال في آخر الخبر أن أحراهم إن وليها أن يحملهم على كتاب الله و سنة 14رسوله 1لصاحبك ثم أكد ذلك بأن قال إن وليهم ليحملنهم على المحجة [1] البيضاء و الصراط المستقيم فلو كان أطلق تلك اللفظة و عنى بها ما حملها عليه الخصوم لم يقل في خاتمة كلامه ما قاله .

و أنت إذا تأملت حال 1علي ع في أيام 14رسول الله ص وجدته بعيدا عن أن ينسب إلى الدعابة و المزاح لأنه لم ينقل عنه شيء من ذلك أصلا لا في كتب الشيعة و لا في كتب المحدثين و كذلك إذا تأملت حاله [2] في أيام الخليفتين أبي بكر و عمر لم تجد في كتبالسيرةحديثا واحدا يمكن أن يتعلق به متعلق في دعابته و مزاحه فكيف يظن

(1) المحجة: الطريق؛ و الطريق تذكر و تؤنث.
(2) ج: «حالته» .

بعمر أنه نسبه إلى أمر لم ينقله عنه ناقل و لا ندد به صديق و عدو و إنما أراد سهولة خلقه لا غير و ظن أن ذلك مما يفضي به إلى ضعف إن ولي أمر الأمة لاعتقاده أن قوام هذا الأمر إنما هو بالوعورة بناء على ما قد ألفته نفسه و طبعت عليه سجيته و الحال في أيام عثمان و أيام ولايته ع الأمر كالحال فيما تقدم في أنه لم يظهر منه دعابة و لا مزاح يسمى الإنسان لأجله ذا دعابة و لعب و من تأمل كتبالسيرعرف صدق هذا القول و عرف أن عمرو بن العاص أخذ كلمة عمر إذ لم يقصد بها العيب فجعلها عيبا و زاد عليها أنه كثير اللعب يعافس النساء و يمارسهن و أنه صاحب هزل .

و لعمر الله لقد كان أبعد الناس من ذلك و أي وقت كان يتسع 1لعلي ع حتى يكون فيه على هذه الصفات فإن أزمانه كلها في العبادة و الصلاة و الذكر و الفتاوي و العلم و اختلاف الناس إليه في الأحكام وتفسير القرآن و نهاره كله أو معظمه مشغول بالصوم و ليله كله أو معظمه مشغول بالصلاة هذا في أيام سلمه فأما أيام حربه فبالسيف الشهير و السنان الطرير [1] و ركوب الخيل و قود الجيش و مباشرة الحروب .

و لقد **1- صدق ع في قوله إنني ليمنعني من اللعب ذكر الموت .** و لكن الرجل الشريف النبيل الذي لا يستطيع أعداؤه أن يذكروا له عيبا أو يعدوا عليه وصمة لا بد أن يحتالوا و يبذلوا جهدهم في تحصيل أمر ما و إن ضعف يجعلونه عذرا لأنفسهم في ذمه و يتوسلون به إلى أتباعهم في تحسينهم لهم مفارقته و الانحراف عنه و ما زال المشركون و المنافقون يصنعون 14لرسول الله ص الموضوعات ينسبون إليه ما قد برأه الله عنه من العيوب و المطاعن في حياته و بعد وفاته إلى زماننا هذا و ما يزيده الله سبحانه إلا رفعة و علوا فغير منكر أن يعيب 1عليا ع عمرو بن العاص و أمثاله من أعدائه بما إذا تأمله المتأمل علم أنهم باعتمادهم عليه و تعلقهم به قد اجتهدوا

(1) سنان طرير: أى محدد.

في مدحه و الثناء عليه لأنهم لو وجدوا عيبا غير ذلك لذكروه و لو بالغ 1أمير المؤمنين و بذل جهده في أن يثنى أعداؤه و شانئوه عليه من حيث لا يعلمون لم يستطع إلى أن يجد إلى ذلك طريقا ألطف من هذه الطريق التي أسلكهم الله تعالى فيها و هداهم إلى منهاجها فظنوا أنهم يغضون منه و إنما أعلوا شأنه و يضعون من قدره و إنما رفعوا منزلته و مكانه

أقوال و حكايات في المزاح

و نحن نذكر من بعد ما جاء في الأحاديث الصحاح و الآثار المستفيضة المتفق على نقلها مزاح 14رسول الله ص و مزاح الأشراف و الأفاضل و الأكابر من أصحابه و التابعين له ليعلم أن المزاح إذا لم يخرج عن القاعدة الشرعية لم يكن قبيحا .

فأول ذلك ما **14- رواه الناس قاطبة أن 14رسول الله ص قال إني أمزح و لا أقول إلا حقا. 14- و قيل لسفيان الثوري المزاح هجنة فقال بل هو سنة لقول 14رسول الله ص إني أمزح و لا أقول إلا الحق . 14- و جاء في الخبر أن 14رسول الله ص قال لامرأة من الأنصار الحقي زوجك فإن في عينه بياضا فسعت نحوه مرعوبة فقال لها ما دهاك فأخبرته فقال نعم إن في عيني بياضا لا لسوء فخفضي عليك فهذا من مزاح 14رسول الله ص . 14- و أتت عجوز من الأنصار إليه ع فسألته أن يدعو الله تعالى لها بالجنة فقال إن الجنة لا تدخلها العجز فصاحت فتبسم ع فقال إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً `فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً [1] .**

(1) سورة الواقعة 35.

14- و في الخبر أيضا أن امرأة استحملته فقال إنا حاملوك إن شاء الله تعالى على ولد الناقة فجعلت تقول يا 14رسول الله و ما أصنع بولد الناقة و هل يستطيع أن يحملني و هو يبتسم و يقول لا أحملك إلا عليه حتى قال لها أخيرا و هل يلد الإبل إلا النوق . 14- و في الخبر أنه ع مر ببلال و هو نائم فضربه برجله و قال أ نائمة أم عمرو فقال بلال مرعوبا فضرب بيده إلى مذاكيره فقال له ما بالك قال ظننت أني تحولت امرأة قيل فلم يمزح 14رسول الله بعد هذه . 14- و في الخبر أيضا أن نغرا [1] كان لصبي من صبيان الأنصار فطار من يده فبكى الغلام فكان 14رسول الله ص يمر به فيقول يا أبا عمير ما فعل النغير و الغلام يبكي . 14,3- و كان يمازح ابني بنته مزاحا مشهورا و كان يأخذ 3الحسين ع فيجعله على بطنه و هو ع نائم على ظهره و يقول له حزقة حزقة ترق عين بقة [2] . 14- و في الحديث الصحيح المتفق عليه أنه مر على أصحاب الدركلة و هم يلعبون و يرقصون فقال جدوا يا بني أرفده حتى يعلم اليهود و النصارى أن في ديننا فسحة . قال أهلاللغةالدركلة بكسر الدال و الكاف لعبة للحبش فيها ترقص و بنو أرفدة جنس من الحبش يرقصون .

14- و جاء في الخبر أنه سابق عائشة فسبقته ثم سابقها فسبقها فقال هذه بتلك . 14- و في الخبر أيضا أن أصحاب الزفافة و هم الراقصون كانوا يقمعون [3] باب حجرة عائشة فتخرج إليهم مستمعة و مبصرة فيخرج هو ع من ورائها مستترا بها . 14- و كان نعيمان [4] و هو من أهل أولع الناس بالمزاح عند 14رسول الله ص

---

(1) النغر: صغار العصافير. و انظر اللسان.

(2) الحزقة: الضعيف الذي يقارب خطوه من ضعف. و عين بقة كناية عن صغر العين و انظر اللسان 11: 330.

(3) يقمعون: يضربون.

(4) هو نعيمان بن عمرو بن رفاعة بن الحارث؛ كذا نسبه و ترجم له و ذكر طائفة من أخباره في الإصابة 4: 540.

و كان يكثر الضحك فقال 14رسول الله ص يدخل الجنة و هو يضحك .

14- و خرج نعيمان هو و سويبط بن عبد العزى [1] و أبو بكر الصديق في تجارة قبل بعامين و كان سويبط على الزاد فكان نعيمان يستطعمه فيقول حتى يجيء أبو بكر فمر بركب من نجران فباعه نعيمان منهم على أنه عبد له بعشر قلائص و قال لهم إنه ذو لسان و لهجة و عساه يقول لكم أنا حر فقالوا لا عليك .

و جاءوا إليه فوضعوا عمامته في عنقه و ذهبوا به فلما جاء أبو بكر أخبر بذلك فرده و أعاد القلائص إليهم فضحك 14رسول الله ص و أصحابه من ذلك سنة [2] . **14- و روي أن أعرابيا باع نعيمان عكة [3] عسل فاشتراها منه فجاء بها إلى بيت عائشة في يومها و قال خذوها فظن 14رسول الله ص أنه أهداها إليه و مضى نعيمان فنزل الأعرابي على الباب فلما طال قعوده نادى يا هؤلاء إما أن تعطونا ثمن العسل أو تردوه علينا فعلم 14رسول الله ص بالقصة و أعطى الأعرابي الثمن و قال لنعيمان ما حملك على ما فعلت قال رأيتك يا 14رسول الله تحب العسل و رأيت العكة مع الأعرابي فضحك 14رسول الله ص و لم ينكر عليه . 17- و سئل النخعي هل كان أصحاب 14رسول الله يضحكون و يمزحون فقال نعم و الإيمان في قلوبهم مثل الجبال الرواسي . 16- و جاء في الخبر أن يحيى ع لقي عيسى ع و عيسى متبسم فقال يحيى ع ما لي أراك لاهيا كأنك آمن فقال ع ما لي أراك عابسا**

---

(1) في الإصابة 2: 96، 97: «سويبط بن حرملة، قال: ذكره موسى بن عقبة و ابن إسحاق و عروة فيمن هاجر إلى الحبشة» .
(2) الخبر في الإصابة 2: 97.
(3) العكة: زق السمن أو العسل.

كأنك آيس فقالا لا نبرح حتى ينزل علينا الوحي فأوحى الله إليهما أحبكما إلي الطلق البسام أحسنكما ظنا بي. و روي عن كبراء الصحابة رضي الله تعالى عنهم أنهم كانوا يتمازحون و يتناشدون الأشعار فإذا خاضوا في الدين انقلبت حماليقهم و صاروا في صور أخرى .

17- و روي أن عبد الله بن عمر قال لجاريته خلقني خالق الخير و خلقك خالق الشر فبكت فقال لا عليك فإن الله تعالى هو خالق الخير و هو خالق الشر . قلت يعني بالشر المرض و الغلاء و نحوهما .

17- و كان ابن سيرين ينشد

نبئت أن فتاة كنت أخطبها # عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول [1] .

ثم يضحك حتى يسيل لعابه . **17- و جاء عبد الرحمن بن عوف إلى باب عمر بن الخطاب فوجده مستلقيا على مرفقة له رافعا إحدى رجليه على الأخرى منشدا بصوت عال**

و كيف ثوائي بالمدينة بعد ما # قضى وطرا منها جميل بن معمر .

فلما دخل عبد الرحمن و جلس قال يا أبا محمد إنا إذا خلونا قلنا كما يقول الناس . 17- و كان سعيد بن المسيب ينشد

لقد أصبحت عرس الفرزدق جامحا # و لو رضيت رمح استه لاستقرت [2]

و يضحك حتى يستغرق . و كان يقال لا بأس بقليل المزاح يخرج منه الرجل عن حد العبوس .

---

(1) زهر الآداب 165، من غير نسبة.
(2) لجرير ديوانه، 88.

17- و من كلام بعض الأدباء و نحن نحمد الله إليك فإن عقدة الإسلام في قلوبنا صحيحة و أواخيه عندنا ثابتة و قد اجتهد قوم أن يدخلوا قلوبنا من مرض قلوبهم و أن يشوبوا يقيننا بشكهم فعصم الله منهم و حال توفيقه دونهم و لنا بعد مذهب في الدعابة جميل لا يشوبه أذى و لا قذى يخرج بنا إلى الأنس من العبوس و إلى الاسترسال من القطوب و يلحقنا بأحرار الناس الذين ارتفعوا عن لبسة الرياء و أنفوا من التشوف بالتصنع . 16- و قال ابن جريج سألت عطاء عن القراءة على ألحان الغناء و الحداء فقال لي لا بأس بذلك حدثني عبيد الله بن عمر الليثي أنه كان لداود النبي ع معزفة قد يضرب بها إذا قرأ الزبور فتجمع إليه الطير و الوحش فيبكي و يبكي من حوله . 17- و قال جابر بن عبد الله الجعفي رأيت الشعبي يقول لخياط يمازحه عندنا حب مكسور و أحب أن تخيطه فقال الخياط أحضر لي خيوطا من ريح لأخيطه لك . 17- و سئل الشعبي هل يجوز أن يؤكل الجني لو ظفر به فقال ليتنا نخرج منه كفافا [1] لا لنا و لا علينا . 17- و سأل إنسان محمد بن سيرين عن هشام بن حسان فقال توفي البارحة أ ما شعرت فخرج يسترجع فلما رأى ابن سيرين جزعه قرأ اَللَّهُ يَتَوَفَّى اَلْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا [2] . 17- و كان زيد بن ثابت من أفكه الناس في بيته و أرفقهم و قد أباح الله تعالى الرفث إلى النساء فقال أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ اَلصِّيَامِ اَلرَّفَثُ إِلىَ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ

---

(1) الكفاف: المثل.
(2) سورة الزمر 42.

وَ أَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ [1] . و قال أهلاللغةالرفث القول الفاحش تخاطب به المرأة حال الجماع .

17- و مر بالشعبي حمال على ظهره دن خل فوضع الدن و قال له ما كان اسم امرأة إبليس فقال الشعبي ذلك نكاح ما شهدناه . 17- و قال عكرمة ختن ابن عباس بنيه فأرسلني فدعوت اللعابين فلعبوا فأعطاهم أربعة دراهم . 17- و تقدم رجلان إلى شريح في خصومة فأقر أحدهما بما ادعي عليه و هو لا يدري فقضى شريح عليه فقال أصلحك الله أ تقضي علي بغير بينة قال بلى شهد عندي ثقة قال و من هو قال ابن أخت خالتك . 14- و جاء في الخبر أن 14النبي ص مر بصهيب و هو أرمد يأكل تمرا فنهاه فقال إنما آكله عن جانب العين الصحيحة يا 14رسول الله فضحك منه و لم ينكر عليه . 14- و في الخبر أنه ص مر بحسان بن ثابت و قد رش [2] **أطماره و عنده جارية تغنيه**

هل على ويحكما # إن لغوت من حرج

فقال ص لا حرج إن شاء الله . **17- و قيل إن عبد الله بن جعفر قال لحسان بن ثابت في أيام معاوية لو غنتك فلانة جاريتي صوت كذا لم تدرك ركابك فقال يا أبا جعفر فَكُلُوا مِنْهَا وَ أَطْعِمُوا اَلْبَائِسَ اَلْفَقِيرَ** [3] **.**

---

(1) سورة البقرة 187.
(2) رش أطماره: غسلها.
(3) سورة الحجّ.

17- و قال أسلم مولى عمر بن الخطاب مر بي عمر و أنا و عاصم نغني غناء النصب [1] فوقف و قال أعيدا علي فأعدنا عليه و قلنا أينا أحسن صنعة يا أمير المؤمنين فقال مثلكما كحماري العبادي قيل له أي حماريك شر فقال هذا ثم هذا فقلت يا أمير المؤمنين أنا الأول من الحمارين فقال أنت الثاني منهما . 17- و مر نعيمان و هو بدري بمخرمة بن نوفل في خلافة عثمان و قد كف بصره فقال أ لا يقودني رجل حتى أبول فأخذ نعيمان بيده حتى صار به إلى مؤخر المسجد و قال هاهنا فبل فبال فصاح به الناس فقال من قادني قيل نعيمان قال لله علي أن أضربه بعصاي هذه فبلغ نعيمان فأتاه فقال بلغني أنك أقسمت لتضربن نعيمان فهل لك فيه قال نعم قال قم فقام معه حتى وافى به عثمان بن عفان و هو يصلي فقال دونك الرجل فجمع مخرمة يديه في العصا و ضربه بها فصاح الناس ويلك أمير المؤمنين قال من قادني قالوا نعيمان قال و ما لي و لنعيمان لا أعرض له أبدا . 17- و كان طويس يتغنى في عرس فدخل النعمان بن بشير الأنصاري العرس و طويس يغنيهم

أ جد بعمرة هجرانها # و تسخط أم شاننا شانها [2] .

فأشاروا إليه بالسكوت فقال النعمان دعوه إنه لم يقل بأسا إنما قال

و عمرة من سروات النساء # تنفح بالمسك أردانها.

و عمرة هذه أم النعمان و فيها قيل هذا النسيب . و قد روي عن جماعة من الصحابة و التابعين اللعب بالنرد و الشطرنج و منهم من روي عنهم شرب النبيذ و سماع الغناء المطرب .

---

(1) النصب: غناء يشبه الحداء؛ إلا أنّه أرق.
(2) البيتان لقيس بن الخطيم، ديوانه 7، 8.

فأما 1أمير المؤمنين علي ع فإذا نظرت إلى كتب الحديث والسيرلم تجد أحدا من خلق الله عدوا و لا صديقا روى عنه شيئا من هذا الفن لا قولا و لا فعلا و لم يكن جد أعظم من جده و لا وقار أتم من وقاره و ما هزل قط و لا لعب و لا فارق الحق و الناموس الديني سرا و لا جهرا و كيف يكون هازلا **1- و من كلامه المشهور عنه ما مزح امرؤ مزحة إلا و مج معها من عقله مجة .** و لكنه خلق على سجية لطيفة و أخلاق سهلة و وجه طلق و قول حسن و بشر ظاهر و ذلك من فضائله ع و خصائصه التي منحه الله بشرفها و اختصه بمزيتها و إنما كانت غلظته و فظاظته فعلا لا قولا و ضربا بالسيف لا جبها بالقول و طعنا بالسنان لا عضها باللسان [1] كما قال الشاعر

و تسفه أيدينا و يحلم رأينا # و نشتم بالأفعال لا بالتكلم

نبذ و أقول في حسن الخلق و مدحه

فأما سوء الخلق فلم يكن من سجاياه **14- فقد قال 14النبي ص خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل و سوء الخلق.** و قال الله تعالى 14لنبيه ص **وَ إِنَّكَ لَعَلىَ خُلُقٍ عَظِيمٍ** [2] و قال أيضا **وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ اَلْقَلْبِ لَاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** [3] . **1- و قيل 14لرسول الله ص ما الشؤم فقال سوء الخلق . 17- و صحب جابر رجلا في طريق مكة فآذاه سوء خلقه فقال جابر إني لأرحمه نحن نفارقه و يبقى معه سوء خلقه .**

---

(1) يقال: جبهت فلانا؛ إذا خاطبته بما يكره. و العضة: الرمى بالكذب و البهتان.
(2) سورة القلم 4.
(3) سورة آل عمران 159.

17- و قيل لعبد الله بن جعفر كيف تجاور بني زهرة و في أخلاقهم زعارة [1] قال لا يكون لي قبلهم شيء إلا تركته و لا يطلبون مني شيئا إلا أعطيتهم . 14- و في الحديث المرفوع أنه ص قال أ لا أنبئكم بشر الناس قالوا بلى يا 14رسول الله قال من نزل وحده و منع رفده و ضرب عبده ثم قال أ لا أنبئكم بشر من ذلك قالوا بلى قال من لم يقل عثرة و لا يقبل معذرة . 14- و قال إبراهيم بن عباس الصولي لو وزنت كلمة 14رسول الله ص بمحاسن الخلق كلها لرجحت قوله إنكم لن تسعوا [2] الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم . 16- و في الخبر المرفوع حسن الخلق زمام من رحمة الله في أنف صاحبه و الزمام بيد الملك و الملك يجره إلى الخير و الخير يجره إلى الجنة و سوء الخلق زمام من عذاب الله في أنف صاحبه و الزمام بيد الشيطان و الشيطان يجره إلى الشر و الشر يجره إلى النار . 14- و روى 2الحسن بن علي ع عن 14النبي ص أن الرجل يدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم و إنه ليكتب جبارا و لا يملك إلا أهله. 14- و روى أبو موسى الأشعري قال بينا 14رسول الله ص يمشي و امرأة بين يديه فقلت الطريق 14لرسول الله ص فقالت الطريق معرض إن شاء أخذ يمينا و إن شاء أخذ شمالا فقال ص دعوها فإنها جبارة [3] . 17- و قال بعض السلف الحسن الخلق ذو قرابة عند الأجانب و السيئ الخلق أجنبي عند أهله . 17- و من كلام الأحنف أ لا أخبركم بالمحمدة بلا مذمة الخلق السجيح و الكف عن القبيح أ لا أخبركم بأدوأ الداء الخلق الدنيء و اللسان البذيء .

---

(1) الزعارة، و تشدد الراء: شراسة الخلق.

(2) في الأصول: «لن تشبعوا» تصحيف؛ و لفظ الحديث في الجامع الصغير 1: 175: «إنكم لا تسعون الناس بأموالكم، و لكن ليسعهم منكم بسط الوجه و حسن الخلق» .

(3) جبارة، أي مستكبرة عاتية. و انظر النهاية 1: 142.

16- و في الحديث المرفوع أول ما يوضع في الميزان الخلق الحسن. 16- و جاء مرفوعا أيضا المؤمن هين لين كالجمل الأنف [1] إن قيد انقاد و إن أنيخ على صخرة استناخ . ـ 14- و جاء مرفوعا أيضا أ لا أخبركم بأحبكم إلي و أقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون و يؤلفون أ لا أخبركم بأبغضكم إلي و أبعدكم مني مجالس يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون . 17- أبو رجاء العطاردي من سره أن يكون مؤمنا حقا فليكن أذل من قعود كل من مر به ادعاه . 17- فضيل بن عياض لأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني عابد سيئ الخلق لأن الفاسق إذا حسن خلقه خف على الناس و أحبوه و العابد إذا ساء خلقه ثقل على الناس و مقتوه . 14- دخل فرقد و محمد بن واسع على رجل يعودانه فجرى ذكر العنف و الرفق فروى فرقد عن 14رسول الله ص أنه قيل له على من حرمت النار يا 14رسول الله قال على الهين اللين السهل القريب فلم يجد محمد بن واسع بياضا يكتب ذلك فيه فكتبه على ساقه . 17- عبد الله بن الداراني ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب . 14- عائشة قال 14رسول الله ص إذا أراد الله بأهل بيت خيرا أدخل عليهم باب رفق. 14- و عنها 14عنه ص من أعطي حظه من الرفق أعطي حظه من خير الدنيا و الآخرة.

---

(1) يريد سهل المقادة؛ و أصله أن البعير إذا اشتكى من البرة توضع في أنفه يقال له: بعير أنف.

16- جرير بن عبد الله البحلي رفعه أن الله ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق فإذا أحب الله عبدا أعطاه الرفق. 17- و كان يقال ما دخل الرفق في شيء إلا زانه . 17- أبو عون الأنصاري ما تكلم الإنسان بكلمة عنيفة إلا و إلى جانبها كلمة ألين منها تجري مجراها . 14- سئلت عائشة عن خلق 14رسول الله ص فقالت كان خلقه القرآن خُذِ اَلْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ اَلْجَاهِلِينَ [1] . 17- و سئل ابن المبارك عن حسن الخلق فقال بسط الوجه و كف الأذى و بذل الندى . 17- ابن عباس أن الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد و أن الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل. 1- 1علي ع ما من شيء في الميزان أثقل من خلق حسن . 1- و 1عنه ع عنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه . 1- و 1عنه ع مرفوعا عليكم بحسن الخلق فإنه في الجنة و إياكم و سوء الخلق فإنه في النار . 17- قال المنصور لأخيه أبي العباس في بني حسن لما أزمعوا الخروج عليه آنسهم يا أمير المؤمنين بالإحسان فإن استوحشوا فالشر يصلح ما يعجز عنه الخير و لا تدع محمدا يمرح في أعنة العقوق فقال أبو العباس يا أبا جعفر إنه من شدد نفر و من لان ألف و التغافل من سجايا الكرام.

فصل في ذكر أسباب الغلظة و الفظاظة

و نحن نذكر بعد كلاما كليا في سبب الغلظة و الفظاظة و هو الخلق المنافي للخلق الذي كان عليه 1أمير المؤمنين فنقول

(1) سورة الأعراف 199.

إنه قد يكون لأمر عائد إلى المزاج الجسماني و قد يكون لأمر راجع إلى النفس فأما الأول فإنما يكون من غلبة الأخلاط السوداوية و ترمدها و عدم صفاء الدم و كثرة كدرته و عكره فإذا غلظ الدم و ثخن غلظ الروح النفساني و ثخن أيضا لأنه متولد من الدم فيحدث منه نوع مما يحدث لأصحاب الفطرة من الاستيحاش و النبوة عن الناس و عدم الاستئناس و البشاشة و صار صاحبه ذا جفاء و أخلاق غليظة و يشبه أن يكون هذا سببا ماديا فإن الذي يقوى في نفسي أن النفوس إن صحت و ثبتت مختلفة بالذات .

و أما الراجع إلى النفس فأن يجتمع عندها أسقاط و أنصباء من قوى مختلفة مذمومة نحو أن تكون القوة الغضبية عندها متوافرة و ينضاف إليها تصور الكمال في ذاتها و توهم النقصان في غيرها فيعتقد أن حركات غيره واقعة على غير الصواب و أن الصواب ما توهمه .

و ينضاف إلى ذلك قلة أدب النفس و عدم الضبط لها و استحقارها للغير و يقل التوقير له و ينضاف إلى ذلك لجاج و ضيق في النفس و حدة و استشاطة و قلة صبر عليه فيتولد من مجموع هذه الأمور خلق دني و هو الغلظة و الفظاظة و الوعورة و البادرة المكروهة و عدم حبه الناس و لقاؤهم بالأذى و قلة المراقبة لهم و استعمال القهر في جميع الأمور و تناول الأمر من السماء و هو قادر على أن يتناوله من الأرض .

و هذا الخلق خارج عن الاعتدال و داخل في حيز الجور و لا ينبغي أن يسمى بأسماء المدح و أعني بذلك أن قوما يسمون هذا النوع من العنف و الخلق الوعر رجولية و شدة و شكيمة و يذهبون به مذهب قوة النفس و شجاعتها الذي هو بالحقيقة مدح و شتان بين الخلقين فإن صاحب هذا الخلق الذي ذممناه تصدر عنه أفعال كثيرة يجور فيها على نفسه ثم على إخوانه على الأقرب فالأقرب من معامليه حتى ينتهي إلى عبيده و حرمه فيكون عليهم سوط عذاب لا يقيلهم عثرة و لا يرحم لهم عبرة و إن كانوا برآء الذنوب غير مجرمين و لا مكتسبي سوء بل يتجرم عليهم و يهيج من أدنى سبب يجد به طريقا إليهم

حتى يبسط يده و لسانه و هم لا يمتنعون منه و لا يتجاسرون على رده عن أنفسهم بل يذعنون له و يقرون بذنوب لم يقترفوها استكفافا لعاديته و تسكينا لغضبه و هو في ذلك يستمر على طريقته لا يكف يدا و لا لسانا .

و أصل هذا الخلق الذي ذكرناه أنه مركب من قوى مختلفة من شدة القوة الغضبية فهي الحاملة لصاحب هذا الخلق على ما يصدر عنه من البادرة المكروهة و الجبة و القحة و قد رأينا و شاهدنا من تشتد القوة الغضبية فيه فيتجاوز الغضب على نوع الإنسان إلى البهائم التي لا تعقل و إلى الأواني التي لا تحس و ربما قام إلى الحمار و إلى البرذون فضربهما و لكمهما و ربما كسر الآنية لشدة غضبه و ربما عض القفل إذا تعسر عليه و ربما كسر القلم إذا تعلقت به شعرة من الدواة و اجتهد في إزالتها فلم تزل .

و يحكى عن بعض ملوك اليونان المتقدمين أنه كان يغضب على البحر إذا هاج و اضطرب و تأخرت سفنه عن النفوذ فيه فيقسم بمعبوده ليطمنه و ليطرحن الجبال فيه حتى يصير أرضا و يقف بنفسه على البحر و يهدده بذلك و يزجره زجرا عنيفا حتى تدر أوداجه و يشتد احمرار وجهه و منهم من لا يسكن غضبه حتى يصب عليه ماء بارد أو حتى يبول و لهذا ورد في الشريعة الأمر لمن اشتد غضبه أن يتوضأ للصلاة و يصلي .

17- و كان عمر بن الخطاب إذا غضب على واحد من أهله لا يسكن غضبه حتى يعض يده عضا شديدا حتى يدميها . 17- و ذكر الزبير بن بكار في الموفقيات أن سرية جاءت لعبد الرحمن أو لعبيد الله

بن عمر بن الخطاب إليه تشكوه فقالت يا أمير المؤمنين أ لا تعذرني من أبي عيسى قال و من أبو عيسى قال ابنك عبيد الله قال ويحك و قد تكني بأبي عيسى ثم دعاه فقال أيها اكتنيت بأبي عيسى فحذر و فزع و أخذ يده فعضها ثم ضربه و قال ويلك و هل لعيسى أب أ تدري ما كنى العرب أبو سلمة أبو حنظلة أبو عرفطة أبو مرة .

قال الزبير و كان عمر إذا غضب على بعض أهله لم يسكن غضبه حتى يعض يده عضا شديدا و كان عبد الله بن الزبير كذلك و لقوة هذا الخلق عنده أضمر عبد الله بن عباس في خلافته إبطال القول بالعول [1] و أظهره بعده فقيل له هلا قلت هذا في أيام عمر فقال هبته و كان أميرا مهيبا .

و لذلك قال أيضا أبو سفيان في استلحاق زياد أخاف من هذا العير الجالس أن يخرق علي إهابي. فإذا هابه أبو سفيان و هو من بني عبد مناف في المنزلة التي تعلم و حوله بنو عبد شمس و هم جمرة قريش فما ظنك بمن هو دونه .

و قد علمت حال جبلة بن الأيهم و ارتداده عن الإسلام لتهدده له و وعيده إياه أن يضربه بالدرة و فساد الحال بينه و بين خالد بن الوليد بعد أن كان وليا مصافيا و منحرفا عن غيره قاليا و الشأن الذي كان بينه و بين طلحة حتى هم أن يوقع به و حتى هم طلحة أن يجاهره و طلحة هو الذي قال لأبي بكر عند موته ما ذا تقول لربك و قد وليت فينا فظا غليظا و هو القائل له يا خليفة 14رسول الله إنا كنا لا نحتمل شراسته و أنت حي تأخذ على يديه فكيف يكون حالنا معه و أنت ميت و هو الخليفة .

و اعلم أنا لا نريد بهذا القول ذمه رضي الله عنه و كيف نذمه و هو أولى الناس بالمدح

---

(1) العول: ارتفاع الحساب في الفرائض. انظر اللسان.

و التعظيم ليمن نقيبته و بركة خلافته و كثرة الفتوح في أيامه و انتظام أمور الإسلام على يده و لكنا أردنا أن نشرح حال العنف و الرفق و حال سعة الخلق و ضيقه و حال البشاشة و العبوس و حال الطلاقة و الوعورة فنذكر كل واحد منها ذكرا كليا لا نخص به إنسانا بعينه فأما عمر فإنه و إن كان وعرا شديدا خشنا فقد رزق من التوفيق و العناية الإلهية و نجح المساعي و طاعة الرعية و نفوذ الحكم و قوة الدين و حسن النية و صحة الرأي ما يربي محاسنه و محامده على ما في ذلك الخلق من نقص و ليس الكامل المطلق إلا الله تعالى وحده .

فأما حديث الرضيخة و ما جعل معاوية لعمرو بن العاص من جعالة على مبايعته و نصرته فقد تقدم ذكره في أخبارالمشروحة في هذا الكتاب من قبل

1084 84 و من خطبة له ع

وَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اَللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ اَلْأَوَّلُ لاَ شَيْءَ قَبْلَهُ وَ اَلْآخِرُ لاَ غَايَةَ لَهُ لاَ تَقَعُ اَلْأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ وَ لاَ تُعْقَدُ اَلْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ وَ لاَ تَنَالُهُ اَلتَّجْزِئَةُ وَ اَلتَّبْعِيضُ وَ لاَ تُحِيطُ بِهِ اَلْأَبْصَارُ وَ اَلْقُلُوبُ (1) -. في هذا الفصل على قصره ثماني مسائل من مسائل التوحيد .

الأولى أنه لا ثاني له سبحانه في الإلهية (2) - .

و الثانية أنه قديم لا أول له فإن قلت ليس يدل كلامه على القدم لأنه قال **الأول لا شيء قبله** فيوهم كونه غير قديم بأن يكون محدثا و ليس قبله شيء لأنه محدث عن عدم و العدم ليس بشيء قلت إذا كان محدثا كان له محدث فكان ذلك المحدث قبله فثبت أنه متى صدق أنه ليس شيء قبله صدق كونه قديما (3) - .

و الثالثة أنه أبدي لا انتهاء و لا انقضاء لذاته (4) - .

و الرابعة نفي الصفات عنه أعني المعاني (5) - .

و الخامسة نفي كونه مكيفا لأن كيف إنما يسأل بها عن ذوي الهيئات و الأشكال و هو منزه عنها (6) - .

و السادسة أنه غير متبعض لأنه ليس بجسم و لا عرض (7) - .

و السابعة أنه لا يرى و لا يدرك .

و الثامنة أن ماهيته غير معلومة و هو مذهب الحكماء و كثير من المتكلمين من أصحابنا و غيرهم .

و أدلة هذه المسائل مشروحة في كتبناالكلامية.

و اعلم أن التوحيد و العدل و المباحث الشريفة الإلهية ما عرفت إلا من كلام هذا الرجل و أن كلام غيره من أكابر الصحابة لم يتضمن شيئا من ذلك أصلا و لا كانوا يتصورونه و لو تصوروه لذكروه و هذه الفضيلة عندي أعظم فضائله ع وَ مِنْهَا فَاتَّعِظُوا عِبَادَ اَللَّهِ بِالْعِبَرِ اَلنَّوَافِعِ وَ اِعْتَبِرُوا بِالْآيِ اَلسَّوَاطِعِ وَ اِزْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ اَلْبَوَالِغِ وَ اِنْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ وَ اَلْمَوَاعِظِ فَكَأَنْ [1] قَدْ عَلِقَتْكُمْ مَخَالِبُ اَلْمَنِيَّةِ وَ اِنْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عَلَائِقُ اَلْأُمْنِيَّةِ وَ دَهِمَتْكُمْ مُفْظِعَاتُ اَلْأُمُورِ وَ اَلسِّيَاقَةُ إِلَى اَلْوِرْدِ اَلْمَوْرُودِ فَ **كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَ شَهِيدٌ** سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا وَ شَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا (1) -. **العبر** جمع عبرة و هي ما يعتبر به أي يتعظ (2) - و **الآي** جمع آية و يجوز أن يريد

(1) مخطوطة النهج «و كأنّ» .

بها آي القرآن و يجوز أن يريد بها آيات الله في خلقه و في غرائب الحوادث في العالم .

و **السواطع** المشرقة المنيرة (1) - .

و **النذر** جمع نذير و هو المخوف و الأحسن أن يكون النذر هاهنا هي الإنذارات نفسها لأنه قد وصف ذلك **بالبوالغ** و فواعل لا تكون في الأكثر إلا صفة المؤنث (2) - .

و **مفظعات الأمور** شدائدها الشنيعة أفظع الأمر فهو مفظع و يجوز فظع الأمر بالضم فظاعة فهو فظيع و أفظع الرجل على ما لم يسم فاعله أي نزل به ذلك (3) - .

و قوله **و السياقة إلى الورد الموروذ** يعني الموت (4) - و قوله **سَائِقٌ وَ شَهِيدٌ** و قد فسر ع ذلك و قال **سائق يسوقها إلى محشرها و شاهد يشهد عليها بعملها** و قد قال بعض المفسرين إن الآية لا تقتضي كونهما اثنين بل من الجائز أن يكون ملكا واحدا جامعا بين الأمرين كأنه قال و جاءت كل نفس معها ملك يسوقها و يشهد عليها و كلام 1أمير المؤمنين يحتمل ذلك أيضا لأنه لم يقل أحدهما لكن الأظهر في الأخبار و الآثار أنهما ملكان .

فإن قلت إذا كان تعالى عالما بكل شيء فأي حاجة إلى الملائكة التي تكتب الأعمال كما قال سبحانه **بَلىَ وَ رُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ** [1] و إذا كان تعالى أعدل العادلين فأي حاجة إلى ملك يشهد على المكلف يوم القيامة و إذا كان قادرا لذاته فأي حاجة إلى ملك يسوق المكلف إلى المحشر قلت يجوز أن يكون في تقرير مثل ذلك في أنفس المكلفين في الدنيا ألطاف و مصالح لهم في أديانهم فيخاطبهم الله تعالى به

(1) سورة الزخرف 80.

لوجوب اللطف في حكمته و إذا خاطبهم به وجب فعله في الآخرة لأن خبره سبحانه لا يجوز الخلف عليه وَ مِنْهَا فِي صِفَةِ اَلْجَنَّةِ دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلاَتٌ وَ مَنَازِلُ مُتَفَاوِتَاتٌ لاَ يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا وَ لاَ يَظْعَنُ مُقِيمُهَا وَ لاَ يَهْرَمُ خَالِدُهَا وَ لاَ يَبْأَسُ [يَيْأَسُ] سَاكِنُهَا (1) -. **الدرجات** جمع درجة و هي الطبقات و المراتب و يقال لها درجات في الجنة و دركات في النار و إنما تفاضلت و تفاوتت بحسب الأعمال و لا يجوز أن يقع ذلك تفضلا لأن التفضل بالثواب قبيح .

فإن قلت فما قولك في الحور و الولدان و الأطفال و المجانين قلت يكون الواصل إليهم نعيما و لذة لا شبهة في ذلك و لكن لا ثواب لهم و لا ينالونه و الثواب أمر أخص من المنافع و النعيم لأنه منافع يقترن بها التعظيم و التبجيل و هذا الأمر الأخص لا يحسن إيصاله إلا إلى أرباب العمل (2) - .

و قوله **لا ينقطع نعيمها و لا يظعن مقيمها** قول متفق عليه بين أهل الملة إلا ما يحكى عن أبي الهذيل أن حركات أهل الجنة تنتهي إلى سكون دائم و قد نزهه قوم من أصحابنا عن هذا القول و أكذبوا رواته و من أثبته منهم عنه زعم أنه لم يقل بانقطاع النعيم لكن بانقطاع الحركة مع دوام النعيم و إنما حمله على ذلك أنه لما استدل على أن

الحركة الماضية يستحيل ألا يكون لها أول عورض بالحركات المستقبلة لأهل الجنة و النار فالتزم أنها متناهية و إنما استبعد هذا عنه لأنه كان أجل قدرا من أن يذهب عليه الفرق بين الصورتين (1) - .

و **يبأس** مضارع بئس و جاء فيه يبئس بالكسر و هو شاذ كشذوذ يحسب و ينعم و معنى يبأس يصيبه البؤس و هو الشقاء

***1085* 85 و من خطبة له ع**

قَدْ عَلِمَ اَلسَّرَائِرَ وَ خَبَرَ اَلضَّمَائِرَ لَهُ اَلْإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ وَ اَلْغَلَبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَ اَلْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَلْيَعْمَلِ اَلْعَامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيَّامِ مَهَلِهِ قَبْلَ إِرْهَاقِ أَجَلِهِ وَ فِي فَرَاغِهِ قَبْلَ أَوَانِ شُغُلِهِ وَ فِي مُتَنَفَّسِهِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِكَظَمِهِ وَ لْيُمَهِّدْ لِنَفْسِهِ وَ قَدَمِهِ وَ لْيَتَزَوَّدْ مِنْ دَارِ ظَعْنِهِ لِدَارِ إِقَامَتِهِ فَاللَّهَ اَللَّهَ أَيُّهَا اَلنَّاسُ فِيمَا اِسْتَحْفَظَكُمْ [أَحْفَظَكُمْ] مِنْ كِتَابِهِ وَ اِسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ فَإِنَّ اَللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً وَ لَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى وَ لَمْ يَدَعْكُمْ فِي جَهَالَةٍ وَ لَا عَمًى قَدْ سَمَّى آثَارَكُمْ وَ عَلِمَ أَعْمَالَكُمْ وَ كَتَبَ آجَالَكُمْ وَ أَنْزَلَ عَلَيْكُمُ **اَلْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ** وَ عَمَّرَ فِيكُمْ 14نَبِيَّهُ أَزْمَاناً حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَ لَكُمْ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ دِينَهُ اَلَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ وَ أَنْهَى إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِهِ مَحَابَّهُ مِنَ اَلْأَعْمَالِ وَ مَكَارِهَهُ وَ نَوَاهِيَهُ وَ أَوَامِرَهُ وَ أَلْقَى إِلَيْكُمُ اَلْمَعْذِرَةَ وَ اِتَّخَذَ عَلَيْكُمُ اَلْحُجَّةَ وَ قَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ وَ أَنْذَرَكُمْ **بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (1) -** . **السرائر** جمع سريرة و هو ما يكتم من السر (2) - .

و **خبر الضمائر** بفتح الباء امتحنها و ابتلاها و من رواه بكسر الباء أراد علم و الاسم

الخبر بضم الخاء و هو العلم و **الضمائر** جمع ضمير و هو ما تضمره و تكنه في نفسك (1) - .

و في قوله **له الإحاطة بكل شيء** و قد بينها ثلاث مسائل في التوحيد إحداهن أنه تعالى عالم بكل المعلومات .

و الثانية أنه لا شريك له و إذا ثبت كونه عالما بكل شيء كان في ضمن ذلك نفي الشريك لأن الشريك لا يكون مغلوبا .

و الثالثة أنه قادر على كل ما يصح تعلق قادريته تعالى به .

و أدلة هذه المسائل مذكورة في الكتبالكلامية (2) -.

و قوله **فليعمل العامل منكم** إلى قوله **و ليتزود من دار ظعنه لدار إقامته** مأخوذ من **14- قول 14رسول الله ص في خطبته المشهورة و هي أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم و إن لكم غاية فانتهوا إلى غايتكم إن المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع به و أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه و من دنياه لآخرته و من الشبيبة قبل الهرم و من الحياة قبل الموت فو الذي نفس 14محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب و ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار .** و **المهل** المهلة و التؤدة و **الإرهاق** مصدر أرهق تقول أرهقه قرنه في الحرب إرهاقا إذا غشيه ليقتله و زيد مرهق قال الشاعر

تندى أكفهم و في أبياتهم # ثقة المجاور و المضاف المرهق [1] .

و في متنفسه أي في سعة وقته يقال أنت في نفس من أمرك أي في سعة .

---

(1) للكميت؛ اللسان 3: 421.

و **الكظم** بفتحهما مخرج النفس و الجمع أكظام و يجوز ظعنه و ظعنه بتحريك العين و تسكينها و قرئ بهما **يَوْمَ ظَعْنِكُمْ** [1] و ظعنكم (1) - ـو نصب **الله الله** على الإغراء و هو أن تقدر فعلا ينصب المفعول به أي اتقوا الله و جعل تكرير اللفظ نائبا عن الفعل المقدر و دليلا عليه .

استحفظكم من كتابه جعلكم حفظة له جمع حافظ (2) - .

السدى المهمل و يجوز سدى بالفتح أسديت الإبل أهملتها (3) - و قوله **قد سمى آثاركم** يفسر بتفسيرين أحدهما قد بين لكم أعمالكم خيرها و شرها كقوله تعالى **وَ هَدَيْنَاهُ اَلنَّجْدَيْنِ** [2] و الثاني قد أعلى مآثركم أي رفع منازلكم إن أطعتم و يكون سمى بمعنى أسمى كما كان في الوجه الأول بمعنى أبان و أوضح (4) - .

و **التبيان** بكسر التاء مصدر و هو شاذ لأن المصادر إنما تجيء على التفعال بفتحها مثل التذكار و التكرار و لم يأت بالكسر إلا حرفان و هما التبيان و التلقاء (5) - .

و قوله **حتى أكمل له و لكم دينه** من قوله تعالى **اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي** [3] .

و قوله **الذي رضي لنفسه** من قوله تعالى **وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ اَلَّذِي اِرْتَضىٰ لَهُمْ** [4] لأنه إذا ارتضى لهم فقد ارتضاه لنفسه أي ارتضى أن ينسب إليه فيقال هذا دين الحق و أنهى إليكم عرفكم و أعلمكم (6) - .

و **محابه** جمع محبة (7) - و **مكارهه** جمع مكرهة و هي ما تكره و في هذا دلالة أن الله تعالى يحب الطاعة و يكره المعصية و هو خلاف قول المجبرة .

---

(1) سورة النحل 80.
(2) سورة البلد 10.
(3) سورة المائدة 3.
(4) سورة النور 55.

و **الأوامر** جمع آمر و أنكره قوم و قالوا هاهنا جمع أمر كالأحاوص جمع أحوص و الأحامر جمع أحمر يعني الكلام الآمر لهم بالطاعات و هو القرآن . و **النواهي** جمع ناهية كالسواري جمع سارية و الغوادي جمع غادية يعني الآيات الناهية لهم عن المعاصي و يضعف أن يكون الأوامر و النواهي جمع أمر و نهي لأن فعلا لا يجمع على أفاعل و فواعل و إن كان قال ذلك بعض الشواذ من أهل الأدب (1) - .

و قوله **و ألقى إليكم المعذرة** كلام فصيح و هو من قوله تعالى **أَلْقىٰ إِلَيْكُمُ اَلسَّلاَمَ (2) -** [1] .

و قدم إليكم بالوعيد و أنذركم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ -أي أمامه و قبله مأخوذ أيضا من القرآن و معنى قوله **بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ** أي أمامه و قبله لأن ما بين يديك متقدم لك فَاسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ وَ اِصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسَكُمْ فَإِنَّهَا قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ اَلْأَيَّامِ اَلَّتِي تَكُونُ مِنْكُمْ فِيهَا اَلْغَفْلَةُ وَ اَلتَّشَاغُلُ عَنِ اَلْمَوْعِظَةِ وَ لاَ تُرَخِّصُوا لِأَنْفُسِكُمْ فَتَذْهَبَ بِكُمُ اَلرُّخَصُ مَذَاهِبَ اَلظَّلَمَةِ وَ لاَ تُدَاهِنُوا فَيَهْجُمَ بِكُمُ اَلْإِدْهَانُ عَلَى اَلْمَعْصِيَةِ عِبَادَ اَللَّهِ إِنَّ أَنْصَحَ اَلنَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ وَ إِنَّ أَغَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ وَ اَلْمَغْبُونُ مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ وَ اَلْمَغْبُوطُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ وَ اَلسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ وَ اَلشَّقِيُّ مَنِ اِنْخَدَعَ لِهَوَاهُ وَ غُرُورِهِ

(1) سورة النساء 90.

وَ اِعْلَمُوا أَنَّ يَسِيرَ اَلرِّيَاءِ شِرْكٌ وَ مُجَالَسَةَ أَهْلِ اَلْهَوَى مَنْسَاةٌ لِلْإِيمَانِ وَ مَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ جَانِبُوا اَلْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ اَلصَّادِقُ عَلَى شَفَا مَنْجَاةٍ وَ كَرَامَةٍ وَ اَلْكَاذِبُ عَلَى شَرَفِ مَهْوَاةٍ وَ مَهَانَةٍ وَ لاَ تَحَاسَدُوا فَإِنَّ اَلْحَسَدَ يَأْكُلُ اَلْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ اَلنَّارُ اَلْحَطَبَ وَ لاَ تَبَاغَضُوا فَإِنَّهَا اَلْحَالِقَةُ وَ اِعْلَمُوا أَنَّ اَلْأَمَلَ يُسْهِي اَلْعَقْلَ وَ يُنْسِي اَلذِّكْرَ فَأَكْذِبُوا اَلْأَمَلَ فَإِنَّهُ غَرُورٌ وَ صَاحِبُهُ مَغْرُورٌ (1) -. قوله **فاستدركوا بقية أيامكم** يقال استدركت ما فات و تداركت ما فات بمعنى و اصبروا لها أنفسكم مأخوذ من قوله تعالى **وَ اِصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ اَلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَ اَلْعَشِيِّ** [1] يقال صبر فلان نفسه على كذا أي حبسها عليه يتعدى فينصب قال عنترة

فصبرت عارفة لذلك حرة # ترسو إذا نفس الجبان تطلع [2] .

أي حبست نفسا عارفة **14- و في الحديث النبوي في رجل أمسك رجلا و قتله الآخر فقال ع اقتلوا القاتل و اصبروا الصابر.** أي احبسوا الذي أمسكه حتى يموت (2) - .

و الضمير في **فإنها قليل** عائد إلى **الأيام** التي أمرهم باستدراكها يقول إن هذه الأيام التي قد بقيت من أعماركم قليلة بالنسبة و الإضافة إلى الأيام التي تغفلون فيها عن الموعظة .

---

(1) سورة الأنعام 52.
(2) يذكر حربا كان فيها. اللسان 6: 107.

و قوله **فإنها قليل** فأخبر عن المؤنث بصيغة المذكر إنما معناه فإنها شيء قليل بحذف الموصوف كقوله **وَ حَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً** [1] أي قبيلا رفيقا (1) - .

ثم قال **و لا ترخصوا** نهى عن الأخذ **برخص المذاهب** و ذلك لأنه لا يجوز للواحد من العامة أن يقلد كلا من أئمة الاجتهاد فيما خف و سهل من الأحكام الشرعية أو لا تساهلوا أنفسكم في ترك تشديد المعصية و لا تسامحوها و ترخصوا إليها في ارتكاب الصغائر و المحقرات من الذنوب فتهجم بكم على الكبائر لأن من مرن على أمر تدرج من صغيره إلى كبيره .

و **المداهنة** النفاق و المصانعة و **الادهان** مثله قال تعالى **وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (2) -** [2] .

قوله **إن أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربه** لأنه قد صانها عن العقاب و أوجب لها الثواب و ذلك غاية ما يمكن من نصيحتها و نفعها (3) - .

قوله **و إن أغش الناس لنفسه أعصاهم لربه** لأنه ألقاها في الهلاك الدائم و ذلك أقصى ما يمكن من غشها و الإضرار بها (4) - .

ثم قال **و المغبون من غبن نفسه** أي أحق الناس أن يسمى مغبونا من غبن نفسه يقال غبنته في البيع غبنا بالتسكين أي خدعته و قد غبن فهو مغبون و غبن الرجل رأيه بالكسر غبنا بالتحريك فهو غبين أي ضعيف الرأي و فيه غبانة و لفظ الغبن يدل على أنه من باب غبن البيع و الشراء لأنه قال و المغبون و لم يقل و الغبين (5) - .

و المغبوط الذي يتمنى مثل حاله و الذي يتمنى زوال حاله و انتقالها هو الحاسد

---

(1) سورة النساء 69.
(2) سورة القلم 9.

و الحسد مذموم و الغبطة غير مذمومة يقال غبطته بما نال أغبطه غبطا و غبطة فاغتبط هو كقولك منعته فامتنع و حبسته فاحتبس قال الشاعر

و بينما المرء في الأحياء مغتبط # إذ صار في الرمس تعفوه الأعاصير [1] .

هكذا أنشدوه بكسر الباء و قالوا فيه مغتبط أي مغبوط (1) - .

قوله **و السعيد من وعظ بغيره** مثل من الأمثال النبوية (2) - .

و قد ذكرنا فيما تقدم ما جاء في ذم الرياء و تفسير كونه شركا (3) - .

و قوله ع **منسأة للإيمان** أي داعية إلى نسيان الإيمان و إهماله و الإيمان الاعتقاد و العمل (4) - .

و محضرة للشيطان موضع حضوره كقولك مسبعة أي موضع السباع و مفعاة أي موضع الأفاعي (5) - .

ثم نهى عن الكذب و قال **إنه مجانب للإيمان** و كذا ورد في الخبر المرفوع (6) - .

و **شفا منجاة** أي حرف نجاة و خلاص و شفا الشيء حرفه قال تعالى **وَ كُنْتُمْ عَلىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ اَلنَّارِ** [2] و أشفى على الشيء و أشرف عليه بمعنى و أكثر ما يقال ذلك في المكروه يقال أشفى المريض على الموت و قد استعمله هاهنا في غير المكروه (7) - .

و **الشرف** المكان العالي بفتح الشين و أشرفت عليه أي اطلعت من فوق .

و **المهواة** موضع السقوط و المهانة الحقارة (8) - .

ثم نهى عن الحسد و قال **إنه يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب** و قد ورد هذا الكلام في الأخبار المرفوعة و قد تقدم منا كلام في الحسد و ذكرنا كثيرا مما جاء فيه .

- (9)

---

(1) من أبيات في اللسان (دهر) ، و نسبها إلى عثير بن لبيد العذرى، و انظر نزهة الألبّاء ص 27.
(2) سورة آل عمران 103.

ثم نهى عن **المباغضة** و قال **إنها الحالقة** أي المستأصلة التي تأتي على القوم كالحلق للشعر (1) - .

ثم نهى عن **الأمل** و طوله و قال إنه يورث العقل سهوا و **ينسي الذكر (2) -** ثم أمر **بإكذاب الأمل** و نهى عن الاعتماد عليه و السكون إليه فإنه من باب الغرور .

و قد ذكرنا في الأمل و طوله نكتا نافعة فيما تقدم و يجب أن نذكر ما جاء في النهي عن الكذب

فصل في ذم الكذب و حقارة الكذابين

14- جاء في الخبر عن 14رسول الله ص إذا كذب العبد كذبة تباعد الملك منه مسيرة ميل من نتن ما جاء به. 14- و 14عنه ع إياكم و الكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور و الفجور يهدي إلى النار و إن الرجل ليكذب و يتحرى الكذب فيكتب عند الله كاذبا و عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر و إن البر ليهدي إلى الجنة و إن الرجل ليصدق و يتحرى الصدق فيكتب عند الله صادقا. 14- و روي أن رجلا قال 14للنبي ص أنا يا 14رسول الله أستسر بخلال أربع الزنا و شرب الخمر و السرق و الكذب فأيتهن شئت تركتها لك قال دع الكذب فلما ولى هم بالزنا فقال يسألني فإن جحدت نقضت ما جعلت له و إن أقررت حددت ثم هم بالسرق ثم بشرب الخمر ففكر في مثل ذلك فرجع إليه فقال قد أخذت على السبيل كله فقد تركتهن أجمع . 17- قال العباس بن عبد المطلب لابنه عبد الله يا بني أنت أفقه مني و أنا أعقل منك

و إن هذا الرجل يدنيك يعني عمر بن الخطاب فاحفظ عني ثلاثا لا تفشين له سرا و لا تغتابن عنده أحدا و لا يطلعن منك على كذبة قال عبد الله فكانت هذه الثلاث أحب إلي من ثلاث بدرات ياقوتا . ـ 17- قال الواثق لأحمد بن أبي داود رحمه الله تعالى كان ابن الزيات عندي فذكرك بكل قبيح قال الحمد لله الذي أحوجه إلى الكذب علي و نزهني عن الصدق في أمره . 17- و كان يقال أمران لا يكاد أحدهما ينفك من الكذب كثرة المواعيد و شدة الاعتذار . 16- و من الحكم القديمة إنما فضل الناطق على الأخرس بالنطق و زين المنطق الصدق فالكاذب شر من الأخرس . 17- قال الرشيد للفضل بن الربيع في كلام جرى بينهما كذبت فقال يا أمير المؤمنين وجه الكذوب لا يقابلك و لسانه لا يحاورك . 16- قيل في تفسير قوله تعالى وَ لَكُمُ اَلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ [1] هي في الكذابين فالويل لكل كاذب إلى يوم القيامة . 17- و من كلام بعض الصالحين لو لم أترك الكذب تأثما لتركته تكرما . 17- أبو حيان الكذب شعار خلق و مورد رنق [2] و أدب سيئ و عادة فاحشة و قل من استرسل معه إلا ألفه و قل من ألفه إلا أتلفه و الصدق ملبس بهي و منهل غذي و شعاع منبث و قل من اعتاده و مرن عليه إلا صحبته السكينة و أيده التوفيق و خدمته القلوب بالمحبة و لحظته العيون بالمهابة .

---

(1) سورة الأنبياء 18.

(2) الرنق، بفتح النون و إسكانها و كسرها: الكدر.

17- ابن السماك لا أدري أوجر على ترك الكذب أم لا لأني أتركه أنفة . 17- يحيى بن خالد رأيت شريب خمر نزع و لصا أقلع و صاحب فواحش ارتدع و لم أر كاذبا رجع .

قالوا في تفسير هذا إن المولع بالكذب لا يكاد يصبر عنه فقد عوتب إنسان عليه فقال لمعاتبه يا ابن أخي لو تغرغرت به لما صبرت عنه . 17- و قيل لكاذب معروف بالكذب أ صدقت قط قال لو لا أني أخاف أن أصدق لقلت لا . 14- و جاء في بعض الأخبار المرفوعة قيل له يا 14رسول الله أ يكون المؤمن جبانا قال نعم قيل أ فيكون بخيلا قال نعم قيل أ فيكون كاذبا قال لا . 17- و قال ابن عباس الحدث حدثان حدث من فيك و حدث من فرجك. 17- و قال بعضهم من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون أخذه شاعر فقال

و من دعا الناس إلى ذمه # ذموه بالحق و بالباطل [1] .

17- و كان يقال خذوا عن أهل الشرف فإنهم قلما يكذبون . 17- و قال بعض الصالحين لو صحبني رجل فقال لي اشترط علي خصلة واحدة لا تزيد عليها لقلت لا تكذب . 17- و كان يقال خصلتان لا يجتمعان الكذب و المروءة . 17- كان يقال من شرف الصدق أن صاحبه يصدق على عدوه و من دناءة الكذب أن صاحبه يكذب و إن كان صادقا .

(1) العقد 2: 444 من غير نسبة، و بعده:

مقالة السّوء إلى أهلها # أسرع من منحدر إلى سائل.

17- و مثل هذا قولهم من عرف بالصدق جاز كذبه و من عرف بالكذب لم يجز صدقه . 14- و جاء في الخبر المرفوع أن في المعاريض لمندوحة عن الكذب. 17- و قال ابن سيرين الكلام أوسع من أن يكذب ظريف . 17- و قالوا في قوله تعالى لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ [1] لم ينس و لكنه من معاريض الكلام و كذلك قالوا في قول إبراهيم إِنِّي سَقِيمٌ [2] . 17- و قال العتبي إني لأصدق في صغار ما يضرني فكيف لا أصدق في كبار ما ينفعني. 17- و قال بعض الشعراء

لا يكذب المرء إلا من مهانته # أو عادة السوء أو من قلة الأدب

لعض جيفة كلب خير رائحة # من كذبة المرء في جد و في لعب.

17- شهد أعرابي عند معاوية بشهادة فقال له كذبت فقال الكاذب و الله المتزمل في ثيابك فقال معاوية هذا جزاء من عجل . 17- و قال معاوية يوما للأحنف و حدثه حديثا أ تكذب فقال له الأحنف و الله ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين أهله . 17- و دخل عبد الله بن الزبير يوما على معاوية فقال له اسمع أبياتا قلتها و كان واجدا على معاوية فقال هات فأنشده

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته # على طرف الهجران إن كان يعقل

و يركب حد السيف من أن تضيمه # إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل.

فقال معاوية لقد شعرت بعدنا يا أبا بكر ثم لم يلبث معاوية أن دخل عليه معن

_____

(1) سورة الكهف 73.
(2) سورة الصافّات 89.

بن أوس المزني فقال أ قلت بعدنا شيئا قال نعم و أنشده

لعمرك لا أدري و إني لأوجل # على أينا تعدو المنية أول [1] .

حتى صار إلى الأبيات التي أنشدها ابن الزبير فقال معاوية يا أبا بكر أ ما ذكرت آنفا أن هذا الشعر لك فقال أنا أصلحت المعاني و هو ألف الشعر [2] و بعد فهو ظئري [3] و ما قال من شيء فهو لي .

و كان عبد الله بن الزبير مسترضعا في مزينة [4] . **17- و روى أبو العباس المبرد في الكامل أن عمر بن عبد العزيز كتب في إشخاص إياس بن معاوية المزني و عدي بن أرطاة الفزاري أمير البصرة و قاضيها إليه فصار عدي إلى إياس و قدر أنه يمزنه [5] عند عمر بن عبد العزيز و يثني عليه فقال له يا أبا وائلة إن لنا حقا و رحما فقال إياس أ على الكذب تريدني و الله ما يسرني أن كذبت كذبة يغفرها الله لي و لا يطلع عليها هذا و أومأ إلى ابنه و لي ما طلعت عليه الشمس [6] . 17- و روى أبو العباس أيضا أن عمرو بن معديكرب الزبيدي كان معروفا بالكذب .**

و قيل لخلف الأحمر و كان مولى لهم و شديد التعصب لليمن أ كان عمرو بن معديكرب يكذب قال يكذب في المقال و يصدق في الفعال [7] .

---

(1) ديوانه 57.
(2) من الكامل.
(3) الكامل «و هو بعد ظئرى» .
(4) الخبر في الكامل 2: 211، 212.
(5) في الأصول: «يقرظه» ، و ما أثبته من الكامل. و في زيادات أبى الحسن الأخفش: التمزين.

المدح، و لم أسمع هذه اللفظة إلاّ من أبى العباس، و هي عندي مشتقة من المازن. و هو بيض النمل؛ و بهذا سميت مازن؛ كأنّه أراد منه أن يكبره. و يروى: «يكثره» . و في زيادات الكامل أيضا: قال الشيخ: قوله: «أن يمزنه عند الخليفة؛ أى كأنّه يجعله سيد مزينة؛ لأنّه كان مزينيا» .

(6) الكامل 2: 212.
(7) الكامل 2: 208.

قال أبو العباس فروي لنا أن أهل الكوفة الأشراف كانوا يظهرون بالكناسة [1] فيركبون على دوابهم حتى تطردهم [2] الشمس فوقف عمرو بن معديكرب الزبيدي و خالد بن الصقعب النهدي و عمرو لا يعرفه إنما يسمع باسمه فأقبل عمرو يحدثه فقال أغرنا مرة على بني نهد فخرجوا مسترعفين بخالد بن الصقعب فحملت عليه فطعنته فأذريته [3] ثم ملت عليه بالصمصامة [4] فأخذت رأسه فقال خالد بن الصقعب حلا أبا ثور إن قتيلك هو المحدث فقال عمرو يا هذا إذا حدثت فاستمع فإنما نتحدث بمثل ما تستمع لنرهب به هذه المعدية . قوله مسترعفين أي مقدمين له و قوله حلا أبا ثور أي استثن يقال حلف و لم يتحلل أي لم يستثن و المعدية مضر و ربيعة و أياد بنو معد بن عدنان و هم أعداء اليمن في المفاخرة و التكاثر

---

(1) الكناسة: محلة بالكوفة.
(2) الكامل: «إلى أن يطردهم حر الشمس» .
(3) أذريته: صرعته و ألقيته عن فرسه.
(4) الصمصامة: السيف الصارم لا ينثنى؛ و هو اسم عمرو بن معديكرب.

1086 86 و من خطبة له ع

عِبَادَ اَللَّهِ إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اَللَّهِ إِلَيْهِ عَبْداً أَعَانَهُ اَللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ فَاسْتَشْعَرَ اَلْحُزْنَ وَ تَجَلْبَبَ اَلْخَوْفَ فَزَهَرَ مِصْبَاحُ اَلْهُدَى فِي قَلْبِهِ وَ أَعَدَّ اَلْقِرَى لِيَوْمِهِ اَلنَّازِلِ بِهِ فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ اَلْبَعِيدَ وَ هَوَّنَ اَلشَّدِيدَ نَظَرَ فَأَبْصَرَ [فَأَقْصَرَ] وَ ذَكَرَ فَاسْتَكْثَرَ وَ اِرْتَوَى مِنْ عَذْبٍ فُرَاتٍ سُهِّلَتْ لَهُ مَوَارِدُهُ فَشَرِبَ نَهَلاً وَ سَلَكَ سَبِيلاً جَدَداً قَدْ خَلَعَ سَرَابِيلَ اَلشَّهَوَاتِ وَ تَخَلَّى عَنِ اَلْهُمُومِ إِلاَّ هَمّاً وَاحِداً اِنْفَرَدَ بِهِ فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ اَلْعَمَى وَ مُشَارَكَةِ أَهْلِ اَلْهَوَى وَ صَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ اَلْهُدَى وَ مَغَالِيقِ أَبْوَابِ اَلرَّدَى قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ وَ سَلَكَ سَبِيلَهُ وَ عَرَفَ مَنَارَهُ وَ قَطَعَ غِمَارَهُ وَ اِسْتَمْسَكَ مِنَ اَلْعُرَى بِأَوْثَقِهَا وَ مِنَ اَلْحِبَالِ بِأَمْتَنِهَا فَهُوَ مِنَ اَلْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ اَلشَّمْسِ قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ فِي أَرْفَعِ اَلْأُمُورِ مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ وَ تَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَى أَصْلِهِ مِصْبَاحُ ظُلُمَاتٍ كَشَّافُ عَشَوَاتٍ [غَشَوَاتٍ] مِفْتَاحُ مُبْهَمَاتٍ دَفَّاعُ مُعْضِلاَتٍ دَلِيلُ فَلَوَاتٍ يَقُولُ فَيُفْهِمُ وَ يَسْكُتُ فَيَسْلَمُ قَدْ أَخْلَصَ لِلَّهِ فَاسْتَخْلَصَهُ فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ وَ أَوْتَادِ أَرْضِهِ قَدْ أَلْزَمَ

نَفْسَهُ اَلْعَدْلَ فَكَانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ نَفْيُ اَلْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ يَصِفُ اَلْحَقَّ وَ يَعْمَلُ بِهِ لاَ يَدَعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلاَّ أَمَّهَا وَ لاَ مَظِنَّةً إِلاَّ قَصَدَهَا قَدْ أَمْكَنَ اَلْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ فَهُوَ قَائِدُهُ وَ إِمَامُهُ يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُهُ وَ يَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ (1) -. **استشعر الحزن** جعله كالشعار و هو ما يلي الجسد من الثياب (2) - **و تجلبب الخوف** جعله جلبابا أي ثوبا (3) - .

زهر مصباح الهدى أضاء (4) - **و أعد القرى ليومه** أي أعد ما قدمه من الطاعات قرى لضيف الموت النازل به (5) - و **الفرات** العذب (6) - .

و قوله **فشرب نهلا** يجوز أن يكون أراد بقوله نهلا المصدر من نهل ينهل نهلا أي شرب حتى روي و يجوز أن يريد بالنهل الشرب الأول خاصة و يريد أنه اكتفى بما شربه أولا فلم يحتج إلى العلل (7) - .

و طريق **جدد** لا عثار فيه لقوة أرضه (8) - **و قطع غماره** يقال بحر غمر أي كثير الماء و بحار غمار (9) - **و استمسك من العرى بأوثقها** أي من العقود الوثيقة قال تعالى **فَقَدِ اِسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ اَلْوُثْقىَ (10)** - [1] .

و **نصب نفسه لله** أي أقامها (11) - .

كشاف عشوات جمع عشوة و عشوة و عشوة بالحركات الثلاث و هي الأمر الملتبس يقال أوطأني عشوة .

(12) -

---

(1) سورة البقرة 256.

و **المعضلات** جمع معضلة و هي الشدائد و الأمور التي لا يهتدي لوجهها (1) - .

دليل فلوات أي يهتدى به كما يهتدي الركب في الفلاة بدليلهم (2) - .

أمها قصدها (3) - و **مظنة** الشيء حيث يظن وجوده (4) - و **الثقل** متاع المسافر و حشمه ـ

فصل في العباد و الزهاد و العارفين و أحوالهم

و اعلم أن هذا الكلام منه أخذ أصحاب علم الطريقة و الحقيقة علمهم و هو تصريح بحال العارف و مكانته من الله تعالى .

و العرفان درجة حال رفيعة شريفة جدا مناسبة للنبوة و يختص الله تعالى بها من يقربه إليه من خلقه .

و الأولياء على طبقات ثلاث الطبقة الأولى حال العابد و هو صاحب الصلاة الكثيرة و الصوم الدائم و الحج و الصدقة .

و الطبقة الثانية حال الزاهد و هو المعرض عن ملاذ الدنيا و طيباتها تقنعه الكسرة و تستره الخرقة لا مال و لا زوجة و لا ولد .

و الطبقة الثالثة حال العارف و هو الواصل إلى الله سبحانه بنفسه لا ببدنه و البارئ سبحانه متمثل في نفسه تمثل المعشوق في ذات العاشق و هو أرفع الطبقات و بعده الزاهد .

و أما العابد فهو أدونها و ذلك لأن العابد معامل كالتاجر يعبد ليثاب و يتعب نفسه ليرتاح فهو يعطي من نفسه شيئا و يطلب ثمنه و عوضه و قد يكون العابد غنيا موسرا كثير المال و الولد فليست حاله من أحوال الكمال .

و أما الزاهد فإنه احتقر الدنيا و عروضها و قيناتها فخلصت نفسه من دناءة المطامع

و صار عزيزا ملكا لا سلطان عليه لنفسه و لا لغيره فاستراح من الذل و الهوان و لم يبق لنفسه شيء تشتاق إليه بعد الموت فكان أقرب إلى السلامة و النجاة من العابد الغني الموسر .

و أما العارف فإنه بالحال التي وصفناها و يستلزم مع وجودها أن يكون زاهدا لأنه لا يتصور العرفان مع تعلق النفس بملاذ الدنيا و شهواتها نعم قد يحصل بعض العرفان لبعض العلماء الفضلاء مع تعلقهم بشهوات الدنيا و لكنهم لا يكونون كاملين في أحوالهم و إنما تحصل الحالة الكاملة لمن رفض الدنيا و تخلى عنها و تستلزم الحالة المذكورة أيضا أن يكون عابدا عبادة ما و ليس يشترط في حصول حال العرفان أن يكون على قدم عظيمة من العبادة بل الإكثار من العبادة حجاب كما قيل و لكن لا بد من القيام بالفرائض و شيء يسير من النوافل .

و اعلم أن العارف هو العارف بالله تعالى و صفاته و ملائكته و رسله و كتبه و بالحكمة المودعة في نظام العالم لا سيما الأفلاك و الكواكب و تركيب طبقات العناصر و الأحكام و في تركيب الأبدان الإنسانية .

فمن حصل له ذلك فهو العارف و إن [1] لم يحصل له ذلك فهو ناقص العرفان و إن انضم إلى ذلك استشعاره جلال الله تعالى و عظمته و رياضة النفس و المجاهدة و الصبر و الرضا و التوكل فقد ارتفع طبقة أخرى فإن حصل له بعد ذلك الحب و الوجد فقد ارتفع طبقة أخرى فإن حصل له بعد ذلك الإعراض عن كل شيء سوى الله و أن يصير مسلوبا عن الموجودات كلها فلا يشعر إلا بنفسه و بالله تعالى فقد ارتفع طبقة أخرى و هي أرفع طبقات .

---

(1) ب: «فإن» .

و هناك طبقة أخرى يذكرونها و هي أن يسلب عن نفسه أيضا فلا يكون له شعور بها أصلا و إنما يكون شاعرا بالقيوم الأول سبحانه لا غير و هذه درجة الاتحاد بأن تصير الذاتان ذاتا واحدة .

و هذا قول قوم من الأوائل و من المتأخرين أيضا و هو مقام صعب لا تثبت العقول لتصوره و اكتناهه .

و اعلم أن هذه الصفات و الشروط و النعوت التي ذكرها في شرح حال العارف إنما يعني بها نفسه ع و هو من الكلام الذي له ظاهر و باطن فظاهره أن يشرح حال العارف المطلق و باطنه أن يشرح حال عارف معين و هو نفسه ع و سيأتي في آخر الخطبة ما يدل على ذلك (1) - .

و نحن نذكر الصفات التي أشار ع إليها واحدة واحدة فأولها أن يكون **عبدا أعانه الله على نفسه** و معنى ذلك أن يخصه بألطاف يختار عندها الحسن و يتجنب القبيح فكأنه أقام النفس في مقام العدو و أقام الألطاف مقام المعونة التي يمده الله سبحانه بها فيكسر عادية العدو المذكور و بهذا الاعتبار سمي قوم من المتكلمين اللطف عونا .

و ثانيها أن **يستشعر الحزن** أي يحزن على الأيام الماضية إن لم يكن اكتسب فيها من موجبات الاختصاص أضعاف ما اكتسبه .

و ثالثها أن **يتجلبب الخوف** أي يخاف من الإعراض عنه بأن يصدر عنه ما يمحوه من جريدة المخلصين .

و رابعها أن **يعد القرى لضعيف المنية** و ذلك بإقامة وظائف العبادة .

و خامسها أن **يقرب على نفسه البعيد** و ذلك بأن يمثل الموت بين عينيه صباحا و مساء و ألا يطيل الأمل (1) - .

و سادسها أن **يهون عليه الشدائد** و ذلك باحتمال كلف المجاهدة و رياضة النفس على عمل المشاق (2) - .

و سابعها أن يكون قد **نظر فأبصر** و ذلك بترتيب المقدمات المطابقة لمتعلقاتها ترتيبا صحيحا لتنتج العلم اليقيني (3) - .

و ثامنها أن **يذكر** الله تعالى **فيستكثر** من ذكره لأن ذكره سبحانه و الإكثار منه يقتضي سكون النفس و طمأنينتها كما قال تعالى **أَلاَ بِذِكْرِ اَللَّهِ تَطْمَئِنُّ اَلْقُلُوبُ** [1] .

و تاسعها أن **يرتوي** من حب الله تعالى و هو **العذب الفرات** الذي **سهل موارده** على من انتخبه الله و جعله أهلا للوصول إليه **فشرب** منه و **نهل** و **سلك طريقا** لا عثار فيه و لا وعث (4) - .

و عاشرها أن **يخلع سرابيل الشهوات** لأن الشهوات تصدئ مرآة العقل فلا تنطبع المعقولات فيها كما ينبغي و كذلك الغضب (5) - .

و حادي عشرها أن **يتخلى من الهموم** كلها لأنها تزيدات و قواطع عن المطلوب **إلا هما واحدا** و هو همه بمولاه الذي لذته و سروره الاهتمام به و التفرد بمناجاته و مطالعة أنوار عزته فحينئذ **يخرج عن صفة أهل العمى و من مشاركة أهل الهوى** لأنه قد امتاز عنهم بهذه المرتبة و الخاصية التي حصلت له **فصار مفتاحا لباب الهدى- و مغلاقا** لباب الضلال و **الردى قد أبصر طريق الهدى و سلك سبيله و عرف مناره و قطع غماره** .

---

(1) سورة الرعد 28.

و ثاني عشرها أن **ينصب نفسه لله في أرفع الأمور** و هو الخلوة به و مقابلة أنوار جلاله بمرآة فكره حتى تتكيف نفسه بتلك الكيفية العظيمة الإشراق فهذا أرفع الأمور و أجلها و أعظمها و قد رمز في هذا الفصل و مزجه بكلام خرج به إلى أمر آخر و هو فقه النفس في الدين و الأمور الشرعية النافعة للناس في دنياهم و أخراهم أما في دنياهم فلردع المفسد و كف الظالم و أما في أخراهم فللفوز بالسعادة باعتبار امتثال الأوامر الإلهية (1) - فقال **في إصدار كل وارد عليه** أي في فتيا كل مستفت له و هداية كل مسترشد له في الدين (2) - ثم قال **و تصيير كل فرع إلى أصله** و يمكن أن يحتج بهذا من قال بالقياس و يمكن أن يقال إنه لم يرد ذلك بل أراد تخريج الفروع العقلية و ردها إلى أصولها كما يتكلف أصحابنا القول في بيان حكمة القديم تعالى في الآلام و ذبح الحيوانات ردا له إلى أصل العدل و هو كونه تعالى لا يفعل القبيح (3) - .

و ثالث عشرها أن يكون **مصباحا لظلمات** الضلال **كشافا لعشوات** الشبه (4) - **مفتاحا لمبهمات** الشكوك المستغلقة **دفاعا لمعضلات** الاحتجاجات العقلية الدقيقة الغامضة **دليلا في فلوات** الأنظار الصعبة المشتبهة و لم يكن في أصحاب 14محمد ص أحد بهذه الصفة إلا هو (5) - .

و رابع عشرها أن **يقول** مخاطبا لغيره **فيفهمه** ما خاطبه به (6) - و أن **يسكت فيسلم** و ذلك لأنه ليس كل قائل مفهما و لا كل ساكت سالما (7) - .

و خامس عشرها أن يكون **قد أخلص لله فاستخلصه** الله و الإخلاص لله مقام عظيم جدا و هو ينزه الأفعال عن الرياء و ألا يمازج العبادة أمر لا يكون لله سبحانه و لهذا كان بعض الصالحين يصبح من طول العبادة نصبا قشفا فيكتحل و يدهن ليذهب بذلك أثر العبادة عنه (8) - .

و قوله **فهو من معادن دينه و أوتاد أرضه** معادن دينه الذين يقتبس الدين منهم كمعادن الذهب و الفضة و هي الأرضون التي يلتقط ذلك منها و أوتاد أرضه هم الذين لولاهم لمادت الأرض و ارتجت بأهلها و هذا من باب الاستعارة الفصيحة و أهل هذا العلم يقولون أوتاد الأرض جماعة من الصالحين و لهم في الأوتاد و الأبدال و الأقطاب كلام مشهور في كتبهم (1) .

و سادس عشرها أن يكون **قد ألزم نفسه العدل** و العدالة ملكه تصدر بها عن النفس الأفعال الفاضلة خلقا لا تخلقا .

ـو أقسام العدالة ثلاثة هي الأصول و ما عداها من الفضائل فروع عليها الأولى الشجاعة و يدخل فيها السخاء لأنه شجاعة و تهوين للمال كما أن الشجاعة الأصلية تهوين للنفس فالشجاع في الحرب جواد بنفسه و الجواد بالمال شجاع في إنفاقه و لهذا قال الطائي

أيقنت أن من السماح شجاعة # تدمي و أن من الشجاعة جودا [1] .

و الثانية الفقه و يدخل فيها القناعة و الزهد و العزلة .

و الثالثة الحكمة و هي أشرفها .

و لم تحصل العدالة الكاملة لأحد من البشر بعد 14رسول الله ص إلا لهذا الرجل و من أنصف علم صحة ذلك فإن شجاعته و جوده و عفته و قناعته و زهده يضرب بها الأمثال .

و أما الحكمة و البحث في الأمور الإلهية فلم يكن من فن أحد من العرب و لا نقل في جهاد أكابرهم و أصاغرهم شيء من ذلك أصلا و هذا فن كانت اليونان و أوائل الحكماء و أساطين الحكمة ينفردون به و أول من خاض فيه من العرب 1علي ع و لهذا

(1) أبو تمام، ديوانه 1: 423.

تجد المباحث الدقيقة في التوحيد و العدل مبثوثة عنه في فرش كلامه و خطبه و لا تجد في كلام أحد من الصحابة و التابعين كلمة واحدة من ذلك و لا يتصورونه و لو فهموه لم يفهموه و أنى للعرب ذلك .

و لهذا انتسب المتكلمون الذين لججوا في بحار المعقولات إليه خاصة دون غيره و سموه أستاذهم و رئيسهم و اجتذبته كل فرقة من الفرق إلى نفسها أ لا ترى أن أصحابنا ينتمون إلى واصل بن عطاء و واصل تلميذ أبي هاشم بن محمد بن الحنفية و أبو هاشم تلميذ أبيه محمد و محمد تلميذ أبيه 1علي ع . فأما الشيعة من الإمامية و الزيدية و الكيسانية فانتماؤهم إليه ظاهر .

و أما الأشعرية فإنهم بأخرة ينتمون إليه أيضا لأن أبا الحسن الأشعري تلميذ شيخنا أبي علي رحمه الله تعالى و أبو علي تلميذ أبي يعقوب الشحام و أبو يعقوب تلميذ أبي الهذيل و أبو الهذيل تلميذ أبي عثمان الطويل و أبو عثمان الطويل تلميذ واصل بن عطاء فعاد الأمر إلى انتهاء الأشعرية إلى 1علي ع . و أما الكرامية فإن ابن الهيصم ذكر في كتاب المقالات أن أصل مقالتهم و عقيدتهم تنتهي إلى 1علي ع من طريقين أحدهما بأنهم يسندون اعتقادهم عن شيخ بعد شيخ إلى أن ينتهي إلى سفيان الثوري ثم قال و سفيان الثوري من الزيدية ثم سأل نفسه فقال إذا كان شيخكم الأكبر الذي تنتمون إليه كان زيديا فما بالكم لا تكونون زيدية و أجاب بأن سفيان الثوري رحمه الله تعالى و أن أشهر عنه الزيدية إلا أن تزيده إنما كان عبارة عن موالاة أهل البيت و إنكار ما كان بنو أمية عليه من الظلم و إجلال زيد بن علي و تعظيمه و تصوينه في أحكامه و أحواله و لم ينقل عن سفيان الثوري أنه طعن في أحد من الصحابة .

الطريق الثاني أنه عد مشايخهم واحدا فواحدا حتى انتهى إلى علماء الكوفة من أصحاب 1علي كسلمة بن كهيل و حبة العرني و سالم بن الجعد و الفضل بن دكين و شعبة و الأعمش و علقمة و هبيرة بن مريم و أبي إسحاق الشعبي و غيرهم ثم قال و هؤلاء أخذوا العلم من 1علي بن أبي طالب ع فهو رئيس الجماعة يعنى أصحابه و أقوالهم منقولة عنه و مأخوذة منه .

و أما الخوارج فانتماؤهم إليه ظاهر أيضا مع طعنهم فيه لأنهم كانوا أصحابه و عنه مرقوا بعد أن تعلموا عنه و اقتبسوا منه و هم شيعته و أنصارهوو لكن الشيطان **رَانَ عَلىَ قُلُوبِهِمْ** و أعمى بصائرهم (1) - .

ثم إنه ع ذكر حال هذا العارف العادل فقال **أول عدله نفي الهوى عن نفسه** و ذلك لأن من يأمر و لا يأتمر و ينهى و لا ينتهي لا تؤثر عظته و لا ينفع إرشاده ثم شرح ذلك فقال **يصف الحق و يعمل به** ثم قال **لا يدع للخير غاية إلا أمها و لا مظنة إلا قصدها** و ذلك لأن الخير لذته و سروره و راحته فمتى وجد إليه طريقا سلكها (2) - ثم قال **قد أمكن الكتاب** يعني القرآن **من زمامه** أي قد أطاع الأوامر الإلهية فالقرآن **قائده و إمامه يحل حيث حل و ينزل حيث نزل** وَ آخَرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِماً وَ لَيْسَ بِهِ فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَّالٍ وَ أَضَالِيلَ مِنْ ضُلاَّلٍ وَ نَصَبَ لِلنَّاسِ أَشْرَاكاً مِنْ حَبَائِلِ [حِبَالِ] غُرُورٍ وَ قَوْلِ زُورٍ قَدْ حَمَلَ اَلْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ [رَأْيِهِ] وَ عَطَفَ اَلْحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ يُؤَمِّنُ اَلنَّاسَ مِنَ اَلْعَظَائِمِ وَ يُهَوِّنُ كَبِيرَ اَلْجَرَائِمِ يَقُولُ أَقِفُ عِنْدَ اَلشُّبُهَاتِ وَ فِيهَا وَقَعَ وَ يَقُولُ أَعْتَزِلُ اَلْبِدَعَ وَ بَيْنَهَا اِضْطَجَعَ فَالصُّورَةُ

صُورَةُ إِنْسَانٍ وَ اَلْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ لاَ يَعْرِفُ بَابَ اَلْهُدَى فَيَتَّبِعَهُ وَ لاَ بَابَ اَلْعَمَى فَيَصُدَّ عَنْهُ وَ ذَلِكَ مَيِّتُ اَلْأَحْيَاءِ **فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ** وَ أَنَّى تُؤْفَكُونَ وَ اَلْأَعْلاَمُ قَائِمَةٌ وَ اَلْآيَاتُ وَاضِحَةٌ وَ اَلْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ وَ كَيْفَ تَعْمَهُونَ وَ بَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ وَ هُمْ أَزِمَّةُ اَلْحَقِّ وَ أَعْلاَمُ اَلدِّينِ وَ أَلْسِنَةُ اَلصِّدْقِ فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ اَلْقُرْآنِ وَ رِدُوهُمْ وُرُودَ اَلْهِيمِ اَلْعِطَاشِ أَيُّهَا اَلنَّاسُ خُذُوهَا عَنْ 14خَاتَمِ اَلنَّبِيِّينَ ص إِنَّهُ يَمُوتُ مِنْ مَاتَ مِنَّا وَ لَيْسَ بِمَيِّتٍ وَ يَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَ لَيْسَ بِبَالٍ فَلاَ تَقُولُوا بِمَا لاَ تَعْرِفُونَ فَإِنَّ أَكْثَرَ اَلْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ وَ أَعْذِرُوا مَنْ لاَ حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ وَ هُوَ أَنَا أَ لَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ اَلْأَكْبَرِ وَ أَتْرُكْ فِيكُمُ اَلثَّقَلَ اَلْأَصْغَرَ قَدْ رَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ اَلْإِيمَانِ وَ وَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ اَلْحَلاَلِ وَ اَلْحَرَامِ وَ أَلْبَسْتُكُمُ اَلْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي وَ فَرَشْتُكُمُ اَلْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَ فِعْلِي وَ أَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ اَلْأَخْلاَقِ مِنْ نَفْسِي فَلاَ تَسْتَعْمِلُوا اَلرَّأْيَ فِيمَا لاَ يُدْرِكُ قَعْرَهُ اَلْبَصَرُ وَ لاَ تَتَغَلْغَلُ إِلَيْهِ اَلْفِكَرُ (1) -. **الجهائل** جمع جهالة كما قالوا علاقة و علائق (2) - و **الأضاليل** الضلال جمع لا واحد له من لفظه (3) - .

و قوله **و قد حمل الكتاب على آرائه** يعني قد فسر الكتاب و تأوله على مقتضى هواه و قد أوضح ذلك بقوله **و عطف الحق على أهوائه (4) -** .

و قوله **يؤمن الناس من العظائم** فيه تأكيد لمذهب أصحابنا في الوعيد و تضعيف لمذهب المرجئة الذين يؤمنون الناس من عظائم الذنوب و يمنونهم العفو مع الإصرار و ترك التوبة **16- و جاء في الخبر المرفوع المشهور الكيس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت و الأحمق من أتبع نفسه هواها و تمنى على الله (1) -.** و قوله **يقول أقف عند الشبهات** يعني أن هذا المدعي للعلم يقول لنفسه و للناس أنا واقف عند أدنى شبهة تحرجا و تورعا **14- كما قال ص دع ما يريبك إلى ما لا يريبك.** ثم قال **و في الشبهات وقع** أي بجهله لأن من لا يعلم الشبهة ما هي كيف يقف عندها و يتخرج من الورطة فيها و هو لا يأمن من كونها غير شبهة على الحقيقة (2) - .

و قوله **أعتزل البدع و بينها اضطجع** إشارة إلى تضعيف مذاهب العامة و الحشوية الذين رفضوا النظر العقلي و قالوا نعتزل البدع (3) - .

و قوله **فالصورة صورة إنسان** و ما بعده فمراده بالحيوان هاهنا الحيوان الأخرس كالحمار و الثور و ليس يريد العموم لأن الإنسان داخل في الحيوان و هذا مثل قوله تعالى **إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً** (1) .

و قال الشاعر

و كائن ترى من صامت لك معجب # زيادته أو نقصه في التكلم (2) لسان الفتى نصف و نصف فؤاده # فلم يبق إلا صورة اللحم و الدم.

- (4)

---

(1) سورة الفرقان 44.

(2) البيتان ينسبان إلى زهير، ملحق ديوانه ص 192 (من مجموعة العقد الثمين) .

قوله **و ذلك ميت الأحياء** كلمة فصيحة و قد أخذها شاعر فقال

ليس من مات فاستراح بميت # إنما الميت ميت الأحياء [1] .

إلا أن 1أمير المؤمنين ع أراد لجهله و الشاعر أراد لبؤسه (1) - .

و **تؤفكون** تقلبون و تصرفون (2) - .

و **الأعلام** المعجزات هاهنا جمع علم و أصله الجبل أو الراية (3) - و **المنارة** تنصب في الفلاة ليهتدى بها (4) - .

و قوله **فأين يتاه بكم** أي أين يذهب بكم في التيه و يقال أرض تيهاء يتحير سالكها (5) - و **تعمهون** تتحيرون و تضلون (6) - .

و عترة 14رسول الله ص أهله الأدنون و نسله و ليس بصحيح قول من قال إنهم رهطه و إن بعدوا و إنما قال أبو بكر أو بعده نحن عترة 14رسول الله ص و بيضته التي فقئت عنه على طريق المجاز لأنهم بالنسبة إلى الأمصار عترة له لا في الحقيقة أ لا ترى أن العدناني يفاخر القحطاني فيقول له أنا ابن عم 14رسول الله ص ليس يعني أنه ابن عمه على الحقيقة بل هو بالإضافة إلى القحطاني كأنه ابن عمه و إنما استعمل ذلك و نطق به مجازا فإن قدر مقدر أنه على طريق حذف المضافات أي ابن ابن عم أب الأب إلى عدد كثير في البنين و الآباء فكذلك أراد أبو بكر أنهم عترة أجداده على طريق حذف المضاف و قد بين 14رسول الله ص عترته من هي **14- لما قال إني تارك فيكم الثقلين فقال عترتي أهل بيتي .** و بين في مقام آخر من أهل بيته حيث **14- طرح عليهم كساء و قال حين نزلت إِنَّمَا يُرِيدُ اَللَّهُ**

---

(1) لابن الرعناء الضبابى، الكامل لابن الأثير 326.

لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ اَلرِّجْسَ أَهْلَ اَلْبَيْتِ [1] اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب الرجس عنهم . ـفإن قلت فمن هي العترة التي عناها 1أمير المؤمنين ع بهذا الكلام .

قلت نفسه و 2,3ولداه و الأصل في الحقيقة نفسه لأن 3,2ولديه تابعان له و نسبتهما إليه مع وجوده كنسبة الكواكب المضيئة مع طلوع الشمس المشرقة- **14- و قد نبه 14النبي ص على ذلك بقوله و 1أبوكما خير منكما (1) -.** و قوله **و هم أزمة الحق** جمع زمام كأنه جعل الحق دائرا معهم حيثما داروا و ذاهبا معهم حيثما ذهبوا كما أن الناقة طوع زمامها **14- و قد نبه 14الرسول ص على صدق هذه القضية بقوله و أدر الحق معه حيث دار (2) -.** و قوله **و ألسنة الصدق** من الألفاظ الشريفة القرآنية قال الله تعالى **وَ اِجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي اَلْآخِرِينَ** [2] لما كان يصدر عنهم حكم و لا قول إلا و هو موافق للحق و الصواب جعلهم كأنهم **ألسنة صدق** لا يصدر عنها قول كاذب أصلا بل هي كالمطبوعة على الصدق (3) - .

و قوله **فأنزلوهم منازل القرآن** تحته سر عظيم و ذلك أنه أمر المكلفين بأن يجروا العترة في إجلالها و إعظامها و الانقياد لها و الطاعة لأوامرها مجرى القرآن . فإن قلت فهذا القول منه يشعر بأن العترة معصومة فما قول أصحابكم في ذلك .

قلت نص أبو محمد بن متويه رحمه الله تعالى في كتاب الكفاية على أن 1عليا ع معصوم و إن لم يكن واجب العصمة و لا العصمة شرط في الإمامة لكن أدلة النصوص قد دلت على عصمته و القطع على باطنه و مغيبه و أن ذلك أمر اختص

---

(1) سورة الأحزاب 33.
(2) سورة الشعراء 84.

هو به دون غيره من الصحابة و الفرق ظاهر بين قولنا زيد معصوم و بين قولنا زيد واجب العصمة لأنه إمام و من شرط الإمام أن يكون معصوما فالاعتبار الأول مذهبنا و الاعتبار الثاني مذهب الإمامية (1) - . ثم قال **و ردوهم ورود الهيم العطاش** أي كونوا ذوي حرص و انكماش على أخذ العلم و الدين منهم كحرص الهيم الظماء على ورود الماء (2) - .

ثم قال **أيها الناس خذوها عن خاتم النبيين** إلى قوله **و ليس ببال** هذا الموضع يحتاج إلى تلطف في الشرح لأن لقائل أن يقول ظاهر هذا الكلام متناقض لأنه قال **يموت من مات منا و ليس بميت** و هذا كما تقول يتحرك المتحرك و ليس بمتحرك و كذلك قوله **و يبلى من بلي منا و ليس ببال** أ لا ترى أنه سلب و إيجاب لشيء واحد فإن قلتم أراد بقاء النفس بعد موت الجسد كما قاله الأوائل و قوم من المتكلمين قيل لكم فلا اختصاص 14للنبي و لا 1لعلي بذلك بل هذه قضية عامة في جميع البشر و الكلام خرج مخرج التمدح و الفخر .

فنقول في الجواب إن هذا يمكن أن يحمل على وجهين أحدهما أن يكون 14النبي ص و 1علي و من يتلوهما من أطائب العترة أحياء بأبدانهم التي كانت في الدنيا بأعيانها قد رفعهم الله تعالى إلى ملكوت سماواته و على هذا لو قدرنا أن محتفرا احتفر تلك الأجداث الطاهرة عقب دفنهم لم يجد الأبدان في الأرض **14- و قد روي في الخبر النبوي ص مثل ذلك و هو قوله إن الأرض لم تسلط علي و إنها لا تأكل لي لحما و لا تشرب لي دما.** نعم يبقى الأشكال في قوله **و يبلى من بلي منا و ليس ببال** فإنه إن صح هذا التفسير في الكلام الأول و هو قوله **يموت**

من مات منا و ليس بميت فليس يصح في القضية الثانية و هي حديث البلاء لأنها تقتضي أن الأبدان تبلى و ذاك الإنسان لم يبل فأحوج هذا الأشكال إلى تقدير فاعل محذوف فيكون تقدير الكلام **يموت من مات** حال موته **و ليس بميت** فيما بعد ذلك من الأحوال و الأوقات **و يبلى** كفن **من بلي منا و ليس** هو **ببال** فحذف المضاف كقوله **وَ إِلىَ مَدْيَنَ** [1] أي و إلى أهل مدين و لما كان الكفن كالجزء من الميت لاشتماله عليه عبر بأحدهما عن الآخر للمجاورة و الاشتمال كما عبروا عن المطر بالسماء و عن الخارج المخصوص بالغائط و عن الخمر بالكأس و يجوز أن يحذف الفاعل كقوله تعالى **حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ** [2] و **فَلَوْ لاَ إِذَا بَلَغَتِ اَلْحُلْقُومَ** [3] و قول حاتم إذا حشرجت [4] و حذف الفاعل كثير .

و الوجه الثاني أن أكثر المتكلمين ذهبوا إلى أن للإنسان الحي الفعال أجزاء أصلية في هذه البنية المشاهدة و هي أقل ما يمكن أن تأتلف منه البنية التي معها يصح كون الحي حيا و جعلوا الخطاب متوجها نحوها و التكليف واردا عليها و ما عداها من الأجزاء فهي فاضلة ليست داخلة في حقيقة الإنسان و إذا صح ذلك جاز أن ينتزع الله تلك الأجزاء الأصلية من أبدان الأنبياء و الأوصياء فيرفعها إليه بعد أن يخلق لها من الأجزاء الفاضلة عنها نظير ما كان لها في الدار الأولى كما قاله من ذهب إلى قيامة الأنفس و الأبدان معا فتنعم عنده و تلتذ بضروب اللذات الجسمانية و يكون هذا مخصوصا بهذه الشجرة

---

(1) سورة الأعراف 85.
(2) سورة ص 32.
(3) سورة الواقعة 83.
(4) من قول حاتم: لعمرك ما يغنى الثّراء عن الفتى # إذا حشرجت يوما و ضاق بها الصّدر
ديوانه 118 (من مجموعة خمسة دواوين) .

المباركة دون غيرها و لا عجب فقد ورد في حق الشهداء نحو ذلك في قوله تعالى **وَ لاَ تَحْسَبَنَّ اَلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اَللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** [1] .

و على الوجه الأول لو أن محتفرا احتفر أجداثهم لوجد الأبدان فيها و إن لم يعلم أن أصول تلك البنى قد انتزعت منها و نقلت إلى الرفيق الأعلى و هذا الوجه لا يحتاج إلى تقدير ما قدرناه أولا من الحذف لأن الجسد يبلى في القبر إلا قدر ما انتزع منه و نقل إلى محل القدس و كذلك أيضا يصدق على الجسد أنه ميت و إن كان أصل بنيته لم يمت **16- و قد ورد في الخبر الصحيح أن أرواح الشهداء من المؤمنين في حواصل طيور خضر تدور في أفناء الجنان و تأكل من ثمارها و تأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش .** فإذا جاء هذا في الشهداء فما ظنك بموالي الشهداء و ساداتهم .

فإن قلت فهل يجوز أن يتأول كلامه فيقال لعله أراد بقاء الذكر و الصيت .

قلت إنه لبعيد لأن غيرهم يشركهم في ذلك و لأنه أخرج الكلام مخرج المستغرب المستعظم له .

فإن قلت فهل يمكن أن يقال إن الضمير يعود إلى 14النبي ص لأنه قد ذكره في قوله **14خاتم النبيين** فيكون التقدير أنه يموت من مات منا و 14النبي ص ليس بميت و يبلى من بلي منا و 14النبي ليس ببال .

قلت هذا أبعد من الأول لأنه لو أراد ذلك لقال إن 14رسول الله ص لا تبليه الأرض و أنه الآن حي و لم يأت بهذا الكلام الموهم و لأنه في سياق تعظيم العترة و تبجيل أمرها و فخره بنفسه و تمدحه بخصائصه و مزاياه فلا يجوز أن يدخل في غضون ذلك ما ليس منه .

---

(1) سورة آل عمران 169.

فإن قلت فهل هذا الكلام منه أم قاله مرفوعا قلت بل ذكره مرفوعا أ لا تراه قال **خذوها عن خاتم النبيين (1) -** ثم نعود إلى التفسير فنقول إنه لما قال لهم ذلك علم أنه قال قولا عجيبا و ذكر أمرا غريبا و علم أنهم ينكرون ذلك و يعجبون منه فقال لهم **فلا تقولوا ما لا تعرفون** أي لا تكذبوا إخباري و لا تكذبوا إخبار 14رسول الله لكم بهذا فتقولون ما لا تعلمون صحته ثم قال **فإن أكثر الحق** في الأمور العجيبة التي تنكرونها كإحياء الموتى في القيامة و كالصراط و الميزان و النار و الجنة و سائر أحوال الآخرة هذا إن كان خاطب من لا يعتقد الإسلام فإن كان الخطاب لمن يعتقد الإسلام فإنه يعني بذلك أن أكثرهم كانوا مرجئة و مشبهة و مجبرة و من يعتقد أفضلية غيره عليه و من يعتقد أنه شرك في دم عثمان و من يعتقد أن معاوية صاحب حجة في حربه أو شبهة يمكن أن يتعلق بها متعلق و من يعتقد أنه أخطأ فيإلى غير ذلك من ضروب الخطإ التي كان أكثرهم عليها (2) - .

ثم قال **و أعذروا من لا حجة لكم عليه و هو أنا** يقول قد عدلت فيكم و أحسنت السيرة و أقمتكم على المحجة البيضاء حتى لم يبق لأحد منكم حجة يحتج بها علي ثم شرح ذلك فقال **عملت فيكم بالثقل الأكبر** يعني الكتاب و خلفت فيكم الأصغر يعني ولديه لأنهما بقية **الثقل الأصغر** فجاز أن يطلق عليهما بعد ذهاب من ذهب منه أنهما **الثقل الأصغر** و إنما سمى 14النبي ص الكتاب و العترة الثقلين لأن الثقل فياللغةمتاع المسافر و حشمه فكأنه ص لما شارف الانتقال إلى جوار ربه تعالى جعل نفسه كالمسافر الذي ينتقل من منزل إلى منزل و جعل الكتاب و العترة كمتاعه و حشمه لأنهما أخص الأشياء به (3) - .

قوله **و ركزت فيكم راية الإيمان** أي غرزتها و أثبتها و هذا من باب الاستعارة (4) - .

-

و كذلك قوله **و وقفتكم على حدود الحلال و الحرام** من باب الاستعارة أيضا مأخوذ من حدود الدار و هي الجهات الفاصلة بينها و بين غيرها (1) - .

قوله **و ألبستكم العافية من عدلي** استعارة فصيحة و أفصح منها (2) - قوله **و فرشتكم المعروف من قولي و فعلي** أي جعلته لكم فراشا و فرش هاهنا متعد إلى مفعولين يقال فرشته كذا أي أوسعته إياه (3) - .

ثم نهاهم أن يستعملوا **الرأي** فيما ذكره لهم من خصائص العترة و عجائب ما منحها الله تعالى فقال إن أمرنا أمر صعب لا تهتدي إليه العقول و لا تدرك الأبصار قعره و لا تتغلغل الأفكار إليه (4) - و **التغلغل** الدخول من تغلغل الماء بين الشجر إذا تخللها و دخل بين أصولها وَ مِنْهَا حَتَّى يَظُنَّ اَلظَّانُّ أَنَّ اَلدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا وَ تُورِدُهُمْ صَفْوَهَا وَ لاَ يُرْفَعُ عَنْ هَذِهِ اَلْأُمَّةِ سَوْطُهَا وَ لاَ سَيْفُهَا وَ كَذَبَ اَلظَّانُّ لِذَلِكَ بَلْ هِيَ مَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ اَلْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً (5) -. **معقولة** محبوسة بعقال كما تعقل الناقة (6) - و **تمنحهم** تعطيهم و المنح العطاء منح يمنح بالفتح و الاسم المنحة بالكسر و استمنحت زيدا طلبت منحته .

و **الدر** في الأصل اللبن جعل الدنيا كناقة معقولة عليهم تمنحهم لبنها ثم استعمل

382

الدر في كل خير و نفع فقيل لا در درة أي لا كثر خيره و يقال في المدح لله دره أي عمله (1) - .

و **مجة من لذيذ العيش** مصدر مج الشراب من فيه أي رمى به و قذفه و يقال انمجت نقطة من القلم أي ترششت و شيخ ماج أي كبير يمج الريق و لا يستطيع حبسه لكبره .

و **يتطعمونها** أي يذوقونها و **برهة** أي مدة من الزمان فيها طول (2) - و لفظت الشيء من فمي ألفظه لفظا رميته و ذلك الشيء اللفاظة و اللفاظ أي **يلفظونها** كلها لا يبقى منها شيء معهم .

و هذه الخطبة طويلة و قد حذف الرضي رحمه الله تعالى منها كثيرا **1- و من جملتها أما و الذي فلق الحبة و برأ النسمة لا يرون الذي ينتظرون حتى يهلك المتمنون و يضمحل المحلون و يتثبت المؤمنون و قليل ما يكون و الله و الله لا ترون الذي تنتظرون حتى لا تدعون الله إلا إشارة بأيديكم و إيماضا بحواجبكم و حتى لا تملكون من الأرض إلا مواضع أقدامكم و حتى يكون موضع سلاحكم على ظهوركم فيومئذ لا ينصرني إلا الله بملائكته و من كتب على قلبه الإيمان و الذي نفس 1علي بيده لا تقوم عصابة تطلب لي أو لغيري حقا أو تدفع عنا ضيما إلا صرعتهم البلية حتى تقوم عصابة شهدت مع 14محمد ص لا يودى قتيلهم و لا يداوى جريحهم و لا ينعش صريعهم .** قال المفسرون هم الملائكة .

و منها:

1- لقد دعوتكم إلى الحق و توليتم و ضربتكم بالدرة فما استقمتم و ستليكم

بعدي ولاة يعذبونكم بالسياط و الحديد و سيأتيكم غلاما ثقيف أخفش و جعبوب يقتلان و يظلمان و قليل ما يمكنان .
قلت الأخفش الضعيف البصر خلقة و الجعبوب القصير الذميم و هما الحجاج و يوسف بن عمر و في كتاب عبد الملك إلى الحجاج قاتلك الله أخيفش العينين أصك الجاعرنين [1] .

17- و من كلام الحسن البصري رحمه الله تعالى يذكر فيه الحجاج أتانا أعيمش أخيمش يمد بيد قصيرة البنان ما عرق فيها عنان في سبيل الله . و كان المثل يضرب بقصر يوسف بن عمر و كان يغضب إذا قيل له قصير فصل له الخياط ثوبا فأبقى منه فضلة كثيرة فقال له ما هذه قال فضلت من قميص الأمير فضربه مائة سوط فكان الخياطون بعد ذلك يفصلون له اليسير من الثوب و يأخذون الباقي لأنفسهم

(1) الجاعرتان: حرفا الوركين المشرفان عن الفخذين. و الأصك: الذي تصك ركبتاه و عرقوباه عن المشى.

1087 87 و من خطبة له ع

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اَللَّهَ لَمْ يَقْصِمْ [يَقْصِمْ] جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ إِلاَّ بَعْدَ تَمْهِيلٍ وَ رَخَاءٍ وَ لَمْ يَجْبُرْ عَظْمَ أَحَدٍ مِنَ اَلْأُمَمِ إِلاَّ بَعْدَ أَزْلٍ وَ بَلاَءٍ وَ فِي دُونِ مَا اِسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَتْبٍ وَ مَا اِسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبَرٌ وَ مَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ بِلَبِيبٍ وَ لاَ كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ وَ لاَ كُلُّ ذِي نَاظِرٍ بِبَصِيرٍ فَيَا عَجَبَا وَ مَا لِيَ لاَ أَعْجَبُ مِنْ خَطَإِ هَذِهِ اَلْفِرَقِ عَلَى اِخْتِلاَفِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا لاَ يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ وَ لاَ يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ وَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ وَ لاَ يَعِفُّونَ عَنْ عَيْبٍ يَعْمَلُونَ فِي اَلشُّبُهَاتِ وَ يَسِيرُونَ فِي اَلشَّهَوَاتِ اَلْمَعْرُوفُ فِيهِمْ مَا عَرَفُوا وَ اَلْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا مَفْزَعُهُمْ فِي اَلْمُعْضِلاَتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَ تَعْوِيلُهُمْ فِي اَلْمُهِمَّاتِ [اَلْمُبْهَمَاتِ] عَلَى آرَائِهِمْ كَأَنَّ كُلَّ اِمْرِئٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفْسِهِ قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعُرَى ثِقَاتٍ [وَثِيقَاتٍ وَ مُوَثَّقَاتٍ] وَ أَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ (1) -. **القصم** بالقاف و الصاد المهملة الكسر قصمته فانقصم و قصمته فتقصم و رجل أقصم الثنية أي مكسورها بين القصم بفتح الصاد (2) - .

و **التمهيل** التأخير و يروى رجاء و هو التأخير أيضا و الرواية المشهورة **و رخاء** أي بعد إعطائهم من سعة العيش و خصب الحال ما اقتضته المصلحة (3) - .

و **الأزل** بفتح الهمزة الضيق (1) - و **يقتصون** يتبعون قال سبحانه و تعالى **وَ قَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ (2) -** [1] .

و **يعفون** بكسر العين عففت عن كذا أعف عفا و عفة و عفافة أي كففت فأنا عف و عفيف و امرأة عفة و عفيفة و قد أعفه الله و استعف عن المسألة أي عف .

و تعفف الرجل أي تكلف العفة و يروى **و لا يعفون عن عيب** أي لا يصفحون (3) - .

و **مفزعهم** ملجؤهم (4) - و **فيما يرى** أي فيما يظن و يرى بفتح الياء أي فيما يراه هو و روي بعرا وثيقات .

يقول إن عادة الله تعالى ألا يقصم الجبابرة إلا بعد الإمهال و الاستدراج بإضافة النعم عليهم و ألا يجير أولياءه و ينصرهم إلا بعد بؤس و بلاء يمتحنهم به (5) - ثم قال لأصحابه **إن في دون ما استقبلتم من عتب لمعتبر** أي من مشقة [2] يعني بما استقبلوه ما لاقوه [2] في مستقبل زمانهم من الشيب و ولاة السوء و تنكر الوقت و سمى المشقة عتبا لأن العتب مصدر عتب عليه أي وجد عليه فجعل الزمان كالواجد عليهم القائم في إنزال مشاقه بهم مقام الإنسان ذي الموجدة يعتب على صاحبه و روي من عتب بفتح التاء جمع عتبة يقال لقد حمل فلان على عتبة أي أمر كريه من البلاء و في المثل ما في هذا الأمر رتب و لا عتب أي شدة و روي أيضا من عنت و هو الأمر الشاق (6) - **و ما استدبروه من خطب** يعني به ما تصرم عنهم من الحروب و الوقائع التي قضوها و نضوها و استدبروها و يروى و استدبرتم من خصب و هو رخاء العيش و هذا يقتضي المعنى الأول أي و ما خلفتم وراءكم من الشباب و الصحة و صفو العيشة (7) - .

ثم قال **ما كل ذي قلب بلبيب** الكلام إلى آخره و هو مأخوذ من قول الله

---

(1) سورة القصص 11.

(2-2) ج: «يعنى ما استقبلوه، أي ما لاقوه» .

تعالى **لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَ لَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا (1) -** [1] .

ثم تعجب من اختلاف حجج الفرق في الدين و خطئهم و كونهم لا يتبعون أقوال الأنبياء و لا أقوال الأوصياء (2) - ثم نعى عليهم أحوالهم القبيحة فقال إنهم **لا يؤمنون بالغيب** أي لا يصدقون بما لم يشاهدوه و لا يكفون عن الأمور القبيحة لكنهم (3) - **يعملون في الشبهات** أي يعملون أعمالا داخلة في الشبهات متوسطة لها (4) - **و يسيرون في الشهوات** جعل الشهوات كالطريق التي يسير فيها الإنسان (5) - .

ثم قال **المعروف فيهم ما عرفوه** أي ليس المعروف عندهم ما دل الدليل على كونه معروفا و صوابا و حقا بل المعروف عندهم ما ذهبوا إلى أنه حق سواء كان حقا في نفس الأمر أو لم يكن (6) - **و المنكر عندهم ما أنكروه** كما شرحناه في المعروف (7) - .

ثم قال إنهم لا يستشيرون بعالم و لا يستفتون فقيها فاضلا بل مفزعهم في الأمور المشكلة إلى أنفسهم و آرائهم و لقد صدق ع فإن هذه صفات من يدعي العلم و الفضل في زماننا و قبله بدهر طويل و ذلك أنهم يأنفون من التعلم و الاسترشاد فالبادئ منهم يعتقد في نفسه أنه أفضل من البارع المنتهي و متى ظفر الواحد منهم بمبادئ علم و حمله شرع في التدريس و التصنيف فمنعه التزامه بذلك من التردد إلى أبواب العلماء و أنف من سؤالهم عن الأمور المشكلة فدام جهله إلى أن يموت .

ثم قال **كأن كل واحد منهم إمام نفسه** و يروى بحذف كان و إسقاطها و هو أحسن

---

(1) سورة الأعراف 179.

1088 88 و من خطبة له ع

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ **فَتْرَةٍ مِنَ اَلرُّسُلِ** وَ طُولِ هَجْعَةٍ مِنَ اَلْأُمَمِ وَ اِعْتِزَامٍ (1) مِنَ اَلْفِتَنِ وَ اِنْتِشَارٍ مِنَ اَلْأُمُورِ وَ تَلَظٍّ مِنَ اَلْحُرُوبِ وَ اَلدُّنْيَا كَاسِفَةُ اَلنُّورِ ظَاهِرَةُ اَلْغُرُورِ عَلَى حِينِ اِصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا وَ إِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا وَ إِغْوَارٍ (2) اِغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ اَلْهُدَى وَ ظَهَرَتْ أَعْلاَمُ اَلرَّدَى فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لِأَهْلِهَا عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا ثَمَرُهَا اَلْفِتْنَةُ وَ طَعَامُهَا اَلْجِيفَةُ وَ شِعَارُهَا اَلْخَوْفُ وَ دِثَارُهَا اَلسَّيْفُ .

فَاعْتَبِرُوا عِبَادَ اَللَّهِ وَ اُذْكُرُوا تِيكَ اَلَّتِي آبَاؤُكُمْ وَ إِخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهَنُونَ وَ عَلَيْهَا مُحَاسَبُونَ وَ لَعَمْرِي مَا تَقَادَمَتْ بِكُمْ وَ لاَ بِهِمُ اَلْعُهُودُ وَ لاَ خَلَتْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمُ اَلْأَحْقَابُ وَ اَلْقُرُونُ وَ مَا أَنْتُمُ اَلْيَوْمَ مِنْ يَوْمَ كُنْتُمْ فِي أَصْلاَبِهِمْ بِبَعِيدٍ .

وَ اَللَّهِ مَا أَسْمَعَكُمُ 14اَلرَّسُولُ شَيْئاً إِلاَّ وَ هَا أَنَا ذَا اَلْيَوْمَ مُسْمِعُكُمُوهُ وَ مَا أَسْمَاعُكُمْ اَلْيَوْمَ بِدُونِ أَسْمَاعِكُمْ بِالْأَمْسِ وَ لاَ شُقَّتْ لَهُمُ اَلْأَبْصَارُ وَ لاَ جُعِلَتْ لَهُمُ اَلْأَفْئِدَةُ فِي ذَلِكَ اَلزَّمَانِ إِلاَّ وَ قَدْ أَعْطِيتُمْ مِثْلَهَا فِي هَذَا اَلزَّمَانِ وَ وَ اَللَّهِ مَا بُصِّرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئاً جَهِلُوهُ وَ لاَ أُصْفِيتُمْ بِهِ وَ حُرِمُوهُ وَ لَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمُ اَلْبَلِيَّةُ جَائِلاً خِطَامُهَا رِخْواً بِطَانُهَا فَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ اَلْغُرُورِ فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ. (1) -

---

(1) مخطوطة النهج: «و اعترام» .
(2) مخطوطة النهج: «و إغوار» .

الفترة بين **الرسل** انقطاع الرسالة و الوحي و كذلك كان إرسال 14محمد ص لأن بين 14محمد و بين عهد المسيح ع عهدا طويلا أكثر الناس على أنه ستمائة سنة و لم يرسل في تلك المدة رسول اللهم إلا ما يقال عن خالد بن سنان العبسي و لم يكن نبيا و لا مشهورا (1) - .

و **الهجعة** النومة ليلا و الهجوع مثله و كذلك التهجاع بفتح التاء فأما الهجعة بكسر الهاء فهي الهيئة كالجلسة من الجلوس (2) - .

قوله **و اعتزام من الفتن** كأنه جعل الفتن معتزمة أي مريدة مصممة للشغب و الهرج و يروى و اعتراض و يروى و اعترام بالراء المهملة من العرام و هي الشرة (3) - و **التلظي** التلهب .

و (4) - **كاسفة النور** قد ذهب ضوءها كما تكسف الشمس (5) - ثم وصفها بالتغير و ذبول الحال فجعلها كالشجرة التي **اصفر ورقها** و **يبس ثمرها** و أعور ماؤها و **الإعوار** ذهاب الماء فلاة عوراء لا ماء بها و من رواه و **إغوار من مائها** بالغين المعجمة جعله من غار الماء أي ذهب و منه قوله تعالى **أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً (6) -** [1] .

و **متجهمة لأهلها** كالحة في وجوههم (7) - .

ثم قال **ثمرها الفتنة** أي نتيجتها و ما يتولد عنها (8) - **و طعامها الجيفة** يعني أكل الجاهلية الميتة أو يكون على وجه الاستعارة أي أكلها خبيث و يروى الخيفة أي الخوف (9) - ثم جعل **الخوف** و **السيف شعارها** و **دثارها** فالشعار ما يلي الجسد و الدثار فوق

---

(1) سورة الملك 30.

الشعار و هذا من بديع الكلام و من جيد الصناعة لأنه لما كان الخوف يتقدم السيف و السيف يتلوه جعل الخوف شعارا لأنه الأقرب إلى الجسد و جعل الدثار تاليا له (1) - .

ثم قال **و اذكروا تيك** كلمة إشارة إلى المؤنثة الغائبة فيمكن أن يعنى بها الدنيا التي تقدم ذكرها و قد جعل آباءهم و إخوانهم **مرتهنين** بها و **محاسبين** عليها و الارتهان الاحتباس و يمكن أن يعنى بها الأمانة التي عرضت على الإنسان فحملها و المراد بالأمانة الطاعة و العبادة و فعل الواجب و تجنب القبيح و قال تيك و لم يجر ذكرها كما قال تعالى **الم ذَلِكَ اَلْكِتَابُ** [1] و لم يجر ذكره لأن الإشارة إلى مثل هذا أعظم و أهيب و أشد روعة في صدر المخاطب من التصريح (2) - .

قوله **و لا خلت فيما بينكم و بينهم الأحقاب** أي لم يطل العهد و الأحقاب المدد المتطاولة و القرون الأمم من الناس (3) - .

و قوله **من يوم كنتم** يروى بفتح الميم من يوم على أنه مبني إذ هو مضاف إليه الفعل المبني و يروى بجرها بالإضافة على اختلاف القولين في علم العربية (4) - .

ثم اختلفت الرواية في قوله **و الله ما أسمعكم** فروي بالكاف و روي أسمعهم (5) - و كذلك اختلفت الرواية في قوله **و ما أسماعكم اليوم بدون أسماعكم بالأمس** فروي هكذا و روي بدون أسماعهم فمن رواه بهاء الغيبة في الموضعين فالكلام منتظم لا يحتاج إلى تأويل و من رواه بكاف الخطاب قال إنه خاطب به من صحب 14النبي ص و شاهده و سمع خطابه لأن أصحاب 1علي ع كانوا فريقين صحابة و تابعين و يعضد الرواية الأولى سياق الكلام (6) - .

و قوله **و لا شقت لهم الأبصار** ... إلا و قد أعطيتم مثلها [2] .

---

(1) سورة البقرة 1، 2.
(2) كذا في الأصول.

و **أصفيتم به** منحتموه من الصفا و هو ما يصطفيه الرئيس من المغنم لنفسه قبل القسمة يقال صفي و صفية .

و خلاصة هذا الكلام أن جميع ما كان 14رسول الله ص قاله لأصحابه قد قلت مثله لكم فأطاع أولئك و عصيتم أنتم و حالكم مساوية لحالهم .

قلت لو أن مجيبا منهم يجيبه لأمكن أن يقول له المخاطبون و إن كانوا نوعا واحدا متساويا إلا أن المخاطب مختلف الحال و ذلك لأنك و إن كنت ابن عمه في النسب و أخاه و لحمه و دمه و فضائلك مشتقة من فضائله و أنت قبس من نوره و ثانيه على الحقيقة و لا ثالث لكما إلا أنك لم ترزق القبول الذي رزقه و لا انفعلت نفوس الناس لك حسب انفعالها له و تلك خاصية النبوة التي امتاز بها عنك فإنه كان لا يسمع أحد كلامه إلا أحبه و مال إليه و لذلك كانت قريش تسمي المسلمين قبل الصباة و يقولون نخاف أن يصبو الوليد بن المغيرة إلى دين 14محمد ص و لئن صبا الوليد و هو ريحانة قريش لتصبون قريش بأجمعها و قالوا فيه ما كلامه إلا السحر و إنه ليفعل بالألباب فوق ما تفعل الخمر و نهوا صبيانهم عن الجلوس إليه لئلا يستميلهم بكلامه و شمائله و كان إذا صلى في الحجر و جهر يجعلون أصابعهم في آذانهم خوفا أن يسحرهم و يستميلهم بقراءته و بوعظه و تذكيره هذا هو معنى قوله تعالى **جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَ اِسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ** [1] .

و معنى قوله **وَ إِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي اَلْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلىَ أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً** [2] لأنهم كانوا يهربون إذا سمعوه يتلو القرآن خوفا أن يغير عقائدهم في أصنامهم و لهذا

---

(1) سورة نوح.
(2) سورة الإسراء 46.

أسلم أكثر الناس بمجرد سماع كلامه و رؤيته و مشاهدة روائه و منظره و ما ذاقوه من حلاوة لفظه و سري كلامه في آذانهم و ملك قلوبهم و عقولهم حتى بذلوا المهج في نصرته و هذا من أعظم معجزاته ع و هو القبول الذي منحه الله تعالى و الطاعة التي جعلها في قلوب الناس له و ذلك على الحقيقة سر النبوة الذي تفرد به ص فكيف يروم 1أمير المؤمنين من الناس أن يكونوا معه كما كان آباؤهم و إخوانهم مع 14النبي ص مع اختلاف حال الرئيسين و تساوي الأثرين كما يعتبر في تحققه تساوي حال المحلين يعتبر في حقيقته أيضا تساوي حال العلتين (1) - .

ثم نعود إلى التفسير قال **و لقد نزلت بكم البلية** أي المحنة العظيمة يعني فتنة معاوية و بني أمية . و قال **جائلا خطامها** لأن الناقة إذا اضطرب زمامها استصعبت على راكبها و يسمى الزمام خطاما لكونه في مقدم الأنف و الخطم من كل دابة مقدم أنفها و فمها [1] و إنما جعلها **رخوا بطانها** لتكون أصعب على راكبها لأنه إذا استرخى البطان كان الراكب في معرض السقوط عنها و بطان القتب هو الحزام الذي يجعل تحت بطن البعير (2) - .

ثم نهاهم عن الاغترار بالدنيا و متاعها (3) - و قال إنها **ظل ممدود إلى أجل معدود** و إنما جعلها كالظل لأنه ساكن في رأي العين و هو متحرك في الحقيقة لا يزال يتقلص كما قال تعالى **ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً** [2] و هو أشبه شيء بأحوال الدنيا .

و قال بعض الحكماء أهل الدنيا كركب سير بهم و هم نيام

---

(1) ج: «أنفه و فمه» .
(2) سورة الفرقان 56.

89 و من خطبة له ع

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ اَلْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ وَ اَلْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ اَلَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِماً دَائِماً إِذْ لاَ سَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ وَ لاَ حُجُبٌ ذَاتُ إِرْتَاجٍ وَ لاَ لَيْلٌ دَاجٍ وَ لاَ بَحْرٌ سَاجٍ وَ لاَ جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ وَ لاَ فَجٌّ ذُو اِعْوِجَاجٍ وَ لاَ أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ وَ لاَ خَلْقٌ ذُو اِعْتِمَادٍ وَ ذَلِكَ مُبْتَدِعُ اَلْخَلْقِ وَ وَارِثُهُ وَ إِلَهُ اَلْخَلْقِ وَ رَازِقُهُ وَ اَلشَّمْسُ وَ اَلْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرْضَاتِهِ يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ وَ يُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ (1) - . ـ **الروية** الفكرة و أصلها الهمز روأت في الأمر و قد جاء مثلها كلمات يسيرة شاذة نحو البرية من برأ أي خلق و الذرية من ذرأ أي خلق أيضا و الدرية و هي ما يستتر به الصائد أصله من درأت أي دفعت و فلان بري أصله بريء وصف الله تعالى بأنه يعرف من غير أن تتعلق الأبصار بذاته و يخلق من غير تفكر و ترو فيما يخلقه (2) - .

لم يزل قائما القائم و القيوم بمعنى و هو الثابت الذي لا يزول و يعبر عنه في الاصطلاح النظري بالواجب الوجود و قد يفسر القائم على معنى قولهم فلان قائم بأمر كذا أي وال و ممسك له أن يضطرب .

ثم قال هو موصوف بأنه قائم دائم من قبل أن يخلق العالم و هذا يؤكد التفسير

الأول لأنه إذا لم يكن العالم مخلوقا بعد لم يصدق عليه أنه قائم بأمره إلا بالقوة لا بالفعل كما يصدق عليه أنه سميع بصير في الأزل أي إذا وجدت المسموعات و المبصرات سمعها و أبصرها و لو سمي قبل خلق الكلام متكلما على هذا التفسير لم أستبعده و إن كان أصحابنا يأبونه (1) - .

و **الأبراج** الأركان في اللغة العربية .

فإن قلت فهل يطابق هذا التفسير ما يعتقده أصحاب الهيئة و كثير من الحكماء و المتكلمين أن السماء كرة لا زاوية فيها و لا ضلع .

قلت نعم لا منافاة بين القولين لأن الفلك و إن كان كرة لكن فيه من المتممات ما يجري مجرى أركان الحصن أو السور فصح إطلاق لفظه الأبراج عليه و المتممات أجسام في حشو الفلك تخف في موضع و الناس كلهم أثبتوها .

فإن قلت فهل يجوز أن يحمل لفظ الأبراج على ما يعتقده المنجمون و أهلالهيئةو كثير من الحكماء و المتكلمين من كون الفلك مقسوما باثني عشر قسما كل قسم منها يسمى برجا .

قلت لا مانع من ذلك لأن هذا المسمى كان معلوما متصورا قبل نزول القرآن و كان أهل الاصطلاح قد وضعوا هذا اللفظ بإزائه فجاز أن ينزل القرآن بموجبه قال تعالى **وَ اَلسَّمَاءِ ذَاتِ اَلْبُرُوجِ** [1] و أخذها 1علي ع منه فقال **إذ لا سماء ذات أبراج** و ارتفع سماء لأنه مبتدأ و خبره محذوف و تقديره في الوجود (2) - .

ثم قال **و لا حجب ذات إرتاج** و الإرتاج مصدر أرتج أي أغلق أي ذات إغلاق و من رواه ذات رتاج على فعال فالرتاج الباب المغلق و يبعد رواية من رواه

(1) سورة البروج 1.

ذات أرتاج لأن فعالا قل أن يجمع على أفعال و يعني بالحجب ذات الإرتاج حجب النور المضروبة بين عرشه العظيم و بين ملائكته و يجوز أن يريد بالحجب السموات أنفسها لأنها حجبت الشياطين عن أن تعلم ما الملائكة فيه (1) - .

و **الليل الداجي** المظلم (2) - و **البحر الساجي** الساكن (3) - و **الفجاج** جمع فج و هو الطريق الواسع بين جبلين (4) - و **المهاد** الفراش (5) - .

قوله **و لا خلق ذو اعتماد** أي و لا مخلوق يسعى برجلين فيعتمد عليهما أو يطير بجناحيه فيعتمد عليهما و يجوز أن يريد بالاعتماد هنا البطش و التصرف (6) - **مبتدع الخلق** مخرجه من العدم المحض كقوله تعالى **بَدِيعُ اَلسَّمَاوَاتِ وَ اَلْأَرْضِ (7) -** [1] و **دائبان** تثنية دائب و هو الجاد المجتهد المتعب دأب في عمله أي جد و تعب دأبا و دءوبا فهو دءيب و دأبته أنا و سمى الشمس و القمر دائبين لتعاقبهما على حال واحدة دائما لا يفتران و لا يسكنان و روي دائبين بالنصب على الحال و يكون خبر المبتدأ **يبليان** و هذه من الألفاظ القرآنية [2] قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ وَ أَحْصَى آثَارَهُمْ وَ أَعْمَالَهُمْ وَ عَدَدَ أَنْفُسِهِمْ وَ خَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ وَ مَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ اَلضَّمِيرِ وَ مُسْتَقَرَّهُمْ وَ مُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ اَلْأَرْحَامِ وَ اَلظُّهُورِ إِلَى أَنْ تَنَتَاهَى بِهِمُ اَلْغَايَاتُ (8) -. **آثارهم** يمكن أن يعنى به آثار وطئهم في الأرض إيذانا بأنه تعالى عالم بكل معلوم

---

(1) سورة الأنعام 101.

(2) من من قوله تعالى في سورة إبراهيم: **وَ سَخَّرَ لَكُمُ اَلشَّمْسَ وَ اَلْقَمَرَ دَائِبَيْنِ** .

كما آذن قوله سبحانه **وَ مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا** [1] بذلك و يمكن أن يعنى به حركاتهم و تصرفاتهم (1) - .

و روي **و عدد أنفاسهم** على الإضافة (2) - .

و **خائنة الأعين** ما يومئ به مسارقة و خفية (3) - **و مستقرهم** أي في الأرحام **و مستودعهم** أي في الأصلاب و قد فسر ذلك فتكون من متعلقة بمستودعهم و مستقرهم على إرادة تكررها و يمكن أن يقال أراد مستقرهم و مأواهم على ظهر الأرض و مستودعهم في بطنها بعد الموت و تكون من هاهنا بمعنى مذ أي مذ زمان كونهم في الأرحام و الظهور إلى أن تتناهى بهم الغايات أي إلى أن يحشروا في القيامة و على التأويل الأول يكون تناهي الغايات بهم عبارة عن كونهم أحياء في الدنيا هُوَ اَلَّذِي اِشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ وَ اِتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ قَاهِرُ مَنْ عَازَّهُ وَ مُدَمِّرُ مَنِ شَاقَّهُ وَ مُذِلُّ مَنْ نَاوَاهُ وَ غَالِبُ مَنْ عَادَاهُ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ وَ مَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ وَ مَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ وَ مَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ عِبَادَ اَللَّهِ زِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا وَ حَاسِبُوهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا وَ تَنَفَّسُوا قَبْلَ ضِيقِ اَلْخِنَاقِ وَ اِنْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ اَلسِّيَاقِ وَ اِعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعَنْ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظٌ وَ زَاجِرٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا لاَ زَاجِرٌ وَ لاَ وَاعِظٌ. (4) -

(1) سورة الأنعام. 59.

يجوز **نقمة** و **نقمة** مثل كلمة و كلمة و لبنة و لبنة و معنى الكلام أنه مع كونه واسع الرحمة في نفس الأمر و أنه أرحم الراحمين فإنه شديد النقمة على أعدائه و مع كونه عظيم النقمة في نفس الأمر و كونه شديد العقاب فإنه واسع الرحمة لأوليائه (1) - و **عازه** أي غالبه و عزه أي غلبه و منه **وَ عَزَّنِي فِي اَلْخِطَابِ** [1] و في المثل من عز بز أي من غلب سلب (2) - و **المدمر** المهلك دمره و دمر عليه بمعنى أي أهلكه و **شاقه** عاداه قيل إن أصله من الشق و هو النصف لأن المعادي يأخذ في شق و المعادي في شق يقابله (3) - و **ناواه** أي عاداه و اللفظة مهموزة و إنما لينها لأجل القرينة السجعية و أصلها ناوأت الرجل مناوأة و نواء و يقال في المثل إذا ناوأت الرجل فاصبر (4) - .

قوله **زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا** من الكلام الفصيح النادر اللطيف يقول اعتبروا أعمالكم و أنتم مختارون قادرون على استدراك الفارط قبل أن يكون هذا الاعتبار فعل غيركم و أنتم لا تقتدرون على استدراك الفارط و مثله قوله و حاسبوها من قبل أن تحاسبوا (5) - .

ثم قال **و تنفسوا قبل ضيق الخناق** أي انتهزوا الفرصة و اعملوا قبل أن يفوتكم الأمر و يجد بكم الرحيل و يقع الندم قال الشاعر

اختم و طينك رطب إن قدرت فكم # قد أمكن الختم أقواما فما ختموا (6) -.

ثم قال **و انقادوا قبل عنف السياق** هو العنف بالضم و هو ضد الرفق يقال عنف عليه و عنف به أيضا و **العنيف** الذي لا رفق له بركوب الخيل و الجمع عنف و اعتنفت الأمر أي أخذته بعنف يقول انقادوا أنتم من أنفسكم قبل أن تقادوا و تساقوا (7) -

(1) سورة ص 23.

بغير اختياركم سوقا عنيفا (1) - ثم قال **من لم يعنه الله على نفسه حتى يجعل له منها واعظا و زاجرا لم ينفعه الزجر و الوعظ من غيرها** أخذ هذا المعنى شاعر فقال

و أقصرت عما تعهدين و زاجر # من النفس خير من عتاب العواذل.

فإن قلت أ ليس في هذا الكلام إشعار ما بالجبر .

قلت إنه لا خلاف بين أصحابنا في أن لله تعالى ألطافا يفعلها بعباده فيقربهم من الواجب و يبعدهم من القبيح و من يعلم الله تعالى من حاله أنه لا لطف له لأن كل ما يعرض لطفا له فإنه لا يؤثر في حاله و لا يزداد به إلا إصرارا على القبيح و الباطل فهو الذي عناه 1أمير المؤمنين ع بقوله **من لم يعن على نفسه** لأنه ما قبل المعونة و لا انقاد إلى مقتضاها و قد روي و اعلموا أنه من لم يعن على نفسه بكسر العين أي من لم يعن الواعظين له و المنذرين على نفسه و لم يكن معهم إلبا عليها و قاهرا لها لم ينتفع بالوعظ و الزجر لأن هوى نفسه يغلب وعظ كل واعظ و زجر كل زاجر

1090 90 و من خطبة له ع تعرف بخطبة الأشباح و هي من جلائل خطبة ع

رَوَى مَسْعَدَةُ بْنُ صَدَقَةَ عَنِ 6اَلصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ع أَنَّهُ قَالَ: خَطَبَ 1أَمِيرُ اَلْمُؤْمِنِينَ بِهَذِهِ اَلْخُطْبَةِ عَلَى مِنْبَرِ اَلْكُوفَةِ وَ ذَلِكَ أَنَّ رَجُلاً أَتَاهُ فَقَالَ يَا 1أَمِيرَ اَلْمُؤْمِنِينَ صِفْ لَنَا رَبَّنَا [1] مِثْلَ مَا نَرَاهُ عِيَاناً [1] لِنَزْدَادَ لَهُ حُبّاً وَ بِهِ مَعْرِفَةً فَغَضِبَ وَ نَادَى اَلصَّلاَةَ جَامِعَةً فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ اَلنَّاسُ حَتَّى غَصَّ اَلْمَسْجِدُ بِأَهْلِهِ فَصَعِدَ اَلْمِنْبَرَ وَ هُوَ مُغْضَبٌ مُتَغَيِّرُ اَللَّوْنِ فَحَمِدَ اَللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ صَلَّى عَلَى 14اَلنَّبِيِّ ص ثُمَّ قَالَ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ اَلَّذِي لاَ يَفِرُّهُ اَلْمَنْعُ وَ اَلْجُمُودُ وَ لاَ يُكْدِيهِ اَلْإِعْطَاءُ وَ اَلْجُودُ إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ وَ كُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلاَهُ وَ هُوَ اَلْمَنَّانُ بِفَوَائِدِ اَلنِّعَمِ وَ عَوَائِدِ اَلْمَزِيدِ وَ اَلْقِسَمِ عِيَالُهُ اَلْخَلاَئِقُ ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ وَ قَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ وَ نَهَجَ سَبِيلَ اَلرَّاغِبِينَ إِلَيْهِ وَ اَلطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ وَ لَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلْ اَلْأَوَّلُ اَلَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ قَبْلَهُ وَ اَلْآخِرُ اَلَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ [2] بَعْدٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ بَعْدَهُ وَ اَلرَّادِعُ أَنَاسِيَّ اَلْأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ مَا اِخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفَ مِنْهُ اَلْحَالُ وَ لاَ كَانَ فِي مَكَانٍ فَيَجُوزَ عَلَيْهِ اَلِانْتِقَالُ (1) -. **الأشباح** الأشخاص و المراد بهم هاهنا الملائكة لأن الخطبة تتضمن ذكر الملائكة . (2) -

---

(1-1) ساقط من مخطوطة النهج.
(2) مخطوطة النهج: «ليس له» .

و قوله **الصلاة جامعة** منصوب بفعل مقدر أي احضروا الصلاة و أقيموا الصلاة و جامعة منصوب على الحال من الصلاة (1) - .

و **غص المسجد** بفتح الغين أي امتلأ و المسجد غاص بأهله (2) - و يقال رجل **مغضب** بفتح الضاد أي قد أغضب أي فعل به ما يوجب غضبه (3) - .

و **يفره المنع** يزيد في ماله و الموفور التام وفرت الشيء وفرا و وفر الشيء نفسه وفورا يتعدى و لا يتعدى و في أمثالهم يوفر و يحمد هو من قولك وفرته عرضه و وفرته ماله (4) - .

و قوله **و لا يكديه الإعطاء** أي لا يفقره و لا ينفد خزائنه يقال كدت الأرض تكد و فهي كادية إذا أبطأ نباتها و قل خيرها فهذا لازم فإذا عديته أتيت بالهمزة فقلت أكديت الأرض أي جعلتها كادية و تقول أكدى الرجل إذا قل خيره و قوله تعالى **وَ أَعْطىٰ قَلِيلاً وَ أَكْدىٰ** [1] أي قطع القليل يقول إنه سبحانه قادر على المقدورات و ليس كالملوك من البشر الذين إذا أعطوا نقصت خزائنهم و إن منعوا زادت و قد شرح ذلك (5) - و قال **إذ كل معط منتقص** أي منقوص و يجيء انتقص لازما و متعديا تقول انتقص الشيء نفسه و انتقصت الشيء أي نقصته و كذلك نقص يجيء لازما و متعديا (6) - .

ثم قال **و كل مانع مذموم غيره** و ذلك لأنه تعالى إنما يمنع من تقتضي الحكمة و المصلحة منعه و ليس كما يمنع البشر **8- و سأل رجل 8علي بن موسى الرضا عن الجواد فقال إن لكلامك وجهين فإن كنت تسأل عن المخلوق فإن الجواد هو الذي يؤدي ما افترض الله عليه و البخيل هو الذي يبخل بما افترض الله عليه و إن كنت تعني الخالق**

---

(1) سورة النجم 34.

فهو الجواد إن أعطى و هو الجواد إن منع لأنه إن أعطى عبدا أعطاه ما ليس له و إن منعه منعه ما ليس له (1) - . قوله **و ليس بما سئل بأجود منه بما لم يسأل** فيه معنى لطيف و ذاك لأن هذا المعنى مما يختص بالبشر لأنهم يتحركون بالسؤال و تهزهم الطلبات فيكونون بما سألهم السائل أجود منهم بما لم يسألهم إياه و أما البارئ سبحانه فإن جوده ليس على هذا المنهاج لأن جوده عام في جميع الأحوال (2) - .

ثم ذكر أن وجوده تعالى ليس بزماني فلا يطلق عليه البعدية و القبلية كما يطلق على الزمانيات و إنما لم يكن وجوده زمانيا لأنه لا يقبل الحركة و الزمان من لواحق الحركة و إنما لم تطلق عليه البعدية و القبلية إذ لم يكن زمانيا لأن قولنا في الشيء إنه بعد الشيء الفلاني أي الموجود في زمان حضر بعد تقضي زمان ذلك الشيء الفلاني و قولنا في الشيء إنه قبل الشيء الفلاني أي إنه موجود في زمان حضر و لم يحضر زمان ذلك الشيء الفلاني بعد فما ليس في الزمان ليس يصدق عليه القبل و البعد الزمانيان فيكون تقدير الكلام على هذا **الأول الذي** لا يصدق عليه القبلية الزمانية ليمكن أن يكون شيء ما قبله و **الآخر الذي** لا يصدق عليه البعدية الزمانية ليمكن أن يكون شيء ما بعده .

و قد يحمل الكلام على وجه آخر أقرب متناولا من هذا الوجه و هو أن يكون أراد الذي لم يكن محدثا أي موجودا قد سبقه عدم فيقال إنه مسبوق بشيء من الأشياء إما المؤثر فيه أو الزمان المقدم عليه و أنه ليس بذات يمكن فناؤها و عدمها فيما لا يزال فيقال إنه ينقضي و ينصرم و يكون بعده شيء من الأشياء إما الزمان أو غيره و الوجه الأول أدق و ألطف و يؤكد كونه مرادا قوله عقيبه **ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال** و ذلك لأن واجب الوجود أعلى من الدهر و الزمان فنسبة ذاته إلى الدهر و الزمان بجملته و تفصيل أجزائه نسبة متحدة .

فإن قلت إذا لم يكن قبل الأشياء بالزمان و لا بعدها بالزمان فهو معها بالزمان لأنه لا يبقى بعد نفي القبلية و البعدية إلا المعية .

قلت إنما يلزم ذلك فيما وجوده زماني و أما ما ليس زمانيا لا يلزم من نفي القبلية و البعدية إثبات المعية كما أنه ما لم يكن وجوده مكانيا لم يلزم من نفي كونه فوق العالم أو تحت العالم بالمكان أن يكون مع العالم بالمكان (1) - .

ثم قال **الرادع أناسي الأبصار عن أن تناله أو تدركه** الأناسي جمع إنسان و هو المثال الذي يرى في السواد و هذا اللفظ بظاهره يشعر بمذهب الأشعرية و هو قولهم إن الله تعالى خلق في الأبصار مانعا عن إدراكه إلا أن الأدلة العقلية من جانبنا اقتضت تأويل هذا اللفظ كما تأول شيوخنا قوله تعالى **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ `إِلىَ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** [1] فقالوا إلى جنة ربها فنقول تقديره الرادع أناسي الأبصار أن تنال أنوار جلالته .

فإن قلت أ تثبتون له تعالى أنوارا يمكن أن تدركها الأبصار و هل هذا إلا قول بالتجسيم .

قلت كلا لا تجسيم في ذلك فكما أن له عرشا و كرسيا و ليس بجسم فكذلك أنوار عظيمة فوق العرش و ليس بجسم فكيف تنكر الأنوار و قد نطق الكتاب العزيز بها في غير موضع كقوله **وَ أَشْرَقَتِ اَلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا** [2] و كقوله **مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ**

---

(1) سورة القيامة 75.
(2) سورة الزمر 69.

وَ لَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ اَلْجِبَالِ وَ ضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ اَلْبِحَارِ مِنْ فِلِزِّ اَللُّجَيْنِ وَ اَلْعِقْيَانِ وَ نُثَارَةِ اَلدُّرِّ وَ حَصِيدِ اَلْمَرْجَانِ مَا أَثَّرَ ذَلِكَ فِي جُودِهِ وَ لاَ أَنْفَدَ سَعَةَ مَا عِنْدَهُ وَ لَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ اَلْأَنْعَامِ مَا لاَ تُنْفِدُهُ مَطَالِبُ اَلْأَنَامِ لِأَنَّهُ اَلْجَوَادُ اَلَّذِي لاَ يَغِيضُهُ [1] سُؤَالُ اَلسَّائِلِينَ وَ لاَ يُبَخِّلُهُ يُبْخِلُهُ إِلْحَاحُ اَلْمُلِحِّينَ. هذا الكلام من تتمة الكلام الأول و هو قوله **لا يفره المنع و لا يكديه الإعطاء و الجود (1) -** و **تنفست عنه المعادن** استعارة كأنها لما أخرجته و ولدته كانت كالحيوان يتنفس فيخرج من صدره و رئته الهواء (2) - .

و **ضحكت عنه الأصداف** أي تفتحت عنه و انشقت يقال للطلع حين ينشق الضحك بفتح الضاد و إنما سمي الضاحك ضاحكا لأنه يفتح فاه (3) - و **الفلز** اسم الأجسام الذائبة كالذهب و الفضة و الرصاص و نحوها و **اللجين** اسم الفضة جاء مصغرا كالكميت و الثريا و **العقيان** الذهب الخالص و يقال هو ما ينبت نباتا و ليس مما يحصل من الحجارة (4) - و **نثارة الدر** ما تناثر منه كالسقاطة و النخالة و تأتي فعالة تارة للجيد المختار و تارة للساقط المتروك فالأول نحو الخلاصة و الثاني نحو القلامة (5) - .

و **حصيد المرجان** كأنه أراد المتبدد منه كما يتبدد الحب المحصود و يجوز أن يعنى به الصلب المحكم من قولهم شيء مستحصد أي مستحصف مستحكم يعنى أنه ليس برخو و لا هش و يروى و حصباء المرجان و الحصباء الحصى و أرض حصبة و محصبة

(1) مخطوطة النهج: «يغيظه» .

بالفتح ذات حصباء و **المرجان** صغار اللؤلؤ و قد قيل إنه هذا الحجر و استعمله بعض المتأخرين فقال

أدمى لها المرجان صفحة خده # و بكى عليها اللؤلؤ المكنون (1) -.

و **تنفده** تفنيه نفد الشيء أي فني و أنفدته أنا (2) - و **مطالب الأنام** جمع مطلب و هو المصدر من طلبت الشيء طلبا و مطلبا (3) - .

و **يغيضه** بفتح حرف المضارعة ينقصه و يقال غاض الماء فهذا لازم و غاض الله الماء فهذا متعد و جاء أغاض الله الماء (4) - .

و **الإلحاح** مصدر ألح على الأمر أي أقام عليه دائما من ألح السحاب إذا دام مطره و ألح البعير حرن كما تقول خلأت الناقة و روي و لا يبخله بالتخفيف تقول أبخلت زيدا أي صادفته بخيلا و أجبنته وجدته جبانا .

و في هذا الفصل من حسن الاستعارة و بديع الصنعة ما لا خفاء به فَانْظُرْ أَيُّهَا اَلسَّائِلُ فَمَا دَلَّكَ اَلْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَائْتَمَّ بِهِ وَ اِسْتَضِئْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ وَ مَا كَلَّفَكَ اَلشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي اَلْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرْضُهُ وَ لاَ فِي سُنَّةِ 14اَلنَّبِيِّ ص وَ أَئِمَّةِ اَلْهُدَى أَثَرُهُ فَكِلْ عِلْمَهُ إِلَى اَللَّهِ سُبْحَانَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اَللَّهِ عَلَيْكَ وَ اِعْلَمْ أَنَّ اَلرَّاسِخِينَ فِي اَلْعِلْمِ هُمُ اَلَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اِقْتِحَامِ اَلسُّدَدِ اَلْمَضْرُوبَةِ دُونَ اَلْغُيُوبِ اَلْإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ اَلْغَيْبِ اَلْمَحْجُوبِ فَمَدَحَ اَللَّهُ

اِعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْماً وَ سَمَّى تَرْكَهُمُ اَلتَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ اَلْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً فَاقْتَصِرْ عَلَى ذَلِكَ وَ لاَ تُقَدِّرْ عَظَمَةَ اَللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ اَلْهَالِكِينَ (1) - . ـ تقول **ائتم** فلان بفلان أي جعله إماما و اقتدى به (2) - **فكل علمه** من وكله إلى كذا وكلا و وكولا و هذا الأمر موكول إلى رأيك (3) - و **الاقتحام** الهجوم و الدخول مغالبة و **السدد المضروبة** جمع سدة و هي الرتاج .

و اعلم أن هذا الفصل يمكن أن تتعلق به الحشوية المانعون من تأويل الآيات الواردة في الصفات القائلين بالجمود على الظواهر و يمكن أيضا أن يتعلق به من نفى النظر و حرمه أصلا و نحن قبل أن نحققه و نتكلم فيه نبدأ بتفسير قوله تعالى **وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اَللَّهُ وَ اَلرَّاسِخُونَ فِي اَلْعِلْمِ** [1] فنقول إن من الناس من وقف على قوله **إِلاَّ اَللَّهُ** و منهم من لم يقف على ذلك و هذا القول أقوى من الأول لأنه إذا كان لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله لم يكن في إنزاله و مخاطبة المكلفين به فائدة بل يكون كخطاب العربي بالزنجية و معلوم أن ذلك عيب قبيح (4) - .

فإن قلت فما الذي يكون موضع **يَقُولُونَ** من الإعراب .

قلت يمكن أن يكون نصبا على أنه حال من الراسخين و يمكن أن يكون كلاما مستأنفا أي هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنا به .

---

(1) سورة آل عمران 7.

17- و قد روي عن ابن عباس أنه تأول آية فقال قائل من الصحابة وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اَللَّهُ فقال ابن عباس وَ اَلرَّاسِخُونَ فِي اَلْعِلْمِ و أنا من جملة اَلراسخين. ثم نعود إلى تفسير كلام 1أمير المؤمنين ع فنقول إنه غضب و تغير وجهه لقول السائل صف لنا ربنا مثل ما نراه عيانا و إذا هذا المعنى ينصرف وصية له بما أوصاه به من اتباع ما جاء في القرآن و السنة و ذلك لأن العلم الحاصل من رؤية الشيء عيانا علم لا يمكن أن يتعلق مثله بالله سبحانه لأن ذاته تعالى لا يمكن أن تعلم من حيث هي هي كما تعلم المحسوسات أ لا ترى أنا إذا علمنا أنه صانع العالم و أنه قادر عالم حي سميع بصير مريد و أنه ليس بجسم و لا جوهر و لا عرض و علمنا جميع الأمور السلبية و الإيجابية المتعلقة به فإنما علمنا سلوبا و إضافات و لا شك أن ماهية الموصوف مغايرة لماهية الصفات و الذوات المحسوسة بخلاف ذلك لأنا إذا رأينا السواد فقد علمنا نفس حقيقة السواد لا صفة من صفات السواد و أيضا فإنا لو قدرنا أن العلم بوجوده و صفاته السلبية و الإيجابية يستلزم العلم بذاته من حيث هي هي لم يكن عالما بذاته علما جزئيا لأنه يمكن أن يصدق هذا العلم على كثيرين على سبيل البدل و إذا ثبت أنه يستحيل أن يصدق على كثيرين على سبيل البدل ثبت أنه يستحيل أن يصدق على كثيرين على سبيل الجمع و العلم بالمحسوس يستحيل أن يصدق على كثيرين لا على سبيل الجمع و لا على سبيل البدل فقد بان أنه يستحيل أن يعلم الله تعالى كما يعلم الشيء المرئي عيانا 1فأمير المؤمنين ع أنكر هذا السؤال كما أنكره الله تعالى على بني إسرائيل لما طلبوا الرؤية قال تعالى **وَ إِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسىَ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اَللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ اَلصَّاعِقَةُ** [1] .

- (1)

(1) سورة البقرة 55.

ثم قال للسائل بعد غضبه و استحالة لونه و ظهور أثر الإنكار عليه **ما دلك القرآن عليه من صفته** فخذ **به** فإن لم تجده في الكتاب فأطلبه من السنة و من مذاهب أئمة الحق فإن لم تجد ذلك فاعلم أن الشيطان حينئذ قد كلفك علم ما لم يكلفك الله علمه و هذا حق لأن الكتاب و السنة قد نطقا بصفات الله من كونه عالما قادرا حيا مريدا سميعا بصيرا و نطقا أيضا بتنزيهه عن سمات الحدوث كالجسمية و الحلول و الجهة و ما استلزم الجهة كالرؤية فلا إنكار على من طلب في مدارك العقول وجوها تعضد ما جاء به القرآن و السنة و توفق بين بعض الآيات و بعض و تحمل أحد اللفظين على الآخر إذا تناقضا في الظاهر صيانة لكلام الحكيم عن التهافت و التعارض و أما ما لم يأت الكتاب و السنة فيه بشيء فهو الذي حرم و حظر على المكلفين الفكر فيه كالكلام في الماهية التي يذهب ضرار المتكلم إليها و كإثبات صفات زائدة على الصفات المعقولة لذات البارئ سبحانه و هي على قسمين أحدهما ما لم يرد فيه نص كإثبات طائفة تعرف بالماتريدية صفة سموها التكوين زائدة على القدرة و الإرادة .

و الثاني ما ورد فيه لفظ فأخطأ بعض أهل النظر فأثبت لأجل ذلك اللفظة صفة غير معقولة للبارئ سبحانه نحو قول الأشعريين إن اليدين صفة من صفات الله و الاستواء على العرش صفة من صفات الله و إن وجه الله صفة من صفاته أيضا ثم قال إن الراسخين في العلم الذين غنوا بالإقرار بما عرفوه عن الولوج و التقحم فيما لم يعرفوه و هؤلاء هم أصحابنا المعتزلة لا شبهة في ذلك أ لا ترى أنهم يعللون أفعال الله تعالى بالحكم و المصالح فإذا ضاق عليهم الأمر في تفصيل بعض المصالح في بعض المواضع قالوا نعلم على الجملة أن لهذا وجه حكمة و مصلحة و إن كنا لا نعرف تفصيل تلك المصلحة كما يقولون في تكليف من يعلم الله تعالى منه أنه يكفر و كما يقولون في اختصاص الحال التي حدث فيها العالم بحدوثه دون ما قبلها و ما بعدها .

و قد تأول القطب الراوندي كلام 1أمير المؤمنين في هذا الفصل فقال إنما أنكر على من يقول لم تعبد الله المكلفين بإقامة خمس صلوات و هلا كانت ستا أو أربعا و لم جعل الظهر أربع ركعات و الصبح ركعتين و هلا عكس الحال و هذا التأويل غير صحيح لأنه ع إنما أخرج هذا الكلام مخرج المنكر على من سأله أن يصف له البارئ سبحانه و لم يكن السائل قد سأل عن العلة في أعداد الصلاة و كمية أجزاء العبادات .

ثم إنه ع قد صرح في غضون الكلام بذلك فقال **فانظر أيها السائل فما دلك القرآن عليه من صفته فائتم به** و ما لم يدلك عليه فليس عليك أن تخوض فيه و هذا الكلام تصريح بأن البحث إنما هو في النظر العقلي في فنالكلامفلا يجوز أن يحمل على ما هو بمعزل عنه .

و اعلم أننا نتساهل في ألفاظ المتكلمين فنوردها بعباراتهم كقولهم في المحسوسات و الصواب المحسات لأنه لفظ المفعول من أحس الرباعي لكنا لما رأينا العدول عن ألفاظهم إذا خضنا في مباحثهم مستهجنا عبرنا بعبارتهم على علم منا أنالعربيةلا تسوغها هُوَ اَلْقَادِرُ اَلَّذِي إِذَا اِرْتَمَتِ اَلْأَوْهَامُ لِتُدْرِكَ مُنْقَطَعَ قُدْرَتِهِ وَ حَاوَلَ اَلْفِكْرُ اَلْمُبَرَّأُ مِنْ خَطَرِ خَطَرَاتِ اَلْوَسَاوِسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ وَ تَوَلَّهَتِ اَلْقُلُوبُ إِلَيْهِ لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ وَ غَمَضَتْ مَدَاخِلُ اَلْعُقُولِ فِي حَيْثُ لاَ تَبْلُغُهُ اَلصِّفَاتُ لِتَنَاوُلِ عِلْمِ ذَاتِهِ رَدَعَهَا وَ هِيَ تَجُوبُ مَهَاوِيَ سُدَفِ اَلْغُيُوبِ مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لاَ يُنَالُ بِجَوْرِ اَلاِعْتِسَافِ كُنْهُ مَعْرِفَتِهِ وَ لاَ تَخْطُرُ بِبَالِ أُولِي اَلرَّوِيَّاتِ خَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلاَلِ عِزَّتِهِ (1) -.

ارتمت الأوهام أي ترامت يقال ارتمى القوم بالنبل أي تراموا فشبه جولان الأوهام و الأفكار و تعارضها بالترامي (1) - .

و **خطر الوساوس** بتسكين الطاء مصدر خطر له خاطر أي عرض في قلبه و روي من خطرات الوساوس (2) - .

و تولهت القلوب إليه اشتد عشقها حتى أصابها الوله و هو الحيرة (3) - .

و قوله **لتجري في كيفية صفاته** أي لتصادف مجرى و مسلكا في ذلك (4) - **و غمضت مداخل العقول** أي غمض دخولها و دق في الأنظار العميقة التي لا تبلغ الصفات كنهها لدقتها و غموضها طالبة أن تنال معرفته تعالى .

و لفظة **ذات** لفظة قد طال فيها كلام كثير من أهلالعربيةفأنكر قوم إطلاقها على الله تعالى و إضافتها إليه أما إطلاقها فلأنها لفظة تأنيث و البارئ سبحانه منزه عن الأسماء و الصفات المؤنثة و أما إضافتها فلأنها عين الشيء و الشيء لا يضاف إلى نفسه و أجاز آخرون إطلاقها في البارئ تعالى و إضافتها إليه أما استعمالها فلوجهين أحدهما أنها قد جاءت في الشعر القديم قال خبيب الصحابي عند صلبه

و ذلك في ذات الإله و إن يشأ # يبارك على أوصال شلو موزع [1] .

و يروى ممزع [2] و قال النابغة

محلتهم ذات الإله و دينهم # قديم فما يخشون غير العواقب [3] .

و الوجه الثاني أنها لفظة اصطلاحية فجاز استعمالها لا على أنها مؤنث ذو بل تستعمل

---

(1) هو خبيب بن عدى الأنصاريّ، من قصيدة أوردها ابن عبد البر في الاستيعاب 411.
(2) هى رواية الاستيعاب.
(3) ديوانه 8.

ارتجالا في مسماها الذي عبر عنه بها أرباب النظر الإلهي كما استعملوا لفظ الجوهر و العرض و غيرهما في غير ما كان أهل العربية و اللغة يستعملونها فيه .

و أما منعهم إضافتها إليه تعالى و أنه لا يقال ذاته لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه فباطل بقولهم أخذته نفسه و أخذته عينه فإنه بالاتفاق جائز و فيه إضافة الشيء إلى نفسه .

ثم نعود إلى التفسير قوله ع **ردعها** أي كفها (1) - و **تجوب** أي تقطع و **المهاوي** المهالك الواحدة مهواه بالفتح و هي ما بين جبلين أو حائطين و نحو ذلك و **السدف** جمع سدفة و هي القطعة من الليل المظلم (2) - و **جبهت** أي ردت و أصله من جبهته أي صككت جبهته (3) - و **الجور** العدول عن الطريق و **الاعتساف** قطع المسافة على غير جادة معلومة .

و خلاصة هذا الفصل أن العقول إذا حاولت أن تدرك متى ينقطع اقتداره على المقدرات نكصت عن ذلك لأنه قادر أبدا دائما على ما لا يتناهى و إذا حاول الفكر الذي قد صفا و خلا عن الوساوس و العوائق أن يدرك مغيبات علمه تعالى كل و حسر و رجع ناقصا أيضا و إذا اشتد عشق النفوس له و تولهت نحوه لتسلك مسلكا تقف منه على كيفية صفاته عجزت عن ذلك و إذا تغلغلت العقول و غمضت مداخلها في دقائق العلوم النظرية الإلهية التي لا توصف لدقتها طالبة أن تعلم حقيقة ذاته تعالى انقطعت و أعيت و ردها سبحانه و تعالى و هي تجول و تقطع ظلمات الغيب لتخلص إليه فارتدت حيث جبهها و ردعها مقرة معترفة بأن إدراكه و معرفته لا تنال باعتساف المسافات التي بينها و بينه (4) - و إن أرباب الأفكار و الرويات يتعذر عليهم أن يخطر لهم خاطر يطابق ما في الخارج من تقدير جلال عزته و لا بد من أخذ هذا القيد في الكلام لأن أرباب الأنظار ـ

لا بد أن تخطر لهم الخواطر في تقدير جلال عزته و لكن تلك الخواطر لا تكون مطابقة لها في الخارج لأنها خواطر مستندها الوهم لا العقل الصريح و ذلك لأن الوهم قد ألف الحسيات و المحسوسات فهو يعقل خواطر بحسب ما ألفه من ذلك و جلال واجب الوجود أعلى و أعظم من أن يتطرق الوهم نحوه لأنه بريء من المحسوسات سبحانه و أما العقل الصريح فلا يدرك خصوصية ذاته لما تقدم .

و اعلم أن قوله تعالى **فَارْجِعِ اَلْبَصَرَ هَلْ تَرىٰ مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ اِرْجِعِ اَلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ اَلْبَصَرُ خَاسِئاً وَ هُوَ حَسِيرٌ** [1] فيه إشارة إلى هذا المعنى و كذلك قوله **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ وَ لاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ** [2] اَلَّذِي اِبْتَدَعَ اَلْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ اِمْتَثَلَهُ وَ لاَ مِقْدَارٍ اِحْتَذَى عَلَيْهِ مِنْ خَالِقٍ مَعْبُودٍ كَانَ قَبْلَهُ وَ أَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ وَ عَجَائِبِ مَا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ وَ اِعْتِرَافِ اَلْحَاجَةِ مِنَ اَلْخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَهَا بِمِسَاكِ قُوَّتِهِ مَا دَلَّنَا بِاضْطِرَارِ قِيَامِ اَلْحُجَّةِ لَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ فَظَهَرَتْ فِي اَلْبَدَائِعِ اَلَّتِي أَحْدَثَهَا آثَارُ صَنْعَتِهِ وَ أَعْلاَمُ حِكْمَتِهِ فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ وَ دَلِيلاً عَلَيْهِ وَ إِنْ كَانَ خَلْقاً صَامِتاً فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةٌ وَ دَلاَلَتُهُ عَلَى اَلْمُبْدِعِ قَائِمَةٌ. (1) -

---

(1) سورة الملك 3، 4.
(2) سورة البقرة 255.

المساك بكسر الميم ما يمسك و يعصم به (1) - .

و قوله **ابتدع الخلق على غير مثال امتثله** يحتمل وجهين أحدهما أن يريد بامتثله مثله كما تقول صنعت و اصطنعت بمعنى فيكون التقدير أنه لم يمثل لنفسه مثالا قبل شروعه في خلق العالم ثم احتذى ذلك المثال و ركب العالم على حسب ترتيبه كالصانع الذي يصوغ حلقة من رصاص مثالا ثم يصوغ حلقة من ذهب عليها و كالبناء يقدر و يفرض رسوما و تقديرات في الأرض و خطوطا ثم يبنى بحسبها .

و الوجه الثاني أنه يريد بامتثله احتذاه و تقبله و اتبعه و الأصل فيه امتثال الأمر في القول فنقل إلى احتذاء الترتيب العقلي فيكون التقدير أنه لم يمثل له فاعل آخر قبله مثالا اتبعه و احتذاه و فعل نظيره كما يفعل التلميذ في الصباغة و النجارة شيئا قد مثل له أستاذه صورته و هيئته .

و اعلم أن هذا أحد الأسئلة التي يذكرها أصحابنا في باب كونه عالما لأنهم لما استدلوا على كونه تعالى عالما بطريق إحكام العلم و إتقانه سألوا أنفسهم فقالوا لم لا يجوز أن يكون القديم سبحانه أحدث العالم محتذيا لمثال مثله و هيئة اقتضاها و المحتذي لا يجب كونه عالما بما يفعله أ لا ترى أن من لا يحسن الكتابة قد يحتذي خطا مخصوصا فيكتب قريبا منه و كذلك من يطبع الشمع بالخاتم ثم يطبع فيه مثال الخاتم فهو فعل الطابع و لا يجب كونه عالما .

و أجاب أصحابنا عن ذلك فقالوا إن أول فعل محكم وقع منه ثم احتذى عليه يكفي في ثبوت كونه عالما و أيضا فإن المحتذي ليست العالمية بمسلوبة عنه بل موصوف بها

أ لا ترى أنه متصور صورة ما يحتذيه ثم يوقع الفعل مشابها له فالمحتذي عالم في الجملة و لكن علمه يحدث شيئا فشيئا .

فأما معنى الفصل فظاهر يقول ع **إنه ابتدع الخلق على غير مثال** قدمه لنفسه و لا قدم له غيره ليحتذى عليه (1) - و **أرانا** من **عجائب** صنعته و من **اعتراف** الموجودات كلها بأنها فقيرة محتاجة إلى أن يمسكها بقوته **ما دلنا** على معرفته ضرورة و في هذا إشارة إلى أن كل ممكن مفتقر إلى المؤثر و لما كانت الموجودات كلها غيره سبحانه ممكنة لم تكن غنية عنه سبحانه بل كانت فقيرة إليه لأنها لولاه ما بقيت فهو سبحانه غني عن كل شيء و لا شيء من الأشياء مطلقا بغني عنه سبحانه و هذه من خصوصية الإلهية و أجل ما تدركه العقول من الأنظار المتعلقة بها .

فإن قلت في هذا الكلام إشعار بمذهب شيخكم أبي عثمان في أن معرفته تعالى ضرورية .

قلت يكاد أن يكون الكلام مشعرا بذلك إلا أنه غير دال عليه لأنه لم يقل ما دلنا على معرفته باضطرار و لكن قال ما دلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته فالاضطرار راجع إلى قيام الحجة لا إلى المعرفة (2) - .

ثم قال ع و **ظهرت** آثار صنعته و دلائل حكمته في مخلوقاته فكانت و هي صامتة في الصورة ناطقة في المعنى بوجوده و ربوبيته سبحانه و إلى هذا المعنى نظر الشاعر فقال

فو عجبا كيف يعصى الإله # أم كيف يجحده الجاحد [1] و في كل شيء له آية # تدل على أنه واحد.

(1) لأبى العتاهية، ديوانه 69، 70.

و قال في تفسير قوله تعالى **وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** [1] إنه عبارة عن هذا المعنى فَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَايُنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ وَ تَلاَحُمِ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمُ اَلْمُحْتَجِبَةِ لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ وَ لَمْ يُبَاشِرْ قَلْبَهُ اَلْيَقِينُ بِأَنَّهُ لاَ نِدَّ لَكَ وَ كَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّؤَ اَلتَّابِعِينَ عَنِ اَلْمَتْبُوعِينَ إِذْ يَقُولُونَ **تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ `إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ اَلْعَالَمِينَ** كَذَبَ اَلْعَادِلُونَ بِكَ إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ وَ نَحَلُوكَ حِلْيَةَ اَلْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ وَ جَزَّءُوكَ تَجْزِئَةَ اَلْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ وَ قَدَّرُوكَ عَلَى اَلْخِلْقَةِ اَلْمُخْتَلِفَةِ اَلْقُوَى بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ وَ أَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ وَ اَلْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ وَ نَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ وَ أَنْتَ اَللَّهُ اَلَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي اَلْعُقُولِ فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيَّفاً وَ لاَ فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا مَحْدُوداً مُصَرَّفاً (1) -. **حقاق المفاصل** جمع حقة و جاء في جمعها حقاق و حقق و حق و لما قال **بتباين أعضاء خلقك و تلاحم حقاق مفاصلهم** فأوقع التلاحم في مقابلة التباين صناعة و بديعا و روي

(1) سورة الإسراء 44.

المحتجة فمن قال المحتجة أراد أنها بما فيها من لطيف الصنعة كالمحتجة المستدلة على التدبير الحكمي من لدنه سبحانه و من قال المحتجبة أراد المستترة لأن تركيبها الباطن خفي محجوب (1) - .

و **الند** المثل (2) - و **العادلون بك** الذين جعلوا لك عديلا و نظيرا (3) - **و نحلوك** أعطوك و هي النحلة (4) - و روي لم يعقد على ما لم يسم فاعله .

و **غيب ضميره** بالرفع (5) - و **القرائح** جمع قريحة و هي القوة التي تستنبط بها المعقولات و أصله من قريحة البئر و هو أول مائها (6) - .

و معنى هذا الفصل أنه ع شهد بأن المجسم كافر و أنه لا يعرف الله و أن من شبه الله بالمخلوقين ذوي الأعضاء المتباينة و المفاصل المتلاحمة لم يعرفه و لم يباشر قلبه اليقين فإنه لا ند له و لا مثل ثم أكد ذلك بآيات من كتاب الله تعالى و هي قوله تعالى **فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَ اَلْغَاوُونَ `وَ جُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ `قَالُوا وَ هُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ `تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ `إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ اَلْعَالَمِينَ** [1] حكى سبحانه حكاية قول الكفار في النار و هم التابعون للذين أغووهم من الشياطين و هم المتبوعون لقد كنا ضالين إذ سويناكم بالله تعالى و جعلناكم مثله و وجه الحجة أنه تعالى حكى ذلك حكاية منكر على من زعم أن شيئا من الأشياء يجوز تسويته بالباري سبحانه فلو كان الباري سبحانه جسما مصورا لكان مشابها لسائر الأجسام المصورة فلم يكن لإنكاره على من سواه بالمخلوقات معنى .

ثم زاد ع في تأكيد هذا المعنى فقال **كذب العادلون بك** المثبتون لك نظيرا و شبيها يعنى المشبهة و المجسمة إذ قالوا إنك على صورة آدم فشبهوك بالأصنام التي

(1) سورة الشعراء 94-98.

كانت الجاهلية تعبدها و أعطوك حلية المخلوقين لما اقتضت أوهامهم ذلك من حيث لم يألفوا أن يكون القادر الفاعل العالم إلا جسما و جعلوك مركبا و متجزئا كما تتجزأ الأجسام و قدروك على هذه الخلقة يعني خلقة البشر المختلفة القوى لأنها مركبة من عناصر مختلفة الطبائع ثم كرر الشهادة فقال **أشهد أن من ساواك بغيرك** و أثبت أنك جوهر أو جسم فهو عادل بك كافر و قالت تلك الخارجية للحجاج أشهد أنك قاسط عادل فلم يفهم أهل الشام حوله ما قالت حتى فسره لهم قال ع فمن يذهب إلى هذا المذهب فهو كافر بالكتاب و بما دلت عليه حجج العقول ثم قال و إنك أنت الله أي و أشهد أنك أنت الله الذي لم تحط العقول بك كإحاطتها بالأشياء المتناهية فتكون ذا كيفية (1) - .

و قوله **في مهب فكرها** استعارة حسنة (2) - ثم قال **و لا في رويات خواطرها** أي في أفكارها **محدودا** ذا حد **مصرفا** أي قابلا للحركة و التغير .

و قد استدل بعض المتكلمين على نفي كون البارئ سبحانه جسما بما هو مأخوذ من هذا الكلام فقال لو جاز أن يكون البارئ جسما لجاز أن يكون القمر هو إله للعالم لكن لا يجوز أن يكون القمر إله العالم فلا يجوز أن يكون البارئ جسما بيان الملازمة أنه لو جاز أن يكون البارئ سبحانه جسما لما كان بين الإلهية و بين الجسمية منافاة عقلية و إذا لم يكن بينهما منافاة عقلية أمكن اجتماعهما و إذا أمكن اجتماعهما جاز أن يكون القمر هو إله العالم لأنه لا مانع من كونه إله العالم إلا كونه جسما يجوز عليه الحركة و الأفول و نقصان ضوئه تارة و امتلاؤه أخرى فإذا لم يكن ذلك منافيا للإلهية جاز أن يكون القمر إله العالم و بيان الثاني إجماع المسلمين على كفر من أجاز كون القمر إله العالم و إذا ثبتت الملازمة و ثبتت المقدمة الثانية فقد تمت الدلالة

وَ مِنْهَا قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ وَ دَبَّرَهُ فَأَلْطَفَ تَدْبِيرَهُ وَ وَجَّهَهُ لِوِجْهَتِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ وَ لَمْ يَقْصُرْ دُونَ اَلِانْتِهَاءِ إِلَى غَايَتِهِ وَ لَمْ يَسْتَصْعِبْ إِذْ أُمِرَ بِالْمُضِيِّ عَلَى إِرَادَتِهِ فَكَيْفَ وَ إِنَّمَا صَدَرَتِ اَلْأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ اَلْمُنْشِئُ أَصْنَافَ اَلْأَشْيَاءِ بِلاَ رَوِيَّةٍ فِكْرٍ آلَ إِلَيْهَا وَ لاَ قَرِيحَةِ غَرِيزَةٍ أَضْمَرَ عَلَيْهَا وَ لاَ تَجْرِبَةٍ أَفَادَهَا مِنْ حَوَادِثِ اَلدُّهُورِ وَ لاَ شَرِيكٍ أَعَانَهُ عَلَى اِبْتِدَاعِ عَجَائِبِ اَلْأُمُورِ فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ وَ أَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ وَ أَجَابَ إِلَى دَعْوَتِهِ لَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ اَلْمُبْطِئِ وَ لاَ أَنَاةُ اَلْمُتَلَكِّئِ فَأَقَامَ مِنَ اَلْأَشْيَاءِ أَوَدَهَا وَ نَهَجَ حُدُودَهَا وَ لاَءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا وَ وَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا وَ فَرَّقَهَا أَجْنَاساً مُخْتَلِفَاتٍ فِي اَلْحُدُودِ وَ اَلْأَقْدَارِ وَ اَلْغَرَائِزِ وَ اَلْهَيْئَاتِ بَدَايَا خَلاَئِقَ أَحْكَمَ صُنْعَهَا وَ فَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وَ ابْتَدَعَهَا (1) -. **الوجهة** بالكسر الجهة التي يتوجه نحوها قال تعالى **وَ لِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا (2) -** [1] .

و **الريث** البطء (3) - و **المتلكئ** المتأخر (4) - و **الأود** الاعوجاج (5) - و **لاءم** بين كذا و كذا أي جمع (6) - و **القرائن** هنا الأنفس واحدتها قرونة و قرينة يقال سمحت قرينته و قرونته أي أطاعته نفسه و ذلت و تابعته على الأمر (7) - و **بدايا** هاهنا جمع بدية

(1) البقرة 148.

و هي الحالة العجيبة أبدأ الرجل إذا جاء بالأمر البديء أي المعجب و البدية أيضا الحالة المبتدأة المبتكرة و منه قولهم فعله بادئ ذي بديء على وزن فعيل أي أول كل شيء و يمكن أن يحمل كلامه أيضا على هذا الوجه .

و أما **خلائق** فيجوز أن يكون أضاف **بدايا** إليها و يجوز إلا يكون أضافه إليها بل جعلها [1] بدلا من **أجناسا** و يروى برايا جمع برية (1) - يقول ع إنه تعالى قدر الأشياء التي خلقها فخلقها محكمة على حسب ما قدر (2) - **و ألطف تدبيرها** أي جعله لطيفا و أمضى الأمور إلى غاياتها و حدودها المقدرة لها فهيأ الصقرة للاصطياد و الخيل للركوب و الطراد و السيف للقطع و القلم للكتابة و الفلك للدوران و نحو ذلك و في هذا إشارة إلى **14- قول 14النبي ص كل ميسر لما خلق له.** فلم تتعد هذه المخلوقات حدود منزلتها التي جعلت غايتها و لا قصرت دون الانتهاء إليها يقول لم تقف على الغاية و لا تجاوزتها (3) - ثم قال و لا استصعبت و امتنعت إذا أمرها بالمضي إلى تلك الغاية بمقتضى الإرادة الإلهية و هذا كله من باب المجاز كقوله تعالى **فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** [2] .

و خلاصة ذلك الإبانة عن نفوذ إرادته و مشيئته (4) - .

ثم علل نفي الاستصعاب فقال **و كيف** يستصعب و إنما صدرت عن مشيئته يقول إذا كانت مشيئته هي المقتضية لوجود هذه المخلوقات فكيف يستصعب عليه بلوغها إلى غاياتها التي جعلت لأجلها و أصل وجودها إنما هو مشيئته فإذا كان أصل وجودها بمشيئته فكيف يستصعب عليه توجيهها لوجهتها و هو فرع من فروع وجودها و تابع له .

(5) -

---

(1) ا: «يجعلها» .
(2) سورة فصلت 11.

ثم أعاد معاني القول الأول فقال إنه أنشأ الأشياء بغير روية و لا فكرة و لا غريزة أضمر عليها خلق ما خلق عليها **و لا تجربة أفادها** أي استفادها **من حوادث** مرت عليه من قبل كما تكسب التجارب علوما لم تكن و لا بمساعدة شريك أعانه عليها فتم خلقه بأمره إشارة إلى قوله **و لم يستصعب إذ أمر بالمضي** فلما أثبت هناك كونها أمرت أعاد لفظ الأمر هاهنا و الكل مجاز و معناه نفوذ إرادته و أنه إذا شاء أمرا استحال ألا يقع و هذا المجاز هو المجاز المستعمل في قوله تعالى **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** [1] تعبيرا بهذا اللفظ عن سرعة مواتاة الأمور له و انقيادها تحت قدرته .

ثم قال ليس كالواحد منا يعترض دون مراده ريث و بطء و تأخير و التواء ثم قال **و أقام** العوج و أوضح الطريق و جمع بين الأمور المتضادة أ لا ترى أنه جمع في بدن الحيوانات و النبات بين الكيفيات المتباينة المتنافرة من الحرارة و البرودة و الرطوبة و اليبوسة **و وصل أسباب** أنفسها بتعديل أمزجتها لأن اعتدال المزاج أو القرب من الاعتدال سبب بقاء الروح (1) - **و فرقها أجناسا مختلفات الحدود و الأقدار** و الخلق و الأخلاق و الأشكال أمور عجيبة بديعة مبتكرة الصنعة غير محتذ بها حذو صانع سابق بل مخلوقة على غير مثال قد أحكم سبحانه صنعها و خلقها على موجب ما أراد و أخرجها من العدم المحض إلى الوجود و هو معنى الابتداع فإن الخلق في الاصطلاح النظري على قسمين أحدهما صورة تخلق في مادة و الثاني ما لا مادة له بل يكون وجود الثاني من الأول فقط من غير توسط المادة فالأول يسمى التكوين و الثاني يسمى الإبداع و مرتبة الإبداع أعلى من مرتبة التكوين

(1) سورة يس 82.

وَ مِنْهَا فِي صِفَةِ اَلسَّمَاءِ وَ نَظَمَ بِلاَ تَعْلِيقٍ رَهَوَاتِ فُرَجِهَا وَ لاَحَمَ صُدُوعَ اِنْفِرَاجِهَا وَ وَشَّجَ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ أَزْوَاجِهَا وَ ذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ وَ اَلصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ حُزُونَةَ مِعْرَاجِهَا وَ نَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ فَالْتَحَمَتْ عُرَى أَشْرَاجِهَا وَ فَتَقَ بَعْدَ اَلِارْتِتَاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا وَ أَقَامَ رَصَداً مِنَ اَلشُّهُبِ اَلثَّوَاقِبِ عَلَى نِقَابِهَا وَ أَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ فِي خَرْقِ اَلْهَوَاءِ بِأَيْدِهِ وَ أَمْرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ وَ جَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا وَ قَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِهَا وَ أَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا وَ قَدَّرَ سَيْرَهُمَا [1] فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اَللَّيْلِ وَ اَلنَّهَارِ بِهِمَا وَ لِيُعْلَمَ عَدَدُ **اَلسِّنِينَ وَ اَلْحِسَابَ*** بِمَقَادِيرِهِمَا ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوِّهَا فَلَكَهَا وَ نَاطَ بِهَا زِينَتَهَا مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيِّهَا وَ مَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا وَ رَمَى مُسْتَرِقِي اَلسَّمْعِ بِثَوَاقِبِ شُهُبِهَا وَ أَجْرَاهَا عَلَى أَذْلاَلِ تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا وَ مَسِيرِ سَائِرِهَا وَ هُبُوطِهَا وَ صُعُودِهَا وَ نُحُوسِهَا وَ سُعُودِهَا (1) - . ـ **الرهوات** جمع رهوة و هي المكان المرتفع و المنخفض أيضا يجتمع فيه ماء المطر و هو من الأضداد و **الفرج** جمع فرجة و هي المكان الخالي (2) - و **لاحم** ألصق و **الصدع** الشق (3) - و **وشج** بالتشديد أي شبك و وشجت العروق و الأغصان بالتخفيف اشتبكت و بيننا رحم واشجة أي مشتبكة .

و **أزواجها** أقرانها و أشباهها قال تعالى **وَ كُنْتُمْ أَزْوَاجاً ثَلاَثَةً** [2] أي أصنافا ثلاثة .

- (4)

---

(1) مخطوطة النهج: «مسيرهما» .
(2) سورة الواقعة 7.

و **الحزونة** ضد السهولة (1) - و **أشراجها** جمع شرج و هو عرا العيبة و أشرجت العيبة أي أقفلت أشراجها و تسمى مجرة السماء شرجا تشبيها بشرج العيبة و أشراج الوادي ما انفسح منه و اتسع (2) - .

و **الارتتاق** الارتتاج (3) - و **النقاب** جمع نقب و هو الطريق في الجبل (4) - و **تمور** تتحرك و تذهب و تجيء قال تعالى **يَوْمَ تَمُورُ اَلسَّمَاءُ مَوْراً** [1] و **الأيد** القوة (5) - و **ناط بها** علق و **الدراري** الكواكب المضيئة نسبت إلى الدر لبياضها واحدها دري و يجوز كسر الدال مثل **بَحْرٍ لُجِّيٍّ** و لجي (6) - .

و **الثواقب** المضيئات (7) - و تقول افعل ما أمرتك **على أذلاله** أي على وجهه و دعه في أذلاله أي على حاله و أمور الله جارية على أذلالها أي على مجاريها و طرقها .

يقول ع كانت السماء أول ما خلقت غير منتظمة الأجزاء بل بعضها أرفع و بعضها أخفض فنظمها سبحانه فجعلها بسيطا واحدا نظما اقتضته القدرة الإلهية من غير تعليق أي لا كما ينظم الإنسان ثوبا مع ثوب أو عقدا مع عقد بالتعليق و الخياطة و ألصق تلك الفروج و الشقوق فجعلها جسما متصلا و سطحا أملس لا نتوات فيه و لا فرج و لا صدوع بل جعل كل جزء منها ملتصقا بمثله و ذلل للملائكة الهابطين بأمره و الصاعدين بأعمال خلقه لأنهم الكتبة الحافظون لها حزونة العروج إليها و هو الصعود (8) - .

ثم قال **و ناداها بعد إذ هي** روي بإضافة بعد إلى إذ و روي بضم بعد أي و ناداها بعد ذلك **إذ هي دخان** و الأول أحسن و أصوب لأنها على الضم تكون دخانا بعد نظمه رهوات فروجها و ملاحمة صدوعها و الحال تقتضي أن دخانها قبل ذلك لا بعده .

---

(1) سورة الطور 9.

فإن قلت ما هذا النداء قلت هو قوله **اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً** [1] فهو أمر في اللفظ و نداء في المعنى و هو على الحقيقة كناية عن سرعة الإبداع ثم قال **و فتق بعد الارتتاق صوامت أبوابها** هذا صريح في أن للسماء أبوابا و كذلك قوله **على نقابها** و هو مطابق لقوله سبحانه و تعالى **لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ اَلسَّمَاءِ** [2] و القرآن العظيم و كلام هذا الإمام المعظم أولى بالاتباع من كلام الفلاسفة الذين أحالوا الخرق على الفلك و أما إقامة الرصد من الشهب الثواقب فهو نص القرآن العزيز **وَ أَنَّا لَمَسْنَا اَلسَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَ شُهُباً `وَ أَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ اَلْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً** [3] و القول بإحراق الشهب للشياطين اتباعا لنص الكتاب أولى من قول الفلاسفة الذين أحالوا الانقضاض على الكواكب (1) - .

ثم قال **و أمسكها** على الحركة بقوته **و أمرها** بالوقوف فاستمسكت و وقفت (2) - ثم ذكره الشمس و القمر تذكرة مأخوذ من قول الله تعالى **وَ جَعَلْنَا اَللَّيْلَ وَ اَلنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اَللَّيْلِ وَ جَعَلْنَا آيَةَ اَلنَّهَارِ مُبْصِرَةً (3) -** [4] .

ثم ذكر الحكم في جريان الشمس و القمر في مجراهما تذكرة مأخوذ من قوله تعالى **وَ اَلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا** [5] و قوله **وَ اَلْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ** [5] و قوله **وَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ اَلسِّنِينَ وَ اَلْحِسَابَ** [6] .

- (4)

---

(1) سورة فصلت 11.
(2) سورة الأعراف 40.
(3) سورة الجن 8، 9.
(4) سورة الإسراء 12.
(5) سورة يس 28، 29.
(6) سورة يونس 5.

ثم قال **ثم علق في جوها فلكها** و هذا يقتضي أن الفلك غير السماء و هو خلاف قول الجمهور و قد قال به قائلون و يمكن أن نفسر ذلك إذا أردنا موافقة قول الجمهور بأنه أراد بالفلك دائرة معدل النهار فإنها الدائرة العظمى في الفلك الأعظم و هي في الاصطلاح النظري تسمى فلكا .

ثم ذكر أنه زين السماء الدنيا بالكواكب و أنها رجوم لمسترقي السمع و هو مأخوذ من قوله تعالى **إِنَّا زَيَّنَّا اَلسَّمَاءَ اَلدُّنْيَا بِزِينَةٍ اَلْكَوَاكِبِ ` وَ حِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ` لاَ يَسَّمَّعُونَ إِلَى اَلْمَلَإِ اَلْأَعْلَىٰ وَ يُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ` دُحُوراً وَ لَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (1) -** [1] .

ثم شرح حال الدنيا فقال **من ثبات ثابتها** يعني الكواكب التي في كرة البروج (2) - **و مسير سائرها** يعني الخمسة و النيرين لأنها سائرة دائما (3) - .

ثم قال **و صعودها و هبوطها** و ذلك أن للكواكب السيارة صعودا في الأوج و هبوطا في الحضيض فالأول هو البعد الأبعد عن المركز و الثاني البعد الأقرب (4) - .

فإن قلت ما باله ع قال **و نحوسها و سعودها** و هو القائل لمن أشار عليه ألا يحارب في يوم مخصوص **المنجم كالكاهن و الكاهن كالساحر و الساحر كالكافر و الكافر في النار** .

قلت إنه ع إنما أنكر في ذلك القول على من يزعم أن النجوم مؤثرة في الأمور الجزئية كالذين يحكمون لأرباب المواليد و عليهم و كمن يحكم في حرب أو سلم أو سفر أو مقام بأنه للسعد أو النحس و أنه لم ينكر على من قال إن النجوم تؤثر سعودا و نحوسا في الأمور الكلية نحو أن تقتضي حرا أو بردا أو تدل على مرض عام

(1) سورة الصافّات 6-9.

أو قحط عام أو مطر دائم و نحو ذلك من الأمور التي لا تخص إنسانا بعينه و قد قدمنا في ذلك الفصل ما يدل على تصويب هذا الرأي و إفساد ما عداه وَ مِنْهَا فِي صِفَةِ اَلْمَلاَئِكَةِ ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمَاوَاتِهِ وَ عِمَارَةِ اَلصَّفِيحِ اَلْأَعْلَى مِنْ مَلَكُوتِهِ خَلْقاً بَدِيعاً مِنْ مَلاَئِكَتِهِ وَ مَلَأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا وَ حَشَى بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَائِهَا وَ بَيْنَ فَجَوَاتِ تِلْكَ اَلْفُرُوجِ زَجَلُ اَلْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِ اَلْقُدُسِ وَ سُتُرَاتِ اَلْحُجُبِ وَ سُرَادِقَاتِ اَلْمَجْدِ وَ وَرَاءَ ذَلِكَ اَلرَّجِيجِ اَلَّذِي تَسْتَكُّ مِنْهُ اَلْأَسْمَاعُ سُبُحَاتُ نُورٍ تَرْدَعُ اَلْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا فَتَقِفُ خَاسِئَةً عَلَى حُدُودِهَا .

وَ أَنْشَأَهُمْ عَلَى صُوَرٍ مُخْتَلِفَاتٍ وَ أَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ **أُولِي أَجْنِحَةٍ** تُسَبِّحُ جَلاَلَ عِزَّتِهِ لاَ يَنْتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ فِي اَلْخَلْقِ مِنْ صُنْعِهِ وَ لاَ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئاً مَعَهُ مِمَّا اِنْفَرَدَ بِهِ **بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ `لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ** [1] جَعَلَهُمُ اَللَّهُ فِيمَا هُنَالِكَ أَهْلَ اَلْأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ وَ حَمَّلَهُمْ إِلَى اَلْمُرْسَلِينَ وَدَائِعَ أَمْرِهِ وَ نَهْيِهِ وَ عَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ اَلشُّبُهَاتِ فَمَا مِنْهُمْ زَائِغٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ وَ أَمَدَّهُمْ بِفَوَائِدِ اَلْمَعُونَةِ وَ أَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضُعَ إِخْبَاتِ اَلسَّكِينَةِ وَ فَتَحَ لَهُمْ أَبْوَاباً ذُلُلاً إِلَى تَمَاجِيدِهِ وَ نَصَبَ لَهُمْ مَنَاراً وَاضِحَةً عَلَى أَعْلاَمِ تَوْحِيدِهِ لَمْ تُثْقِلْهُمْ مُؤْصِرَاتُ اَلْآثَامِ وَ لَمْ تَرْتَحِلْهُمْ عُقَبُ اَللَّيَالِي وَ اَلْأَيَّامِ وَ لَمْ تَرْمِ اَلشُّكُوكُ بِنَوَازِعِهَا عَزِيمَةَ إِيمَانِهِمْ وَ لَمْ تَعْتَرِكِ اَلظُّنُونُ عَلَى مَعَاقِدِ يَقِينِهِمْ وَ لاَ قَدَحَتْ قَادِحَةُ اَلْإِحَنِ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَ لاَ سَلَبَتْهُمُ اَلْحَيْرَةُ مَا لاَقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ وَ مَا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ

(1) سورة الأنبياء 26، 27.

وَ هَيْبَةِ جَلاَلِهِ فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ وَ لَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ اَلْوَسَاوِسُ فَتَقْتَرِعَ بِرَيْنِهَا عَلَى فِكْرِهِمْ وَ مِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ اَلْغَمَامِ اَلدُّلَّحِ وَ فِي عِظَمِ اَلْجِبَالِ اَلشُّمَّخِ وَ فِي قَتْرَةِ اَلظُّلاَمِ اَلْأَيْهَمِ وَ مِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تُخُومَ اَلْأَرْضِ اَلسُّفْلَى فَهِيَ كَرَايَاتٍ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ اَلْهَوَاءِ وَ تَحْتَهَا رِيحٌ هَفَّافَةٌ تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ اِنْتَهَتْ مِنَ اَلْحُدُودِ اَلْمُتَنَاهِيَةِ قَدِ اِسْتَفْرَغَتْهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ وَ وَصَّلَتْ وَصَلَتْ حَقَائِقُ اَلْإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَعْرِفَتِهِ وَ قَطَعَهُمُ اَلْإِيقَانُ بِهِ إِلَى اَلْوَلَهِ إِلَيْهِ وَ لَمْ تُجَاوِزْ رَغَبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ ـقَدْ ذَاقُوا حَلاَوَةَ مَعْرِفَتِهِ وَ شَرِبُوا بِالْكَأْسِ اَلرَّوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ وَ تَمَكَّنَتْ مِنْ سُوَيْدَاوَاتِ سُوَيْدَاءِ قُلُوبِهِمْ وَشِيجَةُ خِيفَتِهِ فَحَنَوْا بِطُولِ اَلطَّاعَةِ اِعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ وَ لَمْ يُنْفِدْ طُولُ اَلرَّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ وَ لاَ أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ اَلزَّلْفَةِ رِبَقَ خُشُوعِهِمْ وَ لَمْ يَتَوَلَّهُمُ اَلْإِعْجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ وَ لاَ تَرَكَتْ لَهُمُ اِسْتِكَانَةُ اَلْإِجْلاَلِ نَصِيباً فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ وَ لَمْ تَجْرِ اَلْفَتَرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طُولِ دُءُوبِهِمْ وَ لَمْ تَغِضْ رَغَبَاتُهُمْ فَيُخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ وَ لَمْ تَجِفَّ لِطُولِ اَلْمُنَاجَاةِ أَسَلاَتُ أَلْسِنَتِهِمْ وَ لاَ مَلَكَتْهُمُ اَلْأَشْغَالُ فَتَنْقَطِعَ بِهَمْسِ اَلْجُؤَارِ إِلَيْهِ أَصْوَاتُهُمْ وَ لَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَقَاوِمِ اَلطَّاعَةِ مَنَاكِبُهُمْ وَ لَمْ يَثْنُوا إِلَى رَاحَةِ اَلتَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ رِقَابَهُمْ .

وَ لاَ تَعْدُو عَلَى عَزِيمَةِ جِدِّهِمْ بَلاَدَةُ اَلْغَفَلاَتِ وَ لاَ تَنْتَضِلُ فِي هِمَمِهِمْ خَدَائِعُ اَلشَّهَوَاتِ قَدِ اِتَّخَذُوا ذَا اَلْعَرْشِ ذَخِيرَةً لِيَوْمِ فَاقَتِهِمْ وَ يَمَّمُوهُ عِنْدَ اِنْقِطَاعِ اَلْخَلْقِ إِلَى اَلْمَخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ لاَ يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ وَ لاَ يَرْجِعُ بِهِمُ اَلاِسْتِهْتَارُ

بِلُزُومِ طَاعَتِهِ إِلاَّ إِلَى مَوَادَّ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَ مَخَافَتِهِ لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ اَلشَّفَقَةِ مِنْهُمْ فَيَنُوا فِي جِدِّهِمْ وَ لَمْ تَأْسِرْهُمُ اَلْأَطْمَاعُ فَيُؤْثِرُوا وَشِيكَ اَلسَّعْيِ عَلَى اِجْتِهَادِهِمْ [1] لَمْ يَسْتَعْظِمُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَ لَوِ اِسْتَعْظَمُوا ذَلِكَ لَنَسَخَ اَلرَّجَاءُ مِنْهُمْ شَفَقَاتِ وَجَلِهِمْ وَ لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ اَلشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ وَ لَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ اَلتَّقَاطُعِ وَ لاَ تَوَلاَّهُمْ غِلُّ اَلتَّحَاسُدِ وَ لاَ تَشَعَّبَتْهُمْ مَصَارِفُ اَلرَّيْبِ اَلرِّيَبِ وَ لاَ اِقْتَسَمَتْهُمْ أَخْيَافُ اَلْهِمَمِ فَهُمْ أُسَرَاءُ إِيمَانٍ لَمْ يَفُكَّهُمْ مِنْ رِبْقَتِهِ زَيْغٌ وَ لاَ عُدُولٌ وَ لاَ وَنًى وَ لاَ فُتُورٌ وَ لَيْسَ فِي أَطْبَاقِ اَلسَّمَاءِ مَوْضِعُ إِهَابٍ إِلاَّ وَ عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ سَاعٍ حَافِدٌ يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ اَلطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْماً وَ تَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظَماً. هذا موضع المثل إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل [2] إذا جاء هذا الكلام الرباني و اللفظ القدسي بطلت فصاحة العرب و كانت نسبة الفصيح من كلامها إليه نسبة التراب إلى النضار الخالص و لو فرضنا أن العرب تقدر على الألفاظ الفصيحة المناسبة أو المقاربة لهذه الألفاظ من أين لهم المادة التي عبرت هذه الألفاظ عنها و من أين تعرف الجاهلية بل الصحابة المعاصرون 14لرسول الله ص هذه المعاني الغامضة السمائية ليتهيأ لها التعبير عنها أما الجاهلية فإنهم إنما كانت تظهر فصاحتهم في صفة بعير أو فرس أو حمار وحش أو ثور فلاة أو صفة جبال أو فلوات و نحو ذلك و أما الصحابة

---

(1) ج: «فى اجتهادهم» .

(2) نهر معقل: مضاف إلى معقل بن يسار بن عبد اللّه المزنى؛ ذكر ياقوت عن الواقدى أن عمر أمر أبا موسى الأشعريّ أن يحفر نهرا بالبصرة و أن يجريه على يد معقل بن يسار، فنسب إليه.

فالمذكورون منهم بفصاحة إنما كان منتهى فصاحة أحدهم كلمات لا تتجاوز السطرين أو الثلاثة أما في موعظة تتضمن ذكر الموت أو ذم الدنيا أو يتعلق بحرب و قتال من ترغيب أو ترهيب فأما الكلام في الملائكة و صفاتها و صورها و عباداتها و تسبيحها و معرفتها بخالقها و حبها له و ولهها إليه و ما جرى مجرى ذلك مما تضمنه هذا الفصل على طوله فإنه لم يكن معروفا عندهم على هذا التفصيل نعم ربما علموه جملة غير مقسمة هذا التقسيم و لا مرتبة هذا الترتيب بما سمعوه من ذكر الملائكة في القرآن العظيم و أما من عنده علم من هذه المادة كعبد الله بن سلام و أمية بن أبي الصلت و غيرهم فلم تكن لهم هذه العبارة و لا قدروا على هذه الفصاحة فثبت أن هذه الأمور الدقيقة في مثل هذه العبارة الفصيحة لم تحصل إلا 1لعلي وحده و أقسم أن هذا الكلام إذا تأمله اللبيب اقشعر جلده و رجف قلبه و استشعر عظمة الله العظيم في روعه و خلده و هام نحوه و غلب الوجد عليه و كاد أن يخرج من مسكه شوقا و أن يفارق هيكله صبابة و وجدا (1) - .

ثم نعود إلى التفسير فنقول **الصفيح الأعلى** سطح الفلك الأعظم و يقال لوجه كل شيء عريض صفيح و صفحة (2) - .

و **الفروج** الأماكن الخالية و **الفجاج** جمع فج و الفج الطريق الواسع بين جبلين أو حائطين (3) - و **أجوائها** جمع جو و هو ما اتسع من الأودية و يقال لما بين السماء و الأرض جو و يروى أجوابها جمع جوبة و هي الفرجة في السحاب و غيره و يروى أجوازها جمع جوز و هو وسط الشيء (4) - و **الفجوات** جمع فجوة و هي الفرجة بين الشيئين تقول منه تفاجى الشيء إذا صار له فجوة و منه الفجاء و هو تباعد ما بين عرقوبي البعير .

و **الزجل** الصوت و **حظائر القدس** لفظة وردت في كلام 14رسول الله ص و أصل الحظيرة ما يعمل شبه البيت للإبل من الشجر ليقيها البرد فسمى

ع تلك المواطن الشريفة المقدسة العالية التي فوق الفلك حظائر القدس و القدس بتسكين الدال و ضمها الطهر و التقديس التطهير و تقدس تطهر و الأرض المقدسة المطهرة و بيت المقدس أيضا و النسبة إليه قدسي و مقدسي (1) - و **السترات** جمع سترة (2) - و **الرجيج** الزلزلة و الاضطراب و منه ارتج البحر (3) - و **تستك الأسماع** تنسد قال النابغة

و نبئت خير الناس أنك لمتني # و تلك التي تستك منها المسامع (4) - [1] .

سبحات النور بضم السين و الباء عبارة عن جلالة الله تعالى و عظمته و **تردع الأبصار** تكفها (5) - و **خاسئة** أي سادرة و منه **يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ اَلْبَصَرُ خَاسِئاً وَ هُوَ حَسِيرٌ** [2] و خسا بصره خسا و خسوءا أي سدر [3] .

و قوله **على حدودها** أي تقف حيث تنتهي قوتها لأن قوتها متناهية فإذا بلغت حدها وقفت (6) - و قوله **أُولِي أَجْنِحَةٍ** من الألفاظ القرآنية (7) - [4] .

و قوله **لا ينتحلون ما ظهر في الخلق من صنعه** أي لا يدعون الإلهية لأنفسهم و إن كان قوم من البشر يدعونها لهم (8) - و قوله **لا يدعون أنهم يخلقون شيئا معه مما انفرد به** فيه إشارة إلى مذهب أصحابنا في أن أفعال العباد مخلوقة لهم لأن فائدة هذا القيد و هو قوله **انفرد به** إنما تظهر بذلك (9) - .

و أما الآيات المقدسة فالرواية المشهورة **مُكْرَمُونَ** و قرئ مكرمون بالتشديد و قرئ **لا يسبقونه** بالضم و المشهور القراءة بالكسر و المعنى أنهم يتبعون قوله و لا يقولون شيئا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله و أراد أن يقول **لا يسبقونه بقولهم** فحذف الضمير المضاف إليه و أناب اللام منابه .

---

(1) ديوانه 52، و روايته: «أتانى أبيت اللعن» .
(2) سورة الملك 4.
(3) سدر: أى كلّ و أعيا.
(4) من قوله تعالى في سورة فاطر: **جَاعِلِ اَلْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ** .

ثم قال **وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ** أي كما أن قولهم تابع لقوله فعملهم أيضا كذلك فرع على أمره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به **14- و جاء في الخبر المرفوع عن 14رسول الله ص أنه رأى جبرائيل ساقطا كالحلس من خشية الله .** و الحلس الكساء الخفيف (1) - .

و **الزائغ** العادل عن الطريق (2) - و **الإخبات** التذلل و الاستكانة (3) - و **أبوابا ذللا** أي سهلة وطيئة و منه دابة ذلول و **تماجيده** الثناء عليه بالمجد (4) - و **المؤصرات** المثقلات و الإصر الثقل (5) - .

و تقول ارتحلت البعير أي ركبته و العقبة النوبة و الجمع عقب و معنى قوله **و لم ترتحلهم عقب الليالي و الأيام** أي لم تؤثر فيهم نوبات الليالي و الأيام و كرورها كما يؤثر ارتحال الإنسان البعير في ظهره (6) - و **نوازعها** شهواتها النازعة المحركة و روي نوازغها بالغين المعجمة من نزع بينهم أي أفسد (7) - .

و لم تعترك الظنون أي لم تزدحم الظنون على يقينهم الذي عقدوه (8) - .

و **الإحن** جمع إحنة و هي الحقد يقول لم تقدح قوادح الحقد في ضمائرهم (9) - .

و **ما لاق** أي ما التصق و **أثناء صدورهم** جمع ثني و هي التضاعيف (10) - و **الرين** الدنس و الغلبة قال تعالى **كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلىَ قُلُوبِهِمْ** [1] .

و **تقترع** من الاقتراع بالسهام بأن يتناوب كل من الوساوس عليها و يروى فيفترع بالفاء أي تعلو برينها فرعه أي علاه (11) - .

و **الغمام** جمع غمامة و هي السحابة و **الدلح** الثقال جاء يدلح بجملة أي جاء مثقلا به (12) - و **الجبال الشمخ** العالية الشاهقة (13) - .

و قوله **في قترة الظلام** أي سواده و **الأيهم** لا يهتدى فيه و منه

---

(1) سورة المطففين 83.

فلاة يهماء (1) - و **التخوم** بضم التاء جمع تخم و هو منتهى الأرض أو القرية مثل فلس و فلوس و يروى تخوم بفتح التاء على أنها واحد و الجمع تخم مثل صبور و صبر (2) - .

و **ريح هفافة** أي ساكنة طيبة يقول كان أقدامهم التي خرقت الهواء إلى حضيض الأرض **رايات بيض** تحتها ريح ساكنة ليست مضطربة فتموج تلك الرايات بل هي ساكنة تحبسها حيث انتهت **16- و جاء في الخبر أن لإسرافيل جناحين أحدهما في أقصى المشرق و الآخر في أقصى المغرب و أن العرش على كاهله و أنه ليتضاءل أحيانا لعظمة الله حتى يعود مثل الوضع و هو العصفور (3) -.** ثم قال **قد استفرغتهم أشغال عبادته تعالى** أي جعلتهم فارغين إلا منها (4) - و يروى و وسلت حقائق الإيمان بالسين المشددة يقال وسل فلان إلى ربه وسيلة و الوسيلة ما يتقرب به و الجمع وسيل و وسائل و يقال وسلت إليه و توسلت إليه بمعنى (5) - .

و **سويداوات القلوب** جمع سويداء و هي حبة القلب و **الوشيجة** في الأصل عرق الشجرة و هي هنا استعارة (6) - و حنيت ضلعي أي عوجتها (7) - و **الربق** جمع ربقة و هي الحبل (8) - .

قوله **و لم يتولهم الإعجاب** أي لم يستول عليهم (9) - و **الدءوب** الجد و الاجتهاد (10) - و الأسلات جمع أسلة و هي طرف اللسان و مستدقه (11) - و **الجؤار** الصوت المرتفع و **الهمس** الصوت الخفي يقول ليست لهم أشغال خارجة عن العبادة فيكون لأجلها أصواتهم المرتفعة خافية ساكنة (12) - **لا تعدو** من عدا عليه إذا قهره و ظلمه و هو هاهنا استعارة (13) - .

و لا تنتضل الخدائع في هممهم استعارة أيضا من النضال و هو المراماة بالسهام (14) - و **ذو العرش** هو الله تعالى و هذه لفظة قرآنية قال سبحانه **إِذاً لاَبْتَغَوْا إِلىَ ذِي اَلْعَرْشِ**

سَبِيلاً [1] يعني لابتغوا إلى الله تعالى سبيلا و قال تعالى **ذُو اَلْعَرْشِ اَلْمَجِيدُ `فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (1) -** [2] و **الاستهتار** مصدر استهتر فلان بكذا أي لازمه و أولع به (2) - .

و قوله **فينوا** أي فيضعفوا وني يني و **الجد** الاجتهاد و الانكماش (3) - .

ثم قال إنهم لا يستعظمون عبادتهم و لو أن أحدا منهم استعظم عبادته لأذهب خوفه رجاءه الذي يتولد من استعظام تلك العبادة يصفهم بعظم التقوى (4) - .

و **الاستحواذ** الغلبة (5) - و **الغل** الحقد (6) - و **تشعبتهم** تقسمتهم و فرقتهم و منه قيل للمنية شعوب أي مفرقة (7) - و **أخياف الهمم** أي الهمم المختلفة و أصله من الخيف و هو كحل إحدى العينين دون الأخرى و منه المثل الناس أخياف أي مختلفون (8) - و **الإهاب** الجلد (9) - و **الحافد** المسرع و منه الدعاءاللهم إليك نسعى و نحفد .

ـو اعلم أنه ع إنما كرر و أكد صفاتهم بما وصفهم به ليكون ذلك مثالا يحتذي عليه أهل العرفان من البشر فإن أعلى درجات البشر أن يتشبه بالملك و خلاصة ذلك أمور .

منها العبادة القائمة .

و منها ألا يدعى أحد لنفسه الحول و القوة بل لا حول و لا قوة .

و منها أن يكون متواضعا ذا سكينة و وقار .

و منها أن يكون ذا يقين لا تقدح فيه الشكوك و الشبهات .

و منها ألا يكون في صدره إحنة على أحد من الناس .

و منها شدة التعظيم و الهيبة لخالق الخلق تبارك اسمه .

و منها أن تستفرغه أشغال العبادة له عن غيرها من الأشغال .

---

(1) سورة الإسراء 42.
(2) سورة البروج 15، 16.

و منها أنه لا تتجاوز رغباته مما عند الله تعالى إلى ما عند غيره سبحانه .

و منها أن يعقد ضميره و قلبه على محبة الله تعالى و يشرب بالكأس الروية من حبه .

و منها عظم التقوى بحيث يأمن كل شيء عدا الله و لا يهاب أحدا إلا الله .

و منها الخشوع و الخضوع و الإخبات و الذل لجلال عزته سبحانه .

و منها ألا يستكثر الطاعة و العمل و إن جل و عظم .

و منها عظم الرجاء الواقع في مقابلة عظم الخوف فإن الله تعالى يحب أن يرجى كما يحب أن يخاف

أبحاث تتعلق بالملائكة (1) -

و اعلم أنه يجب أن تعلم أبحاث متعددة تتعلق بالملائكة و يقصد فيها قصد حكاية المذهب خاصة و نكل الاحتجاج و النظر إلى ما هو مذكور في كتبناالكلامية.

البحث الأول في وجود الملائكة قال قوم من الباطنية السبيل إلى إثبات الملائكة هو الحس و المشاهدة و ذلك أن الملائكة عندهم أهل الباطن .

و قالت الفلاسفة هي العقول المفارقة و هي جواهر مجردة عن المادة لا تعلق لها بالأجسام تدبيرا و احترزوا بذلك عن النفوس لأنها جواهر مفارقة إلا أنها تدبر الأبدان و زعموا أنهم أثبتوها نظرا .

و قال أصحابنا المتكلمون الطريق إلى إثبات الملائكة الخبر الصادق المدلول على صدقه و في المتكلمين من زعم أنه أثبت الملائكة بطريق نظري و هو أنه لما وجد خلقا من طين وجب في العقل أن يكون في المخلوقات خلق من الهواء و خلق من النار فالمخلوق من الهواء هو الملك و المخلوق من النار الشيطان .

البحث الثاني في بنية الملائكة و هيئة تركيبهم قال أصحابنا المتكلمون أن الملائكة أجسام لطاف و ليسوا من لحم و دم و عظام كما خلق البشر من هذه الأشياء و قال أبو حفص المعود القرينسي من أصحابنا إن الملائكة من أجسام من لحم و عظم إنه لا فرق بينهم و بين البشر و إنما لم يروا لبعد المسافة بيننا و بينهم .

و قد تبعه على هذا القول جماعة من معتزلة ما وراء النهر و هي مقالة ضعيفة لأن القرآن يشهد بخلافه في قوله **وَ رُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ** [1] و قوله **إِذْ يَتَلَقَّى اَلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ اَلْيَمِينِ وَ عَنِ اَلشِّمَالِ قَعِيدٌ** [2] فلو كانوا أجساما كثيفة كأجسامنا لرأيناهم .

البحث الثالث في تكليف الملائكة حكى عن قوم من الحشوية أنهم يقولون إن الملائكة مضطرون الله جميع أفعالهم و ليسوا مكلفين .

و قال جمهور أهل النظر إنهم مكلفون .

و حكى عن أبي إسحاق النظام إنه قال إن قوما من المعتزلة قالوا إنهم جبلوا على الطاعة لمخالفة خلقهم خلقة المكلفين و أنهم قالوا لو كانوا مكلفين لم يؤمن أن يعصوا فيما أمروا به و قد قال تعالى **لاَ يَعْصُونَ اَللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** [3] .

و قال قوم إن أكثر الملائكة مكلفون و إن فيهم من ليس بمكلف بل هو مسخر للملائكة المكلفين كما أن الحيوانات ما هو غير مكلف بل هو مسخر للبشر و مخلوق لمصالحهم .

قالوا و لا ننكر أن يكون الملائكة الذين ذكر منهم أنهم غلظ الأجسام و عظم الخلق و التركيب بحيث تبلغ أقدامهم إلى قرار الأرض قد جعلوا عمدا للسموات و الأرض فهم

---

(1) سورة التحريم 6.
(2) سورة الزخرف 80.
(3) سورة ق 17.

يحملونها بمنزلة الأساطين التي تحمل السقوف العالية و لم يرشحوا لأمر من الأمور سوى ذلك .

البحث الرابع فيما يجوز من الملائكة و ما لا يجوز قال شيخنا أبو القاسم حكى أبو الحسن الخياط عن قدماء المعتزلة أنه لا يجوز أن يعصي أحد من الملائكة و لم يذكر عنهم علة في ذلك .

و قال قوم إنهم لا يعصون و لا يجوز أن يعصوا لأنهم غير مطيقين الشهوة و الغضب فلا داعي لهم إلى المعصية و الفاعل لا يفعل إلا بداع إلى الفعل .

و قال قوم إنهم لا يعصون لأنهم يشاهدون من عجائب صنع الله و آثار هيبته ما يبهرهم عن فعل المعصية و القصد إليها و كذلك قال تعالى **وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ** [1] .

و قال قوم إنما لم يجز أن يعصوا لأن الله تعالى أخبر عنهم أنهم لا يعصون و لا ينكر مع ذلك أن يكون منهم من يتغير حاله و يتبدل بها حالة أخرى و يعصي على ما ورد من خبر الملكين ببابل و خبر إبليس و إنما يسلب عنهم المعصية ما داموا على حالهم التي هي عليها .

و قال شيوخنا أصحاب أبي هاشم رحمه الله تعالى إن المعصية تجوز عليهم كما تجوز علينا إلا أن الله تعالى علم أن لهم ألطافا يمتنعون معها من القبيح لفعلها فامتنعوا من فعل القبيح اختيارا فكانت حالهم كحال الأنبياء من البشر يقدرون على المعصية و لا يفعلونها

(1) سورة الأنبياء 28.

اختيارا من أنفسهم باعتبار الألطاف المفعولة لهم و لو كان لإبليس أو فرعون أو نمرود ألطاف يعلم الله تعالى إذا فعلها فعلوا الواجب و امتنعوا من فعل القبيح لفعلها بهم و لكانوا معصومين كالأنبياء و الملائكة لكنه تعالى علم أنهم لا يؤمنون و لو فعل مهما فعل فلا لطف في المعلوم و هذا عندهم حكم عام لجميع المكلفين من الإنس و الجن و الملائكة .

البحث الخامس في أن أي القبيلين أفضل الملائكة أو الأنبياء قال أصحابنا نوع الملائكة أفضل من نوع البشر و الملائكة المقربون أفضل من نوع الأنبياء و ليس كل ملك عند الإطلاق أفضل من 14محمد ص بل بعض المقربين أفضل منه و هو ع أفضل من ملائكة أخرى غير الأولين و المراد بالأفضل الأكثر ثوابا و كذلك القول في موسى و عيسى و غيرهما من الأنبياء و الذي يحكيه قوم من أرباب المقالات أن المعتزلة قالوا إن أدنى ملك في السماء أفضل من 14محمد ص ليس بصحيح عنهم .

و قال أهل الحديث و الأشعرية أن الأنبياء أفضل من الملائكة .

و قال الشيعة الأنبياء أفضل من الملائكة و الأئمة أفضل من الملائكة .

و قال قوم منهم و من الحشوية إن المؤمنين أفضل من الملائكة .

البحث السادس في قدم الملائكة و حدوثهم أما الفلاسفة القائلون بأنهم العقول المفارقة فإنهم يذهبون إلى قدم الملائكة .

و قال غيرهم من أهل الملل إنهم محدثون .

و قال قوم من متأخري الحكماء إن نفوس البشر إذا فارقت الأبدان بالموت بقيت قائمة بأنفسها غير مدبرة لشيء من الأبدان فإن كانت خيرة صالحة فهي الملائكة

و إن كانت شريرة رديئة الجوهر فهي الشياطين فالملائكة عند هؤلاء محدثون و عندهم أن هذه النفوس تساعد نفوسا أخرى متعلقة بتدبير الأبدان أما على الخير أو على الشر فما ينسب في الكتب الإلهية إلى إغواء الشياطين للناس و إضلالهم فالمراد به تلك النفوس الشريرة و ما ينسب فيها إلى إعانة الملائكة لهم على الخير و الصلاح فالمراد به تلك النفوس الخيرة .

البحث السابع في إبليس أ هو من الملائكة أو ليس منها قال شيخنا أبو عثمان و جماعة من أصحابنا إنه من الملائكة و لذلك استثناه الله تعالى فقال **فَسَجَدَ اَلْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ `إِلاَّ إِبْلِيسَ** [1] .

و قال قوم إنه كان من الملائكة بدلالة هذه الآية لكن الله مسخه حيث خالف الأمر فهو بعد المسخ خارج عن الملائكة و قد كان قبل ذلك ملكا قالوا و معنى قوله **كَانَ مِنَ اَلْجِنِّ** أي من خزان الجنة و روي ذلك عن ابن عباس قالوا و يحمل على معناه أنه صار من الجن فيكون كان بمعنى صار كقوله تعالى **كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي اَلْمَهْدِ صَبِيًّا** [2] أي من صار لأنها لو كانت كان على حقيقتها لوجب إلا يكلم بعضهم بعضا لأنهم كانوا صبيانا في المهود .

قالوا و معنى صيرورته من الجن صيرورته ضالا كما أن الجن ضالون لأن الكفار بعضهم من بعض كما قال تعالى **اَلْمُنَافِقُونَ وَ اَلْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ** [3] .

---

(1) سورة ص 73، 74.
(2) سورة مريم 29.
(3) سورة التوبة 69.

و قال معظم أصحابنا إن إبليس ليس من الملائكة و لا كان منها و إنما استثناه الله تعالى منهم لأنه كان مأمورا بالسجود معهم فهو مستثنى من عموم المأمورين بالسجود لا من خصوص الملائكة .

البحث الثامن في هاروت و ماروت هل هما من الملائكة أم لا قال جمهور أصحابنا إنهما من الملائكة و إن القرآن العظيم قد صرح بذلك في قوله **وَ مَا أُنْزِلَ عَلَى اَلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَ مَارُوتَ** [1] و إن الذي أنزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس فمن تعلمه منهم و عمل به كان كافرا و من تجنبه أو تعلمه لا ليعمل به و لكن ليتوقاه كان مؤمنا قالوا و ما كان هذان الملكان يعلمان أحدا حتى ينبهاه و ينهياه و ينصحاه و يقولا له **إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ** أي ابتلاء و اختبار من الله **فَلاَ تَكْفُرْ** و لا تتعلمه معتقدا أنه حق .

17- و حكى عن الحسن البصري أن هاروت و ماروت علجان أقلفان من أهل بابل كانا يعلمان الناس السحر و قرأ الحسن على الملكين ببابل بكسر اللام . و قال قوم كانا من الملائكة فعصيا الله تعالى بالحيف في الحكومة و قد كان استقضاهما في الأرض و ركب فيهما الشهوة و الغضب على نحو ما ركب في البشر امتحانا لهما لأنهما قد كانا عيرا البشر بالمعصية فلما عصيا حبسهما الله تعالى و عاقبهما بعذاب معجل و ألهمهما كلاما إذا تكلما به سكن بعض ما بهما من الألم و إن السحرة يستمعون ذلك الكلام فيحفظونه و **يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ اَلْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ** فإنهما يتقدمان إلى من يحضرهما عند ما يتكلمان بالزجر عن العمل بذلك الكلام و يقولان **إِنَّمَا نَحْنُ**

---

(1) سورة البقرة.

فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ و هما لم يكفرا و لا دعوا إلى السحر و إن عذابهما سيقطع و قد جاء في الأخبار ما يوافق هذا .

و قال قوم من الحشوية إنهما شربا الخمر و قتلا النفس و زنيا بامرأة اسمها باهيد فمسخت و هي الزهرة التي في السماء وَ مِنْهَا فِي صِفَةِ اَلْأَرْضِ وَ دَحْوِهَا عَلَى اَلْمَاءِ كَيْسَ اَلْأَرْضَ عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَةٍ وَ لُجَجٍ بِحَارٍ زَاخِرَةٍ تَلْتَطِمُ أَوَاذِيُّ أَمْوَاجِهَا وَ تَصْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتٌ أَثْبَاجِهَا وَ تَرْغُو زَبَدًا كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا فَخَضَعَ جِمَاحُ اَلْمَاءِ اَلْمُتَلاَطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا وَ سَكَنَ هَيْجُ اِرْتِمَائِهِ إِذْ وَطِئَتْهُ بِكَلْكَلِهَا وَ ذَلَّ مُسْتَخْذِياً إِذْ تَمَعَّكَتْ عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا فَأَصْبَحَ بَعْدَ اِصْطِخَابِ أَمْوَاجِهِ سَاجِياً مَقْهُوراً وَ فِي حَكَمَةِ اَلذُّلِّ مُنْقَاداً أَسِيراً وَ سَكَنَتِ اَلْأَرْضُ مَدْحُوَّةً فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ وَ رَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ بَأْوِهِ وَ اِعْتِلاَئِهِ وَ شُمُوخِ أَنْفِهِ وَ سُمُوِّ غُلَوَائِهِ وَ كَعَمَتْهُ عَلَى كِظَّةِ جَرْيَتِهِ فَهَمَدَ بَعْدَ نَزَقَاتِهِ وَ لَبَدَ بَعْدَ زَبَفَانِ وَثَبَاتِهِ فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجُ اَلْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا وَ حَمَلَ شَوَاهِقَ اَلْجِبَالِ اَلشُّمَّخِ اَلْبُذَّخِ عَلَى أَكْتَافِهَا فَجَّرَ يَنَابِيعَ اَلْعُيُونِ مِنْ عَرَانِينِ أُنُوفِهَا وَ فَرَّقَهَا فِي سُهُوبِ بِيدِهَا وَ أَخَادِيدِهَا وَ عَدَّلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَاتِ مِنْ جَلاَمِيدِهَا وَ ذَوَاتِ اَلشَّنَاخِيبِ اَلشُّمِّ مِنْ صَيَاخِيدِهَا فَسَكَنَتْ مِنَ اَلْمَيَدَانِ لِرُسُوبِ [1] اَلْجِبَالِ فِي قِطَعِ أَدِيمِهَا وَ تَغَلْغُلِهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جَوْبَاتِ خَيَاشِيمِهَا وَ رُكُوبِهَا أَعْنَاقَ سُهُولِ اَلْأَرَضِينَ وَ جَرَاثِيمِهَا وَ فَسَحَ

(1) مخطوطة النهج: «برسوب» .

بَيْنَ اَلْجَوِّ وَ بَيْنَهَا وَ أَعَدَّ اَلْهَوَاءَ مُتَنَسَّماً لِسَاكِنِهَا وَ أَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَافِقِهَا ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ اَلْأَرْضِ اَلَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ اَلْعُيُونِ عَنْ رَوَابِيهَا وَ لاَ تَجِدُ جَدَاوِلُ اَلْأَنْهَارِ ذَرِيعَةً إِلَى بُلُوغِهَا حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةَ سَحَابٍ تُحْيِي مَوَاتَهَا وَ تَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا أَلَّفَ غَمَامَهَا بَعْدَ اِفْتِرَاقٍ لُمَعِهِ وَ تَبَايُنِ قَزَعِهِ حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ لَجَّةُ اَلْمُزْنِ فِيهِ وَ اِلْتَمَعَ بَرْقُهُ فِي كُفَفِهِ وَ لَمْ يَنَمْ وَمِيضُهُ فِي كَنَهْوَرِ رَبَابِهِ وَ مُتَرَاكِمِ سَحَابِهِ أَرْسَلَهُ سَحّاً مُتَدَارِكاً قَدْ أَسَفَّ هَيْدَبُهُ يَمْرِي تَمْرِيهِ اَلْجَنُوبُ دِرَرَ أَهَاضِيبِهِ وَ دُفَعَ شآبِيبِهِ .

فَلَمَّا أَلْقَتِ اَلسَّحَابُ بَرْكَ بِوَانَيْهَا وَ بَعَاعَ مَا اِسْتَقَلَّتْ بِهِ مِنَ اَلْعِبْءِ اَلْمَحْمُولِ عَلَيْهَا أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ اَلْأَرْضِ اَلنَّبَاتَ وَ مِنْ زُعْرِ اَلْجِبَالِ اَلْأَعْشَابَ فَهِيَ تَبْهَجُ بِزِينَةِ رِيَاضِهَا وَ تَزْدَهِي بِمَا أُلْبِسَتْهُ مِنْ رَيْطِ أَزَاهِيرِهَا وَ حِلْيَةِ مَا سُمِطَتْ بِهِ مِنْ نَاضِرِ أَنْوَارِهَا وَ جَعَلَ ذَلِكَ بَلَاغاً لِلْأَنَامِ وَ رِزْقاً لِلْأَنْعَامِ وَ خَرَقَ اَلْفِجَاجَ فِي آفَاقِهَا وَ أَقَامَ اَلْمَنَارَ لِلسَّالِكِينَ عَلَى جَوَادِّ طُرُقِهَا (1) -. **كبس الأرض** أي أدخلها في الماء بقوة و اعتماد شديد و يقال لضرب من التمر الكبيس لأنه يكبس حتى يتراص و **المور** مصدر مار أي ذهب و جاء و **مستفحلة** هائجة هيجان الفحول و استفحل الأمر تفاقم و اشتد (2) - و **زاخرة** زخر الماء أي امتد جدا و ارتفع (3) - .

و **الأواذي** جمع آذي و هو الموج (4) - و **تصطفق** يضرب بعضها بعضا و **الأثباج** هاهنا

أعالي الأمواج و أصل الثبج ما بين الكاهل إلى الظهر فنقل إلى هذا الموضع استعارة (1) - .

و **ترغو** تصوت صوت البعير و الرغاء صوت ذات الخف و في المثل كفى برغائها مناديا أي أن رغاء بعير المضيف يقوم مقام ندائه للضيافة و القرى و **زبدا** على هذا منصوب بفعل مقدر تقديره و ترغو قاذفة زبدا و **الزبد** ما يظهر فوق السيل يقال قد أزبد البحر و السيل و بحر مزبد أي مالح يقذف بالزبد و **الفحول عند هياجها** فحول الإبل إذا هاجت للضراب (2) - .

و **جماح الماء** صعوده و غليانه و أصله من جماح الفرس و هو أن يعز فارسه و يغلبه و الجموح من الرجال الذي يركب هواه فلا يمكن رده و **خضع** ذل (3) - و **هيج** الماء اضطرابه هاج هيجا و هياجا و هيجانا و اهتاج و تهيج كله بمعنى أي ثار و هاجه غيره يتعدى و لا يتعدى و **هيج ارتمائه** يعنى تقاذفه و تلاطمه يقال ارتمى القوم بالسهام و بالحجارة ارتماء و **كلكلها** صدرها و جاء كلكل و كلكال و ربما جاء في ضرورة الشعر مشددا قال

كأن مهواها على الكلكل # موضع كفي راهب مصلى (4) - [1] .

و **المستخذي** الخاضع و قد يهمز و قيل لأعرابي في مجلس أبي زيد كيف تقول استخذأت ليتعرف منه الهمزة فقال العرب لا تستخذئ و همزه و أكثر ما يستعمل ملينا و أصله من خذا الشيء يخذو و خذوا أي استرخى و يجوز خذي بكسر الذال و أذن خذواء بينة الخذاء أي مسترخية (5) - .

و **تمعكت** تمرغت مستعار من تمعك الدابة في الأرض و قالوا معكت الأديم أي دلكته [2] و **كواهلها** جمع كاهل و هو ما بين الكتفين و يسمى الحارك .

- (6)

---

(1) الرجز لمنظور بن مرثد الأسدى، اللسان 14: 117.
(2) ب: «ذللته» .

و **اصطخاب أمواجه** افتعال من الصخب و هو الصياح و الجلبة يقال صخب الرجل فهو صخبان و اصطخب افتعل منه قال

إن الضفادع في الغدران تصطخب (1) - [1] .

و **الساجي** الساكن (2) - و **الحكمة** ما أحاط من اللجام بحنك الدابة و كانت العرب تتخذها من القد و الأبق لأن الزينة لم تكن قصدهم قال زهير

القائد الخيل منكوبا دوابرها # قد أحكمت حكمات القد و الأبقا [2] .

و استعار الحكمة هاهنا فجعل للذل حكمة ينقاد الماء بها و يذل إليها (3) - .

و **مدحوة** مبسوطة قال تعالى **وَ اَلْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا** [3] و يجوز أن تكون **مدحوة** هاهنا بمعنى مقذوفة مرمية يقال دحوت الحصاة أي قذفتها و يقال للاعب الجوز ادح و أبعد المدى و **التيار** أعظم الموج و **لجته** أعمقه (4) - و **البأو** الكبر و الفخر تقول بأوت على القوم أبأى بأوا قال حاتم

فما زادنا بأوا على ذي قرابة # غنانا و لا أزرى بأحسابنا الفقر [4] .

و هذا الكلام استعارة يقال كسرت الأرض سورة الماء الجامح كما تكسر سورة بأو الرجل المتكبر المفتخر و **الاعتلاء** التيه و التكبر (5) - و **الشموخ** العلو مصدر شمخ بأنفه أي تكبر و الجبال الشوامخ الشاهقة و **السمو** العلو و **سمو علوائه** أي غلوه و تجاوزه الحد .

- (6)

---

(1) اللسان 2: 10 من غير نسبة.
(2) ديوانه 49، و الأبق: شبه الكتان.
(3) سورة النازعات 30.
(4) ديوانه 119.

و **كعمته** أي شددت فمه لما هاج من الكعام و هو شيء يجعل في فم البعير و بعير مكعوم .

ـو **الكظة** الجهد و الثقل الذي يعتري الإنسان عند الامتلاء من الطعام يقول كعمت الأرض الماء حال كونه مكظوظا لشدة امتلائه و كثرته و ازدحام أمواجه (1) - **فهمد** أي سكن همدت النار تهمد بالضم هموداً أي طفئت و ذهبت البتة و الخمود دون الهمود و **النزقات** الخفة و الطيش نزق الرجل بالكسر ينزق نزقا و النزقات الدفعات من ذلك (2) - .

و **لبد** الشيء بالأرض يلبد بالضم لبودا أي لصق بها ساكنا و **الزيفان** التبختر في المشي زاف البعير يزيف و الزيافة من النوق المختالة و يروى و لبد بعد زفيان وثباته و الزفيان شدة هبوب الريح يقال زفته الريح زفيانا أي طردته و ناقة زفيان سريعة و قوس زفيان سريعة الإرسال للسهم (3) - و **أكنافها** جوانبها و كنفا الطائر جناحاه و يقال صلاء مكنف [1] أي أحيط به من جوانبه و تكنفه القوم و اكتنفوه أحاطوا به (4) - .

و **الجبال الشواهق** العالية و مثله **البذخ (5) -** و **العرنين** أول الأنف تحت مجتمع الحاجبين و **الينابيع** جمع ينبوع و هو ما انفجر من الأرض عن الماء (6) - و **السهوب** جمع سهب و هو الفلاة و **البيد** جمع بيداء و هي الفلاة أيضا .

و **الأخاديد** جمع أخدود و هو الشق في الأرض قال تعالى **قُتِلَ أَصْحَابُ اَلْأُخْدُودِ (7) -** [2] و **الراسيات** الثقال و **الشناخيب** رءوس الجبال و **الشم** العالية و **الجلاميد** الصخور واحدها جلمود (8) - و **الصياخيد** جمع صيخود و هي الصخرة الصلبة .

- (9)

---

(1) الصلاء: الوقود، أو النار.
(2) سورة البروج 4.

و **الميدان** التحرك و الاضطراب و ماد الرجل يميد أي تبختر و **رسوب الجبال** نزولها رسب الشيء في الماء أي سفل فيه و سيف رسوب ينزل في العظام .

و قوله **في قطع أديمها** جمع قطعة يريد في أجزائها و أبعاضها و يروى في قطع أديمها بضم القاف و فتح الطاء جمع قطعة و هي القطعة مفروزة [1] من الأرض و حكي أن أعرابيا قال ورثت من أبي قطعة و يروى في قطع أديمها بسكون الطاء و القطع طنفسة الرحل فنقل ذلك إلى هذا الموضع استعارة كأنه جعل الأرض ناقة و جعل لها قطعا و جعل الجبال ثابتة في ذلك القطع .

و **أديم الأرض** وجهها و ظاهرها و **تغلغل الماء** في الشجر دخوله و تخلله في أصوله (1) - .

و عروقه **متسربة** أي داخلة تسرب الثعلب أي دخل السرب و **جوبات** جمع جوبة و هي الفرجة في جبل أو غيره و **خياشيمها** جمع خيشوم و هو أقصى الأنف و تقول خشمت الرجل خشما أي كسرت خيشومه (2) - و **جراثيمها** جمع جرثومة و هي أصل الشجر (3) - .

و **فسح** أوسع (4) - و **متنسما** يعني موضع النسيم (5) - و **الأرض الجرز** التي لا نبات فيها لانقطاع المطر عنها و هذه من الألفاظ القرآنية [2] و **الروابي** التلاع و ما علا من الأرض (6) - و **الجداول الأنهار** الصغار جمع جدول و **الذريعة** الوصلة (7) - .

و **ناشئة سحاب** ما يبتدئ ظهوره و **الموات** بفتح الميم القفر من الأرض (8) - و **اللمع** جمع لمعة و هي القطعة من السحاب أو غيره (9) - **و تباين قزعه** القزع قطع من السحاب رقيقة واحدها قزعة قال الشاعر

---

(1) في الأصل: «مقروبة» ، تصحيف، و انظر اللسان (قطع) .
(2) من قوله تعالى في سورة السجدة 27: **أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ اَلْمَاءَ إِلَى اَلْأَرْضِ اَلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً.** .

كأن رعاله قزع الجهام [1] .

16- و في الحديث كأنهم قزع الخريف [2] . و تباينها افتراقها (1) - و **تمخضت** تحركت بقوة يقال تمخض اللبن إذا تحرك في الممخضة و تمخض الولد تحرك في بطن الحامل و الهاء في **فيه** ترجع إلى **المزن** أي تحركت لجة المزن في المزن نفسه أي تحرك من السحاب وسطه و ثبجه (2) - .

و **التمع البرق** و لمع أي أضاء و **كففه** جمع كفة و الكفة كالدارة تكون في السحاب .

و كان الأصمعي يقول كل ما استطال فهو كفة بالضم نحو كفة الثوب و هي حاشيته و كفة الرمل و الجمع كفاف و كل ما استدار فهو كفة بالكسر نحو كفة الميزان و كفة الصائد و هي حبالته و الجمع كفف و يقال أيضا كفة الميزان بالفتح (3) - و **الوميض** الضياء و اللمعان .

و قوله **لم ينم** أي لم يفتر و لم ينقطع فاستعار له لفظة النوم و **الكنهور** العظيم من السحاب و **الرباب** الغمام الأبيض و يقال إنه السحاب الذي تراه كأنه دون السحاب و قد يكون أبيض و قد يكون أسود و هو جمع و الواحدة ربابة و به سميت المرأة الرباب (4) - .

و **المتراكم** الذي قد ركب بعضه بعضا و الميم بدل من الباء (5) - و **سحا** صبا و سحابة سحوح و تسحسح الماء سال و مطر سحساح أي يسح شديدا و **متداركا** يلحق بعضه بعضا من غير انقطاع (6) - و **أسف** دنا من الأرض و **هيدبه** ما تهدب منه أي تدلى كما يتدلى هدب العين على أشفارها (7) - و يمري الجنوب و هو بمعنى يحلب و يستدر و يروى **تمريه الجنوب** .

على أن يعدى الفعل إلى المفعولين كما تقول حلبت الناقة لبنا و يروى تمتري الجنوب و هو بمعنى تمري من مريت الفرس و امتريته إذا استخرجت بالسوط ما عنده من الجري و إنما

---

(1) لذى الرمة، ديوانه 597 يصف فلاة، و صدره: *ترى عصب القطا هملا عليه*.
(2) في النهاية لابن الأثير 3: 251؛ من حديث لعلى.

خص الجنوب بذلك لأنها الريح التي يكون عليها المطر و الدرر جمع درة و هي كثرة اللبن و سيلانه و صبه و **الأهاضيب** جمع هضاب و الهضاب جمع هضب و هي حلبات القطر بعد القطر (1) - و **الدفع** جمع دفعة بالضم و هي كالدفقة من المطر بالضم أيضا و **الشآبيب** جمع شؤبوب و هي رشة قوية من المطر تنزل دفعة بشدة (2) - و **البرك** الصدر و **بوانيها** تثنية بوان على فعال بكسر الفاء و هو عمود الخيمة و الجمع بون بالضم قال الشاعر

أصبر من ذي ضاغط عركرك # ألقى بواني زوره للمبرك [1] .

و من روى بوانيها أراد لواصقها من قولك قوص بانية إذا التصقت بالوتر .

و الرواية الأولى أصح (3) - و **بعاع السحاب** ثقله بالمطر قال إمرؤ القيس

و ألقى بصحراء الغبيط بعاعه # نزول اليماني بالعياب المثقل [2] .

و **العبء** الثقل و **استقلت** ارتفعت و نهضت (4) - و **هوامد الأرض** هي الأرضون التي لا نبات بها (5) - و **زعر الجبال** جمع أزعر و المراد به قلة العشب و الخلى [3] و أصله من الزعر و هو قلة الشعر في الرأس قال

من يك ذا لمة يرجلها # فإنني غير ضائري زعري.

و قد زعر الرجل يزعر قل شعره (6) - و **تبهج** تسر و تفرح تقول بهجني أمر كذا بالفتح و أبهجني معا أي سرني و من رواه بضم الهاء أراد يحسن و يملح من البهجة و هي الحسن يقال بهج الرجل بالضم بهاجة فهو بهيج أي حسن قال الله تعالى **مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ** [4] و تقول قد أبهجت الأرض بالهمزة أي بهج نباتها و حسن .

- (7)

---

(1) العركرك: الجمل الغليظ القوىّ، و الرجز في صحاح الجوهريّ؛ و هو في اللسان أيضا بنسبته إلى حلحلة بن قيس بن أشيم.
(2) ديوانه 25.
(3) الخلى: الرطب من النبات، و هو الكلأ.
(4) سورة الحجّ 5.

و **تزدهي** أي تتكبر و هي اللغة التي حكاها ابن دريد قال تقول زها الرجل يزهو زهوا أي تكبر [1] و على هذه اللغة تقول ازدهى الرجل يزدهي كما تقول من علا اعتلى يعتلي و من رمى ارتمى يرتمي و أما من رواها و تزدهى بما ألبسته على ما لم يسم فاعله فهي اللغة المشهورة تقول زهي فلان علينا و للعرب أحرف تتكلم بها على سبيل المفعول به و إن كانت بمعنى الفاعل كقولهم عني بالأمر و نتجت الناقة فتقول على هذه اللغة فلان يزدهى بكذا .

و **الريط** جمع ريطة و هي الملاءة غير ذات لفقين و **الأزاهير** النور ذو الألوان (1) - .

و **سمطت به** علق عليها السموط جمع سمط و هو العقد و من رواه شمطت بالشين المعجمة أراد ما خالط سواد الرياض من النور الأبيض كالأقحوان و نحوه فصارت الرياض كالشعر الأشمط و **الناضر** ذو النضارة و هي الحسن و الطراوة (2) - .

و **بلاغا للأنام** أي كفاية (3) - و **الآفاق** النواحي (4) - و **المنار الأعلام**

فصول متنوعة تتعلق بالخطبة

و ينبغي أن نتكلم في هذا الموضع في فصول .

الفصل الأول في كيفية ابتداء خلق الأرض .

ظاهر كلام 1أمير المؤمنين ع أن الماء خلق قبل الأرض و قد ذكرنا فيما تقدم أنه قول لبعض الحكماء و أنه موافق لما في التوراة إلا أن في كلامه ع في هذا الموضع إشكالا و ذلك أن لقائل أن يقول كلامه يشعر بأن هيجان الماء و غليانه و موجه

---

(1) نقله صاحب اللسان في زها.

سكن بوضع الأرض عليه و هذا خلاف ما يشاهد و خلاف ما يقتضيه العقل لأن الماء الساكن إذا جعل فيه جسم ثقيل اضطرب و تموج و صعد علوا فكيف الماء المتموج يسكن بطرح الجسم الثقيل فيه . و الجواب أن الماء إذا كان تموجه من قبل ريح هائجة جاز أن يسكن هيجانه بجسم يحول بينه و بين تلك الريح و لذلك إذا جعلنا في الإناء ماء و روحناه بمروحة تموجه فإنه يتحرك فإن جعلنا على سطح الماء جسما يملأ حافات الإناء و روحنا بالمروحة فإن الماء لا يتحرك لأن ذلك الجسم قد حال بين الهواء المجتلب بالمروحة و بين سطح الماء فمن الجائز أن يكون الماء الأول هائجا لأجل ريح محركة له فإذا وضعت الأرض عليه حال بين سطح الماء و بين تلك الريح و قد مر في كلام 1أمير المؤمنين في الخطبة الأولى ذكر هذه الريح فقال **ريح اعتقم مهبها و أدام مربها و أعصف مجراها و أبعد منشأها فأمرها بتصفيق الماء الزخار و إثارة موج البحار فمخضت مخض السقاء و عصفت به عصفها بالفضاء** .

الفصل الثاني في بيان قوله ع **فلما سكن هيج الماء من تحت أكنافها و حمل شواهق الجبال البذخ على أكتافها فجر ينابيع العيون فيها و عدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها** .

و ذلك لأن العامل في لما يجب أن يكون أمرا مباينا لما أضيفت إليه مثاله لما قام زيد قام عمرو فقام الثانية هي العاملة في لما فيجوز أن تكون أمرا مباينا لما أضيف لما إليه و هو قيام زيد و هاهنا قد قال ع لما حمل الله تعالى شواهق الجبال على الأرض عدل حركات الأرض بالجبال و معلوم أن أحد الأمرين هو الآخر . و الجواب أنه ليس أحد الأمرين هو الآخر بعينه بل الثاني معلول الأول و موجب

عنه لأن الأول هو حمل الجبال عليها و الثاني تعديل حركاتها بالجبال المحمول عليها فكأنه قال حمل عليها الجبال فاقتضى ذلك الحمل تعديل حركاتها و معلوم أن هذا الكلام منتظم .

الفصل الثالث في قوله **إن الجبال هي المسكنة للأرض** .

فنقول إن هذا القول يخالف قول الحكماء لأن سكون الأرض عند الحكماء لم يكن لذلك بل لأنها تطلب المركز و هي حاصلة في حيزها الطبيعي لكنا و إن كان مخالفا لقول الحكماء فإنا نعتقده دينا و مذهبا و نعدل عن قول الحكماء لأن اتباع قوله ع أولى من اتباع أقوالهم .

الفصل الرابع في ذكر نظائر لما وصف به المطر و السحاب .

فمن ذلك **17- ما رواه عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال سئل أعرابي عن مطر فقال استقل سد مع انتشار الطفل فشصا و احزأل ثم اكفهرت أرجاؤه و احمومت ارجاؤه و انزعرت فوارقه و تضاحكت بوارقه و استطار وادقه و أرسعت جوبه و ارتعن هيدبه و حسكت أخلافه و استقلت أردافه و انتشرت أكنافه فالرعد يرتجس و البرق يختلس و الماء ينبجس فأترع الغدر و أنبت الوجر و خلط الأوعال بالآجال و قرن الصيران بالرئال فللأودية هدير و للشراج خرير و للتلاع زفير و حط النبع و العنم من القلل الشم إلى القيعان الصحم فلم يبق في القلل إلا معصم**

مجرنثم أو داحض محرجم و ذلك من فضل رب العالمين على عباده المذنبين . قلت السد السحاب الذي يسد الأفق و أصل الجبل و الطفل اختلاط الظلام و انتشاره حال غروب الشمس و شصا ارتفع و علا و احزأل انتصب و اكفهرت أرجاؤه غلظت نواحيه و جوانبه و تراكمت و احمومت اسودت مع مخالطة حمرة و أرجاؤه أوساطه و انزعرت تفرقت و الفوارق قطع من السحاب تتفرق عنه مثل فرق الإبل و هي النوق إذا أرادت الولادة فارقت الإبل و بعدت عنها حيث لا ترى و تضاحكت بوارقه لمعت و استطار انتشر و الوادق ذو الودق و هو مطر كبار و أرسعت جوبه أي تلاءمت فرجه و التحمت و ارتعن استرخى و هيدبه ما تدلى منه و حسكت أخلافه امتلأت ضروعه و أرادفه مآخره و أكنافه نواحيه و يرتجس يصوت و الرجس الصوت و يختلس يستلب البصر و ينبجس ينصب فأترع الغدر ملأها جمع غدير و أنبت الوجر حفرها جمع وجار و هو بيت الضبع و الآجال جمع إجل و هو قطيع البقر و الصيران مثله جمع صوار و الرئال جمع رأل و هو فرخ النعام و الهدير الصوت و الشراج جمع شرج و هو مسيل الماء إلى الحرة و خرير الماء صوته و زفير التلاع أن تزفر بالماء لفرط امتلائها و النبع شجر و العنم شجر آخر و كلاهما لا ينبت إلا في رءوس الجبال و الشم العالية و الصحم السود التي تضرب إلى الصفرة و المعصم المعتصم الملتجئ و المجرنثم المتقبض و الداحض الزالق الواقع و المحرجم المصروع .

و من ذلك **17- ما رواه أبو حاتم عن الأصمعي قال سألت أعرابيا من بني عامر بن صعصعة عن مطر أصاب بلادهم فقال نشأ عارضا فطلع ناهضا ثم ابتسم وامضا فاعتن في الأقطار فأشجاها و امتد في**

الآفاق فغطاها ثم ارتجس فهمهم ثم دوي فأظلم فأرك و دث و بغش و طش ثم قطقط فأفرط ثم ديم فأغمط ثم ركد فأثجم ثم وبل فسجم و جاد فأنعم فقمس الربا و أفرط الزبى سيعا [1] تباعا يريد انقشاعا حتى إذا ارتوت الحزون و تضحضحت المتون ساقه ربك إلى حيث يشاء كما جلبه من حيث شاء . قلت العارض سحاب يعترض في الأفق و اعتن اعترض و أشجاها ملأها فكان كالشجى في حلقها و ارتجس صوت و الهمهمة صوت الرعد و دوي أحدث دويا فأظلم أعدم الضوء من الأرض بتكاثفه فأرك أي مطر ركا و الرك المطر الضعيف و كذلك الدث و البغش و الطش و فوق ذلك القطقط و ديم صار ديمة و هي المطر أياما لا يقلع و أغمط أي دام و أثجم أقام و وبل جاء بالوابل و هو المطر العظيم و سجم صب و أنعم بالغ و قمس غوص في الماء و أفرط الزبى ملأها جمع زبية و هي حفيرة تحفر للوحوش في مكان مرتفع و الحزون جمع حزن و هو ما غلظ من الأرض و المتون جمع متن و هو الصلب من الأرض و تضحضحت صار فوقها ضحضاح من الماء و هو الرقيق .

و من ذلك **17- ما رواه أبو حاتم أيضا عن الأصمعي قال سألت أعرابيا عن مطر أصابهم بعد جدب فقال ارتاح لنا ربك بعد ما استولى اليأس على الظنون و خامر القلوب القنوط فأنشأ بنوء الجبهة قزعة كالقرص من قبل العين فاحزألت عند ترجل النهار لأدهم السرار حتى إذا نهضت في الأفق طالعة أمر مسخرها الجنوب فتبسمت لها فانتثرت أحضانها [2] و احمومت أركانها و بسق عنانها و اكفهرت رحاها و انبعجت كلاها [3] و ذمرت**

---

(1) ساع الماء سيعا: جرى و اضطرب، و في الأصول: «سبعا» تصحيف.
(2) ب: «فانتشرت» .
(3) كلية السحابة: أسفلها.

أخراها أولاها ثم استطارت عقائقها و ارتعجت بوارقها و تعقعقت صواعقها ثم ارتعبت جوانبها و تداعت سواكبها و درت حوالبها فكانت للأرض طبقا شج فهضب و عم فأحسب فعل القيعان و ضحضح الغيطان و صوح الأضواج و أترع الشراج فالحمد لله الذي جعل كفاء إساءتنا إحسانا و جزاء ظلمنا غفرانا . قلت نوء الجبهة محمود عندهم للمطر و القزعة القطعة الصغيرة من السحاب و القرص الترس و العين ما عن يمين قبلة العراق و ترجل النهار انبساط الشمس و الأدهم أحد ليالي السرار و الأحضان النواحي و احمومت اسودت و بسق علا و العنان ما يعترض من السحاب في الأفق و انبعجت انفتقت و ذمرت حضت و العقائق البروق و ارتعجت اهتزت و ارتعدت و طبقا أي غطت الأرض و هضب جاء بالمطر دفعة فدفعة و أحسب كفى و عل القيعان سقاها مرة بعد أخرى و الغيطان جمع غائط و هو ما سفل من الأرض و صوح الأضواج هدم الأجواف و أترع الشراج ملأ المسيلات .

و من ذلك **17- ما رواه ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه الأصمعي قال سمعت أعرابيا من بني عامر يصف مطرا قال نشأ عند القصر بنوء الغفر حيا عارضا ضاحكا وامضا فكلا و لا ما كان حتى شجيت به أقطار الهواء و احتجبت به السماء ثم أطرق فاكفهر و تراكم فادلهم و بسق فازلأم ثم حدت به الريح فخر و البرق مرتعج و الرعد مبتوج و الحدج مبتعج فأثجم ثلاثا متحيرا هثهاثا أخلافه حاشكة و دفعه متواشكة و سوامه متعاركة ثم ودع منجما و أقلع متهما محمود البلاء مترع النهاء [1] مشكور النعماء بطول ذي الكبرياء .** قلت القصر العشي و الغفر من نجوم الأسد و الحيا الداني من الأرض . و قوله كلا و لا أي في زمان قصير جدا و شجيت به الأقطار صار كالشجى لها

(1) نهاء: جمع نهى؛ و هو الغدير.

و ازلأم انتصب و المرتعج المتدارك و المبتوج العالي الصوت و الحدج السحاب أول ما ينشأ و يتبعج يشقق و أثجم دام متحيرا أي كأنه قد تحير لا وجه له يقصده و الهثهاث المداخل و أخلافه حاشكة أي ضروعة ممتلئة و دفعه متواشكة أي مسرعة و سوامه متعاركة شبه قطع السحاب بسوام الإبل و منجما مقلعا و متهما يسير نحو تهامة

الفصل الخامس في بيان أنه ع إمام أرباب صناعة البديع

و ذلك لأن هذا الفن لا يوجد منه في كلام غيره ممن تقدمه إلا ألفاظ يسيرة غير مقصودة و لكنها واقعة بالاتفاق كما وقع التجنيس في القرآن العزيز اتفاقا غير مقصود و ذلك نحو قوله **يَا أَسَفىَ عَلىَ يُوسُفَ** [1] و كما وقعت المقابلة أيضا غير مقصودة في قوله **وَ اَلسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَ وَضَعَ اَلْمِيزَانَ** [2] على أنها ليست مقابلة في المعنى بل من اللفظ خاصة و لما تأمل العلماء شعر إمرئ القيس و وجدوا فيه من الاستعارة بيتا أو بيتين نحو قوله يصف الليل

فقلت له لما تمطى بصلبه # و أردف أعجازا و ناء بكلكل [3] .

و قوله

و إن يك قد ساءتك مني خليقة # فسلي ثيابي من ثيابك تنسل [4] و لم ينشدوا مثل ذلك في أشعار الجاهلية حكموا له بأنه إمام الشعراء و رئيسهم . و هذا الفصل من كلام 1أمير المؤمنين ع قد اشتمل من الاستعارة العجيبة و غيرها من أبواب البديع على ما لو كان موجودا في ديوان شاعر مكثر أو مترسل مكثر

---

(1) سورة يوسف 84.
(2) سورة الرحمن 8.
(3) ديوانه 18.
(4) ديوانه 13.

لكان مستحق التقديم بذلك أ لا تراه كيف وصف الأمواج بأنها مستفحلة و أنها ترغو رغاء فحول الإبل ثم جعل الماء جماحا ثم وصفه بالخضوع و جعل للأرض كلكلا و جعلها واطئة للماء به و وصف الماء بالذل و الاستخذاء لما جعل الأرض متمعكة عليه كما يتمعك الحمار أو الفرس و جعل لها كواهل و جعل للذل حكمة و جعل الماء في حكمة الذل منقادا أسيرا و ساجيا مقهورا و جعل الماء قد كان ذا نخوة و بأو و اعتلاء فردته الأرض خاضعا مسكينا و طأطأت من شموخ أنفه و سمو غلوائه و جعلها كاعمة له و جعل الماء ذا كظة بامتلائه كما تعتري الكظة المستكثر من الأكل ثم جعله هامدا بعد أن كانت له نزقات و لابدا بعد أن كانت له وثبات ثم جعل للأرض أكتافا و عرانين و أنوفا و خياشيم ثم نفى النوم عن وميض البرق و جعل الجنوب مارية درر السحاب ثم جعل للسحاب صدرا و بوانا ثم جعل الأرض مبتهجة مسرورة مزدهاة و جعل لها ريطا من لباس الزهور و سموطا تحلى بها فيا لله و للعجب من قوم زعموا أن الكلام إنما يفضل بعضه بعضا لاشتماله على أمثال هذه الصنعة فإذا وجدوا في مائه ورقة كلمتين أو ثلاثا منها أقاموا القيامة و نفخوا في الصور و ملئوا الصحف بالاستحسان لذلك و الاستظراف ثم يمرون على هذا الكلام المشحون كله بهذه الصنعة على ألطف وجه و أرصع وجه و أرشق عبارة و أدق معنى و أحسن مقصد ثم يحملهم الهوى و العصبية على السكوت عن تفضيله إذا أجملوا و أحسنوا و لم يتعصبوا لتفضيل غيره عليه على أنه لا عجب فإنه كلام 1علي ع و حظ الكلام حظ المتكلم و أشبه امرأ بعض بزه

و هذا آخر الجزء السادس من الأجزاء العشرين من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي على ما جزأه [1] .

(1) ج: «تم الجزء السادس من أجزاء شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد على ما جزأه، و يتلوه الجزء السابع و الحمد لله وحده » .

1

فهرس الخطب

*

66-من كلام له عليه السلام في معنى الأنصار 4، 5
67-من كلام له لما قلد محمّد بن أبي بكر مصر فملكت عليه و قتل 53
68-من كلام له في ذمّ أصحابه 102
69-من كلام له في سحرة اليوم الذي ضرب فيه 112
70-من كلام له في ذمّ أهل العراق 127
71-من خطبة علم الناس فيها الصلاة على النبيّ صلّى اللّه عليه و آله 138
72-من كلام له قاله لمروان بن الحكم بالبصرة 146
73-من كلام له لما عزموا على بيعة عثمان 166
74-من كلام له لما بلغه اتهام بنى أميّة له بالمشاركة في دم عثمان 169
75-من خطبة له في الزهد 172
76-من كلام له في شأن بنى أميّة 174
77-من كلمات له يدعو بها 176
78-من كلام له قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج و قوله في النجوم 199
79-من كلام له بعد فراغه من حرب الجمل في ذمّ النساء 214
80-من كلام له في الزهد أيضا 230
81-من كلام له في صفة الدنيا 238
82-من خطبة له و هي المسماة بالغراء 241-279

(*) و هي الخطب التي وردت في كتاب نهج البلاغة.

83-من كلام له في ذكر عمرو بن العاص 280

84-من خطبة له في تمجيد اللّه سبحانه و تعظيمه، و فيها وصف الجنة 345-348

85-من خطبة له في الوعظ 350-354

86-من خطبة له، ذكر فيها صفات من يحبه اللّه و حال أمير المؤمنين مع الناس 363-382

87-من خطبة له ذكر فيها وصف ما عليه الناس من الخطأ 384

88-من خطبة له ذكر فيها حال الناس قبل البعثة و أن الناس اليوم لا يختلفون عن سلفهم 387

89-من خطبة له في تعديد بعض صفات اللّه عزّ و جلّ 392-395

90-من خطبة له، و تعرف بخطبة الأشباح، فيها وصف السماء و الأرض و السحاب و الملائكة و غير ذلك 398-438

فهرس الموضوعات

*

أخبار يوم السقيفة [1] 5-45
قصيدة أبى القاسم المغربى و تعصبه للأنصار على قريش 14-17
أمر المهاجرين و الأنصار بعد بيعة أبى بكر 18-45
ما روى من أمر فاطمة مع أبى بكر 46-52
محمّد بن أبي بكر و ذكر ولده 55-67
هاشم بن عتبة بن أبي وقاص و نسبه 55-56
ولاية قيس بن سعد على مصر ثمّ عزله 57-65
ولاية محمّد بن أبي بكر على مصر و أخبار مقتله 65-94
خطبة عليّ بعد مقتل محمّد بن أبي بكر 94-100
مقتل محمّد بن أبي حذيفة 100-101
الأشعار الواردة في ذمّ الجبن 104-107
أخبار الجبناء و ذكر نوادرهم 107-111
خبر مقتل عليّ كرم اللّه وجهه 113-126
ذكر مطاعن النظام على الإمام و الرد عليه 129-134
خطبة عليّ بعد يوم النهروان 134-136
من خطب عليّ أيضا 136-137
معنى الصلاة على النبيّ و الخلاف في جواز الصلاة على غيره 143-145
مروان بن الحكم و نسبه و أخباره 148-165
من كلام له أيضا قبل المبايعة 167-168
من أدعية الرسول المأثورة 178

(*) و هي الموضوعات التي وردت أثناء الشرح.

(1) انظر أخبار يوم السقيفة في الجزء الأول 31-61.

أدعية الصحيفة 178-187
من الأدعية المأثورة عن عيسى عليه السلام 187
الأدعية المأثورة عن بعض الصالحين 187-196
آداب الدعاء 196-197
القول في أحكام النجوم 200-213
أخبار عائشة في خروجها من مكّة إلى البصرة بعد مقتل عثمان 215-229
الآثار و الأخبار الواردة في الزهد 231-237
فصل في ذكر القبر و سؤال الملكين 273-274
نسب عمرو بن العاص و طرف من أخباره 281-330
مفاخرة بين الحسن بن عليّ و رجالات من قريش 285-294
عمرو بن العاص و معاوية 294-295
عبد اللّه بن جعفر بن العاص في مجلس معاوية 295-297
عبد اللّه بن العباس و رجالات قريش في مجلس معاوية 298-303
عمارة بن الوليد و عمرو بن العاص في الحبشة 304-307
أمر عمرو بن العاص مع جعفر بن أبي طالب في الحبشة 307-312
أمر عمرو بن العاص في صفّين 302-317
القول في إسلام عمرو بن العاص 318-319
بعث رسول اللّه عمرا إلى ذات السلاسل 319-320
ولايات عمرو بن العاص في عهد الرسول و الخلفاء 320-321
نبذ من كلام عمرو بن العاص 324-331
أقوال و حكايات في المزاح 330-337
فصل في حسن الخلق و مدحه 337-344

فصل في ذمّ الكذب و حقارة الكذابين 357-362
فصل في العباد و الزهاد و العارفين و أحوالهم 365-372